

الرد علي بابا الفاتيكان

"بندكت السادس عشر"

للمؤلف

زكي علي السيد أبو غضة

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ﷺ ، وبعد .

فإن هذا الكتاب واحد من سلسلة ندعو الله أن يوفقنا في تأليفها للرد على ما يدعيه بابا الفاتيكان "بندكت السادس عشر" ، ومن هنا منحاه من باباوات سابقين ورجال دين وفلاسفة وسياسيين مسيحيين وغير مسيحيين ، في الإساءة إلى الإسلام وكتابه ورسوله ﷺ .

وحيث إن الأساس هو الرد على البابا، فسوف نعرض لكلمته كاملة كما جاءت في رد فضيلة الأستاذ الدكتور: محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر^(١)، ثم نحلل ما تضمنته من افتراءات ضد الرسول ﷺ ودينه، وسيكون ردنا من واقع المقارنة بين الكتب السماوية الثلاثة، التوراة والإنجيل^(٢) والقرآن الكريم، وربط التعاليم الدينية بالواقع من خضم الحياة.

وقبل الخوض في غمار الدراسة نود إيضاح أن المسيحية الغربية الممثلة في الكنيسة البروتستانتية والكاثوليكية ، قد تأثرتا بالفكر الديني والثقافي والإعلامي اليهودي حتى أصبحت أكثر أفكار هذه الكنائس "مسيحية" ، "يهودية" ، أما الكنيسة الشرقية الأرثوذكسية

(١) رد فضيلة شيخ الأزهر على بابا الفاتيكان في مقال تحت عنوان : هذا هو الإسلام ، حوار هادئ مع قداسة بابا الفاتيكان ، هدية مجلة الأزهر لشهر ذي القعدة ١٤٢٧ هـ . ونحن نعترض على وصف البابا بالقداسة حيث إن القداسة لله وحده " فهو الملك القدوس " ، كما نود الإشارة إلى أننا في بداية تأليف هذا الكتاب اطلعنا على ترجمة كلمة البابا الواردة في جريدة السفير ٢١/٩/٢٠٠٦ ، وذكرنا مقتطفات منها في ردنا، ونشكر الزميل أ/ السعيد محمد شطا لجهد في ذلك .

(٢) نقصد بالتوراة والإنجيل ، ما هو موجود الآن مع إيماننا بتحريفها .

فى مصر فلم تتأثر بهذه الأفكار إلى حد كبير؁ فمعايشة المسيحيين للمسلمين فى الشرق؁ مع ما يتمتعون به من أمن وأمان وعدل وحرية تفوق أحياناً ما يحصل عليه المسلمون من حكوماتهم؁ وهذا ما جعل الهجوم على الإسلام ورسوله فى الشرق أقل حدة من الغرب .

كلمة بابا الفاتيكان في جامعة ريجنسبرج

بعنوان

العقيدة والعقل والجامعة

السيدات والسادة المحترمين :

إنها لحظة مؤثرة حقا أن أقف مرة أخرى لأحاضر في الجامعة ، تأخذني الذكريات إلى الماضي وقت أن كنت أعمل محاضرا في جامعة بون بعد فترة (دراسة) جميلة قضيتها في كلية فريزينجر العليا ، كان العام ١٩٥٩ وقت الجامعات اللاهوتية التقليدية ، لم يكن هنا - للكراسى الأكاديمية المختلفة - مساعدون أو أطقم سكرتارية أو ما شابه ذلك ، وإنما كنا نتمتع بمزايا العلاقة المباشرة مع الطلاب من ناحية وزملائنا من الأساتذة من ناحية أخرى، كنا نلتقي في قاعات التدريس قبل وبعد المحاضرات مما وطد العلاقات بين كليتي اللاهوت بشكل كبير وجعلها في غاية الحيوية ، كان هناك في بداية كل فصل دراسي لقاء عام يعرف فيه جميع الأساتذة أنفسهم للطلاب ؛ مما أتاح لنا المعاشية الفعلية (لما نسميه) الجامعة.

هذا الإحساس بأنه بالرغم من اختلاف التخصصات التي قد تجعل التواصل المباشر بيننا صعبا ، فإننا لم نكن نمثل في الواقع سوى وحدة واحدة متكاملة هدفها فهم وصياغة الأبعاد المختلفة للعقلانية والحرص على ألا تطبق إلا بشكلها الصحيح ، هذا ما كنا نعيشه فعلا ، قد كانت الجامعة فخورة بكليتي اللاهوت ؛ لأنه كان واضحا أن دراسة وبحث الاستخدام الصحيح للعقلانية في مسائل العقيدة عمل هام ومطلوب داخل منظومة الجماعة ؛ حتى وإن لم يكن الجميع يشاطروننا نفس الاعتقاد الذي يتعلق به هذا العمل،

ولم يتأثر هذا التجانس والتوافق الداخلي، حتى عندما تعالت صيحات بعض الزملاء أنه توجد كليتان في جامعتنا "العقلانية" تتناولان بالبحث شيئاً لا وجود له وهو الله! بالرغم من هذا لم يكن هناك أدنى شك لدى الجميع أن السؤال عن الله - وتناوله من منظور الديانة المسيحية- يبقى في مواجهة مثل هذا الفكر التشاؤمي المغالي لازماً وعقلانياً ومكملاً للمنظومة العلمية للجامعة.

كل هذا حضرني وأنا أقرأ مؤخراً كتاباً للبروفيسور تيودور خوري. من جامعة مونستر، والذي أخرج فيه جزءاً من نقاش دار بين القيصر البيزنطي "العالم مانويل الثاني باليولوجوس" وبين أحد المثقفين الفرس وذلك وقت (عسكرة جنوده) بأنقرة في شتاء العام ١٣٩١ م، والذي دار حول الإسلام والمسيحية وحقيقة كليهما، والظاهر أن القيصر دون هذه المناقشة أثناء حصار القسطنطينية في الأعوام ١٣٩٤-١٤٠٢، حيث يلاحظ بوضوح أن سرد أفكاره وطروحاته (الشخصية) غلب على إيراد ردود العالم الفارسي، يستغرق الحوار مجمل عقائد الإنجيل والقرآن إلا أنه يركز خاصة على صورة الله والإنسان، وبالطبع أيضاً النسبة (أو التفاضل) بين "القوانين الثلاثة": العهد القديم - العهد الجديد - القرآن.

فى هذه المحاضرة أريد تناول نقطة ثانوية - فى السياق العام للحوار المذكور - عن العلاقة بين العقيدة والعقلانية (استوقفتني) وأعجبتي، واعتبرتها نقطة البداية لتصوراتي عن هذا الموضوع .

فى الحلقة السابعة من النقاش - حسباً أخرج البروفسور خوري فى كتابه - يأتي القيصر إلى ذكر الجهاد ، ومن المؤكد أنه كان يعرف أن السورة ٢-^(١) آية ٢٥٦ تحتوى على (التصريح) ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ ، وهي احدي السور المتقدمة من الوقت الذي كان فيه محمد نفسه مهتدا وبلا سلطان . لكن القيصر كان يعرف أيضا السور المتأخرة الظهور، والتي تتناول تشريعات الجهاد. ودون أن يدخل فى تفاصيل التمييز بين "أهل الكتاب" والكفار" نجده يتوجه مباشرة - وبطريقة فظة - إلى مناظرة بالسؤال عن العلاقة بين الدين والعنف . إنه يقول : "أرني ما الجديد الذى أتى به محمد ؟ ولن تجد سوى كل ما هو سيئ وغير إنساني، مثل أنه أوجب نشر الاعتقاد الذى يعلمه بحد السيف" . ثم يمضي فى شرح التناقض الكامن (فى الإتيان بهذا الفعل) لخصمه بقوله : "إنه يتناقض مع جوهر الله وجوهر الروح ، الله لا يرضي عن الدماء والتصرف بشكل لا عقلاي ليس من صفات الله، العقيدة ثمرة الروح وليست (متعلقة) بالجسد ، من يرد إذا أن يوصل أحدا إلى الاعتقاد ينبغى أن تكون لديه ملكة الكلام الطيب والتفكير السليم ، وليس التهديد والعنف ، من أجل هداية الروح السليمة لا نحتاج لليد أو لأدوات الضرب أو لأية أدوات تستخدم للتهديد بالموت" .

(١) أى : سورة البقرة .

الجملة المركزية في هذا الحوار، (والمستخدمة) ضد مبدأ فرض الدين بالعنف هي : عدم التصرف بعقلانية يناقص جوهر الله ، وعلى هذا يعلق الأستاذ خورى قائلا : بالنسبة للقيصر البيزنطي ذى الخلفية الفلسفية الإغريقية تعتبر هذه الجملة بدهية، بينما تعتبر تعاليم المسلمين الله كيانا بعيدا عن كل إدراك بعدا مطلقا لا تخضع إرادته لقوانيننا ،حتى لو كانت قوانين العقل ، وبرز خورى هنا بحثا للمستشرق الفرنسي المعروف أرندلير الذى يشير فيه إلى أن ابن حزم الظاهري يذهب إلى حد أنه يقول :إن الله ليس ملزما حتى بكلامه ، وليس هناك ما يجبره على الإيحاء إلينا بالحقيقة ، إن أراد جعل الإنسان عابدا للأصنام (أيضا).

هنا نأتي على مفترق طرق في فهم الذات الإلهية ، وبالتالي التطبيق العملي للدين يمثل تحديا مباشرا لنا . هل الاعتقاد بتناقض جوهر الله مع الأفعال اللاعقلانية هو اعتقاد يوناني فقط ؟ أم أن هذا المبدأ عام وصحيح في ذاته ؟ أتصور أنه ينبغي الإشارة هنا إلى التوافق العميق بين هذه النظرة الإغريقية والعقيدة المسيحية في الله ، فلقد جاء يوحنا في إنجيله بهذه الجملة المقتبسة من بداية العهد القديم : "في البدء كانت الحكمة الإلهية" هذا التعبير بالضبط استخدامه القيصر : الله يتصرف بحكمة ... الحكمة هي عقلانية وكاملة في نفس الوقت ، عقلانية خلاقة تستطيع التعبير عن نفسها ولكنها أولا وأخيرا عقلانية . وهكذا أهدي لنا يوحنا الوصف الجامع والنهائي لمفهوم الله الذي تتجمع عنده كل الطرق الصعبة والمبهمة للعقيدة الإنجيلية ، إن التقاء الفكر اليوناني والعقيدة المسيحية ليس مصادفة ، فلقد كانت رؤية القديس بولس للوجه المقدوني (في المنام) والذى صرخ فيه: تعال إلينا لتساعدنا - هذه

لقد كان هذا التقارب قائما منذ زمن بعيد ، فالاسم الغامض لله الذي أطلق عليه عند شجرة الشوك المحترقة (شجرة الطور) ، والذي ميزه عن كل الآلهة ذوى الأسماء الكثيرة والذي يخبر عن وجوده فقط كان نقضا لمفهوم الأسطورة مثل ما كانت محاولات سقراط لهدم الأساطير (الدينية) وتعيديها ، هذا التقارب الذى بدأ عند شجرة الشوك يتحول فى العهد القديم (بعد ذلك)، وفى فترة المنفى (البابلي) إلى المفهوم الأكثر نضجا للإله الغير مقيد بأرض أو قوم رب السماء والأرض رب إسرائيل الذي يعرف نفسه بالكلمة البسيطة "أنا هو" مع هذه الطريقة الجديدة لمعرفة الله بدأت عملية الاستنارة التى تظهر بشكل واضح فى الاستهانة والتقليل من قيمة كل الآلهة الأخرى التى تصنعها يد البشر، وهكذا دخل الاعتقاد المسيحي المرحلة الهليستية - مع كل التناقض البادي بينه وبين الساسة الهليستيين الذين كانوا يريدون إجباره على الخضوع للوثنية - وهو فى أعماقه قريب للفكر الهليستى، وقد ظهر هذا بعد ذلك فى الكتابات الحكيمة المتأخرة ، فنحن نعلم اليوم أن الترجمة السكندرية للعهد القديم إلى اللغة اليونانية كانت أكثر من مجرد ترجمة للنص العبري الأصلي - وهو أمر يمكن النظر إليه بشكل سلبي أيضا - قد مثلت خطوة هامة فى تاريخ الوحي، وبالتالى نشأة المسيحية وانتشارها .

ففيها تركيز واضح على علاقة الاعتقاد بالعقلانية والاستنارة بالدين. لقد تكلم مانويل الثاني بحق من قلب العقيدة المسيحية المنصهر فيه جوهر الفكر الهليستى حين قال: عدم التصرف بحكمة يناقض جوهر الله .

تجدد الإشارة هنا أن بعض التيارات اللاهوتية التى ظهرت فى القرون الوسطى المتأخرة حاولت كسر العلاقة العضوية القائمة بين الفكر الهليستى والمسيحية ، ففي مقابل ما يسمى بالعقلانية الأوجستينية والتومية

نجد دونس سكوتس يتبنى الرأي القائل: إننا لا نعلم من الله غير إراداته الاعتيادية، وأنه لله من وراء ذلك الحرية (في التصرف كما يريد)، حتى وإن كان مناقضا لكل ما فعل ، هنا تظهر مواقف شبيهة بتلك التي لابن حزم، والتي تؤدي إلى فكرة الإله العشوائي الغير مرتبط بالحقيقة أو الخير ، فالمغالاة في فهم اختلاف الله عنا وبعده عن إدراكنا يجعل مفهومنا عن الحق والخير بعيدا عن أن يكون مرآة حقيقية لله (وأفعاله) التي (قد) تصبح أسبابها مخفية عنا إلى الأبد .

في المقابل تمسكت العقيدة الكنسية دائما بوجود علاقة شبه حقيقية بين الله والإنسان بين قدرته على الخلق وحكمتنا المخلوقة، بالطبع تأخذ نقاط الاختلاف مساحة أكبر بكثير. بلا نهاية من المرات - من مساحة الاتفاق إلا أن جوهر التماثل يبقى قائما، فالله لا يصبح أكثر إلهية إن حولناه إلى إرادة عشوائية غير قابلة للفهم ، وإنما الإله الحقيقي هو الذى ظهر بحكمته وتصرفه - في السابق - وما زال يتصرف بمقتضى هذه الحكمة وبالحب لنا ، والحب يأخذ بحق مكانا أكبر من المعرفة ويتيح لنا النظر بأكثر من عين العقل المحض إلا أنه يبقى حبا للإله الحكيم ، لذلك كانت الصلاة المسيحية متوافقة مع كلمته الأبدية ومع عقلنا في نفس الوقت . هذا التقارب بين الفكر الفلسفي اليوناني والعقيدة المسيحية لم يكن ذا أثر في تاريخ الديانات فحسب ، وإنما في تاريخ العالم مما يضعنا في مكان المسؤولية حينما نتأمل ذا الالتقاء لا يعود مستغربا أن المسيحية - بالرغم من كونها نشأت وتطورت في الشرق - وجدت تأثيرها التاريخي الرئيسي والأهم في أوروبا ،

ويمكننا بالعكس أن نقول : هذا الالتقاء والذى أضيف إليه ميراث روما صنع أوروبا ،
وسيقى ما يمكن أن نسميه الأساس الحقيقي لها .

ظهرت فى بداية العصور الحديثة فى مواجهة فكرة اتحاد الميراث اليونانى مع العقيدة
المسيحية محاولات لاهوتية معاكسة لفصل الأصول الهليستية يمكننا أن نقسمها إلى ثلاث
موجات ترتبط بينها بعلاقات إلا أنها تختلف بوضوح فى الأسباب والأهداف ،
فى البدء كانت محاولات الإصلاح فى القرن السادس عشر مرتبطة بهذه النظرة المعاكسة، فقد
رأى المصلحون خضوع العقيدة لنظام فلسفى مبرمج - غريب فى أصل الاعتقاد - يجعل
الكلمة المقدسة الحية أسيرة لنظام فلسفى مصنوع يبحث السولاسكريبتورا (الفهم بمحض
النص) عن أصل الاعتقاد الموجود فى النص الإنجيلى ، فى مقابل ذلك كانت الميتافيزيقا تدخلا
من الخارج ينبغى تحرير الاعتقاد منه ليعود صحيحا كما كان ، إن هذا المنطلق تصرفه كانت
حينما صرح فى مقولته الشهيرة بأنه اضطر أن يلغى التفكير والعقل لإيجاد مكان للعقيدة
وربط الاعتقاد بالتالى بالعقلانية البرجماتية ، ففصله عن الحقيقة ككل .

جاءت الحركة اللاهوتية الحرة فى القرن التاسع عشر والعشرين بالموجة الثانية من
محاولات الفصل والتي يعتبر أدولف هارناك أفضل ممثليها ، وقد كانت فى الوقت الذى
بدأت فيه الدراسة، وفى أيامي الأولى بمهنة التدريس هذه الأفكار كانت تؤثر بشدة حتى فى
الأوساط الكاثوليكية ومثلت تفرقة باسكال بين إله الفلاسفة وإله إبراهيم وإسحاق
ويعقوب نقطة البداية لها، وقد تطرقت فى أولى محاضراتي كأستاذ (بالكلية) إلى هذه التفرقة
وحاولت

أن أتعلم فيها . لا أريد هنا أن أدخل في تفاصيل هذه المحاولة، وإنما أريد أن أبين فقط الفرق بين الموجة الأولى والثانية من محاولات الفصل هذه ، في صلب فكرة هارناك محاولة الرجوع إلى يسوع الإنسان ورسالته البسيطة التي تسبق كل الأفكار اللاهوتية والفلسفية، وتمثل قمة التطور الديني للبشرية ، تحلى يسوع عن الطقوس ليمسك (بالجوهر) الأخلاقي ، إنه يمثل أبا لرسالة أخلاقية رءوفة بالإنسان يمكن ربطها مرة أخرى بالعقلانية حينما تنزع منها العناصر اللاهوتية والفلسفية مثل الاعتقاد بالوهية المسيح والتثليث ، هذه النظرة التاريخية - النقدية للعهد الجديد أرجعت الدراسات اللاهوتية مرة أخرى إلى حظيرة الجامعة: فقد أصبحت السمة التاريخية غالباً عليها وبالتالي قوانين العلم الصارمة، وأصبح كل ما يمكن معرفته عن هذا الطريق من حقائق عن يسوع ممكناً في نطاق العلم العملي الجامعي .

في خلفية هذا الفكر نجد النظرية النقدية الحديثة للعقلانية والتي فاقت النقد الكانتي، فافترضت - باختصار - نوعاً من التوحيد بين الأفلاطونية أو الكارثية من ناحية وبين النظرية التجريبية من ناحية أخرى .

في الناحية (الأفلاطونية) ينبغي علينا أن نفترض البنية الرياضية للمادة - أو عقلانياتها الداخلية والتي تسمح لنا بفهمها واستخدامها وفي الناحية الأخرى - التجريبية - تمثل التجربة الوسيلة الوحيدة للتوصل إلى الصدق أو الخطأ "

وما يمكن أن نسميه الحقيقة . وتصاغ وجهات النظر عن طريق التوفيق بين هذه القطبين
فنجد المفكر مونود ثيلا (والمشهور بفكره العلمى الإيجابي) يعتبر نفسه أفلاطونيا تماما .
هذا النقاش يحمل معه اتجاهين بالنسبة لنا . فبالتوازن الحاصل بين الرياضيات والتجربة
فقط يتم تعريف ما نطلق عليه (اليوم) اسم العلم ، وكل ما يريد أن يصبح علما يتعين عليه
أن يلتزم بهذا المقياس . وهكذا تحاول الأشياء المرتبطة بالإنسان مثل التاريخ وعلم النفس
والاجتماع والفلسفة أن تقترب من قانون العلوم هذا . ومهم أيضا أن نلاحظ أن هذه الطريقة
تلغي "عملية" المسألة الإلهية أو تعتبرها في مرحلة ما قبل العلم ، وهى بهذا تقلص مجال العلم
والعقلانية .

كل محاولات رد اللاهوت إلى "العلم" (حسب تعريفه السابق) لا تترك من المسيحية
سوى جزءا هزيلا ، بل ينبغي لنا أن نقول أكثر : إنها لا تترك من الإنسان سوى جزء بسيط .
فالأسئلة الإنسانية المهمة عن (وجودنا) ومن أين ؟ وإلى أين ؟

الأسئلة المتعلقة بالدين والأخلاق لا تجد لها مكانا في "العلم" وتضطر إلى النزوح (من
المجال الموضوعي) إلى نطاق الخصوصيات . الخاص يحدد عندها بتجاربه (المحدودة)
المقصود من الدين ويقوم "ضميره" وحده بمهمة الرقابة الأخلاقية ، وهكذا تفقد الأخلاق ،
ويفقد الدين وظيفته الاجتماعية وينحدر إلى الفوضى ، هذا الوضع خطر على البشرية ونراه
في الانحدارات والصراعات بين العقلانية وصرفها عن (الاضطلاع) بمشاكل الدين
والأخلاق ، وقد ثبت (في الآونة الأخيرة) عدم كفاية محاولات بناء الأخلاق على أسس
التطور الاجتماعى أو علم النفس .

قبل أن أصل إلى الختام أريد أن أتكلم عن موجة الفصل الثالثة ، والتي نعيشها الآن ،
فبعد الالتقاء مع حضارات العالم المختلفة بدأ الحديث عن أن الحديث عن أن الاندماج
اليوناني المسيحي القديم كان "تنميطة" معينة للمسيحية وصبغا لها بصبغة حضارة معينة لا
داعي لأن لتلزم بها باقي الحضارات (المعاصرة) ، (ويزعم هذا الرأي) أنه من حق الحضارات
المختلفة الرجوع إلى أصل العهد الجديد الأول وتركيب "نمطها" الخاص عليه ، هذه النظرية
ليست خاطئة تماما ، لكنها مبسطة بشكل شديد وغير دقيقة ، فالعهد الجديد مكتوب باللغة
اليونانية ويحمل بالتالي معه عناصر الفكر اليوناني التي بدأت في العهد القديم (كما أسلفنا) ،
بالتأكيد هناك مراحل من التطور التي خضعت لها الكنيسة قديما ، ليست بالضرورة مطلوبة
لبعض الحضارات ، لكن الاختيارات الرئيسية لعلاقة العقيدة بالعقلانية تظل ركيزة أساسية فيها .
بهذا أصل إلى نهاية (كلمتي) أن النقد للعقلانية لا يعني على الإطلاق محاولة الرجوع إلى ما
قبل عصر الاستنارة والتخلص من كل إنجازاتها على العكس تماما ، نحن نشكر لها الإمكانيات
العظيمة التي أتاحتها والتطور في مفهومنا الإنساني ، فالخلق الأساسي لها هو الانصياع للحقيقة وهو
مبدأ مسيحي أساسي ، نحن لا نعني النقد السلبي أو إلغاء العقلانية ، وإنما زيادة مساحتها ، (فالكل)
يرى الأخطار المرتبطة بالإمكانيات العظيمة التي أتاحتها ، ويتساءل كيف يمكن التحكم بها ، نحن
نريد ألا تقتصر العقلانية على الفكر التجريبي بل تنفتح لتضم مساحات أوسع ، لا ينبغي أن تقتصر
دراسة اللاهوت على الجانب التاريخي ، بل يجب أن تكون لاهوتا حقيقيا يعبر عن البحث العقلائي
في أصول الاعتقاد ، ويمكنه بالتالي الاشتراك في النقاش العلمي بالجامعة ، كما يمكنه أن يضطلع
بالتالي بمهمة حوار الحضارات التي نحتاجها أكثر من أي وقت مضى ، في العالم الغربي يسود
الاعتقاد أن منظومة العلم التجريبي هي وحدها التي تتمتع بالعالمية ،

لكن حضارات العالم (الأخري) المتدينة تعتبر عدم إدراج الله في هذه المنظومة مخالفا لأهم مبادئها ،العقلانية التى تضع مسائل الدين والله في مرتبة متأخرة لا تملك إمكانية الحوار مع الحضارات الأخري، فالعلم - كما ذكرت - يحمل الفكر الأفلاطونى معه ويفترضه ليتمكن من بناء تجربته عليه . والسؤال عن السبب (في وجود هذا الهيكل المفترض للكون) ينبغي أن ينقل إلى مستوي آخر من الحكمة : إلى الفلسفة واللاهوت ، وعلى الفلسفة واللاهوت الاستعانة بمنابع المعرفة الموجودة في الميراث الحضاري الديني للإنسانية والمستقاة بالذات من المسيحية ، وتحضري هنا كلمة لسقراط - وقد كان منخرطا في الكثير من النقاشات السفسطائية - يقول فيها :

إنه يفهم أن يكره الإنسان (العاقل) أى نقاش فلسفي بعد هذا الكم (الهائل) من الأخطاء ويحجم طوال حياته عن التفكير في الوجود . لكنه يكون بهذا أضاع ذاته ، والغرب مهدد منذ زمن بعيد بكراهية الخوض في الأسئلة المصيرية، ويتهدده لذلك ضرر جسيم .

واجب اللاهوت ينبغي إذا أن يكون الشجاعة في توسعة مجال العقل في زمننا هذا : "عدم التصرف بحكمة يناقض جوهر الله" هكذا كان رد القيصر على مجادلة الفارسي النابع من صلب عقيدته المسيحية . وهكذا ينبغي لنا أن ندعو للحوار بين الحضارات : في رحابة العقلانية الواسعة . هذه العقلانية التى تمثل أهم واجبات الجامعة في إيجادها أولا .

انتهت كلمة بابا الفاتيكان .

تعقيب على كلمة البابا

وبدراسة هذه الكلمة في عجلة يتضح لنا :

١ - البابا يؤمن بأن اليهودية والمسيحية يمثلان تطورات لفلسفات سابقة ، وكأنه بذلك يقلل من أهمية الدين كشريعة إلهية وأوامر ربانية ، بوحى لها من الله، وقد لجأ إلى ذلك ليثبت عدم التناقض العقلي بين اليهودية والمسيحية وبين علم الفلسفة والعلوم الإنسانية، وهو في هذا يسير على نهج بولس الرسول القائل: ^(١) صرت لليهودي كيهودي ؛ لكي أربح اليهود وللذين بلا ناموس ^(٢) ، مع أني لست بلا ناموس لله، بل تحت ناموس المسيح ، لأربح الذين بلا ناموس" (١ كورنثوس ٩ : ٢٠ - ٢١).

٢ - ما تعرض له البابا من نقد للإسلام ورسوله عليه الصلاة والسلام يمكن تلخيصه في:

- أ- الرسول ﷺ جاء للإنسانية بالشر ممثلاً في الجهاد الإسلامي ونشر الدين بالسيف والقتل والإرهاب والإكراه ، وهضم حقوق الإنسان إلخ .
- ب- الله في الإسلام محدود القدرة ، مقيد المشيئة .
- ج- الإسلام دين أحكامه جامدة لا تناسب كل مكان وزمان مما أضر المسلمين .
- د- العلاقة بين الإسلام والعقل معدومة .

(١) مجلة الأزهر هدية ذى القعدة ١٤٢٧ من ص ٦ - ٢٢ .

(٢) الناموس : هو شريعة السماء الموحى بها من الله لموسي عليه السلام .

هذا وسنحاول الرد على هذه المزاعم ، وسيبدأ هذا الرد ، بالدفاع عن المبدأ الأول لأنه
الركن الرئيسي في هذه الانتقادات ، ثم سنوالى - إن شاء الله - فى كتب قادمة الرد على باقي
هذه الافتراءات .

خطة الكتاب

تمهيد :

وقد بدأنا ردنا بتمهيد لبيان سلطة البابا ومدي تقديسه في الديانة المسيحية التي وصلت إلى جعله أقل مرتبة من الله وأعلى من الأنبياء، فالأنبياء غير معصومين ، أما الباباوات فهم معصومون حسب الاعتقاد (المسيحي) ، فهم لا ينطقون عن الهوى ، ولهم حق المغفرة والرحمة و الإدانة والحرمان ، وزاد سلطانهم وسلطتهم الملوك أحيانا ، ومع ذلك فالواقع الفعلي أثبت :

أن الكثير منهم أصحاب ذنوب وخطايا وصلت للمقامرة والزنى ، وأنه لا عصمة مطلقة لهم، ثم تناولنا تمحيص أقوال البابا وغيره في أبواب خمسة ، وليعذرني القارئ في الإسهاب، فهدفي لم يتضمن الرد وتفنيد المفتريات، ولكن أيضا بيان ما في الأديان الأخرى من عورات ، كان ينبغي حجبها قبل محاولة تجريد الإسلام من أخلاقياته وأحكامه السامية واتهامه بادعاءات باطلة .

الباب الأول: ادعاء إكراه الرسول ﷺ للناس على اعتناق الإسلام.

الفصل الأول : الإكراه الديني في الأديان السماوية .

وفي هذا الفصل : عرضنا لآراء بعض المدعين ومنهم البابا بندكت السادس عشر ، والمستشرق "فلهوزن" وغيرهما ، وتم الرد على آرائهم موضحين حقيقة الإكراه الديني في الأديان الثلاثة ، وأظهرنا الحق جليا ، أي من الأديان هو دين إكراه وإجبار ؟ !

الفصل الثاني : التسامح الديني وحرية العقيدة بين الإسلام والأديان السماوية.

وفيه عرضنا لآراء المدعين على الإسلام من عدم التسامح الديني وسلب حرية العقيدة، وهضم حقوق الإنسان، ومن هؤلاء: البابا بندكت ، وفوكوياما وغيرهما ، وفي دحضنا لهذه المفتريات وعرضنا للتسامح الديني في الشريعة الإسلامية وأسبابه.

ومنها الإيمان بضرورة وجود أكثر من دين واعتراف الإسلام بالأديان السابقة قبل تحريفها ، وعدم اعتراف هذه الأديان بالإسلام أو ببعضها البعض ، كما تكلمنا عن مظاهر التسامح الديني في الإسلام ، ومظاهر الإرهاب الديني في غيره .

الفصل الثالث : التسامح الديني وحقوق المواطنة بين الإسلام والأديان السماوية .

وفي هذا الفصل عرضنا لآراء متهمي الإسلام بأنه ضد حقوق المواطنة، ويغتصب حقوق الآخرين ، فرددنا كيدهم في نحرهم ببيان كيف أقام الإسلام دولته على أسس قويمه من حقوق المواطنة ، وإلى أى مدى احترم الإسلام أهل الكتاب في ظل حكمه وإبان علو شأنه وحضارته ، واسترشدنا بشهادة التاريخ والمنصفين الغربيين في ذلك ، كما بيننا لأحكام التسامح الديني في اليهودية والمسيحية ، لتوضح للمدعين والمفترين على الإسلام أي الأديان هو دين الخير وأيها دين الشر ؟ ! .

الباب الثاني : التكافل الاجتماعي والإنساني بين الأديان السماوية.

بدأنا هذا الباب بآراء المدعين على الإسلام بأنه دين إيذاء للآخرين ، أساسه التعصب ، ونبذ الآخر، ومن هؤلاء ، البابا بندكت ، و المفكر " بالزاك " وغيرهما، وقد تم الرد على هؤلاء في فصلين :

الفصل الأول : التواد والتراحم العائلي والأسري بين الأديان .

إن مظاهر التواد والتراحم متعددة في الإسلام ، فهو الدين الوحيد الذي أجاز لرجاله الزواج من أهل الكتاب مما يوثق عرا المحبة والمصاهرة والنسب ، وهذه ليست في الأديان السماوية الأخرى التى لا تبيح بين مللها المختلفة ، فضلا عن التزاوج بينهما كيهود ومسيحيين ، و أوضحنا وصايا الرسول بأهل الكتاب التى تنم عن الرحمة الشاملة والبر الكامل ، وكيف كان احترام الرسول لأولي الفضل من غير المسلمين ، ووفاء الإسلام الكامل بالعهد و أداء الأمانات واحترام المواثيق ، وقد بلغ الإسلام قمة التراحم عندما فرح المسلمون بانتصار المسيحيين على الوثنيين، وغير ذلك من آداب سامية لم تتوفر فى باقى الأديان بدرجة اكتمالها فى الإسلام .

الفصل الثانى : الآداب الاجتماعية والأخلاقية بين الإسلام والأديان السماوية .

فى هذا الفصل أوضحنا مظاهر حسن العشرة والمخالطة الاجتماعية بين الأديان من تبادل زيارات، وإقامة ولائم ، ، وتشجيع جنائز ، وقارنا بين هذه الآداب فى الإسلام وفى اليهودية والمسيحية؛ لنثبت للكافة أى الأديان هو دين الخير الاجتماعي والخلق الإنساني القويم ؟!

كما تطرقنا إلى المعاملة الكريمة في الأديان ، من حيث سعة الصدر وتحمل الأذى وكيف كان الرسول ﷺ القدوة الصالحة للبشرية جمعاء في هذا المجال وغيره ، وقارنا بين أحكام الإسلام المنظمة لذلك ، وشرائع الأديان الأخرى ، ثم استرشدنا ببعض آراء منصفى الغرب في هذا المجال .

الباب الثالث : الجهاد والقتال في الأديان السماوية .

بدأنا الباب بتوطئة عن الجهاد في الفكر الإنساني ، وأثبتنا أنه فطرة طبع الناس عليها ، ومنها ما هو مشروع وما هو ممنوع ، أي ما هو شرعي وما هو بغى واعتداء وفقا لأسبابه ، وقد عرضنا لآراء متهمي الإسلام بأنه دين جهاد ومنهم ، مارتن لوثر ، وكازانوفا ، والقديس توما الإكويني ، وريتشارد نيكسون الرئيس الأمريكي السابق .

الفصل الأول : أسباب الجهاد في الأديان السماوية .

وفيه شرحنا معنى الجهاد في الإسلام الذي لا يعني الحرب فقط ، ولكن جهاد النفس وجهاد الشيطان ، وأوجزنا لأسباب الجهاد والحرب في الإسلام المشروعة ومنها : الجهاد للدفاع عن الوطن أو الدين ، أو لرد العدوان وجهاد الفئة الباغية سواء من المسلمين أو غيرهم ، وجهاد ناقضي العهود والمواثيق إلخ .

وقد بينا أسباب الجهاد في الأديان المختلفة سواء اليهودية أو المسيحية وقارناها بالإسلام لإيضاح أى الأديان سما بالجهاد لمرتبة الفضيلة ، وأيا انحدر بالجهاد فأصبح من الرذيلة ، وقد استرشدنا بالجهاد عند الرسول ﷺ ، وجهاد أنبياء التوراة حسب زعم التوراة - الذين حولوا الجهاد إلى سفك دماء واغتصاباً وسرقة للشعوب والدول .

الفصل الثاني : الحرب والقتال في الأديان السماوية :

بدأنا الفصل بتوطئة أوضحنا فيها أن القتال طبيعة إنسانية وفطرة بشرية ، لا يمكن للبشر نبذها، واسترشدنا بآراء "ريتشارد نيكسون " وغيره ، وأوضحنا ادعاءات غير المسلمين الكاذبة ، بأن الإسلام دين قتال ، ومن هؤلاء بابا الفاتيكان ، والألماني "إشتيجليكر" والمنسيور كولي" وغيرهم، وتم الرد على هؤلاء مسترشدين بما جاء في التوراة وما وافقه الإنجيل ، وملخص لما قامت به محاكم التفتيش من بلايا ، كما بينا كراهية الحرب في الإسلام بالمقارنة مع الأديان الأخرى ، ومدي إيمان كل دين بضرورة السلام ، ومعني السلام في الإسلام ، وقارنا بين رحمة المسلمين في الحروب، حيث لم يكن القتل هدفهم، بل هدفا لغيرهم والقواعد الإنسانية الإسلامية في معاملة غير المحاربين، والأسري، مع المقارنة بغيرهم ، واستشهدنا بما تم حاليا من سوء معاملة للأسري وغير المحاربين في السجون الأمريكية والعراقية، وما تعرضت له المسلمات من اغتصاب وهتك عرض وقتل، لنجلي حقيقة مهمة وهي أي من الأديان جاءت بالخير للبشرية وأياها أتى بالشر والشر ثم الشر !!! .

الباب الرابع : ادعاءات ظالمة ضد الإسلام.

الواقع أن هذه الادعاءات لا تنتهي ، ولكنني ركزت دراستي في هذا الباب على ثلاثة ادعاءات .

الفصل الأول : الادعاءات بأن الإسلام دين عبودية ورق :

وفيه أثبتنا أن الإسلام أنار البشرية، وأن الرق كان نظاما قائما موجودا وشرعيا ومعترفا به ومنظما تنظيميا قانونيا، قد اعترفت به الأمم السابقة، ونظمت أحكامه الأديان الخالية ، فقد زاولته أوروبا وشاركت الكنيسة في تجارة العبيد ، أما اليهود فهم أكبر تجار للعبيد في التاريخ القديم أو الحديث، وإن تغيرت صورته، فصناعة وتجارة العبيد فكر يهودي مسيحي .

وتطرقنا لمصادر الرق السبعة قبل الإسلام ، وكيف اختصرها الإسلام في مصدرين فقط، واهتمنا بإيضاح معاملة العبيد في الأديان الثلاثة ، وطرق تحرير العبيد في كل دين، لنثبت للعالم أجمع أن الإسلام حرر العبيد قبل أن تحرره أمريكا التي سبق أن ابتدعت تجارته، وتم استغلال البشر حتى الموت في خدمة الغربيين .

واسترشدنا بوصايا الرسول الإنسانية الهامة لحسن معاملة الخدم والعبيد والأرقاء مع بيان الواقع العملي لصدق العمل بهذه الوصايا ، سواء من الصحابة والتابعين وغيرهم .

الفصل الثاني : الإسلام أقام الحرب لفرض الجزية على البشر .

وفيه أثبتنا أن الجزية كانت شريعة قائمة قبل الإسلام ، وقد فرضها الأقوياء على الضعفاء سواء لاتقاء شرور الحروب ، أو نتيجة للانتصار في الحروب ، وقد فرضها اليهود عند قوتهم وفرضت عليهم في حال ضعفهم وانكسارهم كما جاء بالتوراة ، أما في الأناجيل فقد دفع المسيح الجزية وأمر تلاميذه ورسله بأداء الجزية كحق مكتسب يجب الوفاء به ، وكانت تفرض على الجميع من رجال ونساء وأطفال وشيوخ ورجال دين ، وتدفع دون مراعاة لحال الناس من فقر أو غني ففيها إجحاف.

أما الإسلام فلم تفرض فيه الجزية إلا على القادر على الكسب ، فلم تفرض على النساء والصبيان والشيوخ ورجال الدين أو المتفرغين للعبادة ، وكانت ضئيلة القيمة ، وهي تقابل فريضة الزكاة والصدقة عند المسلمين ، وكان لها مقابل إنساني كريم ، وهو الدفاع وتحقيق الأمن والأمان لدافعها ، فإن لم يتحقق ذلك ردت إليهم جزيتهم .

هذا وقد فرضت أوروبا الجزية على الكنيسة ، وفرضتها الكنيسة على الملوك وعلى رعاياها ، كما فرضت على اليهود وعلى المسلمين ، وفرضتها ممالك فرنسا على إنجلترا والعكس ، وذلك بعد الإسلام أي في العصر الحديث ، وحاليا تفرض الجزية ولكن تحت مسمى المصالح الاقتصادية ، حيث احتلت إنجلترا الشرق الإسلامي لاغتصاب خيراته ، وورثتها أمريكا حاليا باحتلال أماكن البترول وأفغانستان والعراق والسودان ، والاحتلال المقنع لدول الخليج ، بفرض الاستيلاء على منابع النفط ، والتحكم فيه وبيعه لحساب المحتلين ، وليس لصالح الشعوب الضعيفة المختلفة المقهورة والمغلوبة على أمرها .

الفصل الثالث : الادعاء بأن الإسلام نشر بالسيف .

وفيه أوضحنا أن الرسول ﷺ بعث والعالم في حاجة إلى دين جديد لتصحيح انحرافات سابقة ، حيث اضطرت المسيحية لعقد أكثر من مجمع مسكوني "عالمي" للبحث من صحة العقائد المسيحية ، وأثمرت هذه المجمع عن قرارات متضاربة يكفر بعضها البعض ، كما عم الاضطهاد الديني والاحتلال العسكري والقتل وسفك الدماء كافة أرجاء العالم ، فالوثنيون اضطهدوا أصحاب الأديان ، والعكس صحيح ، بل وتبادل أصحاب الأديان من يهود ومسيحيين القتل وسفك الدماء والتعذيب وإهدار حقوق الإنسان ، وعلى ذلك كان العالم في حاجة ضرورية ملحة للإسلام لتقويم المعوج من شرائعه، والباغي من شعوبه.

كما أثبتنا أن الإسلام لم ينتشر بالقهر والغلبة والسيف ، وفصلنا لبعض الأدلة :

منها : انتشاره في فترة وجيزة ، لا تعد في عمر الشعوب والحضارات والأديان زمنا وكان أسلوب الدعوة إليه أنه لا إكراه في الدين ، فأرسلت الرسائل السلمية للقادة والرؤساء والزعماء لدعوتهم لاعتناقه ، ولم يحارب الرسول إلا من اعتدي على الإسلام، أو أساء إليه وإلى رسل رسول الله ﷺ أو كان معتديا ومحتلا لأراضي الغير ، فالإسلام انتشر بعد ظلمة حتي إن الرسول هاجر موطنه إلى موطن آخر لنشر الدين ، والمهاجرون الأوائل هاجروا مرتين للحبشة ثم هاجروا للمدينة فرارا بدينهم لا فرارا من دينهم .

هذا وقد أسعد الله البلاد التي فتحها المسلمون، حيث تم نشر الحضارة فيها، واستمتعت بالرقى الإنساني والاكتفاء الاقتصادي والديني ، والأندلس خير شاهد على ذلك ، كما استشهدنا بآراء الغربيين المنصفين في ذلك .

الباب الخامس : مخازي وبلايا الغرب المسيحي ضد الإنسانية والإسلام.

في هذا الباب لم نكتف بالدفاع عن الإسلام ، بل لجأنا لإظهار مخازي الغرب المسيحي، ضد البشرية كلها ، والتي كانت ولا تزال باسم الدين ولتحقيق مصالح اقتصادية وسياسية وغيرها .

الفصل الأول : الغرب المسيحي ضد حرية الأديان .

وفيه عرضنا لآراء البابا يوحنا بولس الثاني ، والمنصر الألماني "هانز" وغيرهم التي تدفع ضرورة أن تعمل المسيحية على التبشير في كل أنحاء العالم ، وأن تحاول محو الأديان غير المسيحية ، قهرا أو اختيارا ، ولتحقيق ذلك تم إظهار الشعوب الإسلامية لدي الشعوب الغربية في صور مشوهة بشعة ، توضح تخلفهم وتظهرهم كوحوش آدمية مفترسة

وكأنهم أكلة للحوم البشر ، كما تبين- كذبا - أن شريعتهم لا خير فيها ، وتعمدوا إهانة الرسول ﷺ ، والنيل من وحي و قدسية القرآن وأحكامه ، وتدخل الغرب لإلغاء القرآن واختراع قرآن جديد، وكيف أهانوا السنة النبوية .

كما أجبرت الحكومات الإسلامية على تعديل المناهج الدينية بحجة حذف ما بها من أحكام الجهاد ، التي تساعد- حسب زعمهم - على الإرهاب ، ومبادرة "كولن باول" و"بوش" الرامية إلى التدخل المباشر في الدين الإسلامي ، وفي فرض سياسات غربية غريبة عن المجتمعات الشرقية والإسلامية ، تحت ادعاء نشر الديمقراطية "ديمقراطية الدم والنار، ديمقراطية العري والعار ، ديمقراطية الاحتلال والاستغلال ، ديمقراطية الموت والدمار، وهم يدعون أنهم يريدون الإصلاح والخير للعباد والبلاد ، وقد تعاون المثقفون والفلاسفة وأرباب الفن من مخرجي سينما ومسرح وتلفزيون وغيرهم لبث هذه المفاهيم الظالمة .

الفصل الثاني : الغرب المسيحي ونشر دينه بالسيف .

وفيه عرضنا لأدلة نشر المسيحية بقوة السيف قديما ، وبالأسلحة المجرمة دوليا حديثا من أسلحة دمار وشامل ، وما قام به العرب بابتداع محاكم التفتيش لحرق اليهود والمسيحيين حتى يعتنقوا المسيحية ، بل وحرق من يشكون في صدق اعتناقه للمسيحية ، وقد شارك في ذلك باباوات الكنيسة والملوك والأباطرة ، حتى صارت عقيدة الإفناء الكامل للبشر هي أساس الإيمان عندهم ، وأوجزنا لبعض مذابح الغرب المسيحي - مدعيّ السلام - في العراق والسودان والصومال ، وغيرهم ، وأيضا ما تم في لبنان حيث هدم اليهود منازل المسلمين في الجنوب ، وأزالوا الكباري ، وخربوا منشآت الإنتاج والبنية الأساسية من محطات كهرباء ، ومصانع ومستشفيات .. إلخ .

وأخيراً الظلم البين الذي لحق التعليم الأساسي للمسلمين في الغرب حيث لا يسمح لشيوخهم ومدرسيهم بتدريس المواد الدينية الإسلامية ، ولكن يقوم بذلك قسيسون ومعلمون غربيون حتى يلقنوا المسلمين ما يشاؤون و من تعاليم قد لا تكون من الدين الإسلامي ، معتمدين على مناهج دينية - أيضا - لم يضعها مسلمون ، والهدف نزع الدين الإسلامي من صدور المسلمين ، وتنشئة أجيالهم على حب الثقافة الغربية التي لا تلتقي مع الشريعة الإسلامية في كثير من الأحكام .

الخاتمة .

أثبتنا فيها أن الحرب بأنواعها ضد الإسلام هي إستراتيجية ثابتة ، أوضحها الله في القرآن الكريم، وبيننا أنها تزداد ضراوة وقسوة عند ضعف المسلمين ، وهذه الحرب من أسبابها القوية هي الخوف الغربي من الإسلام كشرعية سماوية كاملة يتحقق باتباعها سعادة العالم ورفاهيته ، مما يجعلها عدوا قويا للمسيحية يحد من انتشارها وتقلص أعداد المؤمنين بها ، ويقاوم التبشير بها ، ناهيك عن الرعب الغربي من ذوبان المجتمعات الأوروبية نتيجة نقص أعداد الشعوب الأمريكية والغربية أو ازدياد أعداد المسلمين مما يجعل المسلمين يمكن أن يسودوا العالم بفكرهم ودينهم ، ومن ثم نظر الغرب المسيحي إلى الشرق الإسلامي نظرة العدو المحتل الناشئ ، والذي يمكن أن يولد قويا يافعا بعد موت الشيوعية وفناء الاتحاد السوفيتي نتيجة لتفككه ، فسارعت أمريكا وأوروبا للحروب ضد المسلمين في كل مكان ؛حتى أصبحت تلك الحروب قارية في أوروبا وآسيا وأفريقيا. ولم يكتف الغرب بالحروب الدموية ،

بل لجأ إلى الحروب الفكرية فتعمد الإساءة للرسول ﷺ لينزعوا الدين من صدور المسلمين. ﴿إِنْ يَتَّقَوْكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتُهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ [المتحنة : ٢] ، ثم يحاولوا تحويل البلاد الإسلامية إلى علمانية ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالََةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾ [النساء : ٤٤] ، ويجب علينا مقاومة هذه الأفكار والدفاع عن الدين وعدم اتباع ما يراد بنا من الغرب ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوءًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة : ٥٧] ، والأمل موجود إن شاء الله أن تزال هذه الغمة ويعود الإسلام لقوته ، فهذا وعد إلهي من الله جل وعلا ، مهما اتفق الغرب لاحتلال المسلمين ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال : ٣٦]

.وأخيرا وليس آخرا فالإسلام باق ومنتصر ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ [الرعد : ١٧] .

تمهيد

أولا : سلطان البابا وتقديسه في المسيحية

أولا: مكانة البابا وتعظيمه في المسيحية :

أ- في الكنيسة الشرقية :

"مكانة البابا أو البطريك عند الأقباط ، مكانة تفوق الوصف ، فهو صاحب قداسة"^(١) وهو ذو "الفم الذهبي"^(٢) الذي ينطق بكلمات مثل الذهب الخالص ، وهو الرئيس الأعلى للكهنة بدرجاته العديدة ، وله الأبوة العليا والسيادة في كنيسة الله المقدسة ، الكل في طاعته والكل تحت رقابته ، له السلطان "الحق" أن يدين الخطاة"^(٣) ، وله السلطان أن يحكم باسم الله ، وهو الرقيب الأعلى ، وهو الربان الأعلى ، وهو المعلم الأعلى ، فالبابا رئيس الأساقفة ، له قدر من الكرامة يفوق الجميع .

(١) القداسة: التنزيه الكامل من أى نقص أو عيب ، وذلك ليس إلا لله فقط .

(٢) ذهبي الفم : لا ينطق إلا بالحق ، ولا يمكن أن يخطئ أبدا .

(٣) يدين الخطاة : له أن يعاقب المذنبين ويحكم عليهم بالخروج عن الدين والهلاك واستحقاق الجحيم .

ويوم صعد البابا شنودة الثالث إلى المذبح ليتسلم الصليب وعصا الرعاة ، كان كبير الأساقفة يردد : تسلم عصا الرعاة من يد راعي الرعاة الأعظم يسوع المسيح لترعي شعبه وتغذيه بالتعاليم لتحبيه ، فقد ائتمنتك على نفوس الرعية .

ثم دقت الأجراس وارتفعت الصلوات أن يمنحه الله النعمة والحكمة ، وليشرق الله عليه بنور وجهه لكي يضيء قلبه بينوع مجد الله ، فيعرف الأسرار الإلهية ، وليفيض عليه مواهب الروح القدس والإلهام .

وارتفعت أصوات الدعاء : اللهم ألبسه حلة مجدك المقدسة ، وضع على رأسه تاجا وامسحه بدهن الفرح ، ليرفع القرايين عن جهالات شعبك ، وينشلهم من فخاخ الخطيئة، ويردهم إلى حظيرتك المقدسة ، اللهم امنحه روح قدسك ليحل كل وثاق ربطه العدو بالخطيئة .

البابا يتم الدعاء له في الصلاة :

في القداس الإلهي يردد : اذكر يا رب رئيس كهنتنا البابا البطريق وحفظا احفظه سليما يا رب لنا سنين عديدة ..

وفي صلوات أسبوع الآلام^(١) يتضرعون : "من أجل حفظنا تحت اليد العليا المقدسة التي لك ، نطلب إليك أن تبقى لنا وعلينا حياة أبينا المكرمة البابا البطريك " . وحين يسافر تقام الصلوات "لكي يحيطه إلهنا بملاك السلامة ، وينعم لنا بقدمه بكل فرح " .

(١) أسبوع الآلام : وهو أسبوع القبض على المسيح وتعذيبه وصلبه وقتله . حسب الاعتقاد والمسيحي " .
وقرأ البابا وردد : "أنا هو الراعي الصالح ، والراعي الصالح يبذل نفسه عن الخراف، أعرف خاصتي و خاصتي تعرفني ، أنا أضع نفسي عن خرافي ولى خراف أخرى ليست في هذه الحظيرة ، ينبغي أن آتي بها أيضا، فتسمع صوتي ، ويكون رعية واحدة لراع واحد" .

ألقاب البابا :

للبابا في الطقوس الكنيسة البابا تفوق الحصر .

المثلث الطوباري " أب الآباء - راعي الرعاة - رئيس رؤساء الكهنة ، خليفة القديس مرقس . . حبيب المسيح . . الطوباري الأقدس الكلي الإكرام ، أبونا ومولانا وسيدنا ، بابا وبطريك الإسكندرية وليبيا والخميس مدن وإثيوبيا وأفريقيا وأسيا وبلاد المهجر " .

بالنسبة لبابا الفاتيكان فهو خليفة القديس بطرس ، وبطريك الكنيسة الغربية ثالث عشر الحوارين "الرسل" . . قاضي المسكونة "الدنيا" .. المكرم ذو الذكر الحسن .. ذو الفهم الداودي " أى له فطنة النبي داوود" ذو حكمة سليمان وهو النائل نعمة موسي وكهنوت ملكي صادق^(٢) ، وشيخوخة يعقوب ، وطول عمر متوشال^(٣) والروح الذي حل على الرسل المدبر الثابت السراج المنير معلم القطيع الناطق للمسيح^(٤) .

ب - في الكنيسة الغربية :

إن البابا هو الرئيس الأعلى للكيان الكنسي، وقد تغيرت ألقابه الرسمية على مر العصور ووفقا للأحداث، حتي أصبح اللقب الذي يحمله يوحنا بولس الثاني هو " أسقف روما ، خليفة القديس بطرس، نائب يسوع المسيح، أميرالرسل، الحبر الأعظم للكنيسة العالمية، بطريك الغرب، كبير أساقفة إيطاليا،

(٢) ملكي صادق : وصف بأنه كاهن الله العلي (التكوين ١٤ : ١٨) .

(٣) متوشال: أحد أبناء آدم مات وله من العمر ٩٦٩ سنة . (التكوين ٥ : ٢٧) .

(٤) الأقباط في مصر والمهجر: رجب البنا ص ٤٣ ، ٤٤ .

ورئيس أساقفة المقاطعة الروحية، وعاهل دولة مدينة الفاتيكان" (١٠).

يقول البابا "إنوسنت الثالث (١١٦٠ - ١٢١٦ م) في وصف مركزه البابوي: إلى البابا يقال في شخص النبي . ووكذلك هذا اليوم على الشعوب والممالك لتقلع وتهدم تهلك وتبني وتغرس" (إرميا ١ : ١٠) .

وإلى البابا يقال أيضا في شخص الرسول: أعطيك مفاتيح ملكوت السموات (متى ١٦ : ١٩) .

هكذا دعي آخرون لجزء من المسؤولية، لكن بطرس وحده اتخذ لنفسه كمال القوة، أنت إذن تري من هو هذا الخادم المعين رئيسا على أهل البيت ، إنه حقا نائب يسوع المسيح، خليفة بطرس .

"مسوح من الرب ، إله فرعون ، وسيط بين الله والإنسان" .

"أدني من الله لكن أعلى من الإنسان ، الذي يحاكم الجميع ولا يحاكمه أحد" (١١) .

ثانيا : سلطات البابا وسلطانه :

الواقع أن هذا السلطان القائم على القداسة الكاملة يفوق سلطان الملوك، فالملوك قد يكون لهم سلطة دينوية فقط ، ولكنهم أولا وأخيرا رعايا للبابا وله عليهم وعلى شعوبهم سلطة دينوية ودينية ، وكم أذل الباباوات الملوك وركعوا لهم . وسنذكر بعض سلطات وسلطان البابا .

(١) تنصير العالم : د . زينب عبد العزيز ص ٨٦ ، دار الوفاء بالمنصورة ، طبعة ١٩٩٥ .

(٢) تاريخ الكنيسة : القس جون لوريمر ترجمة عزرا وجار ، ص ٢٨ ، دار الثقافة بمصر .

الدولة تستمد سلطتها من الكنيسة والبابا .

يقول البابا "إنوسنت الثالث :

"خالق الكون عمل النوريين العظميين في جلد السماء ، النور الأكبر (الشمس)
لحكم النهار، والنور الأصغر (القمر) لحكم الليل ، بنفس الطريقة عن جلد الكنيسة الجامعة
، التي يقال عنها السماء ، عين الله مقامين عظيمين ، الأعظم الكنيسة لمسئولية الحكم على
الأرواح "هؤلاء كما لو كانوا النهار" ، والأقل "الدولة" لمسئولية الحكم على الأجساد "هؤلاء
كما لو كانوا "الليل" ، هذان المقامان هما السلطان البابوي والقوة الملكية ، أكثر من ذلك ،
فإن القمر يستمد نوره من الشمس وهو في الحقيقة أدنى من الشمس في الحجم والنوع ،
وبنفس الطريقة تستمد القوة الملكية مقامها من السلطة البابوية" .

إذلال الباباوات للملوك

حاول جون ملك إنجلترا [١١٩٩ - ١٢١٦] أن يختار شخصية معينة رئيسا لأساقفة
كنتربري ، ولكن البابا كان لديه شخص آخر استطاع أنوسنت أن يفرض إرادته، حظر إقامة
كل الخدمات الدينية في المنطقة ، وسار الملك جون ذليلا في شوارع كنتربري حافي القدمين
وركع كي يتلقى الجلدات من الرهبان ، ورضي أن يدفع ضريبة سنوية للفاثيكان مقدارها
ألف مارك^(١) .

(١) تاريخ الكنيسة : مرجع سابق ص ٢٨ ، ٢٩ .

أساس منح الحق للكنيسة في السيطرة على الدول والملوك :

كان هناك مبدأ لتوزيع السلطان بين الكنيسة والدولة ،سلطة الكنيسة تقتصر على الشؤون الروحية ، الدينية ، وبينما كانت سلطة الدولة معنية فقط بالأمور المدنية والسياسية، وهذا المبدأ "السيفان" أو "القوتان" أحدهما الكنيسة والآخرى الدولة .

انحسار السلطة البابوية :

ولكن شيئاً فشيئاً طغت الكنيسة،وجعلت سلطة الدولة تابعة لها ، فقد أصدر البابا "يونيفاس الثامن" [١٢٩٤-١٣٠٣] مرسوما باباويا يسمي "يونام سانكت" جاء فيه :
"السيفان الروحي والمادي كلاهما في سلطان الكنيسة ، لكن الثاني يجب أن يستخدم للكنيسة ، الأول بواسطتها ، أي بواسطة الكاهن ، الثاني بواسطة الملوك وقادة الجيش ولكن بمشيئة الكاهن وموافقته ، إذن أحد السيفين يكون تحت الآخر ، السلطة الدنيوية تخضع للروحية ، وعلى هذا فإن أخطأت السلطة الأرضية تحاكمها القوة ، لكن إذا أخطأت القوة الروحية يدينها الله وحده لا الإنسان ؛ لأن هذه السلطة مع كونها سلمت لإنسان ويهارسها إنسان ، لكنها بالأحرى سلطة إلهية ، أكثر من ذلك نحن نصرح ونقرر وعلى أنه على وجه الإجمال لابد وأن يخضع للبابا كل مخلوق بشري يريد الخلاص" .

نتيجة مرسوم "يونام سانكت"

أغضب المرسوم البابوي الملك فيليب الرابع ملك فرنسا ، فأرسل قوة مسلحة سجنّت البابا "يونيفاس" في الوقت الذي أوشك أن يصدر فيه الأمر بحرمان^(٢) فيليب، لكن الجمهور الفرنسي ساند مليكه ضد البابا الأمر الذي سبب صدمة قاسية للبابوية ، وكان أيضا علامة واضحة بأن الدول القومية العلمانية في أوروبا تتقدم وتدرّك مدي قوتها ، ولم تعد تقبل بعد أن تنحنى في ذل السلطان البابوي^(٣).

وهكذا نرى أن الباباوات حاولوا أن يرتفعوا فوق الملوك - بعضهم نجح - ولم ينفذوا قول الإنجيل: "دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله" وهذه الفقرة قالها المسيح نفسه.

ثالثا : عصمة البابا بين التقديس العظيم والواقع المرير :

إن تاريخ الباباوات ، ورغم إخفاء بلاياه - على مر العصور يوضح أنهم بشر كباقى البشر يخطئون ويصيبون ، ويأثمون ويتقون ، وعصمتهم ليست مطلقة ، وبلايا وذلات بعضهم تعريهم من ثوب القداسة ، وتكسيهم ثوب الخزي والعار .

كانب أحدهم الملك هنرى الثامن موضحا مخازي الكنيسة ورجالها فقال:

"في العهود الخوالي لأسلافك النبلاء" هناك " تسلل في دهاء إلى مملكتك شحاذون وأفاقون مقدسون ومتبطلون أساقفة ورؤساء أديار وشمامسة . وكهنة ورهبان وبائعو صكوك غفران ، حصلوا في أيديهم على أكثر من ثلث مملكتك بأسرها ،

(٢) الحرمان : يعني القرار البابوي بكفر وإلحاد واستحقاق العقاب الديني والأخروي على الذي حرم طرق واستحق لعنة الله .

(٣) تاريخ الكنيسة : مرجع سابق ص ٣٧٣ .

إن أعظم المقاطعات وأجمل الدور والأراضي والأقاليم ملك لهم ، وكان لهم عشر محصول الغلة والمراعي والمروج والكلام الصوف ، والمهور العجول والحملان والخنازير والأوز والدجاج ، إن الزوجات المسكينات كن مطالبات بأن يحسبن عشر كل بيضة ، وإلا فإن الزوجة لن تحصل على حقوقها في عيد الفصح ، ومن التي تشرع في العمل مقابل ثلاث بنسات في اليوم ، إذا كان في وسعها أن تحصل على عشرين بنساً على الأقل في اليوم لقاء نومها ساعة مع أخ أو راهب أو قس !؟^(١).

إذن الفساد الأخلاقي لم ينج منه الباباوات أو رجال الدين الأقل مرتبة ، حتى اقترفوا الزنا ، وقد جاء بكتاب تاريخ الكنيسة :

"كان معروفا جيدا أن معظم الكهنة احتفظوا بمحظيات حملن أطفالا غير شرعيين بأعداد كبيرة ، وطبقا لسجلات كنسية ولد نحو ١٥٠٠ طفل غير شرعي للكهنة كل سنة في أبروشية كونستانس وحدها"^(٢).

وهذه الفضائح أصبحت عامة .

"الأرشيديوق"^(٣) فرديناند شكنا من أنه لا يستطيع العثور على أب اعترف أنه لم يكن زانيا أو سكيرا أو جهولا^(٤).

(١) قصة الحضارة : وول ديورانت ح ٢٥ ص ٩٣ . مكتبة الأسرة سنة ٢٠٠١ م .

(٢) تاريخ الكنيسة ص ١٦٩ .

(٣) الأرشيديوق : لقب نبيل ، له قداسة واحترام خاص .

(٤) تاريخ الكنيسة ص ٢٢ .

هذا وقد وصل الفساد لدرجة إثباته في تقارير رسمية :

"في يوليو" عام ١٥٣٦ تقرر عقد مؤتمر إصلاحي في روما ... وافتتح سادوليتو المؤتمر بأن قرر في جراءة أن الباباوات أنفسهم كانوا أهم سبب في تدهور الكنيسة بخطاياهم وجرائمهم وجشعهم للمال وفي مارس ١٥٣٧م شكلت لجنة قدمت للبابا نصيحة الكرادلة المعينين لإصلاح الكنيسة، وقد فضحت هذه النصيحة الاجتماعية .. مفاصد الحكم البابوى، وعزتها بشجاعة أولا إلى مغالاة الفقهاء الكنسيين عديمي الضمير في سلطة البابا مغالاة مستهترة ، وأن بعض الباباوات ادعوا الحق في بيع الوظائف الكنسية ، وقد أفشت هذه المتاجرة بالرتب الكهنوتية الرشوة والفساد في الكنيسة على نطاق واسع^(١) .

فضائح الباباوات :

البابا "ليو العاشر" (١٥١٣ - ١٥٢١م) :

"كان رجلا يشبه الكثيرين منا ، مذنبا بالخطيئة والإهمال الإجرامى ، ولكنه في جملته جدير بالصفح عنه ، كان عادة ألطف الناس وأكثرهم عطفًا ، كان ينفق على نصف شعراء روما ، ومع ذلك فقد لاحق مهرطقى بريشا حتى الموت ، وحاول أن يؤمن بأن الأفكار المحرفة للكنيسة يمكن أن تنتزع من البشر بحرق أصحابها"^(٢) .

(١) قصة الحضارة ، ص ١٩٦ ، ١٩٧ .

(٢) قصة الحضارة ص ٢٢٩ .

(٣) قصة الحضارة : ج ٢٧ ، ص ٢٣٠ .

البابا" كلمنت السابع" (١٥٢٣ - ١٥٣٤). وهو ابن غير شرعى :

"لقد كان من خيرة الباباوات فكرا وخلقا ، ورحيما كريما ، دافع عن اليهود المطاردين ، ولم يشارك فى الانحلال الجنسي أو المالى المحيط به ، وواصل إلى نهاية حياته المضطربة تغذية الفن ، ولعل ما حظا به من تعليم رفيع حال بينه وبين أن يكون إداريا ناجحا ، وكان فى ذكائه من الحدة ما أتاح له رؤية المبررات الحسنة لكل مسلك فى كل أزمة ، وأوهن علمه من شجاعته . باع مناصب الكرادلة ومنح الامبراطور شارل ١١٢٠٠٠ دوقه لفك أسرهِ .

البابا بولي الثالث (١٥٣٤ - ١٥٤٩^(١)) :

انتخب للباباوية بالإجماع عام ١٥٣٤ ، أنجب أربعاً قبل أن يرسم قسيساً عام ١٥١٩ ، ظهر فى خلقه ومجري حياته تقلب وتناقضات ، وبعض هذا راجع ؛ لأنه وقف كعمود مهزوز بين النهضة التى أحبها ، وبين حركة إصلاح بروتستانتى لم يستطع فهمها . كان يلجأ إلى المنجمين ليحددوا له أكثر الساعات مواتاة لرحلاته أو قراراته ، بل ومقابلاته ، وصفه تشليني بأنه رجل " لا إيمان " له بالله ولا بغيره " وهذا يبدو غلوّاً فى الحكم عليه ، فما من شك أن البابا بولي الثالث كان يؤمن بنفسه . أعاد محابة الأقرباء ، وأعطى بياتشنزا وبارما لولده بيرلويجي ، وكاميرينو لحفيده أونافير ، وخلع القبعة الحمراء على أبناء أخيه البالغين من العمر ١٤ سنة ، ١٧ سنة ، وورقاها على الرغم مما ذاع عنهما من فساد خلقي ، لقد كان يملك شخصية بلا خلق ، وذكاء بلا حكمة .

البابا "بيوليوس الثالث" (١٥٥٠-١٥٥٥م) :

" استمتع بالباباوية في إسراف لطيف ، خرج للصيد ، واحتفظ بندماء البلاط ، وقامر بمبالغ كبيرة ، ورعي مصارعات الثيران ، ورقى لمنصب الكردينالية تابعا له يعتنى بنسبته ، شيد بيتا جميلا "فيلادي بابا جوليو " سنة ١٥٥٣م وجعله مركزا للفنانين والشعراء والاحتفالات ، شكا النقرس في غير أوانه ، فحاول علاجه بالصوم ، ويبدو أن هذا البابا الأبيقوري مات من الزهد في الطعام ، وقيل: من الانغماس في الشهوات ^(١) .

"وهكذا نري أن الباباوات لم يكونوا معصومين من أية أخطاء دنيوية أو ذنوب دينية ، فحاربوا العلم والعلماء ، وتآمروا على الملوك والممالك واقترفوا الذنوب ابتداء من الرشوة والمقامرة ؛حتى الزنا وإنجاب الأطفال من سفاح .

وهذا كله من أسباب عدم احترام الغرب للدين ورجاله ، وبداية الإيمان بالعلمانية وفصل الدين عن الدولة .

ومن ثم فقد نشأ في الفكر المسيحي الإيمان بعدم عصمة البابا والحد من واجب الطاعة المطلقة له .

(١) قصة الحضارة : ج ٢٧ ص ٢٣٥ .

يقول "هنرى تانك معترضا على البابا يوحنا بولس الثاني :

"رفض توجيهات الكنيسة قد أصبح جماعيا ، فمهما بلغ قلق البابا من العصر الحديث
حيال التخلي عن القيم السائدة ، وحيال ضياع الشباب ، والأزواج ، والعلماء ، بل وحتى
الاطباء ، فإن ذلك كله لا يبرر للبابا إدانة رجل لاهوت واحد يخالفه فى الرأى ! وما أكثر
الذين أدانهم نيافة البابا من رجال اللاهوت ، ومن العلماء لمجرد خروجهم عن سلطانه
وتعاليمه " (١).

ويؤكد " فالاديبه " نفس الفكرة فيقول :

ان اقتراح البابا "يوحنا بولس الثانى" أن تكون الكاثوليكية بأخلاقياتها هى الركيزة
الأساسية التي يقود من خلالها التوجيه العام السياسة ، فإن ذلك يعنى "فرض سيطرة جديدة
قد تغيب عن ذهن القارئ العادي" ، ذلك لأن القضايا المطروحة كالخير والشر والواجب
على سبيل المثال - لا تتعلق باللاهوت الديني مباشرة وإنما هى ناتجة عن تحليل فلسفى بحث
تختلف اختلافاته وفقا للمذاهب (٢).

ويتساءل "جان لوك بوتيه" : ما جدوى تصلب البابا فى رأيه ومحاولة السيطرة على

سلطاته إذا كانت القواعد الشعبية لمشروعه الخاص بتنصير العالم تفلت من يديه (٣) ؟

(٢) تنصير العالم: د. زينب عبد العزيز ص ٧١ .

(١) المرجع السابق ص ٣٠ .

(٢) المرجع السابق ص ٣٢ .

(٣) تاريخ الكنيسة ، مرجع سابق ص ٥٢ .

هجوم ويكلف على البابا والكنيسة :

هاجم البابوية هجوما مباشرا وقال : إن الكنيسة ليست متمركزة في البابا والكرادلة ، لكن في شركة المختارين يكون المسيح بالتأكد رأسها الوحيد ، وليس للبابا قوة في الربط والحل أكثر من أى كاهن ، ولا يجب على إنسان أن يتبع البابا أو حتى أحد القديسين في السماء إلا عندما يقتدون بالمسيح، فهو يسمى البابا عدوا^(١).

إذن بالرغم من الإيمان المسيحي بقدسية وتنزيه الباباوات من كل خطأ وخطيئة إلا أن دراسة الواقع الفعلي لحياة بعض الباباوات ، أثبت عدم التنزيه الكامل لهم ، فهم قد يكونون أصحاب خطايا وأخطاء، ولا عصمة مطلقة لهم.

الباب الأول

ادعاء إكراه الرسول ﷺ الناس على الدخول في الإسلام

توطئة

إن من لا يرى الشمس من رمد ، ليس له الحق في إنكار إشراقها وإنارتها ، فالعيب فيه لا في الشمس والضوء ، ولو كان المرمود ذا فطنة لأحس بدفع الشمس وحراراتها ، وإن كان ذا رشد لأيقن شروق الشمس من شدو الطير وسعي الخلق في فرح .
وللأسف فإن من يدعي إكراه الرسول للناس على الإسلام، لم يبلغ في حقيقة ظنه من أنكر شروق الشمس من رمد.

أصحاب هذا الادعاء كثر ، منهم البابا بندكت السادس عشر ، الذي يُعتقد أنه لا يعلم عن الإسلام الكثير ، فلذلك فقد عزا هذا الفكر إلى غيره حيث قال :

" ويبدو أن الإمبراطور كان يعرف السورة هذه ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾ [البقرة : ٢٥٦] ، ووفقا للخبراء فإن هذه الصورة قد نزلت في مرحلة مبكرة عندما كان محمد ما زال لا حول له ومهددا ، لكن من الطبيعي أن الإمبراطور كان يعرف التعليمات التي تطورت لاحقا ودونت في القرآن والمتعلقة بالحرب المقدسة^(١).... " .

والبابا يريد القول بأن آية ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾ أنزلت والرسول والمسلمون في ضعف وهوان ثم نسخت بعد ذلك وأمر الرسول بالقتال وإجبار الناس على الدخول في الإسلام.

(١) سبقت الإشارة كلمة البابا بأنه كانت مناظرة بين الإمبراطور " مانويل الثاني " وبين مسلم فارسي ،

ويقصد بالتعليماتالقرآن وهو تعبير ينم عن الاستهانة .

(٢) رد افتراءات المبشرين على آيات القرآن : محمد جمعة .

ونفس الفكرة المغلفة بالادعاء الكاذب يقولها العالم جيومان فالوستير: إن محمداً مؤسس دين المسلمين قد أمر أتباعه أن يخضعوا العالم، وأن يعدلوا جميع الأديان بدينه هو" (١).

ونحن نقول للجميع إن آية ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ لم تنسخ وقد اتبع منهجها وتفسيرها الرسول ﷺ وصحابته حتى بعد اكتمال القرآن وحتى الآن ، كما أنها - كما سنوضح - ليست الآية الوحيدة التي توضح حرية العقيدة والتسامح الديني الإسلامي. وفي هذا الباب سنعرض الفصول التالية :

الفصل الأول : الإكراه الديني في الأديان السماوية .

الفصل الثاني : التسامح الديني وحرية العقيدة بين الإسلام والأديان السماوية.

الفصل الثالث : التسامح الديني وحرية المواطنة بين الإسلام والأديان السماوية.

الفصل الأول

الإكراه الديني في الأديان السماوية

المبحث الأول

ادعاء الإكراه الديني في الإسلام

هذا الادعاء هو فكر سقيم وعقيم اعتنقه الباباوات وغيرهم لوصم الإسلام بما ليس فيه، وهم كمن ينفخ في النور ليذهب بضوئه .
يقول البابا بندكت في محاضرته :

ويبدو أن الإمبراطور كان يعرف السورة هذه ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ (البقرة ٢٥٦) .
ووفقا للخبراء ، فإن هذه السورة قد نزلت في مرحلة مبكرة ، عندما كان محمد ما زال بلا حول له ومهددا ، لكن من الطبيعي أن الإمبراطور كان يعرف التعليقات، التي تطورت لاحقا ودونت في القرآن ، والمتعلقة بالحرب المقدسة^(١).
ويقول المستشرق " فلهوزون " :

أنه بعد استقرار الرسول بالمدينة " لم يبق الإسلام على تسامحه ، بل شرع في الأخذ بسياسة الإرهاب في المدينة ، فلم يسمح للمشركون بأن يبقوا داخل الأمة على شركهم ، كما كان الحال في ذلك الحين " .

(١) ترجمة عن طريق الإنترنت لمجلة سفير .

(٢) المستشرقون والإسلام: محمد قطب ، مكتبة وهبة ١٩٩٩ .

ويقول هول باخ " في كتابة الأخلاق العالمية سنة ١٧٧٦ م :

" لقد ظهر محتال في بلاد العرب ، ارتجل الأكاذيب باسم السماء واستطاع أن يفرضها على جزء من مواطنيه، وسرعان ما أصبحت هذه الأكاذيب مقدسة"^(١). والواقع أن البابا المعصوم عن الخطأ ومن سار على نهجه ممن يخطئ عن جهل أو عن عمد جانبهم الصواب ، وجعلوا أو تجاهلوا حقائق حاولوا طمسها .

تفسير آية ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾ وزمن نزولها :

فآية ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾ (البقرة ٢٥٦) . نزلت في المدينة بإجماع العلماء

يقول الإمام النيسابوري في أسباب النزول: سورة البقرة مدنية بلا خلاف . وهي أول سورة نزلت بالمدينة^(٢) .

إذا فهي لم تنزل في عهد الضعف والهوان في مكة كما يدعي البابا بندكت السادس عشر ولكنها نزلت بعد القوة والمنعة والانتصار في المدينة المنورة .

وهي ليست الآية الوحيدة التي جاء بها القرآن الكريم أمراً الرسول والمؤمنين بعدم إكراه الناس على الدخول في الدين وغيرها الكثير ،

(١) أسباب النزول : للإمام النيسابوري ص ١٤ .

ومن هذه الآيات: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَاتِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ * فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ١٨-٢٠]

هذه الآيات مدنية كما قال النيسابوري وسبب النزول أن اثنين أبصرا المدينة، فقال أحدهما للآخر: ما أشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبي الذي يخرج في آخر الزمان، فلما دخلا على النبي ﷺ عرفاه بالصفة فقالا له: أنت محمد؟ قال: «نعم»، قالوا وأنت أحمد؟ قال: «نعم»، قالوا: إنا نسألك عن شهادة كتاب الله، فأنزل الله تعالى ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَاتِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨]، فأسلم الرجلان وصدقا رسول الله ﷺ.

ويوضح شيخ الإسلام أحمد بن تيمية^(١) معنى هذه الآيات فيقول: "قال الله تعالى في أول سورة آل عمران: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَاتِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ * فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [الآيات ١٨-٢٠]،

(١) الجواب الصحيح عن بدل دين المسيح: شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، ح ١، ص ٢٢٥/٢٥٦، مطبعة المدني بالقاهرة، طبعة ١٩٦٤.

فقد أمره الله بعد قوله: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ٩] أن يقول: أسلمت وجهي لله ومن اتبعن، وأن يقول للذين أوتوا الكتاب وهم اليهود والنصارى والأُميون، وهم الذين لا كتاب لهم من العرب وغيرهم أسلموا مهتدين، فإن لم يسلموا فقد قال لرسوله ﷺ: ﴿فَاتِّمَّا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ﴾، أي تبلغهم رسالات ربك إليهم والله هو الذي يحاسبهم ﷻ .

وفي الصحيحين عن النبي ﷺ في الكتاب الذي كتبه إلى هرقل ملك النصارى: « من محمد بن عبد الله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى ،أما بعد:فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، وإن توليت فإن عليك إثم ذنب " الأريسيين »

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ٦٤] .

هذا وقد أمر الله رسوله الدعوة لدين الحق دون إكراه مع ترك الحرية كاملة لمن أراد اتباع الحق أو نأى عنه فقال تعالى :

﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ﴾ [الكهف : ٢٩] .
وأكد ذلك، فقال جل شأنه مخاطبا رسوله الكريم ﷺ: ﴿ أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس: ٩٩]، وأيضا: ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ [الكافرون : ٦] .
والآية فيها إخبار لكل من يكفر بالدين الإسلامي من مشركين أو أهل الكتاب بأن لهم مطلق الحرية في اعتناق أي دين ، أما الحساب فهو يوم القيامة .

وهي كقوله تعالى: ﴿لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ [القصص : ٥٥] .

ويوضح الله لرسوله ﷺ حقيقة هامة ، ألا وهي أن سنة الله في عباده ضرورة تنوع الآراء والأفكار والمعتقدات مهما بذل الرسول من جهد في سبيل الدعوة : ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف ١٠٣] .

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران : ٨٥] .

والآية لا تتعارض مع آيات عدم الإكراه على الدخول في الدين، ومعناها أن من لم يتبع الإسلام كآخر دين سماوي صحيح نسخ ما قبله ، فهو خاسر لا محالة ، وليس له نصيب من حظ الآخرة ونعيمها ، وهذه حقيقة تحوي في طياتها نصيحة وإرشاداً وتحذيراً ووصية قويمه .

إذن فمن يدعي أن الإسلام دين إكراه وضغط فهو إما كاذب أو جاهل ، ونحن نقول عن علم وبرهان لكل أولئك ابتداءً من الباباوات وانتهاءً بالفلاسفة والكتاب ، أن عقائدكم هي عقائد أديان الإكراه وليس الإسلام .

المبحث الثاني

الإكراه الديني في اليهودية .

من المعلوم أن اليهودية ليست ديناً تبشيراً أي لا يهدف إلى الدعوة لدين موسى، ولكنها لا تمنح الحق في عبادة ومزاولة شرائع دينهم فالدين خاص بهم فقط والإله رب خاص لهم فقط وليس لأحد من العالمين الحق في الإيمان بالله واعتناق اليهودية، فجاء في التوراة :
"لأن الرب إلهكم هو إله الآلهة ورب الأرباب الإله العظيم الجبار المهيّب" (التثنية: ١١)
"لأنكم شعب مقدس للرب إلهكم وقد اختاركم الرب من بين شعوب الأرض كافة لتكونوا له شعباً خاصاً" (التثنية ١٤ : ٢) .

وهكذا يتضح أن اليهودية لا تؤمن بأديان سماوية أخرى أو أنبياء غير أنبيائهم وهي لا تؤمن بالمسيحية ، وما زال اليهود ينتظرون المسيح القوي الجبار الذي يقهر أعداءه ، ولا يعترفون بالمسيح الذي لُعن وقتل وصلب وتم السخرية والاستهزاء به^(١).
ومع ذلك فاليهودية تمنح الآخرين حرية العبادة، فجاء في التوراة :

"اجمع الشعب، الرجال والنساء والأطفال والغريب الذي في أبوابك لكي يسمعوا ويتعلموا أن يتقوا الرب إلهكم ويحرصوا أن يعلموا بجميع كلمات التوراة" (التثنية ٣١ : ١٢).

(١) هذا حسب الاعتقاد المسيحي .

والفقرات السابقة توضح إجبار غير اليهود على اتباع أحكام التوراة دون اعتناق اليهودية، كما تأمر التوراة بهدم معابد وأماكن العبادة لغير اليهود ، فقد قام أسا ملك يهوذا بهدم دور عبادة غير اليهود .

" ونزع المذابح الغربية والمرتفعات ، وكسر التماثيل وقطع السواري " (٢ أخبار الأيام ١٤ : ٣) .

وكان من الأحكام :

" من جدف على اسم الرب فإنه يقتل، يرجمه كل الجماعة رجماً الغريب كالوطني عندما يجدف على اسم الرب يقتل " (اللاويين ٢٤ : ١٦) .

وهذه الفقرة توضح عدم منح الآخرين حرية الرأي والتعبير ، وإبداء الرأي في عقائد اليهود ومن يفعل ذلك فعقابه القتل^(١) !! .

واليهود لا يعترفون بالأديان السماوية الأخرى سواء المسيحية أو الإسلام ، فالدين الصحيح عندهم اليهودية فقط ، فالوصية الثانية من الوصايا العشر : لا يكن لك آلهة أخرى سواي (الخروج ٢٠ : ٣) .

" أطيعوا كل ما أوصيتكم به ، ولا تذكروا اسم آلهة أخرى ولا يتلفظ به فمك " (الخروج ٢٣ : ١٣) .

وما زال اليهود ينتظرون مسيحهم القوي المبيد لغيرهم .

(٢) سن اليهود قوانين لمعاقبة كل من يتعرض لأفكارهم أو لدينهم سواء بصدق أو بغيره تحت اسم "معاداة السامية" .

المبحث الثالث

الإكراه الديني في المسيحية

المسيحية دين تبشيري أي من واجب رجال الدين والآباء الدعوة لاعتناقه والإنفاق الواسع في سبيل تحقيق ذلك ، وهناك آلاف المراكز التبشيرية على مستوى العالم ، وقد أمر المسيح بذلك فقال لتلاميذه: "فاذهبوا إذن وتلمذوا جميع الأمم ، وعمدوهم باسم الأب والابن وروح القدس " (متى ٢٨: ١٩) .

وهذه الفقرات قالها المسيح حسب الإنجيل الحالي بعد صلبه وقيامته من الأموات - حسب ظنهم - ومن ثم كانت آخر ما نطق به المسيح ، وعلى ذلك لم يكن هناك دعوة للتبشير المسيحي أثناء حياة المسيح لغير اليهود وكان المسيحيون ضعفاء مضطهدين ومعلوم أن العصر المسيحي الأول وقبل نصرته الملك قسطنطين للمسيحية كان عصر اضطهاد وظلم وعذاب واستشهاد للمسيحيين الأوائل ، الذين دفعوا آلاف الشهداء في سبيل نصرته الدين . فالمسيحية هي أكبر دين دفع معتنقيه دماءهم وأرواحهم في سبيل الله "في بداية الدعوة".

ونظراً لهذه الظروف فلا يوجد في الإنجيل ما يفيد إكراه الآخرين على الدخول في الدين، فهم كانوا أضعف من ذلك، ولكن لما قويت المسيحية بدأ التبشير باستخدام الإكراه والعنف والقوة، وهذه حقيقة أثبتها الواقع، ونادي بها كل الباباوات كلهم، فأصبح الإكراه على اعتناق المسيحية شريعة ومنهاجا.

يقول المرحوم الشيخ / محمد الغزالي :

إن المسيحية تنادي بالحرية حيث تشعر بالاضطهاد، ولكنها تنكر الحرية على الآخرين حين النصر. لقد حمل المسيحيون الأوائل شعلة الحرية الدينية، كما أن كثيرا منهم لاقوا حتفهم شهداء. ولكنهم أصبحوا متعصبين وقساة بعد أن قوي ساعد المسيحية واشتد أثناء حكم قسطنطين وبعده.

وقد اعتبر كل من يعمل يوم الأحد كافرا، ولقد طلب نسطوريس من الإمبراطور إصدار ٦٨ قانونا ضد الوثنية^(١).

ويقول البابا يوحنا بولس الثاني: "إن أعضاء الديانات الأخرى مأمورون بالدخول في الكنيسة، بمعنى أنها السر الذي يوجد فيه ملكوت الله"^(٢).

وتعبر: "مأمورون بالدخول في الكنيسة" يوضح حق البابا وغيره في إكراه وإجبار الآخرين في اعتناق المسيحية.

(١) كفاح دين: الشيخ محمد الغزالي، ص ٢١، ٢٢.

(٢) الفاتيكان والإسلام: ص ١٣٤، د زينب عبد العزيز، القدس للنشر والإعلان، ط ٢ سنة ٢٠٠١ م.

ويستنفر البابا كل القوى لمحاربة الإسلام فيقول :

" لا بد من تحالف القوى المسيحية لتكون أقوى درعٍ ضد الإسلام"^(١)، وتنفيذا لأوامر البابا - الذي يدعى مرارا أن يصلى من أجل السلام ، فإن قادة الغرب السياسيين والعسكريين يرون في حرب المسلمين حرباً مقدسة تنفيذا لأوامر الرب التي أتى بها البابا وليس الإنجيل. فهذا هو بوش يعلن عند غزو العراق أنه مبعوث العناية الإلهية ، وكما يعلن أن حربه ضد المسلمين هي حرب صليبية ، أي لنشر الدين المسيحي وضرب الإسلام ، فلا يوجد حالياً أي فتوحات إسلامية ، وأقطار الإسلام شبه محتلة . وبعد هذا العرض الموجز لنا نتساءل أي دين هو دين الإكراه والضغط أهو الإسلام ؟ أم اليهودية والمسيحية ؟ ! .

(١) الفاتيكان والإسلام : ص ١٤٠ .

أيها البابا ، اعلم الحق، وعُد إليه؛ لتتأكد أي دين هو دين الشر !!! لقد صدق فيك قول
الله تعالى :

﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾
[يونس: ٣٦].

كما نذكره بقوله تعالى :

﴿فَإِذَا بَعَدَ الْحَقُّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ [يونس : ٣٢].

الفصل الثاني

توطئة : التسامح الديني وحرية العقيدة بين الإسلام والأديان
الساوية

لم يكتف الإسلام بعدم إكراه الغير على اعتناقه سواء بالضغط المعنوي أو المادي والجسدي ، ولكنه كان وما زال وسيظل متسامحا مع باقي الأديان الأخرى من يهودية ومسيحية - رغم إيمانه بعدم صحتها - ، وأيضا مع أهل العقائد الأخرى الغير سماوية ، فالله يقول في قرآنه الكريم .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة : ٦٢] ، إلا أن أعداء الإسلام يدعون عن جهل أو ظلم أن الإسلام دين لا تسامح فيه مع الغير ، ومن هؤلاء البابا بندكت السادس عشر الذي يقول :

" من دون الغوص في التفاصيل ، على غرار الاختلاف في المعاملة التي حظى بها " أصحاب الكتاب (يقصد بـ أهل الكتاب) ، والكفار يتوجه الإمبراطور مانويل الثاني بجلافة مفزعة ، وهي جلافة تدهشنا ، بالسؤال المركزي عن العلاقة بين الدين والعنف عموما ، قائلا : " أرني ما جلب محمد من جديد وستعثر على أشياء شريرة وغير إنسانية " (١) . وهذه الفقرات توضح الادعاء الكاذب أن الإسلام دين غير إنساني ، فلا تسامح فيه فهو ملئ بالعنف ، وأنه دين الشر !! ، مصدق فيهم قوله تعالى : ﴿ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ [الكهف : ٥] .

(١) الترجمة كما وردت بالإنترنت ، ومعنى جلافة : أسلوب شديد قاس .

ويقول فوكويا ما : " فالعالم الإسلامي يختلف عن غيره من الحضارات في وجه واحد مهم ، فهو وحده قد ولد تكرارا خلال الأعوام الأخيرة حركات أصولية مهمة ، ترفض لا السياسات الغربية فحسب، وإنما المبدأ الأكثر أساسية للحدث: التسامح الديني ^(١) " .

والمستشرق الأمريكي الصهيوني " برنارد لويس " - وهو من أعمدة المشيرين على صانع القرار الأمريكي - يقول في كتابه الذي أصدره بعد " قارعة سبتمبر " بعنوان (ما هو الخطأ في العلاقة بين الإسلام والغرب ؟) : " إن إرهاب اليوم هو

جزء من كفاح طويل بين الإسلام والغرب : فالنظام الأخلاقي الذي يستند إليه الإسلام مختلف عما هو في الحضارة اليهودية / المسيحية - (الغربية) - وآيات القرآن تصدق على ممارسة العنف ضد غير المسلمين : وهذه الحرب هي حرب بين الأديان!! (٢) .

وفي ردنا على هؤلاء سنعرض التسامح الديني في الإسلام والمسيحية واليهودية موضحين أسبابه ومظاهره ، هادفين تصحيح أفكارهم .

(٢) الإسلام والغرب : أ.د محمد عمارة ، ص ١٨٧ .

(١) المرجع السابق ص ٨٥ .

المبحث الأول

التسامح الديني في الإسلام

التسامح صفة إسلامية راسخة وثابتة، فهي من الرحمة، وقال الله لرسوله ﷺ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، ولم ينكرها الله عند المكذبين بالدين فقال تعالى: ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾ [الأنعام: ١٤٧] ومظاهر التسامح الديني منها:

١ - الإيثار بالأديان السماوية السابقة ورسالتها^(١):

سُئِلَ الرسول ﷺ عن أركان الإيمان فقال: « أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله ... » وأوضح القرآن ذلك في بدايته وفي مستهل سورة البقرة قال جل شأنه ﴿ أَلَمْ * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ [البقرة: ١ - ٤] كما قال في خاتمة السورة نفسها: ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ [البقرة: ٢٨٥]

وعلى ذلك ينظر المسلمون إلى أهل الكتاب باحترام، ويبجلون ويسلمون على الأنبياء السابقين، فلا يجروا مسلم على الانتقاص من قدر نبي، أو الإساءة إليه، لأن معنى ذلك أنه كفر وخرج عن فضيلة الإيمان ونبذ الإسلام، وكان من الكافرين

(١) نقصد بالأديان السماوية قبل تحريفها، اليهودية والمسيحية قبل تحريفها، ثم الإسلام، والذي نعتقد هو ما جاء به القرآن، أن الدين عند الله الإسلام.

، هذا وقد وصف الله في القرآن الكريم التوراة والإنجيل - الصحيحين قبل التحريف -
بالاحترام والتقدير والتقديس، فقال تعالى عن موسى " عليه السلام " وكتابه :

﴿ إِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [البقرة : ٥٣].

فوصفت التوراة بالكتاب السماوي وأنه تفرق بين الحق والباطل فمن اتبع أحكام الله فيها
اهتدى إلى الله .

كما قال الله عن عيسى والإنجيل: ﴿ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴾
[آل عمران: ٤٨] .

كما قال جل شأنه: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا
لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [المائدة
: ٤٤] .

فوصف الله توراة موسى الحقيقية التي نزلت في الألواح ولم تحرف ، بالهدى والنور كما
قال: ﴿ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ
بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنعام : ١٥٤] ، والآية تصف توراة موسى بالكمال ، وأنها هدى ورحمة

وقد ذكر الله الإنجيل أيضا فقال: ﴿ وَفَقَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ
يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى
وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة : ٤٦] .

وقد جمع الله الكتب الثلاث فقال تعالى ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ * مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴾ [آل عمران ٣ : ٤] ورسول الله ﷺ آمن بالأنبياء الصادقين من قبله فقال ﷺ: « الأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى ، ودينهم واحد »^(١).

من أمثلة التسامح الديني في سيرة الرسول والصحابة :

ولقد ضرب الرسول ﷺ أروع أمثلة التسامح الديني من ذلك :

لما قدم الرسول ﷺ المدينة وجد اليهود تصوم عاشوراء ، فسئلوا عن ذلك فقالوا : هذا اليوم الذي أظفر الله فيه موسى وبني إسرائيل على فرعون ، ونحن نصومه تعظيما ، فقال الرسول ﷺ: « نحن أولى بموسى منكم » ، فأمر بصومه^(٢).

وضرب الصحابة أيضا المثل الرائع - للتسامح الديني من ذلك :

ماتت أم الحارث بن أبي ربيعة وهي نصرانية ، فشيّعها أصحاب رسول الله ﷺ .

وكان بعض أجلاء التابعين يعطون نصيبا من صدقة الفطر لرهبان النصارى ، ولا يرون

في ذلك حرجا ، بل ذهب بعضهم - كعكرمة وبن سيرين والزهري - إلى جواز إعطائهم من زكاة المال نفسها .

(١) أخرجه الشيخان البخاري ومسلم .

(٢) رواه الشيخان عن ابن عباس .

أ- اليهودية لا تؤمن بالأديان الأخرى .

لا يؤمن اليهود بالمسيحية أو بالإسلام :^(١)

فقد أنكر اليهود نبوة عيسى أو ألوهيته- كزعم النصارى - في أكثر من مجادلة ، يقول متى في إنجيله : إن المسيح شفى أعمى وأخرس كان به شياطين ، فاتهمه اليهود أنه يعمل مع شياطين بالسحر ، قالوا : إنه لا يطرد شياطين إلا بعزبول رئيس الشياطين (متى ١٢ : ٢٢) .
وحدثت مجادلة بين اليهود والمسيح أثناء الاحتفال بتجديد الهيكل ، ومما جاء عنها : " فتجمع اليهود حوله ، وقالوا له : " حتى متى تبقينا حائرين بشأنك ؟ إن كنت أنت المسيح حقاً ، فقل لنا صراحة ، فأجابهم يسوع : قلت لكم ولكنكم لا تصدقون ، والأعمال التي أعملها باسم أبي تشهد لي (٣١) فرفع اليهود ، مرة ثانية حجارة ليرجموه (٣٢) فقال لهم يسوع : " أريتم أعمالاً صالحة كثيرة من عند أبي ، فبسبب أي عمل منها ترجموني " (٣٣) .

(١) بالرغم من أن التوراة تضمنت أكثر من بشرى بانبعث النبي ﷺ إلا إنهم جحدوا ذلك وأنكروه .

(٢) هذه الفقرات توضح ضرورة العداء بين اليهودية والمسيحية ، وهم لا يجتمعون أو يتعاونون إلا في حرب الإسلام فقط ، ثم يتحاربون معاً .

أجابوه: " لا نرجحك بسبب أي عمل صالح ، بل بسبب تجديفك " كذبك " في ذات الله ؛
لأنك تجعل نفسك إلهاً " (يوحنا ١٠)^(١).

هذا وقد حاول اليهود قتله أكثر من مرة ، فقد حقدوا عليه لمعجزاته وأوعزوا إلى
الرومانين بقتله، مدعين أن في ذلك خيراً للأمة ، فقتل رجل واحد خير من تركه لفتن الناس
، ويقوض أركان الحكم الروماني " انظر (يوحنا : ١١) .

ومعلوم أن اليهود هم قتلة الأنبياء سواء أنبيائهم أو غيرهم .

يقول بطرس الرسول لليهود :

" يا قساة الرقاب وغير المختونين بالقلوب والأذان .. أي الأنبياء لم يضطهده آباؤكم؟
وقد قتلوا الذين سبقوا^(٢) ، فأنبأونا بمجيء البار الذي أنتم الآن صرتم مسلميه وقاتليه "
(أعمال الرسل ٧ : ٥١ ، ٥٢) .

ويوضح بطرس حقيقة قتل اليهود للمسيح - حسب اعتقاده - فيقول : " هذا أخذتموه
مسلماً بمشورة الله المختومة وعلمه السابق وبأياد آثمة صلبتموه وقتلتموه "
(أعمال الرسل ٢ : ٢٣) .

(٣) نفس المعنى جاء في القرآن الكريم: ﴿ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ [البقرة : ٨٧] .

ويقول النبي إيليا عن اليهود :

" يا رب، قتلوا أنبياءك وهدموا مذبحك ، وبقيت أنا وحدي وهم يطلبون نفسي "

(١ رومية ١١ : ٢-٣) .

وغني عن البيان أن اليهود لا يعترفون بالإسلام كدين ، فهم ما زالوا ينتظرون نبيهم القوي العاتي المهلك ، الذي سيرسل ليرفع شأنهم ويبيد الأمم بالقتل وسفك الدماء ، نبي رب الجنود .

ب- المسيحية تؤمن باليهودية كدين سابق ولا تؤمن بالإسلام :

يؤمن المسيحيون بالدين اليهودي والتوراة ، ولا يرون أنها حرفت ، ويجعلونها القسم الأول من الكتاب المقدس ، وكان أول من سن هذه السنة مارتن لوثر ، أما قبله فلم يضم الكتابان .

وترجع أهمية التوراة للمسيحيين أنها تحمل الكثير من البشارات بإرسال عيسى كإله - وهو ما لم يعترف به اليهود - ، كما أن الإنجيل لم يتضمن من الأفكار ما يصلح بمفرده ليكون شريعة ، فكان لابد من اتباع شرائع اليهود في التوراة التي لم ينسخها ويلغها بولس الرسول . والمسيح قد أمر تلاميذه والمسيحيين باتباع شريعة موسى فقال : "(١٧) لا تظنوا أنني جئت لألغى الشريعة أو الأنبياء ، ما جئت لألغي ، بل لأكمل (١٨) فالحق أقول لكم : إلى أن تزول الأرض والسماء لن يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الشريعة ، حتى يتم كل شيء " (متى : ٥) .

المسيح يهين رجال الدين اليهودي ويوضح انحرافهم عن الشريعة :

طلب " فريسي " رجل دين يهودي - من المسيح أن يشرفه بالغذاء عنده ، فوافق المسيح ، فلما لم يغسل المسيح يده قبل تناول الطعام استنكر ذلك الفريسي فقال له : (٣٩) أنتم الفريسيين تنظفون الكأس والصحفة من الخارج ولكنكم من الداخل مملوؤون نهباً وخُبثاً (٤٢) ولكن الويل لكم أيها الفريسيون فإنكم تدفعون عشر النعنع والسذاب والبقول الأخرى ، وتتجاوزون عن العدل ومحبة الله (١٤) الويل لكم فإنكم تشبهون القبور المخفية ، يمشي الناس عليها وهم لا يعلمون ! " (لوقا : ١١) .

هذا وقد لعن المسيح أيضاً علماء الشريعة فقالوا : (٤٦) : " الويل أيضاً لكم يا علماء الشريعة ، فإنكم تحملون الناس أحمالاً مرهقة ، وأنتم لا تمسونها بإصبع من أصابعكم ! (١٧) الويل لكم فإنكم تبنون قبور الأنبياء وآبائكم قتلوهم " (لوقا : ١١) .

(١) جاء المعنى في قوله تعالى : ﴿ فَبِمَا نَقُضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَآئِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [المائدة : ١٣] والآية تنطبق على المسيحية بعد المسيح أيضاً .

(٢) جاء المعنى في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [آل عمران : ٢١] .

(٣) جاء في القرآن الكريم المعنى في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ [الصف : ٦] .

إذن رأى المسيح أي أن علماء اليهود قد ابتعدوا عن الدين اليهودي بغرض تشريعات شديدة فيها الغبن والظلم ، كما أنهم هم وآباؤهم قتلة الأنبياء^(١١) ، وهذا يعني أنه جاء ليعدل المعوج في الديانة اليهودية . لا ينسخها تماما ويعتبرها ديناً قديماً^(١٢) ، كما فعل بولس الرسول ، الذي شبه اليهودية بثوب خرق وقديم جاء بعده ثوب جديد ، فأيهما أنقى وأفضل ؟! فقال :

" (١٦) لا أحد يرقع ثوبا عتيقا من قماش جديد ، لأن الرقعة الجديدة تنكمش فتأكل من الثوب العتيق ويصير الخرق أسوأ " (متى : ٩) .

كما أعلن إلغاء التوراة بالإنجيل فقال في رسالته إلى مؤمني رومية :

(١٦) فأنا لا أستحيى بالإنجيل ، لأنه قدرة الله للخلاص ، لكل من يؤمن ، لليهودي أولاً ثم لليوناني على السواء (١٧) ففيه قد أُعلن البر الذي يمنحه الله على أساس الإيمان والذي يؤدي إلى الإيمان " (رسالة بولس لأهل رومية : ١) .

والمسيحية لا تعترف بالإسلام كدين سماوي ، رغم احتواء الإنجيل الحالي على أكثر من بشرى عن الرسول ﷺ ، والمسيح لم ينكر صراحة ابتعاث رسول من بعده ، فقال المسيح : "احذروا الأنبياء الدجالين الذين يأتون إليكم لابسين ثياب الحملان ، ولكنهم من الداخل ذئاب خاطفة ، من غارهم تعرفونهم : هل يُجني من الشوك عنب أم من العليق تبن " . (متى : ٧) .

وآباء ومفكرو المسيحية لا يعترفون بالإسلام كدين سماوي .

ويقول الأب " ميشيل لونج " :

" إن الكنيسة تعتبر المسيح خاتم الرسالة ، لذلك فهي لا تعترف بنبي الإسلام الذي أدانه المسيحيون بصورة سلبية تهجمية وعدوانية ^(١) " .

ويقول الأب كاسبار :

" إن الإسلام خطأ مطلق لا بد من رفضه لأنه يمثل خطراً بالنسبة للكنيسة ولا بد من محاربته ^(٢) " .

ويقول المستشرق " موريس بوكاي " .

إن المسيحية لا تأخذ في الاعتبار أية ديانة بعد المسيح ورساله ، وبذلك فهي تستبعد القرآن ^(٣) .

وعلى ذلك دعا الباباوات تباعاً لحرب الإسلام ونشر الدين المسيحي بكافة السبل في بلاد الإسلام ، يقول البابا " يوحنا بولس الثاني " : " إن أعضاء الديانات الأخرى مأمورون

(١) الفاتيكان والإسلام : ص ١٩ .

(٢) المرجع السابق ص ٤٧ .

(٣) الفاتيكان والإسلام : ص ٢٠ .

(٤) المرجع السابق ص ١٣٤ .

(٥) المرجع السابق ص ١٦٠ .

الدخول في الكنيسة ، بمعنى أنها تمثل السر الذي يوجد فيه ملكوت الله^(١)، كما يقول: "لابد من تحالف القوى المسيحية لتكون أقوى درع ضد الإسلام"^(٢).

وبناء على ما سبق فإن الدين الإسلامي هو الدين الوحيد الذي يحترم الأديان السماوية الأخرى أولاً مع إيمانه الكامل بتحريف الكتب المقدسة ، كما أنه يؤمن بالأنبياء السابقين ويحلهم .

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة : ٨٧].

كما أمر المسلمين بالإيمان بالكتب والرسل السابقة قبل تحريفها فقال :

﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة : ١٣٦].

إن الإسلام هو أول دين يحمل في عقائده التسامح الديني الحقيقي قولاً وفعلاً ، وهذا لا نجده في أي دين سماوي آخر ، فهو دين الخير لا الشر ، وتسامح الإسلام خلق قويم جديد لم تتضمنه الأديان السماوية الأخرى وننصح البابا ومن سار على دربه بقوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا * فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا ﴾ [النساء : ١٧٤
١٧٥].

ب- الإيمان الإسلامي بأن تعدد الأديان في العالم وعدم إيمان الناس جميعاً بالإسلام سنة
كونية:

يتهم الإسلام - ظلماً وعدواناً أنه دين عنصري لا يؤمن بضرورة تعدد الأديان في العالم
ولا يحترم معتقدات الآخرين .

يقول الفيلسوف الأمريكي " هنري جيبس " :

" المسلمون لا يفهمون الأديان ولا يقدرونها حق قدرها ،إنهم لصوص وقتلة ومتأخرون
وأن التبشير سيعمل على تدميرهم " .

ونحن نقول له ولغيره : ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾
[الكهف : ٥] فالإسلام يؤمن بأن طبيعة البشر الإنسانية الاختلاف واعتناق أكثر من دين

سواء أكان سماوياً أم أرضياً ، وهذه سنة إلهية ذكرها الله الخالق فقال تعالى :

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾ [هود : ١١٨]

﴿ لَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا ﴾ [يونس : ٩٩]

﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِّن وِليٍّ

وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [الشورى : ٨] .

والدين لا بد له من أن يعلم به الناس ويدعون إليه حتى يكون حجة عليهم ، وحيث أن الإسلام آخر دين سماوي ، وقد نسخ الأديان قبله فيجب دعوة الناس جميعا لاعتناقه، ويقول جل شأنه :

﴿قُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران : ٢٠] .

واستجابة الكافة لاتباع رسول الله ﷺ واعتناق دينه والإيمان برسالته هي فرض عليهم، ولكن بلا إجبار أو إكراه وكل محاسب على عمله ، قال تعالى : ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [النور : ٥٤] .

كما قال جل شأنه :- ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [الشورى : ١٥] .

إذا الإسلام لا يعاقب مخالفي في الدين لاعتناقهم دين غيره ما داموا لا يسيئون إلى الإسلام ويحاربونه بالفكر الكاذب أو القتال المهلك .

اليهود لا يؤمنون بوجود دين سماوي آخر:

يؤمن اليهود بوجود أكثر من دين في العالم ، ولكن دينهم فقط هو الصحيح وما دونه من أديان لاحقة أو عقائد هي جهل وخرافات ،

ويؤمنون أيضا بأن اليهودية دين خاص بهم فقط، وليس لغيرهم اعتناقه أو اتباعه ، فهم الشعب الذي اختاره الله دون سواه لعبادته ، وهو جل شأنه الإله الذي ارتضاه اليهود دون سائر الخلق ربا لهم ، وقد جاء بالتوراة : " الرب لن يتخلى عن شعبه إكراما، فسمه العظيم لأنه شاء أن يجعلكم له شعبا " (صموئيل ٨ : ٢٢) .

" إياك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعبا أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض " (التثنية ٧ : ٦) .

" فاعلموا أن الرب إلهكم هو الله " (التثنية ٧ : ٩) .

وعندما ظهر الرب لإبراهيم - حسب التوراة - قال له الرب :

(٧) وأقيم عهدي الأبدي بيني وبينك وبين نسلك من بعدك جيلا بعد جيل فأكون لك إلها ولنسلك من بعدك (٨) وأهبك أنت وذريتك من بعدك جميع أرض كنعان ، التي نزلت فيها غريبا ، ملكا أبديا وأكون لهم إلها " (التكوين : ١٧) .

وعلى ذلك فيجب على اليهود عدم اتباع شرائع أهل الأديان الأخرى ، فجاء بالتوراة : " إذا ظهر بينكم نبي أو صاحب أحلام، وتنبأ بوقوع آية أو أعجوبة (٢) فتحققت ... ثم قال : "هلم نذهب وراء آلهة أخرى لم تعرفوها ونعبدها (٣) فلا تصغوا إليه (٥) أما ذلك النبي فإنه يقتل " (التثنية : ١٣) .

كما جاء :

" (٦) وإذا أضلك سرا أخوك وابن أمك أو قائلا : " لنذهب ونعبد آلهة أخرى

... (٧) من آلهة الشعوب الأخرى ... (٨) فلا تستجب له ولا تصغ إليه (١٠)

ارجمه بالحجارة حتى يموت الداعي لدين غير اليهودية " . (التثنية : ١٣) .

وهذه الفقرات وغيرها توضح أنه لا بد من وجود عقائد وأديان أخرى، ولكن اليهود

ينظرون لها بمنظار أسود لأنها يمكن أن تغويهم وتضلهم عن إلههم الخاص بهم .

وفي نفس الوقت ، فاليهودية لا تدعو أهل هذه العقائد بالدخول في الدين اليهودي ؛ لأنهم

أميون " جهلة " ومتنجسون " غير طاهرين " إذا نظر اليهود لغيرهم نظرة احتقار .

المسيحيون يؤمنون باليهودية كدين سابق فقط :

يؤمن المسيحيون وفقا لما جاء للتوراة ، وما جاء في الإنجيل أيضا أن العالم دينيا لا بد أن

يشغله أكثر من دين ، ولكنهم يرون أنه لا صلاح للعالم إلا باعتراف الجميع المسيحية فقط .

فاليهودية لا تدعو للتبشير نهائيا ، والمسيحية تهدف إلى عدم ترك أي إنسان على غير دين

المسيح نهائيا !!! ومن لا يدخل المسيحية يستوجب العقاب .

وفي سفر أعمال الرسل يتبين إجراء معجزات كثيرة على يد الرسل مما أدى إلى دخول جموع

كثيرة في الدين المسيحي .

" (١٤) وأخذ عدد المؤمنين بالرب يزداد بانضمام جماعات من الرجال والنساء "

(أعمال الرسل : ٨) .

ويقول البابا يوحنا بولس الثاني، موضحاً أن لا دين للإنسانية إلا المسيحية:

"إن الهدف الإلهي الوحيد النهائي ، يتمركز في يسوع المسيح ، الإله والإنسان الذي يتعين على كافة البشر أن يجدوا فيه اكتمال الحياة الدينية والذي تصالح فيه كل شيء ، وبنفس الطريقة فلا يوجد مخلوق ولا رجل ولا امرأة لا يحمل في ذاته علامة أصله الإلهي ، ولا يوجد مخلوق يمكنه أن يظل خارجاً ، أو حتى على هامش عمل يسوع المسيح الذي مات من أجل الجميع ، إذا فهو منقذ العالم"^(١).

إذا المسيحية تستنكر ضرورة وجود أكثر من دين .

ومن الدراسة السابقة يتضح :أن الإسلام يرى أن من الفطرة الإنسانية وجود أكثر من دين ، وهذا لا يمنع المسلمين من الدعوة لاعتناق دينهم ، والناس أحرار في عقائدهم ، أما اليهودية فترى أن دينها خاص باليهود فقط فهو عهد بين الله وبينهم فقط ، والاكتفاء باحتقار أصحاب الأديان الأخرى ، أما المسيحية فترى أنه من غير الطبيعي والمنطقي والفطري وجود أديان متعددة ولذلك تلجأ للتبشير مستغلة كل الطرق بما فيها الحصار الاقتصادي واستخدام القوة في التبشير . كما سنذكر لاحقاً.

(١) الفاتيكان والإسلام : ص ٦٣ ، ٦٤ . د/ زينب عبد العزيز .

مظاهر التسامح الديني في الأديان السماوية

توطئة : أباطيل الغرب ضد الإسلام :

الدين ليس تعاليم كتابية وردت في كتاب يعتقد المؤمنون تقديسه ، ولكنه أيضا تطبيق عملي اقتداءً بالرسول أصحاب الكتاب ومتبعيهم من الصالحين في عهد الرسالة ومن يليهم ، فصدق تعاليم الكتب تنتقل إلى القلوب فتعمل الجوارح بمقتضاها . ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام : ١٦٢] .

وقد كان رسول الله ﷺ وما زال القدوة الحسنة والأسوة الصالحة ، أوتى كمال الأخلاق حتى زكاه ربه فقال : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم : ٤] ، فكان ﷺ المثل الكامل للتسامح الديني والاجتماعي مع غير المسلمين ، ومع ذلك فبعض من لا يعرفون الإسلام يدعون - ظلماً - أنه كان قاسى القلب لا يكن أي احترام أو تقدير لغير المسلمين ومن هؤلاء :

البابا بندكت السادس عشر^(١) :

قال ضمن كلمته في جامعة ريجنسبرج حاكياً كلمة القيصر مانويل الثاني : " أرني ما الجديد الذي أتى به محمد ، ولن تجد سوى كل ما هو سيء وغير إنساني..... من يرد إذا أن يوصل أحداً إلى الاعتقاد ينبغ أن يكون لديه ملكة الكلام الطيب والتفكير السليم وليس التهديد والعنف .

(١) ترجمة الأزهر الشريف لكلمة البابا بندكت السادس عشر .

دانتي " ١٢٩٨ - ١٣٢١ " صاحب ملحمة الكوميديا الإلهية يقول :

إن الرسول ﷺ ومعه ابن عمه علي بن أبي طالب " كرم الله وجهه " في الحفرة التاسعة من ثامن دركة من دركات جهنم؛ لأنهم - حسب زعمه - في الدنيا أهل شقاق وشجار".

وجاء بملحمة رولاند سنة ١٠٠ م :

" المسلمون الجنس البشري الحيواني الحقير ... الكلاب والخنازير " (١).

وقال سيلفيو برلسكوني رئيس وزراء إيطاليا في ٢٦ - ٩ - ٢٠٠١ م :

" إن الحضارة الغربية أرقى من الحضارة الإسلامية ، ولا بد من انتصار الحضارة الغربية على الإسلام الذي يجب أن يهزم ؛ لأنه لا يعرف الحرية ولا التعددية ولا حقوق الإنسان، وإن الغرب سيواصل تعميم حضارته ، وفرض نفسه على الشعوب، وأنه قد نجح - حتى الآن - في تعميم حضارته وفرض نفسه على العالم الشيوعي وقسم من العالم الإسلامي "!! (٢)

ونحن - إن شاء الله تعالى - سنرد على هذه الترهات وسوف نثبت للجميع المستوى الإنساني الرفيع للتسامح الديني والاجتماعي في الإسلام ونقارنه مع غيره . لنوضح للجميع أن الإسلام ورسوله ورجاله ليس أهل شقاق بل أهل بر .

(٢) الغرب والإسلام : د/ محمد عمارة ، ص ٧٢، ٧١ .

(١) المرجع السابق : ص ٨٦ .

أولاً: المجادلة في الإسلام والأديان السماوية الأخرى :

١ - المجادلة في الإسلام :

أسلوب المجادلة الإسلامي أخلاقي وراق ، وإن وجود أكثر من دين في مجتمع واحد سيؤدي - أحياناً - إلى عرض كل أصحاب دين لمزايا دينهم ونقد الآخرين وبيان عيوبهم - من وجهة نظرهم - والعكس وتسمى هذه العلاقة بالمناظرة أو المجادلة .

وقد أمر الله المسلمين بحسن مجادلة الآخرين ومحاولة إعمال العقل لإقناعهم بصدق وحي الإسلام وصحة شريعته ، يقول جل شأنه : ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمُ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [العنكبوت : ٤٦] .

والآية توضح صورة المناقشة برفق وأدب رفيع مدعمة بالبراهين ، ولا استثناء لأحد من هذه المعاملة ، إلا مع الذين ظلموا الإسلام ، بالكذب أو إنكار الحق أولى الحقائق .
كما قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت : ٣٣] ، وتلك الآية وصية بأن يكون المسلم قدوة في العمل الصالح حتى يدعو إلى الدين معتزاً به .

إن الله - عز وجل - يريد من المجادلة مع غير المسلمين زرع المحبة والوفاق ، وليس حصص الكراهية والشقاق ، فقال الحكيم الخبير :

﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ [فصلت : ٣٤] .

فإن تمخضت المناقشة والمجادلة عن عدم الاتفاق والإقناع فالمفترض ألا يؤدي ذلك إلى كراهية ، بل للمسلم أن يترك الأمر لحكم الله .

﴿ وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ * اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [الحج : ٦٨ - ٦٩] .

وهذا لا يعني اتباع المسلمين لأحكامهم أو عقيدتهم تحت مسمى المعاهدات الدولية :
يقول تعالى لرسوله الكريم ﷺ :

﴿ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١٥] .

فإننا نقول لكل ظالم للإسلام مفتريا عليه ﴿اعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾ [الحشر: ٢] .

٢- المجادلة في التوراة والديانة اليهودية:

عندما أصبح اليهود قوة واستولوا على أرض فلسطين ، حاربوا وأبادوا شعوباً بكاملها - حسب التوراة ، لم يكونوا في حاجة إلى مجادلة أي إنسان وإقناعه بصدق دينهم ، فهذا أمر لم يكلفوا به ، ومع ذلك فهناك فقرات في التوراة توضح أن الكلمة الطيبة فضيلة فجاء في سفر الأمثال :

١- الجواب اللين يبدد الغضب والكلمة القارصة " المؤلمة " تهبج السخط .

٢- لسان الحكيم يتقن المعرفة ، وأقوال الجاهل تفيض حماقة " (الأمثال ١٥) .

٣- اللسان السليم ينعش كشجرة حياة واعوجاجه يؤدي إلى انكسار الروح (الأمثال ٥) .

ويبدو أن هذه الوصايا للمعاملة بين اليهود فقط للمعاملة مع غيرهم فقد أوضح المسيح قبح مجادلتهم معه وتآمرهم لقتله .

في مجادلة للمسيح مع اليهود افتخر عليه اليهود أنهم ينتسبون إلى نبي الله إبراهيم فقال لهم المسيح: " (٣٩) لو كنتم أولاد إبراهيم لكنتم تعملون أعمال إبراهيم (٤٠) لكنكم الآن تطلبوا أن تقتلوني (٤١) فقالوا له : إننا لم نولد من زنا لنا أب واحد هو الله " (يوحنا ٨) .
فاليهود لم يناظروا المسيح بالحكمة والموعظة الحسنة ولكن بمحاولة التآمر لقتله وسبه بادعاء أنه ابن زنى !!! .

وصف اليهود المسيح بأن به شيطاناً :

أخذ اليهود يجادلون المسيح في عيد المظال ، فقد تعجبوا لعلمه الغزير ، وتساءلوا " (١٥) كيف يعرف هذا " المسيح " الكتب وهو لم يتعلم ؟ فأجابهم يسوع " ليس تعليمي من عندي ، بل من عند من أرسلني (١٩) أما أعطاكم موسى الشريعة ؟ ولكن ما من أحد منكم يعمل بالشريعة ! لماذا تسعون إلى قتلي ؟ (٢٠) أجابه الجميع : " بك شيطان ! " (يوحنا ٧) .
وهكذا يتبين أن اليهود قوم برعوا في إهانات الغير وقتل المعارضين وليس لهم في حسن الجدل قلامة ظفر .

وصدق فيهم قول المسيح : " (٤٧) الويل لكم ، فإنكم تبنون قبور الأنبياء وآبائكم قتلوهم " (لوقا : ١١) .

٣- المجادلة في الإنجيل والديانة المسيحية:

المسيحية دين سمو أخلاقي ، ففيها من الآداب الرفيعة الكثير حتى إنها خرجت إلى الخيال تاركة الواقع الفعلي قابلاً بلا حراك ، مما جعل تنفيذ الكثير من هذه الوصايا محالاً فجاء في الإنجيل :

"(١) لا تدينوا لثلاثاً تدانوا (٢) فإنكم بالدينونة التي بها تدينون تدانون وبالكيل الذي به تكيلون يكال لكم " (متى : ٧) .

ولكن الإنجيل تضمن مجادلات للمسيح تظهر شطط المسيح في المجادلة وقسوته فيها.

مجادلة المسيح مع فريسي يهودي دعاه للغداء في بيته :

"دعا هذا اليهودي المسيح للغداء عنده في منزلة ، ولكن المسيح لم يغسل يده قبل تناوله الطعام كما تقضي بذلك الشريعة ، فتعجب الفريسي ، وسأله لماذا لم يغسل يديه ؟ ، فكان جواب المسيح : أنتم الفريسيين تنظفون الكأس من الصحيفة من الخارج ، ولكنكم من الداخل مملوؤون نهباً وخبثاً ، (٤) أيها الأغبياء ، أليس الذي صنع الخارج قد صنع الداخل أيضاً ، أحرى بكم أن تتصدقوا بما عندكم " (لوقا : ١١) . وبعد ذلك صب المسيح ويلاته " لعناته " على علماء الشريعة والفريسيين (لوقا : ١١ : ٣٧ - ٥٤) .

هذا وقد جادل المسيح امرأة طلبت منه شفاء ابنتها وتم بينها الحوار التالي :

"(٢٦) وكانت المرأة يونانية ، من أصل سوري فينيقي ، وتوسلت إليه أن يطرد الشيطان من ابنتها (٢٧) ولكنه قال لها : دعي البنين أو لا يشبعون ! فليس من الصواب أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب " (٢٨) فأجابت قائلة له : " صحيح يا سيد !! ولكن الكلاب تحت المائدة تأكل من فئات البنين ! " (مرقس : ٧) .

المهم أن المسيح شفي لها ابتتها .

وهذه المجادلة توضح إيمان المسيح - حسب الإنجيل مع عدم اعتقادنا بصحة ذلك -
بالعنصرية، كما أن الأسلوب لا يليق أن يكون من المسيح .

وعلى ذلك فالجدال في المسيحية - حسب الإنجيل - قاس وعنيف خالٍ من الحكمة
والموعظة الحسنة .

إذن أسلوب المناقشة والإقناع والدعوة للدين الإسلامي فاق نظائره في اليهودية
والمسيحية فهو السبيل القويم لمحو العداوة بين الناس ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ
بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ [فصلت : ٣٤] .

ثانيا : حرية التدين وحق مزاوله العبادة:

١- في الإسلام

جاءت أحكام القرآن الكريم واضحة جلية في هذا الشأن، وسار النبي ﷺ في سنته على
هدى القرآن الكريم، فصدق العمل القول، كذلك فعل صحابته والتابعون حتى اليوم وغدا
إن شاء الله .

أ- القرآن الكريم وحق التدين والعبادة :

يقول تعالى: ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ [البقرة : ٢٥٦] ، كما قال: ﴿
وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾
[يونس : ٩٩] .

كما قال الله لرسوله: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾ [الغاشية: ٢٢، ٢١]
فمهمة الرسول هي الدعوة لدينه فقط ، وليس له إجبار الآخرين على اعتناقه ، ويؤكد
ذلك قوله تعالى: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾
[ق : ٤٥].

وحرية كل إنسان في اعتناق ما يشاء من دين اتضحت في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْكَ
الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾
[الزمر : ٤١].

هذا وقد أوضح الله في القرآن تمسك أهل الكتاب بالصلاة نحو قبلتهم فقال: ﴿وَلْيُنْزِلِ
الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتِهِمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ
قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾ [البقرة : ١٤٥].

فهذه الآية توضح حق اليهود والمسيحيين في مزاوله شعائر دينهم بالطريقة التي يؤمنون
بها ولو اختلفت مع أحكام الإسلام ، وهذا هو حق مزاوله الشعائر .

وفي الإسلام المحافظة على دور العبادة حكمة إلهية سامية فقال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ
النَّاسَ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ لَّهُدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا
وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج : ٤٠].

في السنة المطهرة :

ذكر ابن إسحاق في السيرة ، أن وفد نجران - وهم نصارى - لما قدموا على رسول الله ﷺ بالمدينة ، دخلوا عليه مسجده بعد العصر ، فكانت صلاتهم ، فقاموا يصلون في مسجده ، فأراد الناس منعهم ، فقال رسول الله ﷺ : « دعوهم » فاستقبلوا المشرق فصلوا صلاتهم .
ولذلك عاهد الرسول ﷺ قبيلة تغلب سنة ٩ هـ ، وأباح لهم البقاء على نصرانيتهم ، وكذلك مع نصارى نجران واليمن وغيرها .
وأرسل الرسول ﷺ لعامله في اليمن : « من كان يهوديا أو نصرانيا فلا يفتن عنها » أي ترهبه ليتركها ^(١) .

ويكفيه ﷺ أنه أمر أتباعه بالرحمة العامة لكافة البشر جميعا فقال : « لن تؤمنوا حتى تراحموا » قال : يا رسول الله كلنا رحيم ، قال : « إنه ليس رحمة أحدكم صاحبه ولكنها رحمة العامة ^(٢) » .
" وروي بن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً من بني سالم بن عوف يقال له الحصين ، وله ولدان مسيحيان ، وهو مسلم ، سأل الرسول ﷺ فيها إذا كان يجب عليه إكراه ولديه على اعتناق الإسلام ، وهما يرفضان كل دين غير المسيحية ، فأنزل الله تعالى ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾ ^(٣) .

(١) سماحة الإسلام : ص ٥٣

(٢) الحديث عن أبو موسى الأشعري : رواه الطبراني .

(٣) أوروبا والإسلام : د. عبد الحليم محمود ص ١٧٥ ، مطابع الأهرام التجارية .

فالرسول من واجبه الدعوة إلى دينه ، ولكن دون إكراه يقول تعالى :

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ٦٤] .

عن معاذ رضي الله عنه ، قال : بعثني رسول الله ﷺ فقال :

« إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب ، فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، فإن هم أطاعوا لذلك ، فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة ، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم صدقة ، تؤخذ من أغنيائهم فترد على فرائهم ، فإن هم أطاعوا لذلك ، فأياك وكرائم أموالهم ، واتق دعوة المظلوم ، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب » رواه البخاري ومسلم .

وهذا الحديث يوضح أن لأهل الكتاب الحق في البقاء على عقيدتهم أو الدخول في الإسلام كما حث فيه الرسول ﷺ ألا يظلم أهل الكتاب إذا لم يؤمنوا بالإسلام . وما يؤخذ من جزية فهي تقابل صدقات المسلمين ، فهي للتكافل الاجتماعي بين أعضاء الأمة من مسلمين وغيرهم .

هذا وقد أوصى الرسول ﷺ بالقبط في مصر بالخير وحسن المعاملة فقال : « ستفتحون بعدي أرضاً يذكر فيها القيراط .. فاستوصوا بأهلها خيراً ، فإن لهم نسباً وصهراً » . وهذه الوصية بالتلميح لا بالتصريح ، فقياس الأرض الزراعية في مصر بالقيراط والنسب لأبي الأنبياء إبراهيم " عليه السلام " الذي تزوج هاجر المصرية ، وأنجب منها إسماعيل جد الرسول ﷺ ،

وقد تسرى الرسول ﷺ بهارية القبطية وهي مصرية وأنجب منها ولده إبراهيم رحمه الله .

تسامح الصحابة " رضي الله عنهم " في حرية التدين وحق العبادة لغير المسلمين

في عهد أبي بكر الصديق " رضي الله عنه " عاهد خالد بن الوليد أهل الحيرة على الإسلام على ألا يهدم لهم بيعة ، ولا كنيسة ولا قصرا يتحصنون فيه ، وعلى ألا يمنعوا من ضرب نواقيسهم ، أو إخراج الصليبان في يوم عيدهم ، على ألا يعينوا كافرا على مسلم ولا يتجسسوا للكفار على المسلمين.

ونص في المعاهدة على أن الجزية يعفى منها الشيخ الذي عجز عن العمل ، أو أصابته آفة ، أو كان غنيا فافتقر ، وليس ذلك فحسب بل يعال هو وأولاده من بيت مال المسلمين ما أقام بدار الإسلام^(١) .

وقد أعطى عمر أهل إيليا أمانا على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم، وأنهم لا يضطهدون بسبب نصرانيتهم ، ولا يضار أحد منهم ، ولا يسكن بإيليا معهم أحد من اليهود ، على أهل إيليا أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن وكتب لأهل " اللد " أمانا مثل هذا ، وكتب لأهل بيت المقدس مثله^(٢) .

(١) سماحة الإسلام ص ٥٤ : تاريخ الطبري

(٢) سماحة الإسلام ص ٥٥ : نقلاً عن تاريخ الطبري .

(٣) سماحة الإسلام ص ٥٦ .

وقد حرص المسلمون بعد الخلفاء الراشدين على ذلك، فقد أوصى أبو يوسف القاضي الخليفة هارون الرشيد فقال :

وينبغي يا أمير المؤمنين - أيدك الله - أن تتقدم في الرفق بأهل ذمة نبيك وابن عمك محمد ﷺ والتفقد لهم ، حتى لا يظلموا ولا يؤذوا ، ولا يكلفوا فوق طاقتهم ، ولا يؤخذ شيء من أموالهم إلا بحق يجب عليهم ^(١) .

وهذه وصية الفاروق عمر " رضي الله عنه " وهو على فراش الموت :
" أوصي الخليفة من بعدي بأهل الذمة خيرا ، أن يوفي عهدهم ، وأن يقاتل من ورائهم - أي من يهدد أمنهم - ألا يكلفهم فوق طاقتهم .

د- تسامح التابعين :

روي بن أبي شيبه عن جابر بن زيد :
أنه سئل عن الصدقة فيمن توضع؟ فقال: في أهل ملتكم من المسلمين ، وأهل ذمتهم ^(٢) .
وذكر القاضي عياض في ترتيب المدارك (قال : حدث الدارقطني أن القاضي إسماعيل بن إسحاق ^(٣) دخل عليه الوزير عبدون بن صاعد النصراني وزير الخليفة المعتضد بالله العباسي ، فقام له القاضي ورحب به ،

(١) انظر : فقه الزكاة
٢٨٢ هـ ، انظر : ترجمة في " ترتيب المدارك " : ١٦٦ / ٣ - ١٨١ - ط دار الحياة ، بيروت ، تحقيق الدكتور أحمد بكير محمود .

(٣) ساحة الإسلام : د. عبد الحليم محمود - شيخ الجامع الأزهر ، ص ٤١ .

فرأى إنكار الشهود لذلك ، فلما خرج الوزير قال القاضي إسماعيل : قد علمت إنكاركم ، وقد قال الله تعالى : ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [المتحنة : ٨] ، وهذا لرجل يقضي حوائج المسلمين وهو سفير بيننا وبين المعتضد . وهذا من البر .

يقول الإمام الدكتور / عبد الحليم محمود^(١) :

وتتجلى هذه السماحة بعد ذلك في مواقف كثير من الأئمة والفقهاء في الدفاع عن أهل الذمة ، واعتبار أعراضهم وحرماهم كحرمات المسلمين ، وقد ذكرنا مثلاً لذلك موقف الإمام الأوزاعي، والإمام ابن تيمية .

ونكتفي هنا بكلمات نيرة للفقهاء الأصولي شهاب الدين القرافي شارحاً بها معنى البر الذي أمر الله به المسلمين في شأنهم فذكر من ذلك : (الرفق بضعيفهم ، وسد خلة فقيرهم ، وإطعام جائعهم ، وكساء عاريهم ، ولين القول لهم - على سبيل اللطف لهم والرحمة لا على سبيل الخوف والذلة - واحتمال أذيتهم في الجوار - مع القدرة على إزالته - لطفاً منا بهم ، لا خوفاً ولا طمعاً ، والدعاء لهم بالهداية ، وأن يجعلوا من أهل السعادة ، ونصيحتهم في جميع أمورهم ، في دينهم ودنياهم ، وحفظ غيبتهم ، إذا تعرض أحد لدينهم ، وصون أموالهم وديارهم وأعراضهم وجميع حقوقهم ومصالحهم ، وأن يعانون على دفع الظلم عنهم ، وإيصال إليهم جميع حقوقهم) إلخ، وكان المسلمون يعينون أهل الكتاب في المناصب القيادية كوزراء سواء في عهد بني أمية أو العباسيين أو غيرهم ، وقد عين الملك الناصر بمصر - وزيراً نصرانياً ، وهذا مظهر من مظاهر التسامح .

في مصر :

أخذ الأقباط في أعيادهم يستعيرون الشعاع والبسط من المساجد المجاورة ، وصارت جميع الأديان تتحد عند عدم ارتفاع مياه النيل فتؤلف موكبا رسميا على طول النهر ، فيتقدم السلطان الموكب لابسا ثوبا من صوف أبيض ، ويكون الخليفة بجانبه ، ثم يأتي قاضي القضاة والشيخ الأكبر ، ثم يأتي أحرار اليهود وقسوس القبط ، ثم تأتي الكتب الثلاثة ، القرآن والتوراة والإنجيل ، التي أدت إلى نشوب حروب كثيرة ، بجانب بعضها بعضا ، ثم يضرع إلى الله باللغات الثلاث ، وباسم الأنبياء الثلاثة الغرباء ، أن ينزل غيثه على النهر ويستر البلد بالخير ، وكان ذلك يقع في القرون الوسطى ، في عصر التعصب والجهل ، في بلد التسامح مصر التي قد يكرر فيها ذلك غداً^(١) .

ومعلوم أن فتح المسلمين لمصر كان خيراً لم يتته لأصحابها ، فقد كان الرومان يحتلون مصر وكلاهما مسيحي ولكنهما مختلفا الملة ، مما أدى إلى مطاردة القبط حتى يتخلوا عن مذهبهم ويعتنقوا المذهب الروماني ، ولكن هيهات هيهات ، فتم القبض على أخ للأب بنيامين كاهن كنيسة الإسكندرية ، وحرق بالنيران حيا لبعض أعضائه حتى سال دهنه من جنبه ، ثم ألقى به في البحر ليموت غرقاً ، وقد هرب الكاهن بنيامين إلى الصعيد سنوات وسنوات ، حتى استدعاه عمرو بن العاص وأمنه على نفسه وقومه ودينه .

والأمثلة كثيرة يمكن أن تصنف في موسوعات تملأ المكتبات .

(١) النيل حياة نهر: إميل لودفيج ، ص ٧٠١ ترجمة عادل زعير ، مكتبة الأسرة ١٩٩٧ .

وهذا التسامح تطبيقاً لقوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [المتحنة : ٨] .

٢- اليهودية لا تؤمن بحق الغير في الدين ومزاولة العبادة :

أ- تعاليم التوراة :

كما سبق الإيضاح ، فاليهود يرون أنهم وحدهم أصحاب الدين السماوي الوحيد وأن إلههم هو رب الأرباب ، وليس للآخرين حق عبادة ربهم ، فالله رب خاص بهم فقط ، وهم شعب كرس لخدمته وعبادته فقط ، فجاء ضمن الوصايا العشر: " أنا هو الرب إلهك ، لا يكن لك آلهة أخرى سواي ، لا تسجد لمن ولا تعبدن ؛ لأنني أنا الرب إلهك إله غيور " (التثنية : ٢٠) ، " لأنكم شعب مقدس للرب إلهكم ، فإياكم قد اختار الرب إلهكم من بين جميع شعوب الأرض ، لتكونوا شعبه الخاص " (التثنية : ٧) .

ولكن يجوز للآخرين اتخاذ ما يشاؤون من آلهة ولهم حق عبادتهم ، وللإهود أيضاً حق مقاومتهم ، وعدم تمكينهم من العبادة ، وجواز هدم معابدهم ، وتخطيم آلهتهم .

فقد جاء بالتوراة :

" (٢) ... لا تقطعوا لهم عهداً شعوب أرض الميعاد - ولا ترفقوا بهم ، ولا تصاهروهم (٥) لكن هذا ما تفعلونه بهم : اهدموا مذابحهم " أماكن العبادة ، وحطموا أصنامهم ، وقطعوا سواريتهم وأحرقوا تماثيلهم . (التثنية : ٧) .

وسبب هذا الإرهاب هو الخوف من إغواء الشعوب الأخرى لليهود ، فيتركون إلههم ، ويعبدون آلهة الغير " ، فبعد رجوع بني إسرائيل منتصرين من الحرب ، قابلهم موسى والعاذر وتعجبوا ، لم ترك اليهود بعض الأسرى من الأطفال والنساء (١٥) وقالوا لهم : لماذا استحييتن النساء ؟ إنهن باتباعهن نصيحة بلعام " نبي من اليهود " أغوين نبي إسرائيل لعبادة فغور " إله وثني " وكن سبب خيانة الرب ، فتفشى الوباء في جماعة الرب ، فالآن اقتلوا كل ذكر من الأطفال ، واقتلوا أيضاً كل امرأة ضاجعت رجلاً ، ولكن استحيوا لكم كل عذراء لم تضاجع رجلاً " (العدد ٣١ : ١٥ - ١٨) .

فإذا كان هذا هو الفكر التوراتي ومن ثم الإيمان اليهودي ، فمعنى ذلك عدم السماح لغير اليهود بعبادة أي إله آخر ، سواء أكان الدين وثنيا أم مسيحياً أو إسلامياً ، ولذلك لم يعترف اليهود بالمسيح رغم معجزاته التي رأوها رأي العين ولكونه منهم .

ونظراً لأن اليهود كانت أمة مشتتة في الماضي ، وحاليا لها وطن يقوم على الدعم والتأييد الغربي المسيحي ، الذي بدأ بالإنجليز وانتهى بالأمريكان ، فلم يكن لدى اليهود فرصة حقيقية لسلب حق الغير في التدين وحرية العبادة إلا عن طريقتين رئيسيتين ، هما الدعوة لنبد الأديان وسرهم الكبير هو برتوكولات حكماء صهيون ، ثم الاضطهاد الديني للفلسطينيين .

ب- بروتوكولات حكماء صهيون والدعوة لنبد الأديان :

يقول الاقتصادي الشهير " كارل ماركس " : " الدين أفيون الشعوب "

وجاء في البروتوكول الرابع: لو أن الحرية كانت مؤسسة على العقيدة وخشية الله، وعلى الأخوة الإنسانية، نقية من أفكار المساواة التي هي مناقضها ومباشرة لقانون الخلق، وأن الناس محكومون بمثل هذا الإيمان سيكونون موضوعين تحت حماية كنائسهم "هياتهم الدينية"، وسيعيشون في هدوء واطمئنان وثقة، تحت إرشاد أئمتهم الروحيين، وسيخضعون لمشيئة الله تعالى على الأرض.

وهذا هو السبب الذي يحتم علينا أن ننزع فكرة الله ذاتها من عقول المسيحيين " يقصد غير اليهود " وأن نضع مكانها عمليات حسابية وضرورات مالية ^(١) .

"لقد بذرنا الخلاف بين كل واحد وغيره في جميع أغراض الأُميين الشخصية، والقومية، بنشر التعصبات الدينية والقبلية خلال عشرين قرناً ثم الخط من شأن الدين ورجاله والاستهزاء به ^(٢) .

" وقد عنيّا عناية خاصة بالخط من رجال الدين من الأُميين في أعين الناس ، وبذلك نجحنا في الإضرار برسالتهم ، التي يمكن أن تكون عقبة في طريقنا ، وأن نفوذ رجال الدين على الناس يتضاءل يوماً بعد يوم . اليوم تسود حرية العقيدة في كل مكان سنقصر رجال الدين وتعاليمهم على جانب صغير جداً من الحياة ، وسيكون تأثيرهم سيئاً على الناس ،

(١) عن كتابنا الإرهاب في اليهودية والمسيحية والإسلام والسياسات المعاصرة : ص ٨٥ ومرجعنا

بروتوكولات حكماء صهيون ص ١٧٧ ، ١٧٨ .

(٢) البروتوكول الرابع : ص ١٨١ .

(٣) البروتوكول السابع عشر ص ٢٥٣ ، ٢٥٤ .

حتى إن تعاليمهم سيكون لها أثر مناقض للأثر الذي جرت العادة بأن يكون لهم^(١) .
ولا يخفى على القارئ أن ما تم في العالم الآن - إلى حد كبير - هو ما خطط له من قبل
اليهود .

ج- منع المسلمين منه مزاوله شعائر دينهم في فلسطين :
ولم تسلم المقدسات الإسلامية من الاضطهاد اليهودي أيضاً ، يقول المؤرخ جمال بدوي
في مجلة المصور ٢١-١١-٢٠٠٣ م :
كشف حساب العام الأول من قيام الدولة الإسرائيلية ، مئات القنابل انهالت على المسجد
الأقصى وقبة الصخرة ، والكنائس المسيحية في القدس .
القنابل تحترق سطح المسجد الأقصى وقبة المعراج والغطاء الرصاصي بالصخرة التي عرج
منها الرسول ﷺ .

هذا وقد تكررت الاعتداءات على المسجد الأقصى وقتل المصلين المسلمين فيه أثناء تأدية
الصلاة .

تمت مذبحة في المسجد الأقصى بتاريخ ٨/١٠/١٩٩٠ ، وعندما حاول المتطرفون
الإرهابيون من اليهود " جماعة أبناء الهيكل " وضع حجر الأساس للهيكل الثالث - المزعوم
- فتصدى لهم المصلون ، فقام الجيش الإسرائيلي بفتح نيرانه عليهم

فاستشهد ٢١ وأصيب ١٥٠، واعتقل أكثر من ٢٧٠ داخل وخارج الحرم القدسي الشريف^(١).

وفي ٢٥/٢/١٩٩٤ أطلق "باروخ جولدشتاين" اليهودي نيران مدفعه الرشاش وفي حراسة الجنود اليهود على المصلين بالحرم الإبراهيمي في الجليل وقتل ٥٠ وأصاب المئات أثناء صلاة الفجر، وعمل له نصب تذكاري وعد بطلاً قومياً.

هذا وقد أعلن الحاخام "ليور" أنه: "بما أن جولدشتاين فعل ما فعل باسم الله، فإنه يجب أن يعتبر رجلاً صالحاً" أي: مؤمناً وتقياً".

كما قام الرئيس الإسرائيلي "وايزمان"، بإجراء مفاوضات مطولة وودية مع عائلة جولدشتاين ورفاقه من أجل إعداد جنازة مشرفة تليق بالقاتل.

وفي النهاية، تم اتخاذ قرار بأن تقام جنازة جماهيرية في القدس، وبعد الجنازة قام الجيش بتوفير حرس شرف للمقبرة.

وقد أصبحت المقبرة مكاناً يحج إليه المستوطنون والمتطرفون من كل إسرائيل وقال الحاخام أوبيل: إن الشهيد المقدس باروخ جولدشتاين هو منذ الآن شفيعاً في الفردوس، إن جولدشتاين لم يتصرف كفرد، ولكنه سمع صراخ أرض إسرائيل التي تسلب منا يوماً بعد يوم بواسطة المسلمين^(٢).

(١) الإرهاب في اليهودية والمسيحية والإسلام ص ٢٢٧.

(٢) مقدمة في الأصولية المسيحية في أمريكا والرئيس الذي استدعاه الله: عادل المعلم، ص ٧٧، نقلاً عن جريدة هاآرتس وجيروزاليم يوسف "بتصرف، مكتبة الشروق الدولية.

٣- حرية الدين وحق العبادة في المسيحية

أ- في الإنجيل :

بالرغم من أن الغرب المسيحي أصدر الكثير من القوانين والاتفاقيات الدولية التي بمقتضاها يكون حق اعتناق الدين ومزاولة العبادة ، حقا مطلقا يتساوى فيه كل البشر ، إلا أن الغرب المسيحي والديانة المسيحية واليهودية على السواء ، لا يؤمنون عمليا بحق العبادة لغيرهم ، فالحروب بينهم مستمرة لنصرة ملة على أخرى أو مذهب لحساب آخر .

وما تلبث أن تحمد نيرانها سنوات ، حتى تشتعل لسنوات أخرى ، أم الحروب ضد غيرهم للتنصير أو لمحاولة نزع الدين من قلوب المؤمنين به فهي لا تنتهي أبداً ، فتارة تأخذ شكل الحروب الثقافية وأخرى الإعلامية ويتوج كل هذا بالحروب الدموية .

وما أكثر المسميات البراقة لحروب سوداء قائمة ، فتحت مسمى مقاومة الإرهاب يتم احتلال دول وذبح أبناء شعوب ، وتحت مظلة الشرعية الدولية يملك الأقوياء من غير المسلمين أسلحة الدمار الشامل التي تفني العالم مئات المرات ، وفي نفس الوقت يحرم على أي دولة إسلامية امتلاك أي سلاح ذي قيمة حربية ، وصدق تعالى حيث قال : ﴿ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ [البقرة : ١٢٠] .

وما تم في العالم من جبروت مسيحي غربي منذ قوي ساعد المسيحية حتى الآن وما سيتم لاحقاً ، لا يتناسب مع تعاليم المسيح الأخلاقية الراقية ، التي لا يمكن تفعيلها في حياة البشر

، إلا في أحلام المدينة الفاضلة ، ومحال التحلي بها في اليقظة ، فسياسات الإرهاب الغربي والكيل بأكثر من مكيال لا زالت قائمة وستظل ، ما دام المسلمون في ضعف وهوان .

فالمسيح يقول : " (١٣) أنتم ملح الأرض ، فإذا فسد الملح فماذا يعيد إليه ملوحته ؟ إنه لا يعود يصلح لشيء إلا أن يطرح خارجا ليدوسه الناس .. (١٤) أنتم نور العالم ... (١٦) هكذا فليضيء نوركم أمام الناس ليروا أعمالكم الحسنة ويمجدوا أباكم الذي في السموات " (متى : ٥) .

" (٣٧) ... اغفروا يغفر لكم (٣٨) أعطوا تعطوا ؛ لأنه بالكيل الذي به تكيلون يكال لكم " (لوقا : ٦) .

ولا نستطيع إنكار حق المسيحية في التبشير بدينها ، أسوة بالإسلام ولكن ما ننكره هو أساليبها في إكراه الناس على ترك دينهم واعتناقها ، أو تغيير الملل داخلها .

البابا يوحنا بولس الثاني ، يطالب أوروبا بإعادة احتلال العالم لتنصيره :

يقول " يا أوروبا ،. عودي إلى رشدك وكوني نفسك ، استكشفي أصولك ! أحي جذورك ! أحي تلك القيم الأصيلة التي جعلت تاريخك مجيداً وجعلت وجودك مثمراً^(١) .

والسيناتور الأمريكي "جوزيف ليبرمان" -الذي كان مرشحا ديمقراطيا لمنصب نائب الرئيس في الانتخابات الأمريكية سنة ٢٠٠٠م، ومرشح الرئاسة القادمة- يعلن : " أنه لا حل مع الدول العربية والإسلامية إلا أن تفرض عليه أمريكا القيم والنظم والسياسات التي نراها ضرورية .

(١) تنصير العالم : ص ٩٥ وهذه دعوة لإعادة استعمار أوروبا وأمريكا للعالم .

(٢) الغرب والإسلام : د. محمد عمارة : ص ٨٤ . مكتبة الشروق الدولية .

فالشعارات التي أعلنتها أمريكا عند استقلالها لا تنتهي عند الحدود الأمريكية ، بل تتعداها إذ الدول الأخرى " !!

وزيرة الخارجية الأمريكية السابقة " مادلين أولبرايت " تعلن: "إننا - معشر الأمريكيين - أمة ترتفع قامتها فوق جميع الشعوب، وتمتد أبعد من جميع الشعوب"، فتتحدث إلى الشعوب الإسلامية بلغة النازية ، التي سبق أن عانت منها ^(١) .

ومن هذه الفقرات القصيرة يتبين لنا الإيمان الغربي بضرورة الاستعمار وفرض الدين المسيحي بالقوة ، وأيضا فرض القيم والأخلاق الغربية ، التي لا تتفق مع الأديان غالبا - باستعمال كافة الأسلحة سواء العسكرية أو الإعلامية ، أو العقوبات الاقتصادية . وهذا أسلوب قديم ويجدد دائما ، كان في الماضي ضد اليهود والمسلمين معاً ، واليوم ضد الإسلام فقط .

وأكبر شاهد يذكره التاريخ ولن ينساه مهما تجاهله ما تم بعد انتصار المسيحيين وإخراج المسلمين من أسبانيا، حيث تمت أبشع مجازر عرفها التاريخ، تحت اسم محاكم التفتيش .

ج- محاكم التفتيش وبلاياها لإجبار الناس على اعتناق المسيحية :

بعدما استعاد المسيحيون الأندلس ، ولم يؤمنوا بحرية الديانة، ولكن اعتنقوا : لا وطن إلا لنا ، ولا دين إلا ديننا ، ومن ثم قاوموا أهل الأديان والعقائد الأخرى ، وأنشؤوا لذلك محاكم تسمى محاكم التفتيش، هدفها التنكيل بكل من يشتبه أنه غير مسيحي ، حتى لو اعتنق المسيحية .

فكرة محاكم التفتيش :

اعتنق جميع مسيحي القرون الوسطى تقريبا عن طريق تعليمهم في الطفولة والوسط الذي عاشوا فيه بأن الكتاب المقدس من وحي الله بكل لفظ فيه ، وأن ابن الله " المسيح " قد أنشأ الكنيسة المسيحية مباشرة وبدا أنه ينتج عن هذه المقدمات أن الله يريد أن تكون جميع الأمم مسيحية ، وأن الإيمان بديانات غير مسيحية - أو ضد المسيحية على التحقيق - يعد كبيرة في حق الله ، يضاف إلى ذلك أنه ما دامت كل هرطقة مادية تؤدي بالضرورة إلى عقاب أبدي ، فإن المختصين منه قد يعتقدون أنهم يازهاق روح هرطيق، إنما ينقذون الهدى الكامن فيه وربما أنقذه هو نفسه من الجحيم الأبدي^(١).

إجبار غير المسيحيين على التنصير :

يقول " وول ديورانت " عن اضطهاد المسيحيين لليهود في أسبانيا :
" أما الأسبان اليهود فلم يصفح عنهم قط ، وقد اضطهدتهم أسبانيا المسيحية مدى ألف سنة ، فقد أخضعوهم لضرائب مهنية وقروض مغتصبة ولمصادرة الأموال والاغتيال والتعميد الإجباري ، وأرغموهم على الاستماع إلى العظات المسيحية " الخطب والتفاسير " ، وحرصوهم حتى في معابدهم أحيانا على التنصير ، بينما جعل القانون تهود المسيحي جريمة عقوبتها الإعدام .

(١) قصة الحضارة : وول ديورانت ج ٢٣ ، ص ٧٨ مكتبة الأسرة .

ودعوا أو ألزموا على الاشتراك في مناظرات مع علماء الدين المسيحي ، وهم فيها بين اثنتين، إما أن تحيق بهم الهزيمة الفاضحة أو يحصلوا على انتصار مخوف بالملكاه^(١).

وقد حرض راهب فرنسيسكا في عام ١٣٢٨ المسيحيين على أن يعملوا على القتل في خمسة آلاف يهودي وأن يحرقوا منازلهم .

وفي عام ١٣٩١ أثارت عظات " فرنان مارتينيز الجماهير ... بأسبانيا أن يقتلوا كل من يجدونه من اليهود الذين يرفضون الدخول في المسيحية .

" وأثر آلاف اليهود الأسباب التعميد " التنصير " على الفرع من النهب والقتل

واستطاعوا أن يرقوا سلم الحياة الاقتصادية والسياسية ، وفي المهن بل وفي الكنيسة ذاتها وأصبح بعضهم من كبار رجال الكهنوت وآخرون مستشارين للملوك^(٢) "

أعداد ضحايا محاكم التفتيش :

" قدر "ديورانت" وهو قسيس أسباني كان أميناً عاماً لمحاكم التفتيش الضحايا كما يلي :

الأعوام	الذين تم حرقهم	المعاقبون
ما بين ١٤٨٠ م - ١٤٨٨ م	٨٨٠٠	٩٦٤٩٠
ما بين ١٤٨٠ م - ١٥٠٨ م	٣١٩١٢	٢٩١٤٩٤

(٢) قصة الحضارة: ج ٢٣ ص ٦٦ .

(١) المرجع السابق ج ٢٣ ص ٦٤، ٦٥ .

(٣) المرجع السابق : ج ٢٣ ص ٨٩ .

طرد اليهود من أسبانيا :

في ٣٠ / ٣ / ١٤٩٢ ... وقع فرديناند وإيزابيلا مرسوما يبقّي اليهود .. على أن يتركوا إسبانيا في موعد غايته ٧ / ٣١ ولا يسمح لهم بالعودة ، ومن يفعل عقوبته الإعدام ، وانتقلت أموال اليهود في المدة الإجبارية إلى المسيحيين بجزء ضئيل من قيمتها ، فكانت الدار تباع مقابل حمار، والكرمة " الحديقة " في مقابل قطعة قماش ، ووضع المسيحيون أيديهم على المعابد فحولوها إلى كنائس^(١) .

طرد المسلمين :

أصدرت الملكة إيزابيلا مرسوما ١٤٩٩ يخير المسلمين الدخول في المسيحية وبين مغادرة أسبانيا، وأغلقت المساجد ، وتطبيق المحارق العامة التي التهمت جميع الكتب والمخطوطات العربية ، وأشرف على التنصير الإجباري بالجملة .

وكان المسلمون يمسحون الماء المقدس عن أطفالهم عندما يتعدون عن عين القس ، وصدر مرسوم ملكي ١٢ / ٢ / ١٥٠٢ م يخير المسلمين بين الدخول في المسيحية ومغادرة البلاد ، وأعطوا لذلك مهلة غايته آخر إبريل .

واحتج المسلمون بأن المسلمون عندما حكموا معظم أسبانيا ، فإنهم سمحوا بالحرية الدينية ، إلا في القليل النادر ، وحرّم على الأطفال الذكور دون الرابعة عشرة والإناث دون الثانية عشرة أن يغادروا إسبانيا مع آبائهم ، وسمح للأمرء بإبقاء أرقائهم المسلمين على أن يوضعوا في الأغلال ، ورحل الألو ف .. وترك أسبانيا إبان القرن السادس عشر ٣٠٠٠٠٠٠ مسلم من المتظاهرين باعتراف المسيحية

هذا وقد تجاوزت الحرب الدينية وقمع حرية التدين والعبادة أشكال الاضطهاد العرقي والدموي إلى الاضطهادات الأخرى .

د - قمع حرية العبادة

بعد سقوط " غرناطة " في يد الأسبان أصدر البابا أمره سنة ١٥٢٤ بتحويل جميع مساجد أسبانيا إلى كنائس ، ولم تمر بعد ذلك أربع سنوات حتى لم يبق في أسبانيا مسجد واحد^(١) .
وفي الحبشة :

صودرت المساجد وأوقافها وضمت إلى الكنائس ، واستمر تعذيب الرجال بدق خصاهم بأعقاب البنادق ، وباغتصاب نساءهم أمام أعينهم ، وغير ذلك .
كما أنشئت حانات الدعارة حول مسجدي "هرر" ، و"جمة" وتم التضييق على إقامة الشعائر الدينية شيئا فشيئا ، ومنع الحج إلا لقلّة ، وبشروط عدم عرض وبيان ما يحدث للمسلمين في بلادهم^(٢) .

وفي فرنسا بلد الحريات ، منعت الطالبات المسلمات من ارتداء الحجاب الإسلامي .
تقول د. زينب عبد العزيز :

(١) الرد الجميل على المشككين في الإسلام من القرآن والتوراة والإنجيل والعلم: عبد المجيد صبح ، ص ٢٤٦ دار المنارة.

(٢) كفاح دين : ص ٦٠ .

"وتطالب فرنسا حاليا على لسان وزيرها لوبيين ، بطرد ثلاثة ملايين مغربي أو إرغامهم على ترك دينهم ولغتهم ، والذوبان في الجنسية الفرنسية ، مع إصرارها على عدم حق المواطنة الكاملة ، ورفضها حتى إقامة مساجد، وتنتقد المسلمين لقيامهم بالصلاة في الأزقة والأماكن المتدنية ، ثم تعلن: أنها غير مستعدة لترى مناظرها الطبيعية ترشق بالمآذن " .

(آتين برونو: الإسلام الراديكالي)^(١).

هـ - القمع الإنساني والاقتصادي :

يتم التلاعب بأقوات المسلمين سواء عن طريق العقوبات الدولية، تفرض عقوبات اقتصادية تؤدي إلى زيادة فقر الدول الإسلامية الفقيرة أو تمنع مزايا للدول الإسلامية الغنية أصبحت شريعة متبعة ومستمرة .

يقول البابا أنوثان الثالث :

عند الكلام في مصادرة الدين يخالفون العقيدة الكاثوليكية : " لا يجوز أن يترك لأولاد الجاحدين سوى الحياة ، وترك الحياة لهم من وإحسان "

(١) محاصرة وإبادة : ص ٣٤ .

(٢) رد افتراءات المبشرين ٢٣٢ : د/ محمد جمعه عبد الله ، جامعة أم القرى بمكة المكرمة .

(٣) حقائق ووثائق .. عن الحركات التنصيرية في العالم الإسلامي : د. عبد الودود شلبي ، ص ٧٢ ، باختصار ، الدار السعودية للنشر والتوزيع

(٤) الرد الجميل على المشككين في الإسلام : عبد المجيد صبح ، ص ١١٣ دار المنارة ، ط ٢ ، ٢٠٠٣ م .

"استقرت جماعة تبشيرية بالمغرب واحتمت بالاستعمار الفرنسي والأسباني وكانت تأخذ أيتام المسلمين في مدينة طنجة وتنصرهم لقاء الخبز والمأوى ثم ترسلهم - بعد ذلك - ليكونوا مرتزقة في خدمة الجيش الفرنسي الاستعماري في حروبه ضد المسلمين وغيرهم^(١) .

في سنة ١٧٧٨ أمرت الإمبراطورة كاترين الثانية بأن يوقع المسلمون الذين تم تنصيرهم قهراً، على إقرار كتابي يتعهدون فيه بترك خطاياهم الوثنية ، وتجنب اتصافهم بالكفار والمسلمين، والتمسك بالدين المسيحي^(٢) .

و - عدم التسامح الديني في العقائد المسيحية :

تتضمن العقائد المسيحية بعض الأمور التي لا يقبلها العقل ، ويتغلب رجال الدين على مشاكل هذه المعتقدات ، فيطلقون عليها اسم ، الأسرار ومن هذه العقائد : عقيدة القربان المقدس ، وأصلها أن المسيح قبل صلبه - حسب الاعتقاد المسيحي - قد أكل خبزاً وشرب خمرًا مع تلاميذه "الحواريين" ثم أوضح لهم أن من يأكل هذا الخبز ويشرب الخمر سيتحولان - داخل جسده إلى جسد المسيح ودمه: "(٢٦) وفيما هم يأكلون أخذ يسوع الخبز ، وبارك وكسر وأعطى التلاميذ وقال: " خذوا كلوا هذا هو جسدي، (٢٧) وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلاً: اشربوا منها كلكم (٢٨)؛ لأن هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا" (متى: ٢٦) .

فالبعض يرى أن التعبير مجازي والآخر يرى أنه حقيقي ، وترى بعض الكنائس أن منكره كحقيقة يعتبر هرطيقاً "مرتداً ومبتدعاً" وبذلك يستوجب العقاب .

القربان المقدس وضحاياه :

أبلغ الجواسيس الأسقف " جاردنر " أن هنري فليمر قال: " إذا كان الرب موجوداً حقاً
" في القربان المقدس " فإني أكون قد أكلت في حياتي عشرين ربا ، وأن روبرت تستوود حذر
القسيس عند رفع القربان المقدس ، من أن يترك الرب يسقط ، وأن أنتوني بيرسون وصف
كل قسيس يعظ الناس بأي شيء سوى " كلمة الله " – أي الكتاب المقدس ، يكون لصا
وأحرق كل هؤلاء عام ١٥٤٣ م .

وفي سنة ١٥٤٦ أرسل أربعة آخرون على المحرقة لإنكارهم وجود المسيح حقاً في
القربان المقدس، ومنهم امرأة قالت في محاكمتها : إن ما تسمونه ربكم قطعة من الخبز
، والدليل على ذلك أنكم لو تركتموها في صندوق لمدة ٣ شهور لتعفنت^(١) .

(١) قصة الحضارة : وول ديورانت ج ٢٥ ص ١٤٩ / ١٥٠ مكتبة الأسرة.

(٢) المرجع السابق : ج ٢٥ ص ١٠٣ .

الصور الدينية وضحاياها :

١٥٣٤م أحرق " توماس بلني "؛ لأنه انتقد الصور الدينية ورحلات الحج والصلاة من أجل الميت، كما أحرق جيمس بينهما ؛ لأنه أعتبر أن المسيح لا يكون حاضراً في القربان المقدس إلا بروحه، كما أحرق جون لامبرت بسبب إنكاره وجود المسيح حقيقة في القربان المقدس في ١٦ / ١١ / ١٥٣٨ م^(١).

المعتقدات التي يجب حرق منكريها:

أعد "كرانمر" رجل دين و كاتب " بياناً بالهرطقات التي يعاقب مرتكبوها بالإعدام إذا لم يرتدوا عنها، و تضمنت تأكيد وجود المسيح حقاً في القربان المقدس، ،أو سيادة الكنيسة للبابا، ، وإنكار الوحي في العهد القديم، أو الطبيعتين في المسيح أو التزكية "التبرير" بالإيمان، وذهبت جوان بوشر إلى المحرقة لشكها في جسد الاقنوم الثاني "١٥٥٠م، وقالت لأسقف البروتستانت الذي توسل إليها أن تراجع عما تقول : لقد أحرقتم " آن أسكيو " منذ عهد غير بعيد من أجل قطعة من الخبز لإنكارها التجسد، ومع ذلك حدث أن آمنت بالعتيدة التي أحرقتموها من أجلها، وأنتم سوف تحرقوني الآن من أجل قطعة من اللحم

تشير إلى "إنجيل يوحنا" لقد صنعت الكلمة لحما و سوف تؤمنون بهذا أيضا آخر الأمر"^(١)

الحروب الطائفية بين الملل المسيحية :

هناك حقيقة هامة يجب عدم إغفالها ألا وهي أن ما قتل و حرق في حروب الطوائف

المسيحية ضد بعضها البعض يفوق عشرات المرات ضحايا الفتح الإسلامي في كل العصور

فها هو الملك فرنسيس الكاثوليكي يرى في البروتستانت مهرطقين و كفره، وفي

٢١ / ١ / ١٥٢٥ م أحرق ستة من البروتستانت في باريس بطريقة رأى - من وجهة نظره - أنها

تصلح لتهديئة المعبود فقد علقوا فوق نار و كانوا يدلون إليها ويرفعون منها مرارا و تكرارا

؛ و ذلك لإطالة أمد عذابهم ، وأحرق في باريس ٢٤ من البروتستانت وهم أحياء^(٢).

(١) قصة الحضارة ج ٢٥ ص ١٦٤ .

(٢) قصة الحضارة ج ٢٥ ص ٢٥ ، ٢٦ .

وبعد هذا العرض الموجز ، لنا أن نتساءل مع البابا بندكت ورئيس وزراء إيطاليا وغيرهم
أي الأديان هو الذي يملك ملكة الكلام الطيب والتفكير السليم ، وأي الأديان هو الذي
يؤمن بالحرية الدينية فعلاً ، وحقوق الإنسان ؟ ! ونذكرهم جميعاً بقوله تعالى :

﴿ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ
الْأَمْثَالَ ﴾ [الرعد : ١٧] .

الفصل الثالث

التسامح الديني وحقوق المواطنة بين الإسلام والأديان السماوية

توطئة

الدين ليس مجرد تعاليم كتابية تسطر في الكتب المقدسة فحسب ، ولكن الإيمان الحقيقي بتعاليم الدين يجعل متبعيه يحرصون على تنفيذ تعاليمه وآدابه وأخلاقه، فمن يدعي الإيمان بدين ثم لا يتبع تعاليمه ، كمثل أرض بور كلما ارتوت ماءً عذباً أخرجت الخبيث من الثمار .
ويحدثنا التاريخ الإسلامي :

أن المسلمين الذي فتحوا مكة - أول فتح في الإسلام - هم أنفسهم الذين اعتنقوا الإسلام سراً ، فعذبوا أشد عذاب ، وتركوا وطنهم وأسرهم وهاجروا مضطرين إلى الحبشة أولاً مرتين ثم إلى يثرب " المدينة المنورة " فارين بدينهم .

هؤلاء المجاهدون لم يرتضوا فتح العالم إلا بالحسنى ، فلم يضطهدوا أحداً لاعتناق الدين الإسلامي ولم يجبروا أحداً على هجر وطنه .

وكان العدل هو منهجهم ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ [النحل : ٩٠] ، لقد هاجر الرسول ومعه صحابته من مكة إلى المدينة فنشروا دينهم ، وبنوا أول مساجد الله في ظل الإسلام ، دون إراقة نقطة واحدة من دم ، فبدأت دولتهم في سلام وانتشرت تحت رايته السلام والإسلام ، ولم يجاربوا إلا معانداً أو باغياً أو محتلاً لأرض غيره .

والواقع أن الإسلام هو أول دين بني على أسس راسخة وقوية ومتينة من التسامح الديني واحترام حقوق المواطنة ، وهذه الأسس وردت في الكتاب " القرآن الكريم والسنة المطهرة ، ونفذها الصحابة والتابعون ، والمقتدون بهديهم إلى يوم الدين .

ومع ذلك يتهم الإسلام بعدم التسامح ومن أولئك المدعين : البابا بندكت السادس عشر
فيذكر البابا بندكت المسيحية وأخلاقها الإنسانية فيقول :
"كانت الرسالة البسيطة هذه تبدو كتراكم للتطور الديني للإنسانية ، كان يقال : إن يسوع
قد وضع حداً للعبادة مفضلاً عنها السلوك الأخلاقي ، وفي النهاية جرى تقديمه كأب
للمرسالة الأخلاقية الإنسانية ^(١) ".
ومعنى هذه العبارة أنه لا يرى في الإسلام السلوك الأخلاقي الراقى .

رأى " مرجليوث " المستشرق البريطاني :
يقول مدعيًا : إن الإسلام وإن كانت تعاليمه الأخلاقية والاجتماعية سامية ، إلا أن
التطبيق العملي يناقضها :
"إن التطبيق الواقعي في حياة المسلمين ، قد افترق - على مدى التاريخ - عن النظريات
التي يقدمها الإسلام ، ومن ثم يصبح الإسلام الحقيقي " تاريخاً " حدث ذات مرة ، لفترة
قصيرة من الزمن ، وأخلى مكانه لهذا التطبيق المتبعد عن الإسلام ^(٢) .
ويقول المستشرق النمساوي . جرونيباوم :

(١) ترجمة جريدة السفير " من واقع الكمبيوتر " دراسة بالانترنت .
(١) المستشرقون والإسلام : ص ١٣٩ ، ١٤٠ ، محمد قطب ، مكتبة وهبة .
(٢ ، ٣) المرجع السابق ص ٢١٥ ، وهو يقصد أن المساواة ناقصة وليست كاملة .

"لم يكن الإسلام حركة اجتماعية بمعنى أنه كان يجعل إصلاح النظام القائم هدفاً له"^(١).

ويؤكد هذا المعنى فيقول :

"... وهنا تقوم شهرة الإسلام بوصفه دين تسامح ، ولا شك أن لهذه الشهرة ما يبررها ، وذلك نظراً لأن كلا من اليهود والمسيحيين يسمح لهم بأن يظلوا على دينهم ، ولكن ليس لها ما يسوغها مطلقاً من حيث التسامح عند الغرب الذي ينطوي على التساوي أمام القانون وعلى المشاركة في الحياة المدنية والسياسية على قدم المساواة"^(٢).

وفي هذا الفصل - إن شاء الله - سنعرض للمباحث التالية .

المبحث الأول : التسامح الديني وحرية المواطنة في الإسلام .

المبحث الثاني : التسامح الديني وحرية المواطنة في اليهودية والمسيحية .

المبحث الأول

حقوق المواطنة في الإسلام^(١)

أولاً : إقامة الدولة على أسس قويمه :

يؤمن الإسلام بالمساواة الكاملة والعدالة الشاملة لكافة أفراد الدولة ، بلا فروق دينية أو عرقية أو جنسية، فالكل سواء ولذلك عندما وصل الرسول ﷺ يثرب، وضع أول وأعظم دستور ، يرسى به قواعد العدالة والديمقراطية ونظم الحكم بين كافة أعضاء المجتمع .

١ - الرسول ﷺ يوادع اليهود ، ويعاهدهم :

قال ابن إسحاق^(٢) : وكتب رسول الله ﷺ كتاباً بين المهاجرين والأنصار ، وادع يهود وعاهدهم ، وأقرهم على دينهم وأموالهم ، وشرط لهم ، واشترط عليهم :
« بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من محمد ﷺ ، بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ، ومن تبعهم فلحق بهم ، وجاهد معهم ، إنهم أمة واحدة من دون الناس ، المهاجرون من قريش على ربعتهم^(٣) يتعقلون^(٤) بينهم ، وهم يقدون عانيهم^(٥) بالمعروف والقسط بين المؤمنين ؛ وبنو عوف على ربعتهم يتعقلون معاقلهم الأولى ،

(١) هذا المبحث من كتابنا الإرهاب في اليهودية والمسيحية والإسلام والسياسات المعاصرة .

(٢) ابن هشام : السيرة النبوية ، القسم الأول ، ص ٥٠١ - ٥٠٤ بتصرف .

(٣) ربعتهم : الحال الذي جاء الإسلام وهم عليها .

(٤) المعادل : الديات

(٥) العاني : الأسير

كل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ؛ وبنو ساعدة على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ؛ وبنو الحارث على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ؛ وبنو النجار على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ؛ وبنو عمرو بن عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى . وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ؛ وبنو النبيت على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ؛ وبنو الأوس على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ؛ وإن المؤمنين لا يتركون مفرحاً بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل .

قال ابن هشام : المفرح : المثقل بالدين والكثير العيال ، قال الشاعر :

إذا أنت لم تبرح تؤدي أمانة وتحمل أخرى أفرحتك الودائع

وألا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه ؛ وإن المؤمنين المتقين على منبغي منهم ، أو ابتغى دسيعة^(١) ظلم ، أو إثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين ؛ وإن أيديهم عليه جميعا ، ولو كان ولد أحدهم ؛ ولا يقتل مؤمن مؤمنا في كافر ، ولا ينصر كافرا على مؤمن ؛ وإن ذمة الله واحدة ، يجير عليهم أدناهم ؛ وإن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس

(١) الدسيعة : الظلم العظيم . (٢) اعتبطه : قتله بلا أسباب توجب القتل .

(٣) يوتغ : يهلك . (٤) بطانة المرء : أهله وخاصته .

وإنه من تبعنا من اليهود فإن له النصر والأسوة، غير مظلومين ولا متناصرين عليهم؛ وإن سلم المؤمنين واحدة، لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله، إلا على سواء وعدل بينهم؛ وإن كان غازية غزت معنا يعقب بعضها بعضا؛ وإن المؤمنين يبى بعضهم على بعض بما نال دماءهم في سبيل الله؛ وإن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه؛ وإنه لا يجير مشرك مالا لقريش ولا نفسا، ولا يحول دونه على مؤمن؛ وإنه من اعتبط^(١) مؤمنا قتلا عن بينة، فإنه قود به إلا أن يرضى ولي المقتول، وإن المؤمنين عليه كافة، ولا يحل لهم قيام عليه؛ وإنه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر، أن ينصر محدثاً ولا يؤويه؛ وأنه من نصره أو آواه، فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة، ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل؛ وإنكم مهما اختلفتم فيه من شيء، فإن مرده إلى الله عز وجل، وإلى محمد ﷺ.

وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين؛ وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم، إلا من ظلم وأثم، فإنه لا يوتغ^(٢) إلا نفسه، وأهل بيته، وإن لليهود بني النجار مثل ما لليهود بني عوف؛ وإن لليهود بني الحارث مثل ما لليهود بني ساعدة مثل ما لليهود بني عوف؛ وإن لليهود بني جشم مثل ما لليهود بني عوف؛ وإن لليهود بني الأوس مثل ما لليهود بني عوف، وإن لليهود بني ثعلبة مثل ما لليهود بني عوف؛ إلا من ظلم وأثم، فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته.

وإن جفنة بطن من ثعلبة كأنفسهم ؛ وإن لبني الشطبية مثل ما ليهود بني عوف ، وإن
البر دون الآثم ؛ وإن موالى ثعلبة كأنفسهم ؛ وإن بطانة^(١) يهود كأنفسهم ؛ وإنه لا يخرج منهم
حد إلا بإذن محمد ﷺ ؛ وإنه لا ينحجز على نار جرح ؛ وإنه من فتك فبنفسه فتك ، وأهل
بيته ، إلا من ظلم ؛ وإن الله على أبر^(٢) هذا .

وإن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم ؛ وإن بينهم النصر على من حارب أهل
هذه الصحيفة ؛ وإن بينهم النصح والنصيحة ، والبر دون الإثم ؛ وإنه لم يأثم امرؤ بحليفه ،
وإن النصر للمظلوم ؛ وإن لليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين ؛ وإن يثرب حرام
جوفها لأهل هذه الصحيفة ؛ وإن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم ، وإنه لا تجار حرمة
إلا بإذن أهلها ؛ وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده ، فإن
مردده إلى الله عز وجل ، وإلى محمد رسول الله ﷺ ، وإن الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبره
؛ وإنه لا تجار قريش ولا من نصرها .

وإن بينهم النصر على من دهم يثرب ، وإذا دعوا إلى صلح يصالحونه ويلبسونه ، فإنهم
يصالحونه ويلبسونه ؛ وإنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فإنه لهم على المؤمنين ، إلا من حارب في
الدين ، على كل أناس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم ؛ وإن يهود الأوس موالىهم وأنفسهم
، على مثل ما لأهل هذه الصحيفة ، مع البر المحض من أهل هذه الصحيفة " .

(١) أبر : أى على الرضا به .

قال ابن هشام : ويقال : مع البر المحسن من أهل هذه الصحيفة . قال ابن إسحاق : وإن البر دون الإثم ، لا يكسب كاسب إلى نفسه ؛ وأن الله على أصدق ما في هذه الصحيفة وأبره ؛ وإنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم وآثم ، وإنه من خرج آمن ، ومن قعد آمن بالمدينة ، إلا من ظلم أو آثم ؛ وإن الله جار لمن بر واتقى . محمد رسول الله ﷺ .

وهذه المعاهدة للسلام الاجتماعي والأمن الداخلي والخارجي تحوي من حقوق المواطنة وحقوق الإنسان الكثير نذكر منه :

أ- المساواة في المواطنة بين جميع المنتسبين للوطن دون أدنى تفرقة . فالمسلمون من المهاجرين والأنصار بكل قبائلهم يشكلون مع اليهود بكل طوائفهم أمة واحدة ، أصحاب وطن واحد ، ويدخل في ذلك ليس الأهل والخاصة فقط بل الموالي والعبيد أيضاً ، كل بلا تفرقة .

ب- حقوق المواطنة تمنح كل مواطن حقوقاً أساسية يقابلها ما يناسبها من واجبات نذكر

منها :

١- المشاركة في فداء الأسير .

٢- التعاون في دفع دية القتل .

٣- البر في مساعدة المدين المعسر ، أو الفقير المعدم صاحب العيال ويتكفل بذلك كل

قوم أو فئة^(١) .

(١) حيث لم توضع بعد ميزانية عامة للدولة ، ومنعاً لهذه الفئات من الظلم .

(٢) الإرهاب في اليهودية والمسيحية والإسلام والسياسات المعاصرة ص ١٣٦ - ١٣٩ .

٤- التعاون التام بين المسلمين على نشر السلام الاجتماعي الداخلي ؛ فهم يتعاونون فيما بينهم على ردع المعتدى ، ورد الظالم ، وحماية من استجار حتى لو بأقلهم شأناً ، فهم وحدة واحدة فإذا تعاون معهم اليهود فيصبحون منهم ، ويكون لهم نفس حقوق المواطنين المسلمين بلا تفرقة ، وإن ضعفت عشائرتهم وقويت قبائل المسلمين وعظمت شوكتهم .

٥- لا يجوز استعانة مسلم بكافر لحرب مسلم آخر .

٦- الظالم من مسلم أو يهودي ينال جزاءه بلا تفرقة دينية أو قبلية .

٧- الجميع يتعاونون لحرب الأعداء بالنفس والمال ، ولا يجوز التعاهد لأي طرف منفرداً ، أو مهادنة الأعداء إلا باتفاق جماعي . وفي حالة الخلاف فإن الحكم لله ولرسوله ﷺ .
والأساس الدستوري والقانوني لهذا العهد هو توثيق الله ورسوله ﷺ^(٣) .

ثانياً : - أهل الكتاب في ظل الإسلام :

إن معاملة أهل الكتاب وكفالة حرية المواطن لهم تنبع من مصدرين أساسيين هما القرآن والسنة المطهرة^(٣) ، وقد شهد لها التاريخ والمنصفون من غير المسلمين .

١ - معاملة أهل الكتاب في القرآن الكريم :

العدالة المطلقة بين المسلم وغير المسلم هي منهج وشريعة إسلامية ثابتة لا جدال ولا مرأ فيها ، يقول تعالى : ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [الممتحنة : ٨] .

(٣) سبق أن أوضحنا وصايا الرسول ﷺ بأهل الكتاب وعلاقة التواد والتراحم معهم .

والرسول ﷺ يقول: «لهم ما لنا وعليهم ما علينا» .

وهذا الحديث النبوي يوضح العدل الكامل في معاملة أهل الكتاب من يهود ونصارى، ومن ذلك حقوق المواطنة والتعايش التام بين فئات المجتمع وعناصره المختلفة بغض النظر عن اللون أو الدين أو العرف .

يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨]، والآية توضح أن العدل فريضة يجب على كل مسلم اتباعها حتى مع من يكرهه من المسلمين أو غير المسلمين، كما يقول جل شأنه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوْا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ١٣٥] . والآية توضح باختصار أن قرابة الدم يجب ألا تمنع تحقيق العدالة .

هذا وقد أرخ القرآن الكريم لقصة رفع فيها الظلم عن يهودي لبراءته ، وثبت فيها جريمة مسلم وإدانته في الآيات التالية ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ * يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا * هَآأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ [النساء: ١٠٧ - ١٠٩] .

يقول ابن كثير في تفسير الآية بتصرف :

" إن نفراً من الأنصار غزوا مع رسول الله ﷺ فسرقت درع لأحدهم ، فأظن بها " اتهم "

رجلاً من الأنصار، فأتى صاحب الدرع للرسول ﷺ ،

فقال : إن طعمة بن أبيرق قد سرق درعي ، فعمد السارق إلى إلقائها في بيت يهودي ، وقال لنفر من عشيرته : إني غيبت الدرع " أخفيته " وألقيتها في بيت فلان وستوجد عنده ، وانطلق بعض عشيرته واتهموا اليهودي بسرقتها وادعوا أن صاحبهم الأنصاري برىء ، وطلبوا من الرسول ﷺ أن يبرؤه على رؤوس الأشهاد ، فبرأه الرسول ﷺ . فأنزل الله هذه الآيات ليثبت فيها براءة اليهودي ، ويحكم فيها بإثبات الجريمة على الأنصاري المسلم ^(١) .

إن القرآن الكريم هو الكتاب السماوي الوحيد الذي نصر غير المؤمنين على المؤمنين ، فرد الظلم عن المخالف في العقيدة ، ولم ير غضاضة في اتهام وإثبات جريمة المؤمن ، إنها عدالة إلهية حفظت في كتاب كريم إلى يوم الدين .

والظلم في الإسلام ممنوع منعاً باتاً ، إلا على طائفة واحدة ، ألا وهي عقاب الظالمين الذين ينشرون الفساد في الأرض ، ومن الأفضل الصبر عليهم ومحاولة هدايتهم ، وبدراسة معاملة المسلمين غيرهم في فترات علو شأنهم وانتصاراتهم وفتوحاتهم ، يجد أنهم ضربوا القدوة والأسوة الحسنة في معاملة غيرهم من أهل الكتاب وسائر البشر .

٢ - شهادات التاريخ بحرية المواطنة في الإسلام .

لقد خصص العلامة المؤرخ الكبير " وول ديورانت " الفصل الثلاثين من موسوعته المهمة قصة الحضارة " الجزء ٢٦ " لدراسة الإسلام ، فجاء الفصل تحت عنوان (عبقريّة الإسلام ١٢٥٨ - ١٥٢٠ م) أي الإسلام خلال ٢٦٢ سنة . ومما جاء فيه عن المساواة وحرية المواطنة بين المسلمين وغيرهم :

١ - تفسير القرآن العظيم لابن كثير .

أ- التقدم الحضاري والثقافي للدول المفتوحة .

* غرناطة في عهد الفتح الإسلامي :

" وصف ابن بطوطة موقع غرناطة على أنه لا يضارعه موقع مدينة أخرى في العالم، فحولها من كل جانب بساتين وحدائق ومراعٍ مزدهرة وكروم ، وفيها مبان جليلة ، وقام على حراسة المدينة من أعدائها المحيطين بها سور عالٍ يتكون من ألف برج ، وتولوا جامعة سمح فيها لعلماء المسيحيين واليهود أن يكونوا أساتذة وعمداء أحياناً ، ونقش على أبواب الكلية خمسة أسطر: دعائم الدنيا أربع: علم الحكماء، وعدالة العظماء، وصلوات الأبرار ، وأقدام الشجعان ^(١) " .

ب- حرية العبادة وإقامة الشعائر .

يقول ديورانت :

" وفي مجال التسامح الديني كان " سليمان القانوني " أجراً وأكرم من أنداده المسيحيين الذين ذهبوا إلى أن الانسجام الديني أمر ضروري لقوة الوطنية ، ولكن سليمان رخص للمسيحيين واليهود في ممارسة ديانتهم في حرية تامة ، وقال الكاردينال بول : إن الأتراك لا يلزمون الآخرين باعتناق عقيدتهم ، ولهذا الذي لا يهاجم ديانتهم ، أن يفصح عن أية عقيدة يعتنقها وهو آمن ، في وقت كانت أسكتلندا وإنجلترا وألمانيا اللوثرية تعتبر الكتلكة جريمة ، كما كانت إيطاليا وإسبانيا تعتبران البروتستانتية جريمة .

(١) قصة الحضارة : ج ٢٣ ص ٦٦ ، ٦٧ .

(٢) قصة الحضارة : ج ٢٦ ص ١٢٦ ، ١٢٥ .

(٣) المرجع السابق ج ٢٦ ص ١١٠ .

وكان إذا ذهب إلى المسجد يوم الجمعة ،لزم الناس الصمت التام عند مروره ،
وانحنى هو تحية لهم ،أيا كانوا يهوداً أو مسيحيين أو مسلمين ^(١١) . ويؤكد ذلك فيقول .
تمتع المسيحيون واليهود في ظل العثمانيين بقدر كبير من الحرية الدينية ، وسمح لهم
بتطبيق شرائعهم في الأمور التي لا يكون المسلمون طرفاً فيها .
واحتضن محمد الثاني الكنيسة اليونانية الأرثوذكسية عمداً،وعلى الرغم من أن
المسيحيين انتعشوا تحت حكم السلاطين،فإنهم عانوا ضعفاً شديداً،فقد كانوا في حقيقة
الأمر عبيداً أرقاء ولكن كان في مقدورهم إنهاء هذا الوضع بالدخول في الإسلام،وكان
المسيحيون مبعدين عن الجيش ؛ لأن الحروب الإسلامية كانت في ظاهرها مقدسة من
أجل تحويل الكفار إلى الإسلام ^(١٢) .

ج - الزواج والذرية كسبيل لوحدة الأمة :

" وكثيراً ما ابتعد العثمانيون المحاربون عن زوجاتهم اللاتي ألفوا معاشرتهن واتخذوا
زوجات أو إماء من أرامل وبنات المسيحيين الذين قهروهم ، أو غزوا بلادهم ،

ولم تتدخل في سبيل ذلك أية حزازات عنصرية ، فكم لقي الجنود العثمانيون أحر الترحاب بأذرع مفتوحة نساء يونانيات أو صربيات أو ألبانيات ، إلخ ، وأصبحن أمهات لأطفال كانوا على قدم المساواة مع ما يعتبرون أبناء شرعيين عثمانيين^(١) . هذا ومن المعلوم والمشهور أن الحكام المسلمين استعانوا باليهود والمسيحيين في مساعدتهم في حكم البلاد ، فكان منهم الوزراء ، ورؤساء الوزراء ، والمستشارون ، والمؤدبون للأمرء ، ورؤساء الدواوين ، والكتبة وغيرهم .

فحرية المواطنة شملت التعليم والثقافة والعمل الجامعي ، وحق الدفاع عن البلاد .
د- الحكم الإسلامي العادل لجميع عناصر الأمة :

يقول ول ديورانت :

"اعتقد مؤرخ إنجليزي كبير أن سير القضاء في عهد الحكام العثمانيين الأوليين كان في تركيا أفضل منه في أية بقعة في أوروبا ، وأن رعايا السلطان المسلمين كانوا أدق نظاما من معظمهم الجاليات المسيحية ؛ وأن الجرائم كانت أندر ... وفضلت الأقاليم التي وقعت تحت الحكم الإسلامي - رودس ، اليونان ، البلقان - فضلت هذا الحكم على أحوالها السابقة في ظل الفرسان أو البيزنطيين أو البنادقة ، حتى بلاد المجر نفسها ارتأت أن الأحوال فيها صارت تحت حكم سليمان القانوني " إلى أحسن مما كانت عليه أيام آل هابسبرج "^(٢) .

(١) المرجع السابق ج ٢٦ ص ١١٦ .

(٢) قصة الحضارة : ج ٢٦ ص ١١٣ .

وربما مرجع هذا العدل لأن جمهور فقهاء المسلمين أباحوا لأهل الذمة أن يأكلوا الخنزير ويشربوا الخمر ، ويتاجروا فيها فيما بينهم ، على ألا يظهر ذلك في البيئات الإسلامية ، ولا يتحدثوا مشاعر المسلمين .

وهذه قمة في التسامح لا مثيل لها : ألا يضيق عليهم حتى في شيء أحل لهم ، وحرمة الإسلام تحريماً قطعياً ، مع أن المباحات لا حرج في تركها ديناً ولا خلقاً ، بل يجذب تركها إذا كان فيه إيذاء للآخرين ، فكيف إذا كان هذا المباح عندهم مثل الخمر التي أجمع على تحريمها . ويقول المؤرخ آدم متر :

"في عام ١٢٠ هـ ٧٣٨ م" ولي قضاء مصر ، خير بن نعيم ، فكان يقضي للمسلمين في المسجد ، ثم يجلس على باب المسجد بعد العصر على المعارج فيقضي بين النصارى ، ثم خصص القضاة النصارى يوماً يحضرون فيه إلى منازل القضاة ليحكموا بينهم ، حتى جاء القاضي محمد بن مسروق الذي ولي قضاء مصر (عام ١٧٧ هـ) فكان أول من أدخل النصارى المسجد ليحكم بينهم " .

ثم قال متر : " أما في الأندلس ، فعندنا أكثر من مصدر جدير بالثقة أن النصارى كانوا يفصلون في خصوماتهم بأنفسهم ، وأنهم لم يكونوا يلجؤون للقاضي إلا في مسائل القتل " .
وبهذا نرى أن الإسلام لم يجبرهم على ترك أمر يروونه في دينهم واجباً ، ولا على فعل أمر يروونه عندهم حراماً ، ولا على اعتناق أمر ديني لا يرون اعتقاده بمحض اختيارهم^(١) .

(١) الأقليات الدينية والحل الإسلامي : د. يوسف القرضاوي ، ص ١٧ ، مكتبة وهبة ، س ١٩٩٦
ومرجعه : كتاب الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري لآدم متر ، ترجمة د. أبي ريدة : ١ / ٨٥ - ٨٧ .

وهذه المعاملة الإنسانية الطيبة آتت ثمارها وكانت من الأسباب الرئيسية لاعتناق الإسلام
بلا قتال .

شهادة البطريرك يوساب الثالث :

أرسل البطريرك رسالة لصديق له قال فيها معاتباً إياه :

" أين أبناؤك أيها الأب ؟ أين هذا الشعب العظيم ؟ شعب مرو !! لم تصبهم كارثة ، ولم
يستسلموا لسيف ، ولم يعذبوا بنار ، وإنما تأثروا بمتاع الدنيا،فارتدوا ، ورموا أنفسهم في
مهاوي المهالك والكفر - يقصد الإسلام - كالمجانين ، واحزنناه على آلاف الذين كانوا
يحملون اسم المسيحية ، ولم يستشهد منهم أحد ، ولم يضح واحد منهم لدينه ، أين بيع "
كنائس " كرمان وفارس ؟ لم يقض عليها شيطان أو ملك أو سلطان ، أو خليفة ، ولكن قضي
عليها ساحر ، هز رأسه فقط فسقطت كنائس الغرب كلها على الأرض " (١) .

إن هؤلاء الذين ارتضوا الإسلام عن قناعة وصفهم الله فقال عنهم : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ
لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ
سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ [المائدة : ٧٧] .

(٢) عظمة الإسلام : ج ١ ص ٢٧٨ .

المبحث الثاني

التسامح الديني وحرية المواطنة في اليهودية والمسيحية

أولاً : حقوق المواطنة في اليهودية :

اليهود أمة مشتتة بين دول العالم ، وكان أول وجود لها كأمة لها خصائص سيادة من أرض وحكم وسيادة سياسية وحرية فكرية ودينية ، بعد احتلال أرض فلسطين الذي اكتمل ببناء الهيكل في حكم سليمان ، بعد ذلك بزمن يسير تم سبى اليهود إلى بابل فالعودة ، فالشتات مرة أخرى حتى تم إنشاء دولة حديثة لهم في فلسطين الآن ، واعتبر الفلسطينيون أصحاب الأرض هم " اللاجئون " وعلى ذلك فستكلم عن حقوق المواطنة قديماً وحديثاً كما جاءت بالتوراة في القديم ، وكما يزاوها اليهود الآن .

١ - اليهود لا يمنحون غيرهم حرية المواطنة منذ القدم .

العنصرية عند اليهود :

جاءت بعض تعاليم التوراة بالدعوة إلى عدم ظلم الغرباء ، إلا أن التطبيق العملي لهذه الوصايا في التوراة نفسها أو عند اليهود يخالف ذلك تماماً .

الوصية بعدم ظلم الغريب :

" (٣٣) إذا أقام في أرضكم غريب فلا تظلموه (٣٤) وليكن لكم الغريب عندكم كالموطن تحبه كما تحب نفسك ، لأنكم كنتم غرباء في أرض مصر " (اللاويين : ١٩) .

ظلم الغريب في التوراة : تحرير العبيد اليهود دون غيرهم من المواطنين:

"(١١) ليطلق كل واحد منكم في ختام سبع سنين أخاه العبراني الذي باع نفسه لك " (أرميا: ٣٤) .

إقراض غير اليهود بالربا دون اليهود .

"(١) لا تتقاضوا فوائد عما تقرضونه لإخوانكم من بني إسرائيل..... (٢٠) أما الأجنبي فاقرضوه بربا " (التثنية: ٢٣) .

عقاب استرقاق اليهودي أشد من الغريب :

" (٧) إذا خطف رجل أحداً من بني إسرائيل إخوته واسترقه وباعه ، يموت الخاطف (التثنية: ٢٤) .

احتقار اليهود للسامريين من قومهم :

سأل أحدهم المسيح .. من قريبي ؟ فأجاب :

" كان رجلاً مسافراً من أورشليم إلى أريحا ، وكان الطريق مخفوفاً بأخطار اللصوص وقطاع الطرق ، فنصحته زوجته بالترث حتى يجد من يرافقه في سفره ، وإذ ذاك انبرى ابن الصبي يقول : إن والد صديق له يزعم في السفر في نفس الطريق ، وكان الآخر سامرياً . فلم يكذب الأب يعلم ذلك حتى انتفض كمن لدغه عقرب وصاح بابنه: كيف تصادق ابن سامري نجس ؟ أما تعلم أن السامريين تصاهروا مع العجم منذ مئات السنين ؟ إن فعلتك لو عرفت لأثرت في عملي وتجارتي ، ورفض الرجل اقتراح ابنه الصغير وسافر منفرداً ، فهاجمه اللصوص في الطريق ، وسلبوه ماله وثيابه وأصابوه بجرح ثم تركوه بين حي وميت ، ومر به كاهن فرآه ، ولكنه تغاضى عنه ، ومشى في طريقه ، ثم مر به رجل من عشيرته ، فتجاهله ، وواصل سيره ،

وأخيراً مر به سامري ، فعطف عليه وتوقف ، فغسل جراحه ودهنها بالزيت ، ثم أركبه على دابته ، ثم نفحه مالا كد فيه ، وسأل المسيح السائل : أي هؤلاء يكون قريباً للمسافر؟ ! فأجاب الرجل : من صنع معه خيراً ، هنالك قال المسيح : " إذن اذهب وافعل هكذا (لوقا : ١٠ : ٣٠-٣٧) .

٢- قتل رجال الدين اليهود :

شاول^(١) وذبحه لرجال الدين وفناء المدينة المقدسة .

عندما بدأ يستتب الأمر لأول ملك في تاريخ اليهود وهو شاول حدثت بينه وبين داود النبي زوج ابنته ، عدة فتن ، حاول فيها الملك قتل داود ، وكان دافعه الغيرة منه ، ولكن الكهنة ورجال الدين ساعدوا داود ، فأمر شاول الملك بذبحهم " وضرب نوب - اسم قائد مدينة الكهنة - بحد السيف " (١ صموئيل : ٢٢ - ١٩) .

وكان عدد القتلى من رجال الدين " خمسة وثمانين رجلاً لابسى أفودكتان زي الكهنة " (١ صموئيل : ٢٢ - ١٨) .

لقد نال القتل والفناء رجال الدين اليهود أنفسهم وبلغ الظلم غاية المدى في قتل أهل المدينة المقدسة من إنسان وحيوان .

(١) جاء ذكر طلب اليهود لملك لهم في القرآن الكريم : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ هُمْ أَبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَيَّكُمْ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا ﴾ [البقرة : ٢٤٦] واسم الملك طالوت .

٣- سليمان لا يؤمن بحقوق المواطنة لغير اليهود .

هذا ولم يؤمن سليمان - حسب التوراة الحالية - بحقوق المواطنة لساكني بلاده وإنما سخرهم كعبيدهم ونسلهم أيضا :

"(٧) أما جميع الشعب الباقي من الحِيثيين والأموريين والفرزيين الذين ليسوا من إسرائيل (٨).. الذين بقوا بعدهم في الأرض الذين لم يفنهم بنو إسرائيل، فجعل سليمان عليهم سخرة إلى هذا اليوم (٩) وأما بنو إسرائيل فلم يجعل سليمان منهم عبداً" (أخبار الأيام: ٨).

" (٢٠) أما من بقى من الأموريين والحِيثيين والجوبيين ... الذين لا ينتمون إلى إسرائيل (٢١) من ذراري الأمم التي عجز الإسرائيليون عن إفنائهم (٢٢) أما أبناء إسرائيل فلم يسخر منهم أحد " (الملوك الأول: ٩) .

إذن الاستعباد بدأ بالآباء ثم ورثة الأبناء .

٤- لا حقوق مواطنة لغير اليهود الآن :

الإسرائيليون لا يعترفون بأي حق لأهل فلسطين في الإقامة بوطنهم :

يرى اليهود الإسرائيليون اليوم أن قتل وأسر وتشريد الفلسطينيين وطردهم خارج أرضهم ، فرض ديني وشريعة إلهية مقدسة ، لكن معصية الله في أي شيء إلا في الحق في انفرادهم بالأرض المقدسة ، تقول جولدا مائير " رئيسة وزراء إسرائيل السابقة " : " ليس هناك شعب فلسطيني نحن لم نأت لطردهم خارج ديارهم والاستيلاء على وطنهم ، فهم لا وجود لهم " .

ويقول موسى ديان " وزير الدفاع السابق " : طالما امتلكننا الكتاب المقدس "التوراة" وطالما اعتبرنا أنفسنا شعب الكتاب المقدس فعلياً أن نحتل الأراضي المقدسة .

ويقول " يوسف فايتس " مدير الصندوق القومي اليهودي في مذكراته سنة ١٩٤٠ أي قبل إنشاء دولة إسرائيل " ليس هناك مكان لشعبين في تلك البلاد ، إذا غادرها العرب فإنها ستكفيها ، وليس هناك وسيلة أخرى إلا بأن نجلبهم جميعاً ، يجب ألا تترك قرية واحدة ولا قبيلة واحدة ^(١) " .

وإن ما نراه ونسمعه ونشاهده يومياً بواسطة وسائل الإعلام من سفك دماء للفلسطينيين من أطفال ونساء وشيوخ ، وهدم منازل وتجريف أراضي زراعية ، وقطع أشجار الزيتون ، وبناء أسوار عازلة تعزل كل جزء عن الآخر داخل الأراضي الفلسطينية الباقية ، وحصار بحري وجوي ، ومنع دخول مساعدات إنسانية ابتداء من الطعام حتى العلاج والدواء ، وقطع أموال المساعدات وغير ذلك ، إنما يهدف لحصار الشعب الفلسطيني فيما الموت جوعاً أو الاستشهاد قتلاً أو الفرار هرباً ، أو الأسر ظلماً . ومن ثم الهروب وترك الأرض أمواتاً أو أحياء .

وما نراه من وعود أمريكية بإنشاء وطن للفلسطينيين ما هو إلا ذر للرماد في العيون لامتناس غضب بعض المسلمين الذين اعتادوا الظلم وألفوه ، أو لعدم إحراج بعض الحكام العرب الذين اعتادوا الصمت وآثروه .

(١) محاكمة الصهيونية الإسرائيلية: روجيه جارودي ، ص ١٨ ، ١٩ ويجب الانتباه إلى أن ادعاءات إقامة وطن للفلسطينيين بجانب اليهود ما هو إلا حقن مخدرة كالتبييت تناولها المحتضر حتى يموت في سكون.

ثانياً : التسامح الديني وحقوق المواطنة في المسيحية :

لم يكن للمسيحيين دولة لها سيادة كاملة في عهد كتابة الأناجيل ، ومن ثم فالإنجيل لم يتضمن هذه الحقوق ، ولكن هناك أفعال وأقوال للمسيح توضح إيمانه بالتميز العنصري داخل الوطن الواحد ومنها .

١ - شفاء المرأة الكنعانية :

المرأة الكنعانية أي من أهل كنعان من الفلسطينيين وليست من بني إسرائيل هذه المرأة تعلقت بالمسيح قائلة : " (٢٢) ... ارحمني يا سيد ، يا بن داود !! ابنتي معذبة جداً ، يسكنها شيطان (٢٣) ولكنه لم يجيبها بكلمة ، فجاءه تلاميذه يلحون عليه قائلين : " اقض لها حاجتها فهي تصرخ في إثرنا !! " (٢٤) فأجاب " ما أرسلت إلا إلى الخراف الضالة ، بيت إسرائيل (٢٥) ولكن المرأة اقتربت إليه ، وسجدت له ، وقالت : أعني يا سيد ! (٢٦) فأجاب : " ليس من الصواب أن يؤخذ خبز النبين ، ويطرح لجراء الكلاب ! ، (٢٧) فقالت " صحيح يا سيد ، ولكن جراء الكلاب تأكل من الفتات الذي يسقط من موائد أصحابها ! " (٢٨) فأجابها يسوع : " أيتها المرأة ، عظيم إيمانك ، ليكن لك ما تطلبين ! " فشفيت ابنتها في تلك الساعة " (متى : ١٥) .

وهذه القصة توضح التفرقة العنصرية واعتبار اليهود أعلى مكانة ممن يشاركونهم الوطن ، مع العلم أن الوطن محتل من الرومان حينذاك . ومعلوم أن رسل المسيح الاثنى عشر كانوا كلهم من اليهود ،

كما أرسل المسيح بعدهم ٧٢ رسولا، ليسبقوه إلى المناطق التي يريد نشر الدين فيها وكلهم من اليهود^(١) .

هذا وقد شفى المسيح عشرة من البرص ، منهم واحد فقط سامري ، فانصرف التسعة ولم يشكره إلا العاشر وهو السامري ، فغضب من ذلك المسيح وقال : (١٧) .. أما طهر العشرة ، فأين التسعة؟ (١٨) ألم يوجد من يعود ويقدم المجد لله سوى هذا الأجنبي ؟ " (١٩) ثم قال له : قم وامض في سبيلك : إن إيمانك قد خلصك " (لوقا : ١٧) .

لقد نظر المسيح للمواطن اليهودي السامري باحتقار واعتبره أجنبياً، كما كان اليهود يعاملون السامريين .

٢- ظلم المسيحيين لحقوق المواطنة لليهود :

أ- حرم مجلس فيينا (١٣١١) أي تعامل بين المسيحيين واليهود ، واستن مجلس زمورا (١٣١٣) قاعدة بأن يبقوا في حالة خضوع وعبودية صارمة ، وجدد مجلس بال (١٤٣١ - ١٤٣٢) القوانين الكنسية التي تحرم على المسيحيين معايشة اليهود، أو خدمتهم، أو استخدامهم كأطباء ، وأصدرت التعليمات إلى السلطات المدنية بعزل اليهود في أحياء مستقلة ، وإلزامهم بوضع شارة مميزة ، والتحقق من حضورهم عظات " خطب " تهدف إلى تحويلهم عن دينهم . أما البابا يوجنيوس الرابع ، أضاف أنه لا يجب ألا يكون اليهود مؤهلين لأية وظيفة عامة ،

(١) أما رسل رسول الله ﷺ وأمرأؤه فكان منهم العربي والرومي ، والفارسي وقد اعتلى الكعبة للنداء للصلاة بلال الحبشي ، إن حرية المواطنة كاملة في الإسلام .

والأ يراثوا ممتلكات مسيحية ، وألا يشيدوا مزيداً من المعابد ، ولا يعتد قانوناً بشهادة اليهود ضد المسيحي .. وإذا وجد يهودي يقرأ التلمود ، فلا بد من مصادرة أملاكه^(١) .

وفي روما فرض البابا " بول الرابع " (١٥٥٥ - ١٥٥٩) على كل معبد أن يسهم بعشرة دوكات (٢٥٠ دولار) في إقامة دار للمتتصرين ، ليتلقى فيها اليهود تعاليم المسيحية ، وحرّم على اليهود استخدام خدم أو مرضعات مسيحيات ، أو أن يقيموا مع المسيحيين أي معاملات أو علاقات ممنوعة ، وهدمت كل المعابد في روما ما عدا واحداً ، وحرّم على اليهودي امتلاك عقار ، وعاش اليهود في حي منعزل ١٠٠٠٠ يعيشون في كيلومتر مربع فقط ، والحي تحت مستوى ماء النهر ، مما أدى إلى وجود مستنقعات وانتشار الأمراض ، وفرض زى خاص بشارة صفراء خاصة لتمييز اليهود عن غيرهم^(٢) .

الملك قسطنطين - ناصر المسيحية - أمر بقطع آذان اليهود وإجلاتهم إلى أماكن مختلفة ، وذلك قبل الهجرة النبوية بثلاثمائة سنة تقريباً .

موقف الإمبراطور يوستينا نوس من اليهودية :

" كان اليهودي ممنوعاً من الشهادة في المحاكم ضد المسيحيين الأرثوذكس ، وممنوع منعاً باتاً من أن يشتري أملاكاً خاصة للكنيسة أو أراضي معينة لبناء كنائس عليها ، وكان اليهودي ممنوعاً من شغل مراكز إدارية في المدينة أو الدولة^(٣) .

(١) قصة الحضارة : وول ديورانت ، ج ٢٦ ص ١٤٦ / ١٤٧ مكتبة الأسرة .

(٢) قصة الحضارة : وول ديورانت ، ج ٢٦ ص ٥٧ .

(٣) تاريخ الفكر المسيحي ، ج ٤ ص ١١٥ .

٣- ظلم المسيحيين لحقوق المواطنة للمسلمين :

ظل المسلمون في الأندلس حوالي ٨٠٠ سنة ، تمتع فيها كل أصحاب الأديان السماوية بحقوق المواطنة الكاملة مع حرية العبادة ، وحرية العمل وحرية الفكر الذي لا يناصب الإسلام العداء ، وبمجرد سقوط الدولة الإسلامية ، بدأ اضطهاد المسلمين بصورة بشعة ، فقد جاء في قصة الحضارة .

أ- صدر مرسوم ملكي سنة ١٤٩٩ م يخير المسلمين بين الدخول في المسيحية وبين مغادرة اسبانيا ، وأغلقت المساجد ، ونصبت المحارق العامة التي التهمت جميع الكتب والمخطوطات العربية ... وأشرف الملك على التنصير الإجباري بالجملة .

ب- صدر مرسوم في ١٢/٢/١٥٠٢ م يخير المسلمين بين الدخول في المسيحية أو مغادرة البلاد ، و أعطوا مهلة لذلك غايتها آخر أبريل ١٥٠٢ م ، و حرم على الأطفال الذكور دون الرابعة عشرة والإناث دون الثانية عشرة أن يغادروا إسبانيا مع آبائهم ، وترك إسبانيا خلال القرن ١٦ ثلاثة ملايين من المسلمين المتظاهرين بالمسيحية^(١) .

٤- ظلم المسلمين داخل أوطانهم:

الواقع أن الحديث في هذا الأمر يحتاج على مجلدات تنوء عن حملها الجبال ، فهي تشتمل الآن العالم الإسلامي كله بلا استثناء .

(١) قصة الحضارة : ج ٢٣ ص ٩٦ / ٩٧ بتصرف .

في مصر :

يحكي د. زكي نجيب محمود عن قصة وردت بمذكرات كاتب اسمة " هودنج كارتر " يوضح فيها : أن أعربيا مصرياً أقام مأدبة غذاء لعدد ١٥ مدعوا من الضباط الأمريكيين والإنجليز وغيرهم إبان الحرب ، وكان كرم الضيافة لا يوصف :

دخلوا الخيمة الأولى حيث ينتظرهم الويسكي في كثرة أذهلت الأمريكي! وراح الكاتب يصف السجاد الفاخر الذي فرشت به الخيمة؛ ثم انتقلوا إلى خيمة مجاورة حيث مائدة العشاء؛ وهنا أخذ يصف الأصناف قائلاً: إن المائدة كانت تحمل ثلاثين صنفاً على الأقل؛ ففي وسط المائدة خروف محمر بأكمله تحف به صفوف من الدجاج والسمك واللحم المشوي، وأكوام من الفاكهة وأطباق لا عدد لها من كذا وكذا، وبينما هم يستعدون للرحيل بعد العشاء مرت فرقة من البوليس الإنجليزي رئيسها جاويش؛ وهنا أخذ الأمريكي يصف كيف أهان الجاويش الإنجليزي الشيخ ، وطلب منه رخصته التي تبيح له أن يقيم الحفل؛ - وكما يقول الكاتب - " كأنها الأرض ليست وطناً للشيخ، وآبأؤه وأجداده قبل أن يسمع الجاويش وآبأؤه وأجداده شيئاً اسمه مصر! " .

يقول الكاتب : كرهنا من الجاويش أن يعامل مضيفنا في حضورنا هذه المعاملة المهينة ، فأسر النيوزيلندي الذي كان معنا في أذن الجاويش شيئاً ، فانصرف ، ويمضي الكاتب قائلاً : "إن القوات الأمريكية أقامت بعد ذلك حفلاً للعشاء دعي إليه الضيوف أنواعاً وأشكالاً وألواناً ، وكنا على علم سابق بهذا الحفل ، فوعدنا الشيخ أننا سنرسل إليه الدعوة إلى العشاء ليلتذ ، وقبل الرجل مسروراً ، لكن لسبب لا أعلمه ، رفضت السلطات الأمريكية توجيه

الدعوة إلى الشيخ ، مع أننا أبلغنا أولى الأمر كم كان الرجل كريماً في دعوته لخمس عشرة ضابطاً منا^(١).

في لبنان :

يقول الشيخ محمد الغزالي " رحمة الله عليه " :

" وأقيمت دولة لبنان بعد أن زيف إحصاء غريب أهملت فيه جماهير كثيفة من السكان المسلمين ، ثم ضمت في الوقت نفسه ألوف مؤلفة من النازحين إلى الأمريكتين الذين تجنسوا من نصف قرن بالجنسيات الأمريكية المختلفة اعتبروا جميعاً مسيحيين لبنانيين ، وبذلك أمكن جعل المسلمين ٤٨ ٪ من السكان ، والهدف طبعاً أن يكون الحكم مسيحياً ، والتعليم العالي مسيحياً ، والوظائف العامة الهامة للمسيحيين ، والدين الرسمي مسيحياً .

يقول " جوردن جاسكيل في مجلة المختار :

" يقول المثل : "العق حجراً على أي حشد لبناني ، وستكون واثقا من أنك ستصيب أسقفاً واحداً على الأقل^(٢) " .

فهني بعد روما في عدد الأساقفة فيها .

ولعل حرب لبنان الأخيرة توضح حقيقة هامة وهي : أن إسرائيل هدمت آلاف المنازل والفيلات والعمارات وقرى الجنوب الذي يقطنه المسلمون ، ولم تتعرض في حربها لأي مناطق مسيحية ، حتى إنها لم تتعرض بأي شكل من الأشكال لضرب أفراد الجيش اللبناني

(١) أيام في أمريكا : ص ٢٣٠ ، ٢٣١ مع الاختصار .

(٢) كفاح دين : الشيخ / محمد الغزالي .

لأن (٩٠٪) مسيحي، وهذا بالتنسيق مع الغرب المسيحي، وصدق الله تعالى حيث قال :
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ
مِّنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [المائدة : ٥١]

العنصرية في أمريكا

يقول د. زكي نجيب محمود:

إنه قد صدر حكم على رجل أبيض قتل زنجيا وثبتت التهمة ، فكان الجزاء سنتين سجن
، وجاء بحيشة الحكم ، إنني أحكم على فلان بالسجن سنتين ؛ ليتعلم درساً وهو ألا يخالط
الزنج ، لقد خلقنا الله مختلفين ، فلماذا نسلك كما لو لم يكن بين الناس اختلاف ؟ لقد كان
فلان يستطيع أن يجد من أمثاله البيض من يقضي معهم وقت الفراغ والتنزه " .
كما أوضح د. زكي أن الصحف لا تنعت السود بألقاب الاحترام كالسيد والسيدة فلانة،
كما لا تنشر صوراً للسود .

كما ذكر انه حدث أن رجلاً أبيضاً مخموراً ، دخل على امرأة زنجية بيتها ، وقضى معها
الليل ، ولما افتضح الأمر ، أطلق البوليس على فعلته " إخلالاً بالأمن " ، وحكم على الرجل
ببضعة دولارات غرامة ، ولو حدث الأمر عكسيا ودخل زنجي على امرأة بيضاء وقضى معها
الليل لكانت التهمة اغتصاباً ، وحكم على الزنجي بالإعدام^(١) .

وهكذا يتبين لنا بجلاء أن الدين الإسلامي هو أكثر الأديان تسامحاً واحتراماً لحرية
الإنسان وحق المواطنة ،

(١) أيام في أمريكا ص ٦٧ ، ٦٨ وهذه الحوادث كانت س ١٩٥٣ ، أما الآن فقد انكمشت مظاهر
التعصب بصورة ملحوظة .

وأن ما يدعيه غير المسلمين ويخالف هذه الحقيقة ، هو محض أوهم تنم عن جهل بالإسلام وأدبه الرفيع ، أو ظلم الإسلام ومحاولة إنكار أخلاقياته السامية ، ولو دقق الجميع في أحكام أديانهم لنبذوا كتبهم المحرفة ، وفروا من أديانهم إلى الإسلام ، وصدق تعالى عند وصفهم .

﴿ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ ﴾ [العنكبوت : ٤٧] .

كما قال : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالََةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا

السَّبِيلَ ﴾ [النساء : ٤٤] .

الباب الثاني

التكافل الاجتماعي والإنساني في الأديان السماوية

توطئة

الدين ليس علاقة فردية بين العبد وربّه فقط ، تتمثل هذه العلاقة في الإيمان والعقيدة وطاعة الله في اتباع أوامره ، واجتناب نواهيه ، ولكن الدين أيضاً هو الأساس القوي والمتين لتنظيم العلاقة بين الفرد وأسرته ومجتمعه ، وسائر المجتمعات والدول ، ومن ثم العلاقات الدولية والحضارية .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات : ١٣] .

وهناك آية قرآنية منيرة توضح أن العالم كله أسرة واحدة ، تؤثر وتتأثر بكافة الأحداث الشريرة والصالحة وكأنه فرد واحد ، وهي قوله تعالى : ﴿ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾ [المائدة : ٣٢] .

وبالرغم من عظمة الإسلام في دعوته للتراحم والتآخي والمودة والبر والإحسان وغير ذلك من فضائل العلاقات الإنسانية ، إلا أن غير المسلمين يتهمون به بغير ذلك ومن هؤلاء :

البابا بندكت السادس عشر :

يقول في كلمته المشار إليها سابقاً بالتلميح لا بالتصريح أن الإسلام لا خير فيه :

" هنا تظهر مواقف شبيه بتلك التي لابن حزم، والتي تؤدي إلى فكرة الإله العشوائي الغير مرتبط بالحقيقة أو الخير ، فالمغالاة في فهم اختلاف الله عنا وبعده عن إدراكنا يجعل مفهومنا عن الحق والخير بعيدة عن أن يكون مرآة حقيقية لله وأفعاله

" .القس إرنست رينان **Ernest Renan** الذي يقول :

" عن شريعتهم الملعونة التي أعطاهم محمد تأمرهم بإيذاء الآخرين الذين لا يدينون بإيمانهم"^(١).

المفكر المشهور " بلزاك " يقول :

" إن الإسلام هو الإنكار الكامل لأوروبا ، ... وإلغاء المجتمع المدني "^(٢) .

المبشر " المنسينور كولي يقول في كتابه " البحث عن الدين الحقيقي " :

" الإسلام في القرن الرابع الميلادي ، برز في الشرق عدو جديد أسس على القوة وقام على أشد أنواع التعصب ، لقد وضع محمد السيف في أيدي الذين اتبعوه وتساهل في أقدم قوانين الأخلاق "^(٣).

وفي الرد على هؤلاء وغيرهم ، سيتضمن هذا الباب فصلين :

(١) محاصرة وإبادة : د. زينب عبد العزيز ، ص ٢٥ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٥ .

(٣) حقائق ووثائق ... عن الحركات التنصيرية في العالم الإسلامي ص ٨٨ ، ٨٩ .

الفصل الأول : التواد والتراحم العائلي والأسري بين الأديان السماوية .

الفصل الثاني : الأخلاق الاجتماعية والمعاملات بين الأديان السماوية .

وغايتنا إثبات أي الأديان السماوية هو دين الخير، أو دين إيذاء الآخرين ، أو أى منهما

قام بإلغاء المجتمع المدني وتساهل في قوانين الأخلاق فأضاعها .

﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ﴾ [الكهف : ٢٩].

الفصل الأول

التواد والتراحم العائلي الأسري بين الأديان

إن زراعة المحبة والمودة بين عناصر المجتمع بغض النظر عن العرق أو الدين ، كفيلة بجني ثمار الرقي الفكري والعلمي والحضاري ، وتحقيق الأمن والأمان والاستقرار في المجتمع ، واجتثاث جذور الكراهية والحقد فيه ، فلم يخلق الله طائرا يحلق في السماء بجناح واحد .

وقد تضمنت آيات القرآن الكريم ما يفيد هذا المفهوم ، ومنها قوله تعالى : ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [الممتحنة : ٨] .

وكذلك : ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذْنَ بِالْأُذْنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ ﴾ [المائدة : ٤٥]

ويقول الرسول عن المعاهدين : « لهم ما لنا وعليهم ما علينا » ، كما يقول : « كلكم لآدم وآدم من تراب » .

وعلى ذلك تعددت في الإسلام مظاهر التواد والتراحم العائلي والاجتماعي وقد فاقت مثلتها في الأديان السماوية الأخرى .

المبحث الأول

الزواج والمصاهرة بين الأديان والملل

المصاهرة بصفة عامة تخلق علاقات اجتماعية وتنشئ علاقات أسرية لا انفصام لها، فالأولاد ثمرة الزواج تقوي من ميثاقه، كما أنهم يخلقون أرحاماً جدد، كالأخوال، والخالات وأبنائهم، يقول جل شأنه: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ [الفرقان : ٥٤] .

أولاً : الزواج من أهل الكتاب في الإسلام:

لقد فرق الله في القرآن الكريم بين الكفار والوثنيين والمنافقين وأهل الكتاب، فأعز أهل الكتاب بإطلاق عدة مسميات عليهم منها الذين أوتوا الكتاب، والذين آتيناهم الكتاب، وأهل الكتاب وأوضح أن بعض مللهم وليست كلها قد تصل إلى الكفر، والملاحظ أن هذه المسميات جاءت في القرآن الكريم ٢٦٤ مرة، ويرجع هذا الإعزاز لكونهم أصحاب كتب سماوية يعترف بها المسلمون وإن حرفت، إلا إنها أقرب للمسلمين من الكفار والمشركين الوثنيين، كما أن الإسلام يحترم ويبجل أنبياء اليهود والنصارى .

١ - حل الزواج من أهل الكتاب :

يقول تعالى مشرعاً حل الزواج من نساء أهل الكتاب دون الرجال :

﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [المائدة : ٥] .

والآية توضح :

أعز الله وكرم صاحبات العفة والفضيلة من نساء أهل الكتاب ، فجعلن من المحصنات أي الشريفات العفيفات ، وهذه الصفة كانت للسيدة مريم العذراء البتول ، التي وصفها ربها في القرآن الكريم فقال : ﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا رَبُّهَا وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴾ [التحریم : ١٢].

فرض الله لنساء أهل الكتاب مهراً أسوة بنساء المسلمين .

منع الله المؤمنين اتخاذ نساء أهل الكتاب عشاقاً أو زناة .

حكم الله على المسلم الذي لا يراعي هذه الأحكام بأنه من الخاسرين في الدنيا والآخرة ، لضیاع أعماله الصالحة نتيجة لمعصية هذه الأحكام وزواج نساء أهل الكتاب لا يخرجهن من دائرة السكن والمودة والرحمة ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْتَكِرُونَ ﴾ [الروم : ٢١] .

٢- زواج الرسول ﷺ من أهل الكتاب :

تزوج الرسول ﷺ من يهودية وهي أم المؤمنين صفية بنت حي بن أخطب التي أصبحت بإسلامها وزواجها من الرسول ﷺ أمّاً للمؤمنين مثل زوجاته بلا تفرقة .
كما تسرى الرسول ﷺ بالسيدة / مارية القبطية التي سميت بأم إبراهيم لأنها أنجبت له ابنه إبراهيم الذي توفي طفلاً .

٣- زواج بعض الصحابة من كتابات :

الدين الإسلامي لا يمنع مصاهرة أهل الكتاب ، وقد سبق أن تزوج الرسول ﷺ منهم ، والكثير من الصحابة والتابعين تزوجوا من هؤلاء ومنهم : " حذيفة " الذي تزوج يهودية من أهل المدائن ، وتزوج عثمان بن عفان " رضي الله عنه " نائلة بنت الفرافصة الكلبية النصرانية وأسلمت عنده ، وتزوج سعد بن أبي وقاص منهم أيضاً ^(١) .

تحريم بعض الصحابة والأئمة الزواج من كتابات :

ليس من حق كائن مهما علا شأنه في الإسلام من تحريم حلال أو العكس وإنما يكون التحريم لعلة شرعية ، مستندة للكتاب والسنة .

تحريم الفاروق عمر الزواج من كتابات :

تزوج حذيفة بن اليمان يهودية فكتب إليه عمر : خل سبيلها " طلقها " ، فكتب إليه حذيفة : أتزعم أنها حرام فأخلى سبيلها ؟! فقال عمر : لا أزعم ، ولكن خشيت أن تعطوا المومسات منهن ^(٢) .

إذن تحريم عمر هو خوفا من أن يغوي الجمال الرجال فلا يتزوجون من المحصنات من أهل الكتاب ﴿ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [المائدة : ٥] .

(١) فقه السنة: السيد سابق ج ٢ ص ١٧٩ .

(٢) تفسير الطبري ج ٢ ص ٣٧٨ تحقيق الشيخ . أحمد شاکر .

تحريم ابن عباس الزواج من كتابيات وشرطه .

حرم ابن عباس الزواج من الكتابية إذا كانت عدواً أو موالية للعدو ، وبهذا فرق بين الذمية والحربية " ، فالزواج في هذه الحال لا يحقق الأهداف التي شرعها الله عز وجل من أجلها ، إذ كيف السكون إلى عدو وجاسوس ؟ ! .

فقد روي الطبري بسنده ابن عباس ، قال : من نساء أهل الكتاب من يحل لنا ومنهم من

لا يحل لنا ، ثم قرأ :

﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ [التوبة : ٢٩] .

فمن أعطى الجزية حل لنا نساؤه ، ومن لم يعط الجزية لم يحل لنا نساؤه " (١) .

وما زال حتى الآن زواج المسلمين من أهل الكتاب قائماً ، وأكثر الكتاب والعلماء والمفكرين الدارسين في الخارج تزوجوا من نساء فضليات من نصارى ويهود ، وبعض القادة والوزراء نهجوا نفس النهج ، ولا ينظر إليهم المجتمع إلا بكل احترام وتقدير .
أما زواج نساء المسلمين من رجال أهل الكتابيين فهو محرم شرعاً ، والعلة في ذلك ، أن الرجل في الإسلام له حق القوامة ، ومن ثم سيكون أولاده يحملون ديانة والدهم أي مسلمين .

(١) المرجع السابق : ج ٩ ص ٥٨٨ .

٤ - إباحة الزواج بين أصحاب المذاهب الدينية في الإسلام :

يجوز للمسلم السني الزواج من مسلمة شيعية والعكس ، كما يجوز للمسلم الشافعي المذهب الزواج من مسلمة من أصحاب المذاهب الإسلامية الشرعية ، أي لا تخرج في أحكامها عن الكتاب والسنة ، والعكس صحيح .

ثانيا : تحريم الزواج من الأُميين في اليهودية .

١ - تحريم مصاهرة غير اليهودي :

حرمت التوراة مصاهرة غير اليهودي باعتبار أن هؤلاء " أجنب " أمميون " ، فهم أقل شأنًا من اليهود . ، فجاء في التوراة عن وصية موسى لقومه :
" (١) ومتى أدخلكم الرب إلهكم إلى الأرض التي أنتم ماضون إليها؛ لترثوها .. (٢) لا تقطعوا لهم عهداً ، ولا ترفقوا بهم (٣) ولا تصاهروهم ، فلا تزوجوا بناتكم من أبنائهم ، ولا أبناءكم من بناتهم . " (التثنية: ٦) .

والزواج من غير اليهود يشمل كل الشعوب وليس شعوب أرض الميعاد فقط .

٢ - خطيئة سليمان بزواجه من أجنبيات وعقاب الرب له :

لقد تزوج سليمان من ابنة فرعون مصر ونساء غريبات كثيرات ، حتى أنهن أغوين قلبه فعبد في شيخوخته آلهة غير الله .

" (١) وأولع سليمان بنساء غريبات كثيرات ، فضلاً عن ابنة فرعون ، (٢) وكلهن من بنات الأمم التي نهى الرب بني إسرائيل من الزواج منهن قائلاً : " لا تتزوجوا منهم ولا هم منكم ، لأنهن يغوين قلوبكم وراء أهتهن (٣) فانحرف بقلبه عن الرب (٤)

فاستطعن في زمن شيخوخته أن يغوين قلبه وراء آلهة أخرى ، فلم يكن قلبه مستقيماً مع الرب إلهه كقلب داود أبيه " (١ ملوك: ١١) .

هذا وقد عاقبه الرب : " (١١) فإني حتماً أمزق أوصال مملكتك ، وأعطيها أحد عبيدك " (١ ملوك: ١١) .

٣- زواج اليهود من غريبات أثناء السبي لبابل وطردهم للزوجات .

هذا وقد لاحظ النبي "نحميا" أن اليهود تزوجوا أثناء السبي ببابل بنساء غريبات ، فاستنكر ذلك وأمر بطرد الزوجات الغريبات .

" (٢٣) وفي ذلك الزمن شاهدت يهوداً من تزوجوا من نساء أشدوديات وعمونيات وموآبيات (٢٤) ولاحظت أن نصف كلام أولادهم بلغة أشدود ، أو لغة بعض الشعوب الأخرى ، ويجهلون اللغة اليهودية (٢٥) فأنبتهم ولعنتهم وضربت منهم قوماً ونبذت شعورهم " (نحميا: ١٣) .

هذا وقد أمر نحميا بطرد الزوجات واستبقاء الأبناء ، واعتبر ذلك طهارة من هذا وقد قام النبي عزرا بذلك أيضاً .

" (٢) وقال شكنيا بن يخيئيل من بنى عيلام لعزرا : " لقد خنا إلهنا وتزوجنا من نساء غريبات من أمم الأرض ... (٣) لذلك لنبرم عهداً مع إلهنا ، بأن نخرج كل النساء الغريبات ، ومن أنجب من أبناء ... " (عزرا: ١٠) .

هذا وقد تم بواسطة عزرا فصل الأزواج عن زوجاتهم .

وقد رأى النبي عزرا في الزواج من أجنيبات ولو اضطاروا - خطيئة في حق الرب فطالب بطرد الزوجات .

" واعترفوا الآن للرب إله آبائكم واعملوا لمرضاته ، وانفصلوا عن شعوب الأرض وعن النساء الغريبة "(عزرا : ١٠ : ١١) .

هذا وقد تم التخلي عن الزوجات الأجنبية ، يقول عزرا :

"(١) جاءني رؤساء الشعب قائلين : عن شعب إسرائيل والكهنة واللايون ما برحوا منغمسين في رجاسات أمم الأرض ... (٢) لأنهم تزوجوا هم وأبنائهم من بناتهم واختلط النسل المقدس بأمم الأرض (عزرا : ٩) .

فمزق عزرا ثيابه ، وابتهل إلى الرب لرفع هذا الأمر ، وطلب المغفرة من هذه الخطيئة ، وعلى ذلك تعاهد اليهود ، وأعطيت مهلة ثلاثة أيام لإخراج الزوجات الأجنبية ، ومن يمتنع عن ذلك يحرم ماله ، وينبذ من أهل السبي .

والفقرات السابقة توضح التفرقة العنصرية والإنسانية عند اليهود ، وقطع أواصر المصاهرة والقربى مع غيرهم ؛ لأن هذا الغير دون اليهود من الناحية الإنسانية !

٤ - الزواج بين طوائف اليهود محرماً شرعاً :

لم تقتصر تعاليم التوراة على تحريم الزواج من الشعوب الأخرى ، ولكن تشريعات اليهود المختلفة حرمت الزواج بين أهل الطوائف اليهودية أيضاً .

ثالثا : تحريم الزواج بأجنب في المسيحية :

١ - المقصود بالأجنب : يقصد بالأجنب من هم على غير الدين أو الطائفة أو الملة ، ولا يقصد الغرباء عن الوطن ، فقد سئل البابا " شنودة الثالث " : هل يجوز لأرثوذكسي الزواج من أرثوذكسية أجنبية " من أوروبا " ؟ فأجاب : نعم ، المهم تكون من نفس الطائفة .

كما سأل أحدهم البابا شنودة الثالث :

أحب فتاة خمسينية ، وأريد أن اتخذها زوجة ، فماذا أفعل ، علماً بأنني أرثوذكسي متمسك بعقيدتي ؟
فكان الجواب :

الحل الوحيد هو أن تجعلها أرثوذكسية أولاً ، ولا أقصد شكلية الانضمام ، إنما تكون أرثوذكسية عن عقيدة واقتناع^(١) .

كما قال الزواج بغير المؤمن والمؤمنة حرام في المسيحية^(٢) .

٢ - الحكمة من تحريم الزواج بأجنب في المسيحية .

يقول بولس في رسالته لأهل كورنثوس : " لا تكونوا تحت نير غير المؤمنين ، لأنه أي خلطة للبر والإثم ؟ وأية شركة للنور مع الظلمة . (٢ كورنثوس ٦ : ١٤) .

(١) سنوات مع أسئلة الناس : البابا شنودة الثالث ، ص ٦٧ ، ٦٨ ج ٨ .

(٢) المرجع السابق ج ٥ ص ٢٣ .

(٣) موسوعة الحقائق الكتابية : بروسوم ميخائيل ، ص ٦٣٧ ، مكتبة الأخوة ، طبعة ٢٠٠٤ م .

يقول القس برسوم ميخائيل في تفسير الفقرة :

" فلا بد أن يكون هناك تجانس بين الزوجين في الإيمان والمستوى الروحي " الديني
" أولاً... ومن ثم قيل: من تزوج بغير مؤمنة إنه " تزوج بنت إله غريب " (ملاخي ٢ : ١١).

ويستشهد القس بحال سليمان فيقول :

" ولما صار هذا الزواج ، الغير مرضي عنه ، بالأجنبيات ، طوعت الأجنبيات سليمان
عن الرب إلهه وأغضبته عليه ، كما وأفسدت الأسر من حيث تكريسها للرب وأمانتها
في الشهادة له (نحميا ١٣ : ٢٣ - ٢٧) .
وهكذا ضاعت الغاية من الزواج " (١) .

٣- سمو التشريع الإسلامي في الزواج من أهل الكتاب :

وبعد هذا العرض الموجز يتبين لنا أن الإسلام هو الدين الوحيد الذي أباح لرجاله
الزواج من أهل الكتاب ، ولم يخش فتنة نسائهم للمسلمين ، ولكن حكمته البالغة
كانت تهدف إلى تقريب القلوب وأبعاد شبح التعصب الديني الممقوت ، وأمن وأمان
المجتمع ، وإنشاء علاقات اجتماعية وإنسانية جديدة من مصاهرة وقرابة دم ونسب،
فأي الأديان أيها البابا ورجالك ألغي المجتمع المدني وأيهم أحياءه ؟!! .

المبحث الثاني

صلة الأرحام في الأديان السماوية

ينشأ عن الزواج علاقات إنسانية واجتماعية جديدة وقانونية " شرعية " أيضاً منها :
المصاهرة ، والنسب ، وأقارب جدد كالحمو والحماة ، والكنه " زوجة الابن " والجد والجددة ،
والأعمام والعلمات والأخوال والخالات ، وأحياناً أخوة جدد لأب أو لأم أو غير ذلك .
إذن فبالزواج والإنجاب تنشأ علاقات متنوعة وعديدة بين أكثر من أسرة ونتيجة للحرية
الدينية الآن وتفشي المذاهب اللا دينية - العلمانية - أمكن أن يكون في الأسرة الواحدة ، أكثر
من دين ، وفي العائلة أديان متنوعة ، لا بد إذن أن تنشأ بين أفرادها علاقات متباينة ، والواقع
أن هذه العلاقات تختلف باختلاف الدين والثقافة .

أولاً : صلة الأرحام في الإسلام

أمر الله المسلمين ، بصلة الأرحام ، ولو كانت مع ذي رحم من المشركين أو أهل الكتاب
يقول تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ
لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ، وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا
وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾ [لقمان : ١٤ - ١٥] .

يقول الإمام القرطبي في تفسير الآيات .

عن سعد بن أبي وقاص، قال : كنت باراً بأمي فأسلمت فقالت: لتدعن دينك أو لا أكل ولا أشرب حتى أموت فتعير بي ، ويقال: يا قاتل أمه، وبقيت يوماً، فقلت: يا أماه، لو كانت لي مائة نفس، فخرجت نفساً نفساً ما تركت ديني هذا ، فإن شئت فكلي، وإن شئت فلا تأكلي ، فلما رأته ذلك أكلت ^(١) .

فإذا كان الأمر هكذا مع المشركين ، فأهل الكتاب أولى.

الرسول ﷺ يصل رحمه :

من الثابت أنه ﷺ زار عمه أبا طالب وهو على فراش الموت ، ودعاه للإسلام .
عن أسماء بنت أبي بكر الصديق (رضي الله عنهما) قالت : قدمت على أُمِّي وهي مشركة في عهد رسول الله ﷺ فاستفتيت رسول الله ﷺ قلت : قدمت على أُمِّي وهي راغبة أفأصل أُمِّي ؟ قال : « نعم، صلي أُمك » .
ومعلوم أن أبا سفيان زار ابنته السيدة/ رملة وهو لم يسلم بعد، ولم يستنكر ذلك الرسول ﷺ .

الرسول ﷺ يفك أسر زوج ابنته :

جاء في سيرة ابن هشام ، أن أبا العاص بن الربيع زوج بنت الرسول أسر يوم "بدر" فلما صارت قريش إلى بدر صار منهم العاص بن الربيع ، فأصيب في الأسارى يوم بدر، فكان بالمدينة عند رسول الله ﷺ

(١) دراسة بالكمبيوتر **C.D** لشركة ماس .

ورد المسلمين فدية زينب بنت رسول الله ﷺ لأبي العاص ، قال ابن إسحاق ، عن عائشة قالت: بعث أهل مكة في فداء أسراهم بعثت زينب بنت رسول الله ﷺ في فداء أبي العاص بن الربيع بهال، وبعثت فيه بقلادة لها كانت خديجة ، أدخلتها بها على أبي العاص حين بني بها ، قالت: فلما رآها رسول الله ﷺ رق لها رقة شديدة ، وقال لصحابته: « إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها ماها، فافعلوا » فقالوا: نعم يا رسول الله ، فأطلقوه وردوا عليها الذي لها ^(١) .

ثانيا : صلة أرحام غير المؤمنين في اليهودية :

لا احترام في اليهودية للأصهار من غير اليهود ، لأنهم أمميون ، وعندما تزوجوا من غيرهم في السبي - كما سبق الإيضاح - تم التفرقة بين الأزواج والزوجات والأبناء ، هذا ويحتقر اليهود السامريين؛ لأنهم تزوجوا من " الأغيار " غير اليهود .

ثالثاً: صلة أرحام غير المؤمنين في المسيحية :

لا تعترف المسيحية بزواج غير المسيحي أو المسيحي من أصحاب الأديان السماوية أو حتى من الطوائف الأخرى من داخلها ، وبالتالي فلا صلة أرحام إذن الإسلام كدين مودة ورحمة قد خلق في المجتمع الإنساني عنصراً جديداً من عناصر التقارب بين الأديان السماوية نشأ عن طريق الزواج من أهل الكتاب .

(١) السيرة النبوية : لابن هشام ج ٣ ص ٣٠٣ ، ٣٠٤ **G.D** إنتاج مركز التراث للحاسب الآلي .

المبحث الثالث

احترام وتقدير أصحاب الفضل

قد يكون هناك أناس يستحقون الإشادة والتقدير من أصحاب الأديان الأخرى وذلك لمنجزات أخلاقية أو علمية أو غيرها .

أولاً: الإسلام وتقدير أولي الفضل من غير المسلمين :

أوضح الرسول ﷺ أن الأخلاق الرفيعة والعادات القويمة قد تكون في المسلمين وفي غيرهم فقال: « خياركم في الجاهلية ،خياركم في الإسلام إذا فقهوا » فالحديث يوضح أن للفضل أصحابه الذين يمكن ألا يكونوا من غير المسلمين ، ولكنهم لو أسلموا ل زاد فضلهم .

الرسول ﷺ وتقديره لكرم حاتم الطائي :

ناصر عدي بن حاتم الطائي العداء لرسول الله ﷺ حتى انه هرب وترك قبيلته ولجأ إلى غيرهم ، فقد كان مسيحي الديانة ، وله قصة مع الرسول ﷺ .

دخل عدي بن حاتم الطائي على رسول الله ﷺ وفي عنقه صليب من فضة ، وكان الرسول يقرأ ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾ [التوبة : ٣١] .

فقال عدي للرسول :إنهم لم يعبدوهم فقال ﷺ : « بل إنهم حرموا عليهم الحلال وأحلوا لهم الحرام ،فاتبعوهم فذلك عبادتهم إياهم »^(١) .

ورغم هذا العداء ، إلا أن الرسول قد أطلق سراح أخته من الأسر عندما علم بأنها ابنة حاتم الطائي ، وذلك تكريماً لشهرة والدها في الكرم .

(١) تفسير ابن كثير .

عندما أسرت صفية بنت حي بن أخطب زعيم اليهود حررها الرسول ﷺ من الأسر، وتزوجها تكريماً لمنزلتها عند قومها ومنزلة أبيها، فأصبحت أمّاً للمؤمنين، وعندما عايرتها عائشة أنها يهودية، وأن عائشة بنت أبي بكر الصديق واشتكت لرسول الله ﷺ قال لها: « إذا عادت لقولها، فقولي لها: إن أبي موسى وعمي هارون وزوجي محمد وكلهم أنبياء » .

ورسائل الرسول للملوك أهل الكتاب وغيرهم توضح الاحترام لهم، لا العداء أو التكبر والاستعلاء، فيها هو يخاطب هرقل: « ... من محمد بن عبد الله إلى هرقل عظيم الروم ... »، وكذلك رسالته إلى المقوقس عظيم القبط: « بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن عبد الله إلى المقوقس عظيم القبط، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، أسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم القبط ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤] .

وقد حمل الرسالة حاطب بن أبي بلتعة الذي خاطب المقوقس قائلاً له:

"إن لك ديناً - (أي النصرانية) - لن تدعه إلا لما هو خير منه، وهو الإسلام، الكافي به الله فقد ما سواه. وما بشارة موسى بعيسى إلا كبشارة عيسى بمحمد، وما دعاؤنا لك إلى القرآن إلا كدعائك أهل التوراة إلى الإنجيل. ولسنا ننهاك عن دين المسيح ولكننا نأمرك به."

(١) الغرب والإسلام: د. محمد عمارة، ص ١٤١ .

(٢) رفض الرسول ﷺ أن يمثل بجثث الكفار لأنهم قتلوا ابن عمه حمزة وبقروا بطنه، وأخرجوا كبده وحاولت أكلها "هند بنت عتبة" .

ثانياً: اليهود كدين لا تحترم أولى الفضل من غير اليهود .

كما سبق الإيضاح أن اليهود يرون في كل البشر غيرهم ؛ جهلة ، أغبياء ، أممين لأنهم ليسوا من شعب الله المختار ، وعلى ذلك لا تقدير لفاضل من غيرهم لديهم ، حتى أنهم سبوا المسيح - كما سبق الإيضاح .

وبلغت إهانة اليهود لأعدائهم في الحرب أقصى أنواع الذل ، فقد قام يشوع باستدعاء قواده وقال لهم: " تقدموا وضعوا أرجلكم على أعناق هؤلاء الملوك وكانوا خمس ملوك" (يسوع: ١٠ : ٢٤)^(١)

وتحدثنا التوراة أنه عند الحاجة تم الاستعانة بابن زانية قرصان ليحارب ويقود اليهود " (١) وكان يفتاح الجلعاوي جبار ذا بأس ، وهو من امرأة زانية وجلعاد ولد يفتاح (٢) ، فلما كبر بنو المرأة - زوجة أبيه - طردوا يفتاح ، (٣) فهرب يفتاح ، فاجتمع إليه رجال بطالون وكانوا يخرجون معه " (القضاة: ١١) .

المهم اشترط عليهم يفتاح أن يكون رئيسهم وملكهم حتى يساعد قومه في الحرب وقد كان . (انظر: سفر القضاة الأصحاح: ١١) .

واليهودية ترى في كل صاحب علم أو فلسفة أو فضل لا يخضع لأفكارهم ويروج لأهدافهم عدواً لدوداً ، حتى لو كان صادقاً في دعواه ،

فعندما أوضح: الفيلسوف والمفكر العالمي الكبير "روجيه جارودي" مزاعمهم الكاذبة والمبالغ فيها التي تدعي أن أوروبا وألمانيا بصفة خاصة - قتلت الملايين منهم قاموا بمحاكمته ورغم شهرته كمفكر عالمي كبير حكموا عليه بغرامات كبيرة ، يعجز عن دفعها ، ولولا الشيخة فاطمة حرم سمو الشيخ زايد آل نهيان - رحمه الله - قد دفعت هذه الغرامة لبقني في السجن سنوات ^(١) .

وكم قتل اليهود علماء فكر واستنارة وتكنولوجيا وعلوم من غيرهم ، حتى لا يعطوا الفرصة لغيرهم في التقدم العلمي والتقني .

وبشهادة توراتهم والإنجيل والقرآن الكريم هم قتلة الأنبياء من ذويهم والأغيار .

احترام أولي الفضل في المسيحية :

تسير المسيحية على النهج اليهودي في التفرقة بين أولي الفضل والعلم منهم ، وأقرانهم من الغير ، فرجالهم في أعلى مكانة ، ورجال غيرهم يجب قمعهم وحربهم يقول المستشرق الشهير " زويمر " :

" انسوا شيئاً اسمه العاطفة إن التعامل بشرف مع المسلمين أكذوبة أخلاقية ، إن لنا هدفاً نسعى لتحقيقه ، فإذا وقفت الأخلاق في طريقنا نحو الهدف فلنس إلى الأبد هذه الكلمة " ^(٢) . وهذا الأسلوب أدى في النهاية إلى خلق سياسة لا إنسانية مبتكرة حديثاً وهي الكيل بأكثر

(١) روجيه جارودي من أعظم الفلاسفة والمفكرين المعاصرين وهو فرنسي-الجنسية ، ولكنه أعلن إسلامه وسمي نفسه " رجاء جارودي " فعاده الغرب وحوكم باعتباره معادياً للسامية .
(٢) حقائق ووثائق عن الحركات التنصيرية في العالم الإسلامي : ص ١٤٣ .

من مكيال ، فمن يهاجم الإسلام وشرائعه يعتبر عند الغرب من أولى الفضل الذين يجب الدفاع عنهم ، أما من ينصف الإسلام ويدعو إليه فمصيره الاضطهاد والعذاب .

المبحث الرابع

الوفاء بالعهد

أولاً: في الإسلام :

يؤمن القادة ورجال السياسة بالمبدأ الشائع : الحرب خدعة ، ويرون في خيانة العهود ونبد المواثيق، دهاءً ، ومكراً ، ولكن الإسلام لا يرى ذلك يقول جل شأنه :

﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [النحل : ٩١].

هذه الآية فيه أمر من الخالق إلى المسلمين ، بالوفاء بالعهد الذي نسب إلى الله تكريماً وتشريفاً "بعهد الله" وعدم اتخاذ القسم بالله سبيلاً إلى خداع الآخرين من منائين أو أعداء، فاحترام اسم الله واجب لا بد من تبجيله، وعدم استغلاله لتحقيق أي مغام ، والله يعلم صدق النية أو كذب الطوية .

كما يقول ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾ ، والآية وإن كانت تتحدث عن حفظ مال اليتيم لقوله تعالى في بدايتها: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ﴾ [الأنعام : ١٥٢] ، إلا أنها خلق إسلامي قويم شرع لكل ما يكون فيه عهد .

هذا وقد جعل الله عز وجل الوفاء بالعهد من البر ، الذي لا بد له لبلوغ تمام الإيمان الديني من إقامة شعائر دينية وأيضاً مزاوله آداب أخلاقية عالية ،

فقال تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُؤُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾ [البقرة : ١٧٧].

وقد ضرب الرسول ﷺ أروع أنواع الوفاء بالعهد، حيث عاهد قريشاً في شروط صلح الحديبية: أن من جاء على المسلمين من قريش يردونه، ومن جاء قريشاً من المسلمين لا يردونه "وهذا الشرط قاس وظالم للمسلمين فليس فيه المعاملة بالمثل، ومع ذلك فقد جاء أبو رافع موفداً من قريش فوقع الإيمان في قلبه، فقال: يا رسول الله ، لا أرجع إلى قريش، وأبقي معكم مسلماً فقال : ﷺ: « إني لا أنقض العهد، فأرجع إليهم آمناً، فإن وجدت بعد ذلك ما أنت فيه الآن فارجع إلينا ».

ثانيا : اليهود لا عهد لهم ولا ميثاق :

عبادة اليهود لله واتباع وصاياه تعتبر عهداً بين الرب وبينهم ، وجاء في سفر التثنية :
فاعلم أن إلهك هو الله، الإله الأمين، الحافظ العهد والإحسان للذين يحبونه ويحفظون
وصاياه إلى ألف جيل " (التثنية: ٧ : ٩).

الألواح التي كتبت عليها التوراة الحقيقية تسمى العهد : " حين صعدت إلى الجبل لكي
أخذ الوحي ، لوحي العهد الذي قطعه الرب معكم (تثنية ٩ : ٩) .

والصندوق الذي حفظت به ألواح العهد سمي " تابوت العهد ، قال يشوع للكهنة :
احملوا تابوت العهد واعبروا أمام الشعب . (يشوع: ٣ : ٦) . والعهد عند اليهود لا احترام
له إلا إذا كان بين الرب وبينهم

، فقد قال النبي: "أيها الرب إله السماء ، الإله العظيم المخوف ، الحافظ للعهد والرحمة لمحبيه وحافظي وصاياه " (نحميا ١ : ٥) .

والحصول على أرض الموعد "فلسطين" هي عهد بين الرب وإسرائيل ، أي أن اغتصاب أرض الغير عهد:

" وقطعت معه العهد أن تعطيه أرض الكنعانيين والحيثيين والأموريين وتعطيها لنسله ، وقد أنجزت وعدك لأنك صادق " (نحميا ٩ : ٨) .

أما مع الغير فلا يجب معاهدتهم : " لا تقطع معهم ولا مع آلهتهم عهداً (خروج ٢٣ : ٣٢) ، كما جاء : " احترز من أن تقطع عهداً مع سكان الأرض التي أنت آت إليها لئلا يصيروا فخاً في وسطك " (خروج ٢٤ : ١٢) .

كما لا يجب إبرام عهود رحمة أو سلام مع المهزومين : " ودفعهم الرب إلهك أمامك ، وضربتهم ، فإنك تحرمهم ، لا تقطع لهم عهداً ولا تشفق عليهم " (التثنية ٧ : ٣) :
وجاء بسفر القضاة: وأنتم فلا تقطعوا عهداً مع سكان هذه الأرض، اهدموا مذابحهم " (قضاة ٢ : ٢) .

وهذه القضية توضح بجلاء عدم حفظ اليهود لعهودهم .
يحدثنا الأصحاح التاسع من كتاب يشوع أن الجبعونيين ، خافوا من سطوة وانتقام اليهود ، فادعوا أنهم جاءوا من أرض بعيدة لمهادنة اليهود ، وقدموا أدلة كاذبة على ذلك ، وعندما اكتشف أمرهم ، تدمر الشعب على القادة وطالب بقتلهم جميعاً ، ولكن نظراً لسابق معاهدة

يشوع معهم ، فقد رأى الاكتفاء بتسخيرهم : " (٢٧) ... ليحيوا ، ولكن ليكونوا لكل الجماعة عبيداً ، يحتطبون حطباً ويستقون لهم ماءً . وهكذا لم ينكث القادة عهدهم . (يشوع ٩ : ١٠) .

لقد رأى اليهود في استعباد المعاهد إسداء خدمة إنسانية له ، ولو أنهم تخلقوا بخلق الإسلام ، لعاملوه بالإحسان وتجاوزوا عن خطئه وتحايله الذي لم يهدف لأي ضرر باليهود ، ولكنه كان يرمي إلى الحفاظ على الحياة ، فالإحسان في الإسلام فوق العدل وأعلى منه منزلة ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ [النحل : ٩٠] .

ومقابلة الإحسان بالجحود والإنكار والقتل والنهب شريعة يهودية جاءت بالتوراة وصدقها العمل .

يحدثنا الأصحاح (٢٧) من سفر صموئيل الأول : أن داود هرب من الملك شاول الذي حاول قتله مراراً ، ولجأ إلى الفلسطينيين ليعيش بينهم في أمان ، وطلب داود من الملك أجيش أن يهبه قطعة أرض لقيم فيها هو ورجاله ونساؤهم ، فوهبه مدينة صقلع ، (١ صموئيل ٢٧ : ٦-٧) .

ولكن داود قابل الحسنة بالسيئة ، والإحسان بالجحود ، وكرم الضيافة بحد السيف ، والأمن والأمان بالقتل والدمار - حسب زعمهم - : " (٨) وانطلق داود ورجاله يشنون الغارات على الجشوريين والجرزيين والعمالقة الذين استوطنوا من قديم الأرض " (١ صموئيل : ٢٧ : ٨) وكانت سياسته في غاراته :

(١) تحدثنا التوراة أن الملك شاول قتل منهم الكثير ، والله عاقبه على ذلك .

" (٩) فلم يستبق نفساً واحدة ، واستولى على الغنم والحمير والجمال والثياب
(١٠)..... (١١) ولم يكن داود يستبقي منهم رجلاً على قيد الحياة لئلا يأتي إلى جت من يبلغ
أجيش عما فعله داود ، وعندما لا حظ أجيش " المضيف " غارات داود كان يسأله، أين
أغرت ؟ فيقول (١٠) على جنوبي يهوذا وجنوبي الفينيقيين " (١ صموئيل: ٢٧).

لقد اتهمت التوراة نبي الله داود بالخيانة والكذب !!!

ثالثاً: الوفاء بالعهد وتحريم الخيانة في المسيحية :

كما سبق الإيضاح فكتبة الأناجيل حرروه والمسيحية في اضطهاد والمسيحيون في مطاردة
من سجن وتعذيب وقتل وهلاك ، وعلى ذلك لم تكن هناك فرصة حقيقية لإبرام معاهدات
حربية ، ولكن المسيح أوصى بتعاليم أخلاقية سامية- وإن لم يعمل بها المسيحيون ومنها :
(١٢) كل ما تريدون أن يعاملكم الناس به، فعاملوهم أنت به أيضاً (متى) .
ومع ذلك فأباء الكنيسة من رجال دين وباباوات آمنوا بها في التوراة من خيانة للعهد
وإهدار للمواثيق .

ولا يجب أن ننسى أن من خان المسيح وسلمه لليهود للصلب والقتل والإهانة - حسب
اعتقادهم- هو أحد تلاميذه "يهوذا الإسخريوطي" (لوقا: ٢٢ : ٣-٥)
كذلك قد خان التلميذ والرسول بطرس المسيح، وأنكره ثلاث مرات : " (٣١) وقال
الرب (سمعان ، سمعان ! ها أن الشيطان قد طلبكم لكي يغربلكم ، كما يغربل القمح (٣٢)
ولكني تضرعت لأجلك لكي لا يخيب إيمانك ، وأنت بعد أن تسترد ثبت إخوتك " (٢٣)

(١) هذه الفقرة " ٣٢ " توضح أن المسيح ليس بإله ، فإن كان إلهاً فإلى من يتضرع بالدعاء ، وإن كان الدعاء
بصفته إنساناً أو نبياً فكيف لا يقبل الله الدعاء .

فقال له : يا رب، إني مستعد أن أذهب معك إلى السجن وإلى الموت معاً ! " (٣٤) فقال
" إني أقول لك يا بطرس ، إن الديك لا يصيح اليوم حتى تكون قد أنكرت ثلاث مرات أنك
تعرفني " (لوقا : ٢٢) .

لقد خان سمعان الملقب ببطرس المسيح وادعى أنه مستعدا للموت معه، ولكنه لم يفعل،
بل أنكر أنه يعرفه ثلاث مرات في ليلة واحدة " (لوقا : ٢٢ : ٥٥ - ٦٢) .
كما أن الله لم يتقبل دعاء المسيح ، ليثبت إيمان بطرس ولم يستجب له .
فإذا كان هذا حال بطرس الذي أمره المسيح أن يبني الكنيسة ويكون رأس الدعاة للدين،
فكيف يكون حال غيره .

ومن ذلك يتضح لنا سمو الإسلام في احترام العهود والمواثيق حتى ولو كانت مع أهل
الكتاب أو الكفار ، فالأخلاق لا تتجزأ في السلام وصدق تعالى حيث قال عن رسوله ﷺ :
﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾
[الصف : ٩] .

ونقول لمن لا يؤمن بعظمة الإسلام
﴿ قُلْ كَفَى بِاللّٰهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَالَّذِينَ اٰمَنُوا بِالْبَاطِلِ
وَكَفَرُوا بِاللّٰهِ اُولٰٓئِكَ هُمُ الْخٰسِرُونَ ﴾ [العنكبوت : ٥٢] .

المبحث الخامس

الفرح والسرور للانتصار على الوثنيين

أولاً : في الإسلام .

ينظر الإسلام لليهودية والمسيحية - رغم تحريفهما - نظرة احترام مقارنة بالعقائد الوثنية ، فهم على الأقل يؤمنون بوجود الله والكثير من رسل الله السابقين ، وذلك على الرغم من إيمان المسلمين بعدم اعتراف الآخرين بهم كدين سماوي وعدم محبتهم للإسلام وكتابه ورسوله ، وقد أوضح القرآن الكريم ذلك في أكثر من موضع فقال الحكيم الخبير :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشَرُّونَ الصَّالَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ * وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا * مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمِعْ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِالْأَسْتِثِمِ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمِعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (النساء : ٤٤ - ٤٦) .

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَن آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ ﴾ [المائدة : ٥٩]

﴿ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ [التوبة : ٨]

وبرغم تلك الكراهية الشديدة والمقت المستمر والحرب العاتبة إلا أن احترامهم لأنبياء الله وقرب الديانتين من الإسلام وشرائعه جعل المسلمون يرون من أهل الكتاب أخوة يجب محبتهم والسرور لفرحهم ، حتى إنهم فرحوا لنصرهم على الكفار بعد هزيمتهم في السابق .

﴿ أَلَمْ غَلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَذْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِّن بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (الروم ١ : ٤) .

ثانياً : في اليهودية :

يرى اليهود أنه لا دين سماوي حتى الآن إلا دينهم ، ومن ثم فالكل يتساوى في الكفر والإلحاد.

ثالثاً : في المسيحية :

المسيحيون لا يعملون إلا على سيادتهم وازدياد قوتهم ، وكلهم يحاربون الإسلام كدين ، ولا يعترفون في الرسالة المحمدية ويخافون كل الخوف من انتشار الإسلام .

يقول الأب " ميشيل لولنج " : " إن الكنيسة تعتبر المسيح خاتم الرسالة ، لذلك فهي لا تعترف بنبي الإسلام الذي أدانته المسيحيون بصورة سلبية تهجمية وعدوانية والمؤلفات العديدة – بكل أسف تشهد على ذلك " ^(١) .

(١،٢) الفاتيكان والإسلام: د. زينب عبد العزيز، ص ٢٠، القدس للنشر والإعلان الطبعة الثانية سنة ٢٠٠١ م
(٣ ، ٤) حقائق .. ووثائق .. عن الحركات التنصيرية للعالم الإسلامي: د. عبد الودود شلبي ، ص ١٧ ،
الدار السعودية للنشر والتوزيع .

يقول "موريس بوكاي" (١) :

"إن المسيحية لا تأخذ في الاعتبار أي ديانة بعد المسيح ورساله وبذلك فهي تستبعد القرآن".

ويقول مارتن لوثر "مؤسس البروتستانتية ، عن القرآن والرسول ﷺ : "إنه كتاب بغيض وفظيع وملعون وملئ بالأكاذيب والخرافات والفضائح .

وعلى ذلك ينظر الجميع للإسلام كعدو .

يقول جون آدمز : المنصر :

" إن في المسلمين طيبة وبساطة فإذا رغبت في امتلاكهم والسيطرة عليهم فاختار لهم من اللغة أعذب الكلمات، واطهر أمامهم في صورة الضحية المتلهفة إلى الحياة والنجاة" (٢)

يقول القائد الأسباني "سباستيان" :

" لتكن فيكم نعومة الأفعى في التسلل إلى الهدف، فإذا ما حلت الفرصة وبدت تبشير النصر في الأفق ، فاحملوا الصليب، وتقدموا مقتحمين أول مسجد يقابلكم في الطريق !!!" (٣)

ومن ذلك يتبين لنا أن الإسلام لم ينظر لأهل الأديان الأخرى كأعداء يجب إفنائهم ، ولكن كأديان أقرب إلى الإيمان بالله وهم أحق بالنصرة على الوثنيين والفرح لنصرهم ، والأمل في هدايتهم للإسلام قائم :

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة : ١٥ - ١٦] .

الفصل الثاني

الآداب الاجتماعية والأخلاقية بين الإسلام والأديان

من البدهي وجود أكثر من دين في المجتمع الواحد ، خاصة بعد تتابع الهجرات المتبادلة بين الشرق والغرب ، الجنوب والشمال وسائر أرجاء الأرض ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك : ١٥] .

وكتنتيجة لما فرضته الاتفاقات الدولية من حرية التدين .

ومن ثم فلا بد لهذه المجتمعات من التعايش والتعاون للقضاء على أسباب التعصب الديني ، وتحقيق حياة اجتماعية آمنة .

وسنعرض في هذا الفصل أهم الآداب الاجتماعية والأخلاقية التي سنّها الإسلام لمعاملة غير المسلمين من أهل الكتاب خاصة ، ثم سنوضح ما يقابله في عقائد أهل الكتاب ، لنعلم أي الأديان يحافظ على الآداب الاجتماعية والأخلاقية الفاضلة ويدعو إليها ليحقق للمجتمع السلام والأمن والرفاهية والمحبة ، وأي الأديان يدعو لغير ذلك ؟ وفي هذا الفصل سنتكلم عن :

المبحث الأول : حسن العشرة والمخالطة الاجتماعية في الأديان

المبحث الثاني : المعاملة الكريمة في الأديان .

المبحث الثالث : شهادات منصفية الغرب بالتسامح الإسلامي .

مؤمنين بأمره تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل : ٩٠] .

المبحث الأول

حسن العشرة والمخالطة الاجتماعية في الأديان .

للعلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع الواحد - بغض النظر عن العرق أو العقيدة -

أثر كبير في ترسيخ قيم المحبة والرحمة بين عناصره .

أولاً : حسن العشرة والمخالطة في الإسلام:

يقول تعالى أمراً للمسلمين بحسن معاشره غيرهم من أهل الكتاب ومن دونهم :

﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ
وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ * إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ
وَأَخْرَجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ
* (المتحنة: ٨ ، ٩) .

وهاتان الآيتان وغيرهما من الآيات أرسيت مبادئ حسن العشرة والمودة والرحمة بين

المسلمين وغيرهم ما دام المسلمون لا يحاربون من الغير ، وجعل الله هذه الآداب سبباً لحبه

للمؤمنين ، وهذا يعني أن مخالفتها يستوجب غضب الله : ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ
يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ [البقرة : ١٩٠] .

ومن آداب حسن العشرة :

١ - تبادل التحية :

إن تبادل التحية عند اللقاء بين أفراد المجتمع ، لهو أحد السبل القويمة لزرع بذور المحبة الدائمة بين أفرادهم .

وهذا الأدب يكون بين المسلمين وأيضا بينهم وبين غيرهم .

صيغة التحية لأهل الكتاب :

السلام على أهل الكتاب يكون بالقول : السلام على من اتبع الهدى .

وهو سلام يحوي في طياته الدعاء لهم باتباع الدين الإسلامي، وليس منه إهانة لهم أو

انتقاص من شأنهم ، يقول تعالى :

﴿ فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ [الزخرف : ٨٩] .

﴿ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ

عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [الأنعام : ٥٤] .

إلقاء الرسول ﷺ للتحية على أهل الكتاب أسوة بالمسلمين :

عن أسلمة " رضي الله عنه " أن النبي ﷺ مر على مجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين

وعبده الأوثان واليهود فسلم عليهم " (١) .

(١) الحديث متفق عليه .

(٢) الحديث متفق عليه .

(٣) رواه الشيخان والترمذي وأبو داود .

(٤) رواه مسلم : ٣ / ١٣٩٣ .

أمر الرسول برد تحية أهل الكتاب

عن أنس قال : " قال الرسول ﷺ : « إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا : وعليكم » ^(١) .

٢- المشاركة في الأكل والشرب والولائم .

من عوامل إشاعة المحبة ووأد التعصب الديني أو العرقي ، المشاركة في المأكل والمشرب

وتبادل إقامة الولائم ، يقول تعالى :

﴿ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ ﴾ [المائدة

: ٥].

إطعام غير المسلمين من الصدقة :

من الفضائل الدينية والآداب الخلقية في الإسلام التصدق بالطعام على كل جائع بغض

النظر عن دينه ولو كان أسيراً : ﴿ وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا

نُطْعِمُكُمْ لِرِجَالِهِ اللَّهُ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴾ [الإنسان : ٨ - ٩].

الرسول ﷺ يتناول طعام أهل الكتاب :

أولمت يهودية للرسول ﷺ وبعض أصحابه بشاة مسمومة ، فأكل منها الرسول ﷺ جزءاً

يسيراً في عافتها نفسه ، وأكل منها صاحبه ، ومات من أثر السم .

عبد الله بن عمر يوصي بإطعام يهودي من الأضحية :

أوصى عبد الله بن عمرو غلامه أن يعطي جاره اليهودي من الأضحية ، وكرر الوصية

مرة بعد مرة ،

حتى دهش الغلام وسأله عن سر العناية لجار يهودي ؟ فقال : إن النبي ﷺ قال : « ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه »^(١) .

صحابي يغنم طعاماً يوم خير :

روى مسلم عن عبد الله بن معقل : أصبت جرایا من شحم خيبر فأكثر منه " أي انفردت به " فقلت : لا أعطى اليوم أحداً من هذا شيئاً ، قال : فالتفتت ، فإذا رسول الله ﷺ مبتسماً^(٢) .

٣- تبادل الزيارات المنزلية والهدايا .

من عوامل التآلف والتآخي ، وترقيق القلوب وسعة الصدور وتبادل الزيارات المنزلية والهدايا .

اليهود يغشون بيوت الرسول ﷺ

كانت بيوت نساء النبي ملاصقة لمسجد رسول الله ﷺ ومع ذلك فقد كان اليهود يغشونها للقاء أهلها .

عن عائشة رضي الله عنها : دخل يهودي على النبي ﷺ فقال : السام عليك فقال النبي ﷺ « وعليك »^(٣)

والحديث يوضح أن اليهودي كان في بيت الرسول ﷺ .

(١) صحيح ابن خزيمة ج ٣ رقم ٣٨ .
(٢) كتاب الجنائز : البخاري .
(٣) رواه البخاري .
(٤) رواه مسلم في كتاب اللباس .

عن عائشة "رضي الله عنها"، أن يهودية دخلت، فذكرت عذاب القبر فقالت لها: أعاذك الله من عذاب القبر، فسألت عائشة "رضي الله عنها" رسول الله ﷺ عن عذاب القبر، فقال « نعم ، عذاب القبر »^(١) .

كانت يهودية ترقى السيدة عائشة، فلم يعترض أبو بكر وقال لها: ارقئها بكتاب الله الرسول ﷺ يغشي بيوت اليهود :

عن أنس "رضي الله عنه" قال : كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ فمرض فأتاه النبي ﷺ يعود ففقد عند رأسه فقال له: « أسلم » فنظر إلى أبيه وهو عنده، فقال له أبوه : أطع أبا القاسم فأسلم ، فخرج الرسول ﷺ وهو يقول : « الحمد لله الذي أنقذه من النار »^(٢) .
الرسول يتلقى هدايا أهل الكتاب .

عن علي بن أبي طالب : أن أكيدر دومة أهدى على النبي ﷺ ثوب حرير فأعطاه علياً فقال « شقه خيراً بين الفواطم ».

والفواطم هن "فاطمة بنت رسول الله، وفاطمة بنت أسد أم علي، وفاطمة بنت حمزة بن عبد المطلب"^(٣) .

أهدى المقوقس للرسول ﷺ كسوة وبغلة يسرجها ، وجارتين إحداهما أم إبراهيم "مارية" والأخرى - وهي سيرين - وهبها الرسول لحسان بن ثابت فولدت له عبد الرحمن .

الرسول ﷺ يرسل هدايا للكفار :

جاء بسيرة ابن هشام عن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أهدى عام الحديبية في هداياه جملاً لأبي جهل ، وفي رأسه برة من فضة .

٤ - المشاركة في تشييع الجنائز والعزاء :

إن أثر المشاركة الإنسانية في العزاء وعند وقوع المصائب ، والبلايا ، عظيم في تخفيف أثر الكوارث على النفوس ، وتقبلها والصبر عليها .

عن جابر بن عبد الله ، قال : مرت جنازة فقام لها رسول الله ﷺ وقمنا : فقلنا يا رسول الله ! إنها يهودية ، فقال : « إن الموت فزع ، فإذا رأيتم الجنازة فقوموا »^(١) .
وورد الحديث أن أبا اليزيد سمع جابراً يقول : قام النبي ﷺ وأصحابه لجنازة يهودي حتى توارت^(٢) .

مات اليهودي الذي أهان الرسول على المقابر ، فخرج رسول الله ﷺ فحمل سريره " نعشه " على عاتقه الأيمن ثم على عاتقه الأيسر^(٣) .

قيس بن سعد وسهل بن جنيف ، كانا بالقادسية ، فمرت بهما جنازة ، فقاما ، فقيل لهما :
إنهما من أهل الأرض ، فقالا : إن رسول الله ﷺ مرت به جنازة فقام ، فقيل : إنه يهودي ، فقال :
« أليست نفساً »^(٤) .

(١) (٢) رواه مسلم برقم ٩٦٠ .

(٣) (٤) هو اليهودي الذي أهان الرسول ﷺ على المقابر : وكان قد أسلم .

ثانيا : العشرة والمخالطة الاجتماعية في اليهودية:

١ - خوف الله تعالى الله وحاشاه من تعاون البشر :

تتضمن التوراة قصة عجيبة وغريبة ، ويمكن وصفها بأنها من روايات اللا معقول هذه القصة توضح خوف الرب وخشيته من الوحدة الاجتماعية وتعاون بني آدم وذلك لبنائهم برج بابل، ففرقهم الرب وعدد لغاتهم ، جاء بالتوراة :

" وكان أهل الأرض جميعاً يتكلمون أولاً بلسان واحد ولغة واحدة ، وإذا ارتحلوا شرقاً وجدوا سهلاً في أرض شنعار فاستوطنوا هناك ، فقال بعضهم لبعض : " هيا نصنع طوباً مشوياً أحسن شيء الطوب بالحجارة ، والطين بالزفت ، ثم قالوا : " هيا نشيد لأنفسنا مدينة وبرجاً يبلغ رأس السماء، ونصنع لأنفسنا اسماً ونزل الرب لينظر المدينة والبرج، وقال الرب هوذا كشعب واحد ينطقون بلغة واحدة ، قد عملوا هذا منذ أول الأمر ، فلن يمتنع عليهم شيء عزموا أن يعملوه ، هيا ننزل إليهم ونبلبل لسانهم حتى لا يفهم بعضهم كلام بعض وهكذا شتتهم الرب من هناك على سطح الأرض كلها" (سفر التكوين ١١ : ١-٨).
إن هذه القصة توضح كراهية الله - وتعيوذه من ذلك - لتعاون البشر واجتماعهم في أمة واحدة ، وحب لنشر الخلاف والاختلاف بينهم .

٢ - التحذير من مخالطة الأمم :

حذر الله من مخالفة الأمم ، فقال عن أمم أرض الميعاد : " فإنكم تحرمونهم ، لا تقطعوا لهم عهداً ، ولا ترفقوا بهم ، ولا تصاهروهم ، فلا تزوجوا بناتكم من أبنائهم ، ولا أبناءكم من بناتهم " (التثنية ٧ : ٢-٣).

ومرجع هذا التحذير هو الخوف من إغواء اليهود لعبادة إله غير ربهم "رب الجنود" ولذلك جاءت النصيحة والأمر بقطع أي تعامل : "..... اهدموا مذابحهم وحطموا أصنامهم ، وقطعوا سواربهم ، وأحرقوا تماثيلهم " (التثنية ٧ : ٥) .

والوصية لم تقتصر على شعوب أرض الميعاد "فلسطين" ولكن كافة الشعوب .
"وتستأصلون جميع الشعوب الذين يسلمهم الرب إليكم ، فلا تشفقوا عليهم ولا تعبدوا آلهتهم؛ لأن ذلك شرك لهم " (التثنية ٧ : ١٦) .

وكل ذلك لاعتقاد اليهود التوراتي ، أنهم دون سائر البشر شعب مقدس : "لأنكم شعب مقدس للرب إلهكم ، فإياكم قد اختار الرب إلهكم من بين جميع شعوب الأرض ، لتكونوا شعبه الخاص " (التثنية ٧ : ٦) .

جواز المخالطة لأسباب سياسية :

كما سبق الإيضاح ، قد تزوج سليمان من غير اليهود ، وتزوج سليمان ابنة فرعون ملك مصر " (الملوك الأول ٣ : ١) .

كما أرسل داود وفداً للتعزية في وفاة ناحاش ملك عمون . (١ أخبار الأيام : ١٩ : ٢) .
وهناك مثل ضربه المسيح في الإنجيل يوضح عدم المخالطة الاجتماعية بين اليهود واليهود السامريين فجاء في الإنجيل مثل السامري الصالح :

(٣٠) كان إنسان نازلاً من أورشليم إلى أريحا ، فوقع بأيدي اللصوص ، فانتزعوا ثيابه وماله وجرحوه ، ثم مضوا وقد تركوه بين حي وميت (٣١) وحدث أن كاهناً كان نازلاً في تلك الطريق ، فرآه ولكنه جاوزه إلى الجانب الآخر ، (٣٢) وكذلك مر أيضاً واحد من اللاويين ، فلما وصل إلى ذلك المكان ، نظرا إليه وربط جراحه بعدما صب عليها زيتاً وخمراً ،

ثم أركبه على دابته وأوصله إلى الخان " الفندق " واعتنى به " (لوقا ١٠ : ٣٠-٣٤) .

ومن العجب أن هذا المصاب الذي ذكره المسيح يقول عنه "إنساناً" ولم يحدد هويته، هل هو يهودي أم من الأغيار، والأعجب أنه مر عليه رجل دين؛ ثم لاوى ولم يعيراه أي التفات. ومع هذه التعاليم التوراتية، إلا إنه من المشاهد أن اليهود يخاطون الأمم في حدود المصالح التجارية والاقتصادية وهناك تفرقة بين اليهودي وغيره ومن ذلك: (١٩) لا تتقاضوا فوائد عما تقرضونه لإخوتكم من بني إسرائيل .. (٢٠) أما الأجنبي فأقرضوه بربا، وإنما إياكم إقراض أخيكم بفائدة : (التثنية : ٢٣) .

تحریم تزاور اليهود مع غيرهم والتعامل معهم ودخول منازلهم:

بطرس يشهد أنه محرم على اليهود مخالطة غيرهم، فيقول في خطته له مع جنود إيطاليين: (٢٨) ، أنتم تعلمون أنه محرم على اليهودي أن يتعامل مع الأجنبي ، أو يزوره في بيته . (أعمال الرسل : ١٠) .

وهكذا يتضح لنا أن اليهود قوم عنصريون يحترقون غيرهم ولا يتعاملون معهم اجتماعياً أو إنسانياً ، ولذلك نراهم دائماً يتجمعون في أماكن ومناطق مخصصة لهم تسمى "حارة اليهود" .

ثالثاً : العشرة والمخالطة الاجتماعية في المسيحية :

لم يتضمن الإنجيل ما يفيد مخالطة غير المسيحيين ، وقد خالط المسيح بني إسرائيل " قومه " وكان يذهب لحضور حفلات الزفاف ، كعرس ، فأنا الذي حول فيه الماء إلى خمر ،،

والدارس لأخلاق المسيحية ووصايا المسيح والرسل يجد أنها لا تمنع مخالطة الناس بصفة عامة لهدف التبشير بالدين ، ومن ذلك قوله للرسل الاثنى عشر : " (٣) فاذهبوا ! ها إني أرسلكم كحملان بين ذئاب .. (٥) وأي بيت دخلتموه ، فقولوا أولاً سلام لهذا البيت ! (٦) فإن كان في البيت ابن سلام يحل سلامكم عليه وإلا فسلامكم يعود لكم (٧) وانزلوا في هذا البيت تأكلون وتشربون مما عندهم ، لأن العامل يستحق أجرته ، لا تنتقلوا من بيت إلى بيت (٨) وأية مدينة دخلتم وقبلكم أهلها فكلوا مما يقدم لكم (٩) واشفوا المرضى الذين فيها (١٠)

وأية مدينة دخلتم ولم يقبلكم أهلها ، فاخرجوا على شوارعها ، وقولوا (١١) حتى غبار مدينتكم العالق بأقدامنا ننفضه عليكم " (لوقا: ١٠) .

ومن ذلك يتبين أن الأمر بالاختلاف كان يهدف الدعوة للدين ، فإذا لم يقبل الناس والمدن ذلك ثم قطيعتهم ، وأمثلة ذلك كثيرة في الإنجيل .

ويحدثنا سفر أعمال الرسل ، أن فيلبس ، ذهب ، بأمر من ملاك الرب ، ليدعوا رجلاً حبشياً للإعلان بالمسيح – كان خصياً ، ويعمل وزيراً للشؤون المالية عند مكتبة الحبشة ، وقد أفلح فيلبس وعمده وصار مؤمناً بالمسيحية " (أعمال الرسل: ٢٦ – ٤٠) .

كما يحدثنا السفر أيضاً أن بطرس عمد قائد منه اسمه " كرتيليوس " ينتمي إلى الكتيبة الإيطالية (٢) وكان تقياً يخاف الله " (أعمال الرسل: ١٠) ، ومن العجب أن بطرس عند زيارته لهذا القائد قال له وللجموع معه: " (٢٨) ... أنتم تعلمون أنه محرم على اليهودي أن يتعامل مع الأجنبي أو يزوره في بيته غير أن الله أراني ألا أقول عن إنسان ما إنه دنس أو نجس " (أعمال الرسل: ١٠) ^(١) .

ذهب "بولس" و "سيلا" إلى مدينة فيلبي " (١٢) وهي كبرى مقاطعة مقدونيا ومستعمرة للرومان (أعمال الرسل ١٦) . وهناك عمداً امرأة كانت تعمل بائعة أرجوان: (١٥) فلما تعمدت هي وأهل بيتها، دعت " بولس " و "سيلا" ، بإلحاح لقبول ضيافتها قائلة: " إن كنتم قد حكمتكم أني مؤمنة بالرب ، فأنزلوا ضيوفاً ببיתי " : " فاضطرتنا إلى قبول دعوتها " (أعمال الرسل: ١٦) ^(٢) .

بولس ينزل ضيفاً على رجل غير يهودي :

جاء بسفر أعمال الرسل ؛ أن بولس ذهب ليبشر في كورنثوس .. مبشراً اليهود بالمسيح ولكنهم عارضوه ورفضوه : " ... فما كان منه إلا أن نفّض ثوبه ، وقال لهم : دمكم على رؤوسكم ، أنا بريء! ، ومنذ الآن أتوجه لتبشير غير اليهود ، (٧)

(١) ما زال بطرس يعتبر نفسه يهودياً ويؤمن بأحكام التوراة ومنها عدم مخالطة الأغيار ، وإن ما قام به من

تعامل مع الإيطاليين فهو في سبيل الدعوة " للتبشير " .

(٢) هذه الفقرات توضح أنه لولا إيمان المرأة المسيحية لما نزل عندها " بولس " و "سيلا" ضيفان .

(٣) تيطس هذا قد آمن بالمسيحية وبالإنجيل ورسالة من بولس إلى تيطس .

ثم ترك بولس مكان إقامته ، ونزل ضيفاً ببیت رجل غير يهودي يتعبد الله ، اسمه تيطس يوستس ، كان بيته ملاصقاً للمجمع " أعمال الرسل : ١٨)^(٣) .

زار بولس مالطة ، واستضافه حاكم الجزيرة : " (٧) وكانت بالقرب من المكان مزارع لحاكم الجزيرة "بوبليوس" فدعانا وأحسن ضيافتنا ثلاثة أيام (٨) وكان والد "بوبليوس" طريح الفراش مريضاً بالحمى والإسهال الشديد، فزاره بولس وصلى ووضع يديه عليه فشفاه،(٩) فجاء عندئذ مرضى الجزيرة إليه ونالوا الشفاء(١٠) فأعطينا هدايا كثيرة، وزودونا عند رحيلنا بما نحتاج إليه في سفرنا" (أعمال الرسل : ٢٨).

وباستعراض ما سبق فلنا كمسلمين أن نفخر بكتابنا ورسولنا وبأحكام ديننا الإنسانية التي أباحت معاملة غير المسلمين ومخالطتهم ، بالعدل والإحسان والبر ، مع حل الزواج منهم ، وتبادل الزيارات ، وإقامة الولائم والتهنئة عند الفرح ، والعزاء عند الكرب إلخ ، وهو ما لم يدع إليه كتاب سماوي آخر سواء تورا أو إنجيل .

لقد بعث الله رسوله الكريم ﷺ ؛ ليخرج الناس الظلمات على النور ، وليصحح ما أصاب الأديان السابقة وكتبها من انحرافات : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (المائدة : ١٦، ١٥).

المبحث الثاني

المعاملة الكريمة في الأديان

أولاً : المعاملة الإنسانية في الإسلام :

١ - سعة الصدر وتحمل الأذى :

يقول الرسول ﷺ « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » ومن هذه المكارم سعة الصدر

وتحمل الأذى مع العفو عند المقدرة يقول تعالى :

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ

الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران : ١٣٤] والآيات تشمل المسلم وغير المسلم .

أ- صبر الرسول على مناصبة العداة :

عامر بن الطفيل ذهب مع وفد بني عامر ليستظلوا براية الإسلام، فلما كانوا عند النبي ﷺ

امتنع عامر ولم يسلم، وأراد أن يكون للنبي ﷺ نداً، وأراد النبي أن يقنعه كيما يسلم، فأصر

على إباءه، ثم خرج وهو يقول : أما والله لأملأنها عليك خيلاً ورجالاً، قال محمد: « اللهم

اكفني عامر بن الطفيل » فأصابه الطاعون في عنقه، وقضي عليه وهو في بيت امرأة من بني

سلول " ^(١) .

(١) حياة محمد : د . محمد حسين هيكل ح ٢ ص ٣٥٠ مكتبة الأسرة ط ١٩٩٤ .

(٢) القسم المطبوع من سيرة ابن إسحاق، فقرة ٤٥٩، ص ٢٧٢ / ٢٧٣ تحقيق وتعليق : محمد حميد الله، عن

كتاب منهج الرسول في دعوة أهل الكتاب، د. محمد بن سيدي الحبيب الشنيطي: دار القبلية الإسلامية

اقترض رسول الله ﷺ من يهودي كيلا ملوماً إلى أجل معلوم من تمر ، فخرج الرسول ﷺ في جنازة ، فلما وضع الميت وحثوا عليه التراب قام اليهودي ، فقال : يا محمد : ألا تقضييني تمري ؟ فوالله لا أعلمكم يا بني عبد المطلب ألا تطلون الناس بحقوقهم ، فقال عمر : والله لولا مجلسه لوجأت أنفك ، فقال الرسول ﷺ : « يا عمر أنت إلى غير هذا أحوج ، أن تأمره فيحسن طلبه ، وتأمرني فأحسن قضاءه ، انطلق معه إلى حائط كذا " حديقة " أو كذا فلقفوه ماله ، ويحل له كذا وكذا صاعا بشتك إياه»^(١) .

" أوفد النبي ﷺ على بن أبي طالب ليهدم صنم قبيلة طيء ، وكان من بين الغنائم ابنة حاتم الطائي فمر بها النبي ﷺ فقامت إليه وقالت : يا رسول الله هلك الولد وغاب الرافد "الولي" فامن علي من الله عليك " وأعرض عنها الرسول حين علم أن رافدها هو عدي بن حاتم الفار من الله ورسوله لكنها راجعته ، وذكر هو ما كان لأبيها من كرم في الجاهلية أعلى به ذكر العرب ، فأمر بتسريحها وكساها كسوة حسنة وأعطاه نفقتها وحملها مع أول ركب قاصد الشام ، فلما لقيت أخاها وذكرت له ما أكرمها به محمد عاد إليه ، وألقى بنفسه إلى صفوف المسلمين^(٢) .

أمر الرسول الله مع كبير المنافقين عن عبد الله ابن سلول :

كان عبد الله ابن سلول يستعد لينصب ملكاً على المدينة "يثرب" قبل هجرة الرسول ﷺ لها مباشرة، وعند وصول الرسول ﷺ والتفاف الناس حوله ﷺ ضاع منصب الملك، فضم هذا الرجل العدا والكرهية للرسول وللمسلمين،

(١) حياه محمد : ج ٢ ص ٣٥٣ .

(٢) تفسير القرطبي .

وأمام قوتهم اضطر أن يعلن إسلامه نفاقاً، فكان يحاول الوقعة بين المسلمين، وكان ممن شاركوا في الإساءة لزوج السيدة عائشة في حديث الإفك ، وجاهر بعداء الرسول ونادى بإخراجه من المدينة ، يقول تعالى عنه :

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّاْ رُؤُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴾ * سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ * هُمْ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ * يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [المنافقون: ٥ -

[٨

يقول القرطبي في تفسير الآيات :

"انه كان لعبد الله ابن سلول موقف في كل سبب يحض على طاعة الله وطاعة الرسول، ف قيل له: وما ينفعك ذلك ورسول الله ﷺ غضبان، فآتته يستغفر لك، فأبى وقال: لا أذهب إليه! وسبب نزول هذه الآيات - بإيجاز- أن مشاجرة بين أجير لعمر مع حليف لعبد الله ابن سلول، يقال له: سنناً، على ماء يستقي منها، فصرخ أجير عمر مستغيثاً بالمهاجرين، والآخر صرخ مستغيثاً بالأنصار، فبلغ الخبر عبد الله بن سلول فقال: أوقدوها ناراً!! والله ما مثلنا ومثلهم إلا كما قال الأول: سمن كلبك يأكلك، أما والله لو رجعنا إلى المدينة ليخرجن منها الأعز - يقصد نفسه - الأذل - يقصد الرسول ﷺ، ثم قال لقومه الأنصار: كفوا طعامكم عن هذا الرجل، ولا تنفقوا على من عنده، حتى ينفضوا ويتركوه، فقال زيد بن أرقم - وهو من رهطه: أنت والله الذليل المنتقص في قومك وأخبر زيد النبي بما حدث،

فأقسم عبد الله أنه لم يقله " (١) .

هذا وقد أشار عمر بقتله ، فرفض الرسول ذلك ، وقام لينهض بذلك ابنه عبد الله له لقتله، ولكن الرسول منعه ، ومع ذلك كفنه الرسول ﷺ بقميصه ﷻ ، ووقف على قبره، إغزازاً وتكريماً لابنه ، وعفواً وتسامحاً وبراً .

سعة صدر الرسول مع كعب بن زهير :

هجا كعب الرسول ﷺ ودينه والمسلمين وتمادى فعرض لنساء الرسول في شعره، وحاول النيل من كرامتهن ، فأهدر الرسول ﷺ دمه وبعد فتح مكة يؤس كعب من التخفي والتستر ولم يجد إلا أخاه يحميه من الرسول ﷺ وعقابه ، ولكن أخاه نصحه قائلاً : فإن كانت لك في نفسك حاجة فطر إلى رسول الله ﷺ ، فإنه لا يقتل أحداً جاءه تائباً .

فأتى كعب المسجد ووضع يده في يد الرسول ﷺ ، وكان الرسول لا يعرفه فقال : يا رسول الله ، إن كعب بن زهير قد جاءك ليستأمنك تائباً مسلماً ، فهل أنت قابل منه إن أنا جئت بك به ؟ قال الرسول ﷺ : « نعم » قال : أنا يا رسول الله ، ثم أنشد كعب لاميته المشهورة ومنها :

نبئت أن رسول الله أوعـدني
والعفو عند رسول الله مأمول
مهلاً هداك الذي أعطاك نافلة
القرآن فيها مواعـيظ وتفصيل
إن الرسول لنور يستضاء به

مهند من عند الله مسلول^(١)

هذا وقد غفر الرسول له ، وعفا عنه وأهداه برده

سعة صدر الرسول ﷺ مع أهل الطائف .

ذهب الرسول ليدعو أهل الطائف لدينه فأهانوه وطردوه وأدموه ، ومع ذلك فقد اشتكى

لربه ولم يدع عليهم فقال :

« اللهم إليك أشكو ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهواني على الناس ، يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين ، وأنت ربي ، إلى من تكلني ؟ إلى بعيد يتجهمني ؟ أم إلى عدو ملكته أمري ؟ إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي ، ولكن عافيتك هي أوسع لي ، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، من أن تنزل بي غضبك ، أو يحل علي سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بالله »^(٢) .

هذا وقد رفض الرسول أن يعاقبهم الله بأن يطبق عليهم جبلين ، وقال النبي لملك الجبال

« بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا »^(٣) .

(١) ابن هشام : السيرة النبوية: القسم الثاني ص ٥١١ ، ٥١٢ .

(٢) ابن هشام : السيرة النبوية: القسم الأول ص ٤١٩ ، ٤٢٠ .

(١) رواه مسلم من حديث ابن وهب له .

(٢) تاريخ الخلفاء: ص ٦٢ . ومعنى "أفيسستان" أي إعلان عادات فارس والروم سنة وعادة يجب اتباعها على فحشها .

(٣) رجال ونساء أنزل فيهم قرآنا: د. عبد الرحمن عميرة ١٠ / ١٩ مكتبة الأسرة ٢٠٠١ م .

ب- سعة صدر بعض الصحابة :

أبو بكر الصديق " رضي الله عنه " .

بعث إليه برأس بنان بطريق الشام ، ولكنه أنكر ذلك ، فقال له عقبة بن عامر : يا خليفة رسول الله ، فإنهم يصنعون ذلك بنا ، قال : أفيستنان بفارس والروم ؟ لا يحمل إلى رأس ، إنما يكفي الكتاب والخبر " (١) .

علي بن أبي طالب " رضي الله عنه " :

بارز أحد الكفار فأوقعه عن فرسه ، وعندما هم بقتله ، بصق عليه الرجل فتركه علي ولم يقتله ، ولما سئل عن ذلك ، قال : كنت نويت قتله في سبيل الله ودفاعاً عن دينه ، فلما بصق علي خفت أن أقتله انتقاماً لي منه ، فأكون قد قتلت لنفسي لا لله " (٢) .

ووجد علي درعاً له عند نصراني ، فأقبل به إلى شريح ليقاضيه ، فقال النصراني : ما هي إلا درعي ، فقال القاضي لعلي : ألك بيته ؟ قال : لا ، فحكم القاضي للرجل بالدرع ، فأخذ النصراني الدرع يسيراً ، ثم عاد وقال : أشهد أن هذه أحكام الأنبياء ، أمير المؤمنين قدمني إلى قاضيه وقاضيه يقضي عليه ، ثم أسلم ، واعترف أن الدرع سقطت من علي عند مسيره إلى صفين ، ففرح علي بإسلامه ، ووهب له الدرع وفرساً (٣) .

إنها عدالة مطلقة قامت على سعة صدر الحاكم والقاضي فأنتهى فضلها إلى المقضي له .

(٤) المرجع السابق : ١٠ / ١٠٢ عن ابن الجوزي .

ثانياً : سعة الصدر وتحمل الأذى في اليهودية :

الدارس للتوراة يجد أن اليهود - عند المقدرة - لا يتسع صدورهم لتحمل أي أذى من غيرهم ، فكيف يتحمل شعب الله المختار والمصطفى من الإله ، أذى أمي جاهل هو أقرب للحيوان ، وأمثلة ذلك كثيرة :

١ - قصة سخرية الصبية من النبي الإشع :

جاء بالتوراة ، "(٢٣) بينما هو " الإشع " سائر في طريقه خرج بعض الصبيان الصغار من المدينة وشرعوا يسخرون منه قائلين : " اصعد في العاصفة يا أقرع (٢٤) فالتفت ووراء وتفرس فيهم ثم دعا عليهم باسم الرب ، فخرجت دابتان من الغابة والتهمتا منهم اثنين وأربعين فتى " (٢ ملوك ٢ : ٢٣ - ٢٤)^(١) .

إنها قصة خيالية ، دابتان اثنتان تأكلان اثنين وأربعين صبياً !!

٢ - تدمير اليهود من موسى :

من الله على اليهود وأخرجهم من مصر ، من عبودية فرعون إلى عبودية الله ، ومع ذلك لم يستطيعوا تحمل بعض الأذى في سبيل الدعوة لله وتنفيذ أوامره ، ففي صحراء سيناء قالوا لموسى : " ليت الرب أماتنا في أرض مصر ، فهناك كنا نجلس حول قدور اللحم نأكل خبزاً حتى نشبع ، وها أنتما " موسى وهارون " أخرجتمونا إلى هذه الصحراء لتميت كل هذه الجماعة جوعاً " (الخروج : ١٦ : ٣) .

(٢) نقول للبابا بندكت : أدميت قدما الرسول ﷺ وأهانة الصبية في الطائف والقوة بالحجارة ، وأهانوه بالقول سباً وسخرية ، ومع ذلك لم يدع عليهم بل دعا لهم ولذويهم : اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون " !! فأَي النبيين أتى بالشر وأَيها نبي الخير والرحمة ؟ !! .

اليهود لم يصبروا على عبادة إلههم وصنعوا عجلاً لعبادته من دون الله .

إن من العجائب والغرائب التي يشيب لها الوالدان، ولا يرضى عنها ذو عقل سليم أو فكر قويم، إن اليهود لم يصبروا حتى عودة موسى للقاء ربه (مدة أربعين يوماً)، فتذمروا وصنعوا عجلاً للعبادة : " ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ في النزول من الجبل ، اجتمع الشعب على هارون وقالوا له : " قم اصنع لنا آلهة تسر أمامنا ، لأن هذا موسى وهو الرجل الذي أصعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه (٢) فقال لهم هارون : " انزعوا أقراط الذهب التي في آذان نسائكم وبناتكم وبناتكم واثوني بها " (الخروج ٣٢) ، وفي النهاية تم عمل عجل من هذا الذهب ليعبده بنو إسرائيل ، وعندما رجع موسى أسف لما فعله قومه فكسر العجل وطحنه وذرعه مع

الرياح ، وألقى ألواح التوراة فكسرها (١٩) فحلمي غضب موسى ، وطرح اللوحين من يده وكسرها في أسفل الجبل " (الخروج: ٣٢) .

إذن ليس من طبيعة اليهود سعة الصدور وتحمل الأذى إذا استطاعوا الانتقام.

ثالثاً : سعة الصدور وتحمل الأذى في المسيحية :

لا شك أن الأناجيل ورسائل الرسل تتضمن من التعاليم الأخلاقية الراقية ما يكفل للعالم حياة البر والنقاء ، ولكنها تعاليم خيالية لا تناسب واقع الإنسان وطبيعته فهي تقول كما سبق الإيضاح - إذا ضربك أحد على الخد الأيسر فأدر له الأيمن ، وإذا سخرك أحد خطوة فامش معه ميلاً ، وكأنها تدعو المسيحيين للذلة والهوان ، وقد تكلم المسيح عن ضرورة سعة الصدر ،

فقال ناصحاً التجاوز عن خطأ الأخ: " (٣) خذوا الحذر لأنفسكم ، إن أخطأك أخوك ، فعاتبه ، فإذا تاب فاغفر (٤) " .

إلا أن هناك قصصاً في الإنجيل لا توضح سعة الصدر وتحمل أذى الآخرين .

أ- بولس وبرنابا يتشاجران :

اقترح بولس الرسول على برنابا أن يرجعا للخدمة التي بشرا فيها ليريا حال الناس فيها ، فوافقه برنابا ، واقترح أن يأخذا معها يوحنا الملقب مرقص ، فرفض بولس " (٣٩) ف وقعت بينهما مشاجرة حتى انفصل أحدهما عن الآخر " (أعمال الرسل : ١٥) .

ونحن نتساءل أين سعة الصدر وأين خلق كبار الرسل والدعاة لدين المسيح .

هذا وقد حدث خلاف بطرس الرسول الذي أمره المسيح ببناء كنيسته وحفظها وبين بولس الرسول ، يقول بولس : (١١) ولكن لما جاء بطرس إلى مدينة أنطاكية ، قاومته وجهاً لوجه لأنه كان يستحق أن يلام (١٢) إذا قبل أن يأتي بعضهم من عند يعقوب ، كان بطرس يأكل مع الإخوة الذين من الأمم ، ولكن لما أتى أولئك ، انسحب وعزل نفسه ، خوفاً من أهل الختان واليهود " (١٣) وجاراه في ريائه باقي الأخوة الذين من اليهود ، حتى إن برنابا أيضاً انساق إلى ريائهم " (غلاطية : ٢) .

انظر !! كيف كان الخلاف في وجهات النظر يجعل بولس الرسول بسبب بطرس الرسول المؤتمن بأمر المسيح على نشر الدين وبناء الكنيسة ، كما يسب معه برنابا ، حتى أنه يصفهم بالرياء إذا كان هؤلاء مرءين فمن يكون صادقاً !!

لقد وصف الرسول بولس الرسول أهل غلاطية فقال: "(١) يا أهل غلاطية الأغبياء".
(غلاطية: ٣)

إن من حق الرسل الدعوة للدين ، والمناقشة معا في أمور الدين ، ولكن بالحسنى وبالتي هي أحسن أي بالكلمة الطيبة ، والأسلوب الحكيم وليس بالقول الفاحش . فإن لم يكونوا هم أصحاب الصدور الرءوفة الحانية ، فكيف يكون الأتباع من البشر!!
ب- بطرس وضيق صدره :

يوضح لنا الإنجيل أن المؤمنين كانوا يتشاركون في ممتلكاتهم وأموالهم ، فكان الواحد منهم يبيع أملاكه ويأتي بالثمن للرسول للمساعدة في المعيشة والنفقة ومن هؤلاء رجل يسمى " حتانيا " وله امرأة تسمى : " سفيرة " .

فحتانيا : " باع ملكاً واختلس من الثمن وامراته لها خبر بذلك ، وأتى بجزء ووضع عند أرجل الرسل ، فعاتبه بطرس على ذلك ، وقال له : أنت لم تكذب على الناس بل على الله (٥) فلما سمع حتانيا هذا الكلام وقع ومات ، فلما جاءت زوجته سفيرة ، سألتها بطرس عن ثمن بيع الحقل الباقي ، فأنكرت البيع بزيادة ، فأوضح لها بطرس كذبها ، وأخبرها بموت زوجها (١٠) فوقع في الحال عند رجله ومات " (أعمال الرسل : ٥) .

فالقصة فيها تناقض عجيب وغريب ، لا يتناسب مع سماحة الإسلام وأخلاق الإنجيل ، لقد تبرع الرجل وزوجته بجزء من الأملاك فهل يستحقان الموت رعباً ، أين رحمة الله ، التي صلب المسيح - حسب زعمهم - ليحققها للبشرية كلها ، لقد سبق أن دعا المسيح شاباً غنياً ليعقبه ولكنه رفض ومع ذلك لم يمت ، رغم أنه رفض دعوة الرب المسيح - حسب ظنهم -

ولكن المسيح اكتفى بأن قال حكمة: " (٢٣) الحق أقول لكم، إنه من الصعب على الغني أن يدخل ملكوت الله " (متى: ١٩) .

ج- المسيح وظلمه لشجرة التين :

ذهب المسيح إلى شجرة تين على الطريق ليأكل من ثمارها ، فوجدها غير مثمرة فدعا عليها: " فقال لها: لا يكن منك ثمر بعد إلى الأبد " فייست التينة في الحال (متى ٢١ : ١٩) .
وقد أوضح مرقس سبب عدم الإثمار فقال : " لم يجد إلا الورق؛ لأنه ليس أوان التين " (مرقس ١١ : ١٣) .

ما الذنب الذي جنته شجرة لم تثمر في غير أوان الإثمار !!! ولو كان المسيح هو الرب فعلاً فكان بإمكانه إثمارها في الحال ، وبالطبع ليس من قدرتها عدم إطاعة الرب !!! إن هذه القصة عشرة من عشرات كتبة الأنجيل ، وتناقض مع ما يعرف عن رحمة المسيح كنيي وسعة صدره ضيق صدر المسيح بأمه وإخوته :

بالرغم من وصايا الإنجيل المتعددة بالأم وحسن رعايتها إلا أن كتبة الإنجيل لم ينصفوا المسيح مع أمه ، فجعلوه دائماً ضيق الصدر بها ، ولم يوص بالخير إلا وهو يصلب - حسب زعمهم ، فقد قابل المسيح أمه في عرس في قانا ، وكان القوم يحتسون الخمر حتى نفذت فقالت أم المسيح له: " (٣٠) لم يبق عندهم خمر ! (٤) فأجابها : " ما شأنك بي يا امرأة ؟ ساعتى لم تأت بعد ! " (يوحنا : ١) .

إن تعبير: ما شأنك يا امرأة يتم عن عدم احترام لأمه واستهانته بشخصها، وهي إهانة بالنسبة لمعاملة ابن لأمه ، فلو أن- أم الإله - حسب ظنهم - أخطأت في التعبير أو السؤال، لكان من البر مناداتها بأسلوب أفضل ، وقد تكرر ذلك ،

فقد جاءت أمه وأخوته للقاءه فرفض وقال :"(٣١) وجاء إخوته وأمه ، فوقفوا خارج البيت وأرسلوا إليه يدعونه (٣٢)، وكان قد جلس حوله جمع كبير ، فقالوا له : " ها إن . أمك وأخوتك في الخارج يطلبونك ! (٣٣) فأجابهم : من أمي وأخوتي؟ (٣٤) ثم أدار نظرة في الجالسين حوله وقال: هؤلاء هم أمي وأخوتي، (٣٥) لأن من يعمل بإرادة الله هو أخي وأختي وأمي!" (مرقص: ٣). إنه أمر عجيب ! هل كانت أم المسيح غير مؤمنة به ولا تعمل إرادة الله ، ولو كان هذا حقاً ، أو ليس من واجب المسيح أن يكون واسع الصدر، ويستقبلها بحب ويدعوها للإيمان به .

ومما سبق يتضح أن سعة الصدر وتحمل أذى الغير ، هو صفة إسلامية لم تتوفر بنفس القدر في الأديان الأخرى : ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾ [الروم : ٦٠] ، ولازلنا نتساءل : هل أتى محمد بجديد ؟ نعم لقد أتى بكل خلق قويم : ﴿ وَمَنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأعراف : ١٨١] .

المبحث الثالث

شهادات منصفى الغرب بالتسامح الإسلامي

إن الإيمان الحقيقي بالدين وأحكامه ، يجعل المؤمنين به يتبعون هذه الأحكام عملياً في حياتهم، فكم من دين أو عقيدة تدعو إلى مستويات خيالية من الأخلاق التي لا تتناسب مع فطرة الإنسان وطبيعته ، كقول المسيح في الإنجيل : (٢٧) أحبوا أعدائكم ، أحسنوا لمبغضيكم (٢٨) باركوا لاعينكم ، صلوا لأجل الذين يسيئون إليكم (٢٩) من ضربك على خدك الأيمن فأدر له الأيسر ، ومن انتزع رداءك ، فلا تمنع عنه ثوبك أيضاً (لوقا: ٦) .

ولذلك فقد أصبحت تلك التعاليم أحلاماً وردية في ثنايا كتاب سماوي (حسب اعتقاد المسيحيين).

ولكنها في التطبيق العملي كانت بمثابة كابوس عانت وتعاني وستظل تعاني منه الإنسانية . وبالرغم من التسامح الديني وحرية العقيدة وإطلاق حق العبادة الذي جاء به الإسلام في القرآن والسنة ، والذي تم تطبيقه عملياً في حياة الرسول وصحابته والمسلمين في الماضي والحاضر والمستقبل، إلا أن الكثير من أعداء الإسلام ينكرون هذه الحقائق ،

ومن هؤلاء البابا بندكت السادس عشر^(١) الذي يقول :

" من يرد إذن أن يوصل أحداً إلى الاعتقاد ينبغي أن تكون لديه ملكة الكلام الطيب والتفكير السليم وليس التهديد والعنف ، ومن أجل هداية الروح السليمة لا نحتاج لليد أو لأدوات الضرب أو لأية أدوات تستخدم للتهديد بالموت ^(٢) .

يقول القس " آرنست رينان **Ernest Renan** :

"إن شريعتهم الملعونة التي أعطاها لهم محمد تأمرهم بإيذاء الآخرين الذين لا يدينون بإيمانهم"^(٣).

يقول الفيلسوف الأمريكي " هنري جيست " :

" المسلمون لا يفهمون الأديان ولا يقدرونها قدرها ، إنهم لصوص وقتلة ومتأخرون ، وإن التبشير سيعمل على تمدينهم " ^(٤).

وتقول الكاتبة " جوديف ميلر " في كتابها الغرب والإسلام " :

" الإسلام ذاته ضد الحرية والديمقراطية ، وضد حقوق الإنسان " ^(٥).

(١) هذه الفقرة ضمن كلماته التي ادعى فيها قيام الإسلام معتمداً على السيف .

(٢) ترجمة الأزهر الشريف لمحاضرة البابا في جامعة ريغنسبرج، وهذه الفقرات فيها إنكار للتسامح الإسلامي .

(٣) محاصرة وإبادة ، ص ٢٥ .

(٤) الرد الجميل على المشككين في الإسلام ... ص ٤٤ . عبد المجيد صبح - دار المنارة .

(١) الإسلام والغرب ص ٢٦٢ رجب البنا .

(٢) الغرب والإسلام د. محمد عمارة .

(٣) المرجع السابق : ص ١٤٢ . (٤) الغرب والإسلام : ص ١٤٠ .

ونحن لا يسعنا سوى الرد على هؤلاء من واقع آراء المنصفين العدول للإسلام من دينهم وأقوامهم من المستشرقين الغربيين .

يقول العالم الانجليزي " سير توماس أرنولد (١٨٦٤م - ١٩٣٠ م) :

"إنه من الحق أن نقول : إن غير المسلمين نعموا - بوجه الأجيال - في ظل الحكم الإسلامي بدرجة من التسامح لا نجد معادلا لها في أوروبا قبل الأزمنة الحديثة " .

ويقول المستشرق الانجليزي " مونتهجري وات " :

" إن الإسلام كان يمهد لانتقال مرن ناعم من الصور الراقية لأديان موجود بالفعل لدين جديد "الإسلام" (١) .

ويقول " ميخائيل السرياني : " لم يسمح الإمبراطور الروماني لكنيستنا المونوفيزيتية بالظهور ، ولم يصغ إلى شكاوي الأساقفة فيما يتعلق بالكنايس التي نهبت ، ولهذا فقد انتقم الرب منه . لقد نهب الرومان الأشرار كنائسنا وأديرتنا بقسوة بالغة ، واتهمونا دون شفقة ، ولهذا جاء من الجنوب أبناء إسماعيل لينقذونا من أيدي الرومان ، وتركنا العرب نمارس عقائدنا بحرية وعشنا في سلام " (٢) .

فكان الفتح الإسلامي تحريرا وإنقاذا للنصرانية الشرقية من إبادة النصرانية الغربية والاستعمار الروماني - البيزنطي .. حتى ليتمكن القول ، دون مبالغة ، إن بقاء النصرانية الشرقية ووجودها إنما هو هبة الإسلام .. والفتوحات الإسلامية

ولقد تركت الدولة الإسلامية الناس في البلاد التي تحررت بالفتوحات الإسلامية وما يدينون انطلاقاً من أن الإسلام مكمل للشرائع السابقة ، ومتمم لمكارم الأخلاق التي جاءت فيها .. فهو يحل كتبها ، ويقول عن التوراة : ﴿ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ﴾ (المائدة : ٤٤) ، وعن الإنجيل : ﴿ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ ﴾ (المائدة : ٤٦)^(١) .

شهد البطريق " عيشويابه " الذي تولى منصبه ٦٤٧ - ٦٥٧ هـ / ١٢٤٩ - ١٢٥٨ م بأن العرب الذين مكنهم الرب من السيطرة على العالم يعاملوننا كما تعرفون ، إنهم ليسوا أعداء النصرانية ، بل يمتدحون ملتنا ويوقرون قديسينا وقسيسينا ، ويمدون يد المعونة إلى كنائسنا وديننا^(٢) .

- وذكر القس " ميشون " في كتاب " سياحة دينية في الشرق " : إنه من المحزن أن يتلقى المسيحيون عن الإسلام روح التسامح وحسن المعاملة ، وهما أقدم قواعد الرحمة والإحسان عند الشعوب والأمم^(٣) .

- وقال " ميشون " : في تاريخ الحروب الصليبية لما استولى عمر على مدينة أورشليم لم يفعل بالمسيحيين ضرراً مطلقاً ، ولكن لما استولى المسيحيون قتلوا المسلمين ولم يشفقوا ،

(١) سماحة الإسلام : د أحمد محمد الحوفي ص ٨٢ - مكتبة الأسرة ١٩٩٧ .

(٢) المرجع السابق نفسه نقلاً عن كتاب : محمد رسول الله . (٣) سماحة الإسلام ص ٨٢ ، ٨٣ نقلاً

عن الكونت هنري دي كاسترو : ص ٤٨ . (٤) المرجع السابق ص ٨٣ نقلاً عن توماس أرنولد إلى

الإسلام ص ٥١ . (٥) قصة الحضارة : وول ديورانت ج ٢٦ ص ١٣١ .

وأحرقوا اليهود إحراقاً " قال الحبر ميشون : " مما يؤسف له أن المسلمين هم الذين كانوا يبدؤون المسيحيين بالمسألة وحسن المعاملة ، مع أن المسألة هي منبع الخير بين الأمم بعضها البعض " ^(١).

وقال السير توماس أرنولد : " لقد عامل المسلمون الظافرون العرب المسيحيين بتسامح عظيم منذ القرن الأول للهجرة ، واستمر هذا التسامح في القرون المتعاقبة ، ونستطيع أن نحكم بحق أن القبائل المسيحية التي اعتنقت الإسلام قد اعتنقته عن اختيار وإرادة حرة ، وأن العرب المسيحيين الذين يعيشون في وقتنا هذا بين جماعات المسلمين لشاهد على هذا التسامح " ^(٢).

يقول ول ديورانت في موسوعته " قصة الحضارة " :

وعاشت الأقليات اليهودية آمنة في القسطنطينية وسالونيك وآسيا الصغرى وسوريا وفلسطين والجزيرة العربية ومصر وشمال إفريقيا وإسبانيا تحت حكم العرب ، وتسامح معهم البربر مكرهين ، على أن سيمون ديوران ترأس مستوطنة مزدهرة في الجزائر ، وعاشت الجالية اليهودية في الإسكندرية ، حياة طيبة ، وشربوا الخمر بكثرة ، وتربعوا على البسط ، كما فعل المسلمون وخلعوا نعالهم عند دخول المعبد أو زيارة أحد الأصدقاء ، ورخص الباشا " الوالي " العثماني في فلسطين لليهود أن يبنوا معبداً على جبل صهيون وضم بعض اليهود الغربيين إلى فلسطين ^(٣).

هذا وقد أصدر السلطان محمد بن عبد الله سلطان الغرب فرمانا للتسامح الديني

في ٥/٢/١٨٦٤ :

"نأمر من يقف على كتابنا هذا من سائر خدامنا وعمالنا والقائمين بوظائف أعمالنا أن يعاملوا اليهود بسائر إيالتنا بما أوجبه الله تعالى من نصب ميزان الحق والتسوية بينهم وبين غيرهم في الأحكام، حتى لا يلحق أحدهم مثقال ذرة من الظلم ولا يضام، ولا ينالهم مكروه، ولا اهتضام، وألا يعتدوا هم ولا غيرهم على أحد منهم لا في أنفسهم ولا في أموالهم وألا يستعملوا أهل الحرف منهم إلا عن طيب أنفسهم وعلى شرط توفيتهم " التزامهم " بما يستحقونه على عملهم ، لأن الظلم ظلمات يوم القيامة ، ونحن لا نوافق عليه ، لا في حقهم ولا في حق غيرهم ، ولا نرضاه ، لأن الناس كلهم عندنا في الحق سواء ، ومن ظلم أحداً منهم أو تعدى عليه ، فإننا نعاقبه بحول الله ، وهذا الأمر الذي قررناه وأوضحناه وبيناه ، كان مقررأ ، أو معروفاً ومحزراً ، لكن زدنا هذا المسطور تقريراً وتأكيذاً ووعيداً في حق من يريد ظلمهم وتشديداً ليزيد اليهود أمناً إلى أمنهم ، وعلى من يريدوا التعدي عليهم نرذهم خوفاً إلى خوفهم .

وفي مجال التسامح الديني كان سليمان القانوني أكرم من أنداده المسيحيين :

فالمسلمون آمنوا أن الانسجام الديني أمر ضروري لقوة الوطنية ، فرخص للمسيحيين واليهود في ممارسة ديانتهم في حرية تامة ، وقال الكاردينال بول : إن الأتراك لا يلزمون الآخرين باعتناق عقيدتهم ، ولهذا الذي لا يهاجم ديانتهم أن يفصح عن أية عقيدة يعتنقها وهو آمن .

في حين كانت أسكتلندا وإنجلترا وألمانيا اللوثرية تعتبر الكتلثة جريمة ، كما أن إيطاليا وأسبانيا تعتبر أن البروتستانتية جريمة ، لقد جعل من إمبراطوريته مأوى آمنًا لليهود والفارين من محاكم التفتيش في أسبانيا والبرتغال" (١).

وهذا التسامح الإسلامي منبعه القرآن الكريم ووصايا الرسول ﷺ بأهل الكتاب .

وصايا الرسول ﷺ بأهل الكتاب :

السنة النبوية المطهرة خير دليل على اتباع منهج القرآن في هذا التسامح فيقول الرسول ﷺ :
« من ظلم معاهداً أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة » .

وقال: « من آذى ذمياً ، فأنا خصمه ، ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة » وقال ﷺ : « من قذف ذمياً حد له يوم القيامة سياط من نار » وقال ﷺ : « ومن قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاماً » .

والإسلام لا يجيز استعمال العنف والقسوة والإرهاب لرد الناس عن دينهم أو إجبارهم على دخول الإسلام ، يقول تعالى: ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ ﴾ [الغاشية ٢١- ٢٢] ، ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس : ٩٩] .

وكذلك أرسل الرسول لعامله في اليمن : « من كان على يهودية أو نصرانية فلا يفتن عنها " أي لا ترهبه ليتركها » (٢).

(١) قصة الحضارة : ج ٢٦ ص ١٢٥ .

(١) الإرهاب في اليهودية : ص ١٢٧ . (٢) نير الطغاة : ظلم المسلمين - حسب ادعائه .

هذا وقد تضمنت السنة المطهرة وصايا خاصة ممنوحة لأهل مصر منها :

« الله الله في قبط مصر ، فإنكم ستظهرون عليهم ، ويكونون لكم عدة وأعوانا في سبيل الله » (أوردته الهيئتي في مجمع الزوائد ١٠ / ٦٢ ، وقال : رواه الطبراني .

يقول الرسول ﷺ : « ومن قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاماً » . رواه البخاري من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص .

كما قال ﷺ : « إنكم ستفتحون أرضا يذكر فيها القيراط ، فاستوصوا بأهلها خيرا ، فإن لهم ذمة ورحماً » (مسلم عن أبي ذر) .

ولنا أن نقارن بين هذه الوصايا ، ووصايا البابا " إيريان الثاني " .

" في نوفمبر ١٠٩٥ م وجه البابا الفرنسي خطاباً إلى الشعب الفرنسي مما جاء فيه :

١- إن انتصار العرب والأتراك في أرض رومانيا الذي بلغ الدردنيل يدعو إلى اتخاذ خطوة من الغرب المسيحي لتحرير تلك البقاع ، وكذلك الأراضي المقدسة من نير الكفرة الطغاة^(٣) .

وأن يحمي المسيحيين الشرقيين الذين ساءت حالتهم^(٤) .

٢- وبناء على ما سبق فإن الله يطلب إليكم باعتباركم من أتباع المسيح أن تنشروا هذا الخطاب في كل مكان لحث الناس من كل الطبقات ، الفرسان والمشاة ، والجنود الأغنياء

(٣) الحروب الصليبية : عزيز سوريال ص ١١ .

(٤) قال المسيح : " من أراد أحد أن يسير ورائي ، فلينكر نفسه ويحمل صليبي ويتبعني (٢٥) فأني من أراد أن يخلص نفسه يخسرها ، ولكن من يخسر نفسه لأجلي فإنه يمدّها " (متى ١٦ : ٢٤ ، ٢٥) .

الفقراء ، لمد العون سريعاً لهؤلاء المسيحيين ، وأن تمحو ذلك الجنس الدنيء من أرض

إخوانكم فإن ذلك ما يأمر به المسيح^(١).

٣- مكافأة كل من يحمل الصليب هو نيل الغفران فوراً لجميع خطايه وهذا ما أمنحه

لكل من يذهب ، بحكم السلطان الذي حولني الله إياه .

ونحن نقول - رداً على كل من يفترى على الإسلام كذبا :

لنا الحق كل الحق أن نفخر ونتباهى بإنسانية الإسلام التي تعالت فوق كل علو،

وتعاضمت فوق كل عظمة ، وتجاوزت الكواكب والنجوم ارتفاعاً وضياءً وهدى ، فقد حوي

الإسلام من الشرائع والقوانين والأوامر الإلهية والأفعال العملية ما لا تحويه أي أديان أخرى

أو قوانين بشرية فيما يختص بمعاملة غير المسلمين ، حتى ساواهم في أغلب الأحيان بالمسلمين

، فالرسول ﷺ يقول : « لهم ما لنا وعليهم ما علينا » ويكفيها شهادة العلماء المنصفين من أهل

الكتاب .

كما نتمنى أن ينصف الجميع الإسلام ، ولا يظلم أحد الإسلام سواء عن جهل بآدابه أو

عن تعمد للإساءة إليه ، وننصح الجميع بقوله تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ

عَنِ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٧٧﴾

[المائدة : ٧٧].

الباب الثالث

الجهاد والقتال في الأديان السماوية

توطئة

الجهاد في الفكر الإنساني :

الجهاد في اللغة العربية معناه: بذل أقصى الطاقة والمشقة والتعب في الوصول إلى غاية محددة، كالحصول على المال أو السلطة أو التفوق على الخصوم في مجال السلم كالمجال الرياضي والعلمي أو في المجال الحربي لدفع ظلم أو جهل أو إجلاء محتل أو الدفاع عن دين أو عرض أو شرف أو كرامة أو حتى فكر. والجهاد في حياة كل البشر ضرورة لا بد منها لمواجهة الحياة ، وتحقيق ذاته وطموحاته، وبقدر غلو المطلب يكون الجهد للوصول إليه ، فالمتنبى يقول :

لا تحسبن المجد تمرأ أنت آكله

لن تنال المجد حتى

تلحق الصبرا

كما يقول شوقي : ما نيل المطالب بالتمني

ولكن تؤخذ الدنيا

غلابا

وقد يكون الجهاد ضرورة للأمة كلها ، إذا كان لدفع عدو محتل لإجلائه ، أو الاستعداد لملاقاته ، أو للدفاع عن دين وإظهار عقيدة ، أو لنشر دين وبث عقيدة ، وليست الحرب والقتال هو السبيل الوحيد للجهاد ، بل يمكن أن يكون الجهاد باللسان كالدعوة إلى فكر ما أو الترويج لثقافة معينة .

وعلى ذلك فالجهاد حقيقة لا يخلو منه مجتمع ، ولا تستغني عنه أمة، شأنت أم أبت ، كما لا يغادر دين أو عقيدة وإن اختلفت أهدافه وتباينت أساليبه .

ومع ذلك فدائما وأبدا يوصف الإسلام فقط بأنه دين جهاد وأن الجهاد شرع فيه للعدوان والقتل والاحتلال ، وسلب حريات الإنسان ، وبإيجاز هم يدعون أن الإسلام دين عنف .

فإذا جاهد المسلمون ضد عدو محتل كالحال في أفغانستان وفلسطين والعراق

والسودان ودول الاتحاد السوفيتي سابقا وغيرهم ، سمي المجاهدون " إرهابيين "

لأنهم يقاومون الأعداء الذين جاءوا لنشر مفاهيم الديمقراطية والتقدم والرفي – حسب كذبهم – ولم يحتلوا الأرض ويبيدوا المسلمين من أجل نشر دين أو اغتصاب بترول أو فتح أسواق أو غير ذلك .

والادعاءات الظالمة للإسلام ونييه والمسلمين لا تهدأ ، وأبواق الدعاية والكذب ضدهم لا تنام، ورجالها كثيرون ، رجال دين غربيون ، وأهل ثقافة وسياسة وأيضا رجال ونساء الفن والغناء والتمثيل وغيرهم ومن هؤلاء :

يقول مارتين لوثر مؤسس البروتستانتية : وعلى القساوسة أن يخطبوا أمام الشعب عن فضائع محمد حتى يزداد المسيحيون عداوة له ، وأيضا ليقوي إيمانهم بالمسيحية ، ولتتضاعف جسارتهم وبسالتهم في الحرب ضد الأتراك " المسلمين " وليضحوا بأموالهم وأنفسهم في هذه الحروب (١) .

يقول كازانوفا الفرنسي :

"كانت نفسية الأمويين في مجموعة مركبة من الطمع في الغنى لحد الجشع وعن حب الفتح من أجل النهب (٢) .

ووضع دانتي (١٢٩٥ - ١٣٢١م) " صاحب ملحمة الكوميديا الإلهية " الرسول ﷺ ومعه علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، في الحفرة التاسعة من ثامن دركة من دركات جهنم .. وقد قطعت أجسامهم وشوهت أجسادهم في دار السعير؛

(١) الغرب والإسلام : محمد عمارة ص ٧١ ، ويقصد مارتين بفضائع محمد ما قام به من جهاد .

(٢) أوروبا والإسلام: د. عبد الحليم محمود ، ص ١٤٢ ، ويقصد بالأمويين المسلمين من بني أمية الذين نجح حكامهم في الجهاد والفتح لنشر الدين .

(٣) الغرب والإسلام ص ٧١ / ٧٢ ويقصد بأهل شجار وشقاق: أهل شجاعة وقاتل لنشر الدين أي الجهاد.

(٤) الغرب والإسلام ص ٧١ ، ويقصد بوعوده الشيطانية ما يوجد في الجنة من نعيم وحوار عين للشهداء والمجاهدين .

(٥) الغرب والإسلام : رجب البنا .

لأنهم حسب زعمه – في الدنيا أهل شجار وشقاق(١)

أما القديس توما الأكويني " (١٢٢٥ - ١٢٧٢ م) فيقول عن الرسول: إنه أغوى الشعوب من خلال وعوده الشهوانية ، وقام بتحريف جميع الأدلة الواردة في التوراة والإنجيل من خلال الأساطير والخرافات التي كان يتلوها على أصحابه ، ولم يؤمن برسالة محمد إلا المتوحشون من البشر الذين كانوا يعيشون في البادية (٢).

يقول الرئيس الأمريكي ريتشارد نيكسون :

إن كثير من الأمريكيين يتصورون أن المسلمين شعوب غير متحضرة ، وإن المسلمين دمويون ، وسوف يشكلون خطراً كبيراً سوف يضطر الغرب إلى مواجهته ، وإن نظرة الإسلام للعالم تنقسم إلى قسمين : دار الإسلام ودار الغرب ، حيث يجب أن تتغلب الأولى على الثانية (٣) .

وهذه الفقرات تمثل الجهاد كوحشية، وستذكر في فصل القتال ادعاءات الغرب ضد القتال في سبيل الله .

وفي هذا الباب سنتناول فصلين هما :

الفصل الأول : الجهاد في الأديان السماوية

الفصل الثاني : القتال في الأديان السماوية .

الفصل الأول

أسباب الجهاد في الأديان السماوية

توطئه

الجهاد في الإسلام ومفهومه :

ارتبطت دعايات الغرب ضد الإسلام بمعنى واحد للجهاد ، ألا وهو القتال فقط ،
والواقع أن أنواع الجهاد في الإسلام متعددة ومتباينة وهي ثلاثة أنواع :

١ - جهاد النفس :

جهاد الشيطان والزلات والذنوب ، وحثها على طاعة الله ، وعمل صالح الأعمال من
عبادات وأخلاق يقول تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا
الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ * وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ
مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً
عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ
فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾ [الحج : ٧٧ ، ٧٨] .

وهذا الجهاد هو الجهاد الأكبر ، لقول الرسول ﷺ بعد عودته لصحابته من إحدى
الغزوات : «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر» ، فسأله : ما هو الجهاد الأكبر؟
قال : « جهاد النفس» .

٢ - الجهاد ضد الشيطان :

ومعنى ذلك مقاومة وسوسة الشيطان الآمرة بمعصية الله ، والابتعاد عن طريقه ، قال
تعالى : ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾
[فاطر : ٦] .

كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [يس : ٦٠].

٣- جهاد الظالمين والمعتدين والمفسدين في الأرض: وهم الذين يحاربون الله ورسوله ، فيغتصبون أراضي الغير ويمتصون ثرواتهم ويحاربون دينهم ، قال تعالى : ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الصَّوَامِعُ وَبِيعَ صَلَوَاتُ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ * [الحج : ٣٩ - ٤١].

والآية توضح أن أول إذن من الله للمسلمين بالقتال كان لاسترداد وطن مسلوب دون حق ، وسبب ذلك إيمانهم بالله الواحد، ﴿يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ﴾ . ويوضح المولى حقيقة إنسانية فطرية ألا وهي: لولا تكافؤ القوى لكان الهلاك حتى لأماكن العبادة المختلفة .

والغاية من جهاد المسلمين هي تحقيق القدرة والمقدرة على عبادة الله من صلاة وزكاة ، ونشر دين الله ، وزرع الأخلاق الفاضلة في المجتمعات ، وهناك آية كريمة جمعت تلك المعاني وهي قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج : ٤١]

كما قال جل شأنه :

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت : ٦٩] .

والحديث النبوي الشريف جمع كل أنواع الجهاد :

عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ، ويفعلون ما لا يؤمرون ، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل » رواه مسلم .

ولأهمية هذه الأنواع من الجهاد فقد حث الله المؤمنين به على الجهاد فقال جل شأنه : ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة : ١١١] .

كما قال تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تَوَمَّنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصف : ١٠ ، ١٣] .

فالجهد جاء في هذه الآيات الجامعة المانعة كوصية ونصيحة غالية أفضل من أي تجارة مهما كان ربحها لأنه يؤدي إلى النجاة من العذاب الأليم في الدنيا والمتمثل في الانكسار والذل والمهانة نتيجة الضعف وغلبة الأعداء فقال جل شأنه : ﴿ إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [التوبة : ٣٩].

وأيضاً النجاة الأكبر في الآخرة من عذاب النار ودخول الجنة قضية غفران للذنوب والفوز بالجنة بما فيها من نعيم مقيم من مآكل ومشارب وراحة نفسية وجسدية، وما لا عين رأت، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر وهذا هو الفوز العظيم أما عناصر هذه التجارة ورأسها فهي : الإيمان بالله ورسوله أي الرأسمال الإيماني والديني ثم الجهد في سبيل الله ، أي : في طريق الله لنشر دين الله والإيمان برسوله واتباع شريعة الله وأوامره ونواهيه .

وقد سئل الرسول ﷺ : أي الناس أفضل فقال : « مؤمن يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله »^(١)

كما أمرنا الله بالاستعداد الدائم للجهد ودفع الأذى والخطر المحتمل على الدين والمسلمين فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران : ٢٠٠].

كما قال ناصحاً المسلمين بضرورة الثبات في الجهد ضد العدو : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الأنفال : ٤٥] . والملاحظ أنه ذكر في آية آل عمران ﴿ واتقوا الله ﴾ وفي آية الأنفال ﴿ واذكروا الله كثيراً ﴾ ،

(١) رواه البخاري ومسلم وغيرهما .

فالجهد عبادة وليس إرهاباً وترويعاً وقتلاً وسفك دماء ، بل على قدر الحاجة لتحقيق النصر ونصرة الدين ويجب التضحية بكل غال وثمان لتحقيق ذلك ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَرُسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [التوبة : ٢٤] .

والجهد ليس ببدعة إسلامية، ولكن سنة الأنبياء من قبل ، فقد جاهد إبراهيم عليه السلام وموسى وداود وسليمان ، وجاهد المسيحيون وضحووا في سبيل دينهم فدفعوا الدماء الغالية ، في سبيل الانتصار لديهم ، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ هُمْ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعُذًا عَلَيْهِمْ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة : ١١١] .

هذا والأديان السماوية لا تخلو من بعض هذه الأنواع من الجهاد .

وفي هذا الفصل سنعرض المباحث التالية مع مقارنة الإسلام بغيره :

المبحث الأول : الدفاع عن الوطن ورد الظلم .

المبحث الثاني : الدفاع عن الدين .

المبحث الثالث : الدفاع لرد العدوان واثقاء الفتنة .

المبحث الرابع : الجهاد ضد ناقضى العهود والمواثيق .

المبحث الخامس : الجهاد ضد الفئة الباغية .

المبحث الأول

الدفاع عن الوطن ورد الظلم

هناك خلط بين معنى الجهاد^(١) ومفهوم القتال، فالقتال بالسيف أو بغيره هو أحد أساليب الجهاد، فالقتال لسبب مشروع جهاد، وإن كان لسبب غير مشروع فهو إرهاب وقتل ودمار. وتتفاوت مشروعية الجهاد أي أسباب الجهاد من دين لآخر، وسوف نعرض لأسباب الجهاد في كل دين، مبتدئين بالإسلام حتى يتسنى لنا مقارنته بغيره.

أولاً: في الإسلام:

الدفاع عن الأرض والعرض والمال حق مشروع في كافة الأديان والقوانين المنظمة لحقوق الإنسان، وأول تشريع للإذن بالقتال في الإسلام كان لدفع هذا الظلم، يقول تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفُتَّتْ صُلُوكُكُمْ وَصَلَوَاتُكُمْ وَمَسَاجِدُكُمْ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحج ٣٩: ٤٠).

ورغم مشروعية الحرب والقتال لاسترداد أرض مغتصبة بلا وجه حق، وللدفاع عن الدين وحرية العقيدة التي تؤمن بوحداية الله المطلقة، ألا إن أعداء الإسلام يرون - ظلماً - أن تلك الحرية تمثل الإرهاب الدموي والفكري،

(١) نقصد بالجهاد. الأسباب الداعية لضرورة الحرب والقتال المشروع.

رغم أن الله يقرر حقيقة ناصعة وهي أن الجهاد للدفاع عن الدين هو السبيل لحفظ دور العبادة من الهدم والضياع ، والله تعهد بنصر من ينصر دينه ، فهو جل شأنه قوي في ملكة ، عزيز لا يُغلب أو يُقهر .

كما يقول عز وجل: ﴿ أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدُّوْكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَخْشَوْهُمْ فَاَللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة : ١٣] .

يقول القرطبي في شرح معنى الآية : ﴿ أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ ﴾ توبيخ وفيه معنى التحضيض ، نزلت في كفار مكة ... ﴿ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ ﴾ أي كان منهم سبب الخروج ! وقيل: أخرجوا الرسول ﷺ من المدينة لقتال أهل مكة للنكث الذي كان منهم وهم بدؤوكم أول مرة ، أي نقضوا العهد ، وأعانوا بني بكر على خزاعة ، وقيل : بدءوكم بالقتال يوم بدر ، فالرسول خرج للعر ، ولما أحرزوا عيرهم كان عليهم الانصراف - لم يستطع الرسول الحصول على العير ، وكان يمكن لقريش عدم القتال فأبوا إلا الوصول إلى بدر وشرب الخمر بها^(١) .

وإذا كانت الآية تتكلم عن الكفار من قريش ، فحكمها عام ينصرف إلى غير الكفار من أهل الكتاب أو غيرهم .

ويقول الرسول ﷺ: « من قتل دون - دفاعاً عن - ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون دمه فهو شهيد ، ومن قتل دون دينه فهو شهيد ، ومن قتل دون أهله فهو شهيد »^(٢) .

(٢) تفسير القرطبي .

(٢) رواه : أبو داود والنسائي والترمذي وابن ماجه وقال الترمذي صحيح الإسناد .

ثانياً: الدفاع عن الوطن ورد الظلم في اليهودية :

إن أول حرب في التوراة كانت دفاعاً عن النفس " الجهاد " .

جاء في سفر التكوين أن ملوكاً وشعوباً ، حاربوا ملك سدوم وعمورة وسبوهم :
" فأخذوا جميع أملاك سدوم وعمورة وجميع أطعمتهم ومضوا : (١٢) وأخذوا لوطاً ابن أخي إبراهيم " إبراهيم " وأملاكه ومضوا إذا كان ساكناً في سدوم (١٤) فلما سمع إبراهيم أن أخاه سبي جر غلمانهم المتمرنين وهم ولدان بيته ، ثلاثمائة وثمانية عشر وتبعهم إلى دان (١٥) فكسرهم " هزمهم " (١٦) واسترجع كل الأملاك ، واسترجع لوطاً أخاه أيضاً وأملاكه والنساء أيضاً والشعب " (التكوين : ١٤) .

" حدث أن غزا العمالة " صقلع " وأحرقوها بالنار ، وساقوا أهلها سبابة ، ولم يقتلوا منهم أحداً ، فلما عاد داود ورجاله ، ورأوا ذلك ، وذهب داود لحربهم (١٧) فضر بهم داود من العتمة إلى مساء غدهم ، ولم ينج منهم رجل إلا أربعمائة غلام الذين ركبوا جمالاً وهربوا (١٨) واستخلص داود كل ما أخذه عماليق وأنقذ امرأته " (١ صموئيل : ٣٠) .

الدفاع عن العرض والمال :

هدد ملك آرام " بنهدد " ملك مملكة إسرائيل آخاب بالحرب ، وأرسل يطلب الجزية :
(٢) .. بعث رسالة على آخاب ملك إسرائيل تقول : " لي كل فضتك وذهبك وأحمل نساءك وبنيك الحسان (٤) فأجاب ملك إسرائيل : لك ما طلبته يا سيدي الملك ، فأنا وكل ما أملكه لك " (١ ملوك : ٢٠) .

"ولكن ملك أرام لم يكتف بذلك بل تمادي ، في إذلال ملك إسرائيل فأرسل يقول له :"
غداً أرسل رجالى إليك ليفتشوا قصرك وبيوت عبيدك ، ليستولوا على كل نفيس ، وكان رد
ملك إسرائيل (٩): إنني مستعد أن أنقذ مطالبه الأولى ، أما مطالبه الثانية فلا أستطيع تليتها
" (١ ملوك) .

وكانت النتيجة الحتمية هي الحرب دفاعاً عن الكرامة أولاً ، ثم المال والعرض هذا وقد
نصره الرب ليعلم أنه إلهه .

واليهودية ترى في الجهاد للحصول على أرض الغير " أرض الميعاد " وغيرها حقاً
مشروعاً فجاء في التوراة ، عن عهد الله مع موسى واليهود :

"(٢٠) ها أنا أرسل ملاكي أمامك ليحرسك طوال الطريق ، ويقودك على الأرض التي
أعدتها لك (٣٠) ... أطردهم تدريجياً من أمامك ريثما تنمون " تزيدون " وترثون البلاد
(٣١) وأجعل تخومك " حدودك " تمتد من البحر الأحمر إلى ساحل فلسطين ، ومن البرية
حتى نهر الفرات ، وأخضع لك سكان الأرض فتطردهم من أمامك (٣٢) " (الخروج: ٢٣
) .

ومن ثم ، فقد أمر الله موسى ، بالاستعداد لحرب الفلسطينيين للاستيلاء على أرضهم : "
ثم قال الرب لموسى: أرسل جواسيس إلى أرض كنعان التي أنا أهبها لبني إسرائيل (العدد
١٣ : ١) .

ولكن اليهود تناذلوا عن الحرب خوفاً من قوة الأعداء ، فعاقبهم الله بالتيه في أرض سيناء
أربعين سنة .

مشروعية اغتصاب أراضي الغير والاعتداء عليهم عند اليهود :

لم تكتف أوامر الرب في التوراة بالدفاع عن الوطن والعرض والدين والأمر باغتصاب أرض الميعاد ، ولكن أوامر الرب أيضاً أعطت اليهود الحق في الاستيلاء على أراضي الغير وظلمهم ، وكأن ذلك حق مشروع مقدس .

فجاء عن شرائع اغتصاب أراضي الغير :

" وإذا دنوت من قرية لتقاتلها ادعهم أولاً إلى الصلح (١١) فإذا قبلت وفتحت لك الأبواب فكل الشعب الذي بها يكونون لك عبيداً ويعطونك الجزية (١٢) وإن لم ترد تعمل معك عهداً وتبتدى بالقتال معك فقاتلها أنت (١٣) وإذا سلمها الرب إليك بيدك اقتل جميع من بها من جنس الذكر بفم السيف (١٤) دون النساء والأطفال والدواب وما كان في القرية غيرهم واقسم للعسكر الغنيمة كلها وكل من سلب من أعدائك الذي يعطيك الرب إلهك (١٥) وهكذا فافعل بكل القرى البعيدة منك حداً وليست من هذه القرى التي ستأخذها ميراثاً (١٦) فأما القرى التي تعطي أنت إياها فلا تستحي من ها نفساً البتة (١٧) ولكن أهلكهم هلاكاً كلهم بحد السيف الحيثي والأموري والكنعاني والفيريزي والجوابي واليابوسي كما أوصاك الرب " (الاستثناء: ٢٠) (١) .

(١) هذه الفقرات تحل الحصول على غنائم الحرب وتوزيعها على النبي " القائد " والجنود ، وهذه كانت سنة وشريعة قبل الإسلام ولم يبتدعها الرسول ﷺ .

ثالثا : الدفاع عن الوطن ودفع الظلم في المسيحية :

هذا النوع من الجهاد ، هو أمر فطري يتشارك فيه الإنسان مع الحيوان والطيور ، فلو أراد طائر الاستيلاء على عش آخر تقوم المعارك .

وقد أشار المسيح في الإنجيل الحالي إلى أنه لا بد من الجهاد في وقت ما ، ويجب الاستعداد له فقال :

" (٣٥) حين أرسلتكم بلا صرة مال ولا كيس زاد ولا حذاء ، هل احتجتم إلى شيء ؟ فقالوا : لا (٣٦) ، فقال لهم الآن : فمن عنده صرة مال فليأخذها ، وكذلك من عنده حقيبة زاد ، ومن ليس عنده فليبع رداءه ويشتري سيفاً " (لوقا : ٢٢) .

فهذه الفقرات السابقة توضح أنه يجب بداية الاستعداد للحرب والقتال والجهاد ولا شك يتطلب التضحية، وكل مسيحي ملزم به عند الحاجة، يقول المسيح لتلاميذه ومتبعيه: "(٣٤) لا تظنوا أنني جئت لألقي سلاماً على الأرض ما جئت لألقي سلاماً بل سيفاً (٣٥)،

فإني جئت لأفرق الإنسان ضد أبيه ، والابنة ضد أمها والكنة ضد حماتها (٣٦) من أحب
أبا أو أما أكثر مني فلا يستحقني ، ومن أحب ابنا أو ابنة أكثر مني فلا يستحقني ، ومن لم يأخذ
صلبيه ويتبعني فلا يستحقني " (متى : ١٠) (١).

إذن فكرة الجهاد مع اختلاف أسبابه وردت بصورة إجمالية في الإنجيل .

الكنيسة المسيحية تؤمن بالجهاد الدفاعي :

فالابا يوحنا بولس الثاني يقول : " إن شن حرب عادلة " يقصد للدفاع " هو فعل ينم عن
الرحمة المسيحية ، يجب أن يعاقب الشر ، وأن تمنح الخير مكافأة ، لقد جاء وقت استخدام
القوة " (٢) .

حروب المسيحية الداخلية للدفاع عن الأوطان :

لم تتوحد الأقطار والأمم المسيحية إلا بسبب حرب الإسلام ، وتاريخ أوروبا السابق
يوضح لنا العنف المتبادل والقتال المستمر للاستيلاء على أراضي الغير أو الدفاع عن
الأوطان ، ومصدق ذلك :

(١) نفس المعنى جاء في قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ
وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي
سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [التوبة : ٢٤] .

(٢) عن كتاب ، مقدمة في الأصولية المسيحية في أمريكا والرئيس الذي استدعاه الله : عادل المعلم ص ٢٨ ،
مكتبة الشروق الدولية .

"لقد أبحر الملك هنري الخامس من إنجلترا في أغسطس ١٤١٥ م، ومعه ١٣٠٠٠ سفينة ، وأحد عشر ألف مقاتل ، وكانت خسائر الإنجليز ١٦٠٠ رجل والفرنسيين ١٠٠٠٠ رجل " (١) .

وعاد هنري الخامس إلى فرنسا عام ١٤١٧ وحاصر دويين ، وألقى بالنساء والأطفال والطاعنين في السن خارج أسوار المدينة توفيراً للطعام ، وظلوا كذلك بلا طعام ولا مأوى بين أقربائهم وأعدائهم فهلكوا جوعاً ، ومات ٥٠٠٠٠ من الجوع ، ولما استسلمت المدينة كبح هنري جماح جيشه من تقتيل الذين بقوا على قيد الحياة ، ولكنه فرض عليهم غرامة مقدارها ٣٠٠٠٠٠ كراون (٢) .

وهزم الفرنسيون البنادقة "أهل البندقية الإيطالية" عند نيادلو في معركة من أشد المعارك هولاً وأكثرها إراقة للدماء ١٤ / ٥ / ١٥٠٩ م قتل فيها ٦٠٠٠ رجل في يوم واحد (٣) .
نحارب الفرنسيون والإيطاليون في ١١ / ٤ / ١٥١٢ م عند " رافنا " (اسم بلد) ، وخضبت ميادين القتال بنحو ٢٠٠٠٠ قتيل (٤) .

(١) قصة الحضارة : وول ديورانت ج ٢٢ ص ١٣٢ .

(٢) قصة الحضارة : ح ٢٢ ص ١٣٢ / ١٣٣ .

(٣، ٤) قصة الحضارة : ح ٢١ ص ١٦٨ / ١٦٩ .

(٥) قصة الحضارة : ح ٢١ ص ١٧٧ .

زحف الملك فرنسيس الأول في أغسطس ١٥١٥ م، على رأس جيش قوامه ٤٠٠٠٠ رجل، وترك السويسريون وراءهم في أرض المعركة ١٣٠٠٠ قتيل، ووقعت مدينة ميلان مرة أخرى في أيدي الفرنسيين (١).

الحملة الصليبية ليست جهاد للدفاع عن الوطن :

الواقع إن ادعاء الباباوات سابقا، والساسة والقادة حاليا، أن الحملات الصليبية ضد الشرق الإسلامي ، هي للدفاع عن المقدسات الدينية ، وطرد المسلمين ، ما هي إلا باطل قبيح ، زُين وُجِّل ليبدو كحق جميل فبقي دميما ، فالمقدسات المسيحية الغربية هي في أقطار عربية إسلامية ، هذه الأقطار يحتلها اليهود الذين يسيئون لكل مقدس سواء للمقدسات الإسلامية أو المسيحية ، فلم لا يقوم الغرب القوي بحملات لتحرير المقدسات المسيحية من التدنيس اليهودي ؟ !!

ومن ذلك يتبين لنا أن الجهاد لطرد المستعمرين ورد المظالم ، هو فطرة إنسانية شملت كل الأديان، وتعاليم الإسلام فاقت في إنسانيتها كافة الأديان الأخرى .

الدفاع عن الدين

إذن فمن المشروع الدفاع عن الدين والذود عن العقيدة أيًا كانت ، فذاك حق مشروع للجميع لا يخلو منه تشريع سماوي أو قانون أرضي ، يقول تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذِ قَالُوا لِنَبِيِّهِمْ اهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [البقرة : ٢٤٦] .

أولاً: الدفاع عن الدين الإسلامي :

﴿ كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةَ يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ
وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ * اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ
* لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةَ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴾ * فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا
الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ * وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ
وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَلِئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ﴾ [التوبة: ٨ - ١٢] .

يقول القرطبي شارحاً معنى تلك الآيات - بتصرف :

"يتعجب الله من خبت أعداء المسلمين، الذين إن "ظهروا" أي غلبوا ، ﴿لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً﴾ أي : لا يحافظون على قرابة أو عهد ، ﴿يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ أي يقولون باللسان حلو الكلام ﴿وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ﴾ ، ويضمرون الشر في القلوب وأغلبهم ناقضون للعهد .

﴿اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ أي : تمتعوا بملذات الدنيا الفانية ، ونسوا الجزاء الأوفى والدائم بلا انقطاع في الآخرة .

﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ أي إذا التزموا بالإسلام ، فيصبحون إخوانا في الدين للمسلمين ويتحول العداء إلى أخوة .

﴿وَإِنْ نَكُثُوا أَيْمَانَهُمْ﴾ أي نقضوا الإيمان وعباده الله ، وأساءوا إلى الدين سواء بقتال المسلمين أو محاولة الانتقاص من أهمية الدين ، والنيل من القرآن أو الرسول ﷺ فهذا يجب قتالهم ، حتى يزدجروا ويكفوا عن أفعالهم الشائنة ^(١) .

وحيث إن الإسلام هو آخر دين سماوي ارتضاه الله لعباده ، فيجب الدعوة إليه ونشره بالسلم والإقناع، وأيضاً بالحرب والقتال ، يقول تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة : ٣٣ ، الصف : ٩]

(١) تفسير القرطبي .

كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [الفتح: ٢٨].

وللإسلام غاية سامية من نشر دينه ، ألا وهي التمكين من العبادة وليس لفناء البشر أو اغتصاب أموالهم ، يقول تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ازْكُوا وَاذْكُرُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الحج: ٧٧، ٧٨].

فقد بدأت الآيات بأوامر إيمانية من شأنها ترقيق القلوب والحض على حسن العبادة التي من شأنها تقويم النفس وخضوعها لله ، فالنداء للذين آمنوا والأمر بالركوع والسجود؛ لأنهما دليل خضوع لله ، ثم الأمر بفعل الخير لكافة البشر أجمعين، وهذا من حسن العبادة لله . وكل ذلك من طرق وسبل الفلاح أي إرشاد وتحقيق عباده الله المثلى .

وبعد هذه المقدمة الإيمانية التي تمس شفاف القلوب وترقق العواطف مما يؤدي إلى خشوع النفس وزرع الطمأنينة والأمن والسلام ، يجيء الأمر بالجهاد - البعيد عن الهوى والمصالح الدنيوية والأهداف المادية .

كما يقول جل شأنه :

﴿ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْصُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [التوبة : ٥].

فأساليب القتال المتنوعة من قتل وأسر وحصار ، كذلك الحصار النفسي والحربي ، كلها مسخرة لترد المشركين وغيرهم إلى الدين الحق ومن ثم إقامة شعائره من صلاة وزكاة ، فإن فعلوا ذلك ، فلهم حق العفو وفك جميع أنواع الحصار ، وتلك مغفرة من الله ورحمة ولا قتال لتحقيق أهداف دنيوية ، فقد روي البخاري عن أبي موسى رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : الرجل يقاتل للمغنم ، والرجل يقاتل للذكر ، والرجل يقاتل ليرى مكانه فمن في سبيل الله ؟ قال الرسول ﷺ : « من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله » .

إذن الجهاد في الإسلام ليس للحصول على أموال الغير أو الشهرة أو سفك الدماء أو لرفع المكانة ولكن لنشر دين الإسلام ؛ لأنه دين الأنبياء من قبل وملة إبراهيم عليه السلام الذي دعا ربه ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً ﴾ [البقرة : ١٢٨]

والدعوة للإسلام ونشره واجب إسلامي حتى تقوم الحجة على الناس أجمعين مهما كانت عقائدهم ، فمن لبي فلح ، ومن تولى خسر ، وهذا مجمل معنى الشهادة على الناس . ثم تختتم الآيات بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة .

والتمسك بشريعة الله مع الاستعانة به والتوسل إليه ؛ لأنه المؤيد والحافظ والحامي والناصر على الأعداء .

والأحاديث النبوية صحيحة توضح ذلك وتجليه وتؤيده

عن أنس أن رسول الله ﷺ قال : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، واستقبلوا قبلتنا ، وأكلوا ذبيحتنا ، وصلوا صلاتنا فقد حرمت علينا دماءهم وأموالهم إلا بحقها ، لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم » - رواه البخاري في صحيحه وأهل السنن إلا ابن ماجه من حديث عن عبد الله بن المبارك^(١) .

ثانيا: الدفاع عن الدين في اليهودية :

لا يهدف اليهود للتبشير ونشر دينهم ، فلا جهاد لتحقيق هذا الغرض ، ولكن يجوز لهم الجهاد والقتال دفاعاً عن الدين ، فقد جاء بالتوراة :

(١) فأخذ الفلسطينيون تابوت الله وأتوا به من حجر المعونة إلى أشدود (١ صموئيل: ٥). وبسبب حصول الفلسطينيين على تابوت الرب، استعد اليهود لحربهم وقدموا أضحيات للرب .

(١٠)..... فأرعد الرب بصوت عظيم في ذلك اليوم على الفلسطينيين وأزعجهم ، فانكسروا أمام إسرائيل (١١) وخرج رجال إسرائيل من المصفاة وتبعوا الفلسطينيين وضربوهم " (صموئيل: ٧)

(١) تفسير القرآن العظيم : للحافظ ابن كثير ج ٢ ص ٣٢٢ ، دار الحديث .

فتابوت الرب^(١) أثر مقدس لدى اليهود ،ولذلك فقد حاربوا من أجله هذا ،وقد عانى اليهود كثيرا من وحشية المسيحيين لإجبارهم على ترك دينهم فرفضوا ، وتم ذلك في كافة أنحاء أوروبا .

" في تولوز بفرنسا اعتصم نحو ٥٠٠ من اليهود في أحد الأبراج ،فحاصروهم الغوغاء ، وخيروهم بين التعميد أو الموت ، فقتل اليهود بعضهم البعض ورفضوا التخلي عن عقيدتهم ، ما عدا واحداً ، مزقه العامة والغوغاء إرباً .

واستؤصل نحو ١٢٠ جالية يهودية في جنوب فرنسا ،وشمال أسبانيا ،وفي سنة ١٣٢١م،أُحرق في شينون ١٢٠ يهودياً بتهمة تسميم الآبار .

وفي ألمانيا، ادعى متعصب أن الله أوصاه بقتل اليهود ،ثأراً لموت المسيح ،فقتل هو وجماعته كل يهودي عثروا عليه .

وفي بافاريا،وبوهيميا ،ومورافيا والنمسا سنة ١٣٣٧م عذب الآلاف من اليهود وقتلوا . وفي فرنسا أُلقيت الجالية اليهودية كلها في النار ،وأُحرق كل اليهود في سافوي ،وحول بحيرة لي مان وفي برن وبروكسل^(٢) .

(١) جاء ذكر هذا التابوت في القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿ وَقَالَ هُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة : ٢٤٨] .

(٢) قصة الحصار ح ٢٦ ص ١٤٧ ، ١٤٨ ، وقد سقنا هذه الأمثلة لنوضح كيف تغيرت السياسات بين الأمس واليوم .

إذن الدفاع عن الدين قد يكون بالحرب ، وأيضاً دفاعاً سلبياً يدفع المؤمن فيه دمه، ويتخلى عن روحه ، ولا يترك دينه .

ثالثاً: الدفاع عن الدين في المسيحية :

كما سبق الإيضاح فقد أوضح المسيح ضرورة للجهد وشراء السيوف كسلاح رئيسي للحرب ، وقد آمنت الكنائس بذلك .

شنت الكنيسة الغربية ضد الشرق الإسلامي حرباً صليبية مقدسة استمرت (١٠٩٦م - ١٢٩١م)؛ لاختطاف الشرق من التحرير الإسلامي الذي أنقذ الشرق وحتى نصرانيته من الاضطهاد الروماني الذي دام ستة قرون من عهد الطاغية نيرون إلى الفتوحات الإسلامية وفي القرن السابع الميلادي .

إنها حرب قادتها المسيحية وأعلنها البابا الذهبي "أوربان الثاني" (١٠٩٩) ميلادية عندما خاطب فرسان الإقطاع الأوربيين سنة ١٠٩٥ م في "كلير مونت" بجنوب فرنسا قائلاً "يا من كنتم لصوصاً ، كونوا اليوم جنوداً ! لقد آن الزمان الذي فيه تحولون ضد الإسلام تلك الأسلحة التي أنتم إلى الآن تستخدمونها بعضكم ضد بعض ، فالحرب المقدسة المعتمدة الآن - هي - في حق الله عينه ، وليست هي لاكتساب مدينة واحدة ، بل هي أقاليم آسيا بجملتها مع غناها وخزائنها العديدة الإحصاء .

فاتخذوا محجة القبر المقدس ، وخلصوا الأراضي المقدسة من أيادي المختلسين ، وأنتم أهلكوها لذواتكم ، فهذه الأرض - حسب ألفاظ التوراة - تفيض لبناً وعسلاً ، ومدينة أورشليم هي قطب الأرض المذكورة والأمكنة المخصصة المشابهة فردوس سماوى .

ذهبوا وحاربوا البربر - يقصد المسلمين - لتخليص الأراضي المقدسة من استيلائهم ،
امضوا مسلحين بسيف مفاتيحي البطرسية - أي مفاتيح الجنة التي صنعها لهم البابا !! -
واكتسبوا لذواتكم خزائن المكافآت السماوية الأبدية ، فإذا أنتم انتصرتهم على أعدائكم ،
فالملك الشرقي يكون لكم قسماً وميراثاً .

ولم يكن الهدف هو الدفاع عن الأراضي المقدسة فقط ولكن إبادة المسلمين :
"عند احتلال الصليبيين لمدينة القدس سنة ١٠٩٩ م، اجتمع ديوان المشورة العسكرية،
وقطع حكماً مرهباً ، وهو : أن يمت كل مسلم باقى داخل المدينة المقدسة ، وحاز الحكم البشع
الموافقة وقد تباشر العمل به لمدة أسبوع"^(١) .

وفي سبيل الدفاع عن الأراضي المسيحية المقدسة ، التي صانها المسلمون وحافظوا على ما
بها من آثار مسيحية دينية وأماكن مقدسة ، ودور عبادة ، اخترع آباء الكنيسة عدة بدع لجمع
الأموال للحرب والجهاد - حسب زعمهم .

(١) الغرب والإسلام ، محمد عمارة ص ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٤ .

(٢) مارتن لوثر ص ٥٩ ، ٦٠ الدكتور القس / حنا جرجس الخضري - دار الثقافة المسيحية المعاصرة -
مطبعة دار الجبل للطباعة .

صكوك الغفران ^(١) :

هي عقود مكتوبة ، تعطيها الكنيسة ، لغفران خطايا المتبرع لها بالأموال التي تصرف في تجهيز الجيوش أو الإنفاق في أعمال البر الأخرى من بناء كنائس ، ومستشفيات .

" ويرجع تاريخها إلى زمن الحروب الصليبية ، فقد منح بعض الباباوات هذه الامتيازات إلى الذين كانوا يذهبون إلى الحرب مخاطرين بحياتهم ، وبعد ذلك كانت تمنح أيضا للذين كانوا يذهبون إلى الأماكن المقدسة ، كما أنها منحت أيضا للذين كانوا يساهمون في أعمال البر والإحسان كبناء الكنائس والمستشفيات إلخ "

فكرة صكوك الغفران ^(١) :

" وكان الرأي السائد أن بعض القسيسين قاموا بأعمال صالحة كافية لخلاصهم فقط بينما قام الآخرون بأعمال حسنة كثيرة زادت عن حاجتهم ، وهذا ما كانت تسميه الكنيسة بحسنات القديسين الزائدة ، وهذه الحسنات الزائدة مودعة في بنك الكنيسة ، وهي ملك لها ، وللكنيسة الحق في التصرف فيها كما تشاء ، ومتى تشاء ، فمن حق الكنيسة أن توزع هذه الحسنات المودعة تحت تصرفها على النفوس التي لم تستطع أن تعمل أعمالاً حسنة كفيلاً لخلاصها أثناء حياتها على الأرض .

(١) نفس المرجع ص ٦١، ٦٠ .

وبما أن الكنيسة كانت المسؤولة عن الأعمال الحسنة الزائدة، والتي تدعى كنز الكنيسة لذلك كان يمكنها أن تبيع أيضاً بعضاً من هذه الأعمال الحسنة لمن هم في حاجة إليها ولم يستطيعوا في حياتهم التفكير عن ذنوبهم وخطاياهم .

وفي بداية الأمر أحاطت الكنيسة هذه العقيدة بعدة احتياطات وشروط، فكان الحاصل على صك الغفران لا يخلص إلا من المطهر فقط وليس من الجحيم ، ومن يرد أن يحصل على هذا الصك كان عليه أن يعترف ويتوب عن خطايه، كما كان يمنح هذا الصك مجاناً للفقراء على أن هذه الشروط سرعان ما تغيرت مع مرور الوقت، بل أصبحت صكوك الغفران تجارة رابحة شائعة لجأت إليها الكنيسة- للأسف الشديد- في ظروف كثيرة كلما احتاجت إلى مال، بل تطورت الفكرة حتى إن بعض الدول والأمراء استعملوها لابتزاز المال ."

ويحدثنا المؤلف عن استغلال البابا ليون العاشر لهذه الفكرة فيقول :

" جلس البابا ليون العاشر على كرسي القديس بطرس في سنة ١٥١٣ م ونظراً؛ لأنه كان من عائلة آل بتشي العريقة ، فقد تمسك ليون بحياة الرفاهية والبذخ وتعظيم المعيشة والإسراف ، كما أنه كان شغوفاً أيضاً بالفن والعمارة ، لذلك فقد عزم على إجراء بعض المباني والإصلاحات في كنيسة القديس بطرس ، ولتمويل هذا المشروع الضخم فقد أصدر قراراً في ٣١ مارس (أذار) سنة ١٥١٥ م ببيع صكوك غفران كاملة^(٢).

(٢) المرجع السابق ص ٦١ لمارتن لوثر .

ومن دراسة نظرية صكوك الغفران يتضح أنها فكرة للحصول على المال اللازم للحرب والقتال، وأيضاً للإنفاق في أعمال البر المختلفة، ونظراً لأنها فكرة مختلقة لم تأت صراحة في الإنجيل، فقد استغلت أسوأ استغلال، بل أصبحت وسيلة للغضب على المسيحيين لنيل أموالهم مقابل الوعد بالمغفرة والنجاة من العذاب سواء في المطهر أو في الجحيم أو كليهما وفقاً لما يدفع للكنيسة، فتحول الإيمان والتوبة والخلاص إلى تجارة مادية بدلاً من عقيدة إيمانية لذلك لم تستمر هذه الفكرة وباءت بالفشل وكانت سبباً في ظهور وانتشار المذهب البروتستانتي .

وبدراسة ما سبق تبين أن جميع الأديان تأمر بالجهاد للدفاع عن الدين، وقد تميز الإسلام بأنه لا يسمح بالجهاد من أجل تحقيق مكاسب دنيوية، ولكن لنشر كلمة الله أو الدفاع عنها بالحسنى وعلى قدر الحاجة .

المبحث الثالث

الجهاد لرد العدوان وانتقاء الفتنة

أولاً: في الإسلام :

١ - الدفاع عن النفس حق شرعي في كل الأديان السماوية وغير السماوية وهو أيضاً حق قانوني في كافة القوانين والأعراف الإنسانية ، وهذا الحق بديهي إذا كان لرد الاعتداء أياً كان نوعه ، ومع أن للقتال ضرورة للدفاع عن وطن ومال ودين ونفس إلا أن المسلمين أمروا ألا يبدؤوا بالقتال أو يبادروا باعتداء: ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ [البقرة : ١٩٠].

ومن ثم لم يبدأ المسلمون الحرب في معركة بدر الكبرى ، بل انطلقوا للحصول على غير قريش ، وذلك مقابل ما تركوه من أموال وممتلكات ، فهي لم تكن سرقة بل إعادة حق مسلوب ، وقريش وكفار مكة هم الذين تجمعوا للقتال بغية إفناء المسلمين .
ومع ذلك فلو أن أعداء الإسلام رجعوا عن الحرب قبل مباشرتها ، أو لجؤوا للصالح ، فالواجب يحتم الكف عن القتال ، إذا أدى ذلك ، إلى عدم ضياع الحق ورد العدوان يقول تعالى :

﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [الأنفال : ٦١].
ولعل قوله جل شأنه: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ يوضح حرص الإسلام الكامل على تحقيق السلام والوثام ، فذلك من أسباب حب الله للمؤمن .

كما يقول تعالى: ﴿ فَإِنْ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٣].

وهذا الجزء من الآية يوضح حقيقة إنسانية قتالية هامة ، ألا وهي الحرب لا تكون إلا بقدر الضرورة .

ويجوز القيام بالحرب الوقائية، التي قد يلجأ إليها ، لدفع احتمال اعتداء محقق من العدو، وهذا يستلزم الاستعداد الحربي وإعداد القوة الوقائية - العدائية - في كل حين يقول تعالى:

﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ * وَلَا يُحْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِيَّاهُمْ لَا يُعْجِزُونَ * وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَظْلَمُونَ * وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْتَحِ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال: ٥٨ - ٦٢] .

يقول الإمام القرطبي في تفسير الآيات :

﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً ﴾ أي غشاً ونقضاً للعهد ، إذا ظهرت آثار الخيانة وثبتت دلائلها ، وجب نبذ العهد ، لئلا يقع التماهي عليه في التهلكة .

وجاز إسقاط اليقين عند الضرورة ، ومعنى فانبد إليهم العهد ، أي قل لهم : قد نبذت إليكم عهدكم ، وأنا مقاتلكم ليعلموا ذلك فيكونوا معك في العلم سواء ، ولا تقاتلهم وبينك وبينهم عهد ، وهم يثقون بك ذلك خيانة وغدرًا ، ثم بين هذا بقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴾ [الأنفال: ٥٨] .

روى الترمذي وأبو داود عن سليم بن عامر قال :

كان بين معاوية والروم عهد وكان يسير نحو بلادهم ،ليقرب حتى إذا انتقض العهد غزاهم ، فجاءه عمرو بن عبسة ، فقال لمعاوية : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من كان بينه وبين قوم عهد ، فلا يشد عقدة ولا يجلها ، حتى ينقضي أمدها ، أو ينبذ إليهم على سواء ، فرجع معاوية بالناس »^(١) .

والأمر بإعداد القوة الرادعة التي تستطيع تحقيق الأمن والأمان والدفاع عن الدين والوطن والحق والحرية والكرامة والنفس ، هو الذي يخيف " يرهب " الأعداء الظاهرين الحاليين ، وأيضاً ما قد يستعد لإظهار قوته والاعتداء على المسلمين ، ظناً منه ضعفهم " .

٢- القتال باتقاء الفتنة :

وقد يكون القتال اتقاء الفتنة ، ويقصد بالفتنة محاولة الآخرين الإساءة للدين الإسلامي، أو قرآنه أو رسوله ، أو الواقعة وبذر الخلاف والمقت والكراهية بين المسلمين، يقول تعالى :

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ *وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ * فَإِنْ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ *وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ

(١) تفسير القرطبي .

فَإِنْ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ*الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ
فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ
الْمُتَّقِينَ﴾[البقرة: ١٩٠-١٩٤].

قال ابن كثير في تفسير الآية ١٩٣ :

قال ابن عباس :..... الفتنة هنا الشرك وما تابعه من أذى المؤمنين .

﴿فَإِنْ انْتَهَوْا﴾ أي عن الكفر ، إما بالإسلام كما تقدم في الآية قبل ، أو بأداء الجزية في حق
أهل الكتاب ، " فلا عدوان " أي فلا جزاء " عقاب " إلا على الظالمين .
كما يقول :

" والفتنة أكبر من القتل : أي قد يفتنون المسلم في دينه حتى يردوه إلى الكفر بعد إيمانه ،
فذلك أكبر عند الله من القتل ، ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾
[البقرة : ٢١٧] : أي ثم هم مقيمون على ما أخبث من ذلك وأعظمه غير تائبين " .
ثانياً : في اليهودية :

١ - الدفاع عن النفس :

أباححت التوراة لليهود للجهاد لرد الاعتداء ، فجاء فيها : "(١) وعندما سمع ملك جرار
الكنعاني المستوطن في النقب أن الإسرائيليين قادمون على طريق أناريم ، حاربهم وأسر عدداً
منهم (٢) فنذر الإسرائيليون نذراً قائلين : إن ظفرتنا بهؤلاء القوم لنحرقن مدنهم (٣)
فاستجاب الرب لهم " (العدد: ٢١)

فملك جرار خاف استفحال قوة اليهود ،وعلم أنهم أتوا لسلب أرضه فبادرهم بالجهاد والحرب، أما اليهود فقد رأوا فيه معتدياً أثيباً ،فجاهدوه ليردوا أسراهم، ولم يكتفوا بذلك، بل حرقوا المدن بما فيها من إنسان وحيوان ونبات .

٢- القتال خوفاً من الفتنة :

حذر الله موسى من عبادة اليهود لغير الله فقال له :

قال الرب لموسى :"(٢٣) إذ يسير ملاكي أمامك حتى يدخلك بلاد الأموريين ... الذين أنا أبيدهم (٢٤) إياك أن تسجد لألهتهم ولا تعبدوها ، ولا تعمل أعمالهم ، بل تييدهم وتحطم أنصابهم "(الخروج: ٢٣).

لا عهود مع أهل أرض الميعاد :

(٣٢) لا تبرم معهم ولا مع آلهتهم ميثاقا (٣٣) ولا تسكنهم في أرضك لئلا يجعلوك تخطئ إلى ، لأنك إن عبدت آلهتهم ،فإن ذلك يكون لك فحاً "(الخروج: ٢٣).

هذا وقد أجاز الله القتال لليهود ضد الآخرين خوفاً من الفتنة في الدين .

"(١) وأقام الإسرائيليون في شطيم ،فشرع الرجال يرتكبون الزنى مع الموابيات اللواتي أغوين الشعب لحضور ذبائح آلهتهن والأكل منها "(العدد: ٢٥) .

وكان عقاب هؤلاء القتل : (٤) فقال الرب لموسى "خذ جميع قادة عبدة البغل واصلبهم، وعلقهم تحت وطأة حرارة الشمس أمام الرب ، فترتد شدة غضبه عن بني إسرائيل "(العدد: ٢٥).

وإذا كان عقاب اليهود الذي عبدوا غير الرب هو الموت ، فهذا أيضاً عقاب المديانين الذين تسببوا في فتنه الشعب عن دينهم " (١٦) ثم قال الرب لموسى : أسيئوا معاملة المديانين وأهلكوهم " (العدد: ٢٥).

وللعلم كان عقاب اليهود عاماً لزناتهم علناً بامرأة مديانية ، فقد تفشى فيهم الوباء " (٩) وكان عدد الذين ماتوا بالوباء أربعة وعشرين ألفاً " (العدد: ٢٥) .

الجهاد لدرء الفتنة الداخلية :

تملك رحبعام جميع إسرائيل، ولكنه كان قاسي القلب حيث قال لشعبه: " (١٤) أبي ثقل عليكم النير" الذل والعبودية"، وأنا أزيد عليه ، أبي أدبكم بالسياط، وأنا أؤدبكم بالعقارب (١٥) ورفض الملك رحبعام الاستجابة لمطالب الشعب " (٢ أخبار الأيام: ١) وكانت النتيجة أن تمرد الإسرائيليون عليه وقتلوا أحد قواده ، وهرب الملك إلى أورشليم واستعد الملك لحرب الإسرائيليون وجمع: " (١) مائة وثمانين ألفاً من نخبة المقاتلين لرد الإسرائيليين إلى طاعته (٢ أخبار الأيام: ١١) ، ولكن الله أمر كلاً من الفريقين بالعودة وعدم القتال ، لأن إرادته كانت تقتضي انقسام المملكة إلى يهوذا وإسرائيل . (انظر الأصحاح: ١١) .

هذا وقد قتل النبي " إيليا " ٤٥٠ رجلاً من أنبياء " البعل " : (٤٠) فقال إيليا : " اقبضوا على أنبياء البعل " إله وثني " ولا تدعوا رجلاً يفلت منهم ، " فقبضوا عليهم ، فساقهم إيليا إلى نهر قيشون وذبحهم هناك " (١ ملوك: ١٨) .

ثالثاً : في المسيحية :

القتال لرد العدوان وخوفاً من الفتنة في الدين في المسيحية .

تؤمن المسيحية بأحكام التوراة التي لم تنسخ ، وهناك وصايا للمسيح توضح التنبؤ
باللجوء للقتال لرد العدوان وخوفاً من الفتنة .

القتال لرد العدوان :

أوضح المسيح أن هناك من يقاومون كلمة الله فقال لتلاميذه : " إن أراد أحد أن يسير
ورائي، فلينكر نفسه، ويحمل صليبه " أي إيمانه ، ويتبعني (٣٥) فأى من أراد أن يخلص نفسه
يخسرها، ولكن من يخسر نفسه من أجل ومن أجل الإنجيل ، فهو يخلصها " . (مرقص: ٨)
. وقد أوضح لوقا ضرورة الاستعداد ومحاربة من يقاومون الدعوة فقال : " (٢٧) ومن لا
يحمل صليبه ويتبعني ، فلا يمكن أن يكون تلميذا لي (٢٨) فأى منكم ، وهو راغب في أن
يبنى برجاً ، ولا يجلس أولاً ويحسب الكلفة (٣١) أم أي ملك ذاهب لمحاربة آخر ،
لا يجلس أولاً ويستشير ليرى هل يقدر أن يواجه بعشرة آلاف ذلك الزاحف عليه بعشرين
ألفاً (٣٢) وإلا فإنه ، والعدو ما زال بعيداً ، يرسل إليه وفداً ، طالباً ما يؤول إلى الصلح
" (لوقا: ١٤) .

ويؤكد المسيح ضرورة وجود مؤامرات من الآخرين ضد المسيحية، فقال : " (٢٧) سلاماً
أترك لكم ، سلامى أعطىكم ، ليس كما يعطى العالم أعطىكم أنا ، فلا تضطرب قلوبكم ولا
ترتعب " (يوحنا: ١٤) .

"ثم يؤكد ذلك قائلاً لتلاميذه: (١٨) إن أبغضكم العالم، فاعلموا أنه قد أبغضني من قبلكم (١٩) لو كنتم من أهل العالم، لكان العالم يحب أهله..... (٢٠) ... فإذا كان أهل العالم قد اضطهدوني، فسوف يضطهدونكم" (يوحنا: ١) .

وعلى ذلك بدأ الأمر بالاستعداد للجهاد والدفاع عن الدين حرباً في عهد المسيح، حيث قال: (٣٦) ومن ليس عنده فليبع رداءه ويشتري سيفاً" (لوقا: ٢٢) .

إذن القتال للجهاد عن الدفاع عن الدين لم يحدث في عهد كتابه الأناجيل، حيث لم تحدث حروب حقيقية، ولكن الأمر بالاستعداد بدأ منذ بداية المسيحية الأولى.

التعاليم الكنسية تؤمن بالقتال لرد العدوان ودفع الفتنة :

البابا إيريان الثاني، دعا لحرب المسلمين لتحرير رومانيا وحماية مسيحي الشرق - حسب اعتقاده فيقول: " إن انتصار العرب والأتراك.. يدعو إلى اتخاذ خطوة من الغرب المسيحي لتحرير تلك البقاع وكذلك الأرض المقدسة من نير الكفرة الطغاة، وأن يحمي المسيحيين الشرقيين الذين ساءت حالتهم"^(١).

(١) الحروب الصليبية: عزيز سوريال، ص ٣٥، دار الثقافة بمصر، والواقع أن الحروب الصليبية لم تفرق بين مسيحي ومسلمي الشرق فكانت الإبادة لكلية.

ومن هذه الدراسة يتبين لنا أن كافة الأديان السماوية تبيح الحرب لرد العدوان ودرأ الفتنة ، ولكن الإسلام تفوق على غيره من الأديان ، من الناحية الإنسانية ، فهو لم يجعل الحرب لفناء البشر ، ولكن لتحقيق الأهداف المفروضة من أجله فإن استطاع تحقيق أهدافه عن طريق السلام فذلك أفضل .

المبحث الرابع

جهاد ناقضي العهود والمواثيق

تقضي القوانين الدولية على ضرورة احترام المعاهدات الدولية والوفاء بشروطها، كما قد تلجأ المنظمات الدولية لعقاب ناكثي هذه المعاهدات - إذا كانت من الدول الصغرى - وربما يصل العقاب للحرب على هذه الدول سواء بالعدل أو الظلم ، وذلك لسيادة معيار جديد للقياس وهو الكيل بعدة مكايل وليس اثنين فقط .

أولاً : جهاد ناقضي العهود في الإسلام :

يقول تعالى :

﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾ [الإسراء : ٣٤].

﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ

كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [النحل : ٩١] .

ليس من طبيعة المسلمين النكوث بالعهد ، ولكنها طبيعة لغيرهم ، وقد أمر الله المسلمين بقتال هؤلاء : ﴿ فَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَلِئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ * أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدُّوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَنْتَحَشُونَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة : ١٢، ١٣] .

يقول القرطبي في تفسير الآيات :

﴿ نَكُثُوا ﴾ أي نقضوا الإيمان والعهود ، ﴿ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ ﴾ أي : بالاستنقاض والحرب وغير ذلك مما يفعله المشركون .

وإذا حارب الذمي الذي نقض عهده ، وكان ماله وولده فيئاً معه .

والمراد بقتال أئمة الكفر ، صناديد قريش ، كأبي جهل وعتبة وشيبة إلخ

ومعنى: ﴿ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ ﴾ أي كان منهم سبب الخروج، وهم بدؤوكم بالقتال

يوم بدر ..

كما قال تعالى :

﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ عَاهَدَتْ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴾ [الأنفال ٥٥ ، ٥٦] .

وكان سبب نزول الآية هو نقض يهود بني قريظة للعهد مع رسول الله ﷺ والذي عاهدوه فيه ، ألا يكونوا ضده أو يعينوا غيره عليه ، ولكنهم نقضوا العهد ، وأعانوا المشركين بالسلاح ، واعتدروا ثم عاهدوا بعد ذلك ، فعادوا لنقض العهد ، وكانوا مع المشركين ضده يوم الخندق ، وركب زعيمهم كعب بن الأشرف إلى مكة، فخالف المشركين على حرب الرسول ﷺ ، وقد وصفهم الله لتقضهم العهد أكثر من مرة بأنهم بهائم شريرة، فجعلهم من أحقر أنواع البهائم .

ونتيجة للنكوث بالعهود منهم ، فقد حاربهم الرسول ﷺ فهو لم يبدأهم بالعدوان .

وكانت وصايا الرسول ﷺ متعددة فهو يقول : « في العهود وفاء لا غدر » كما يقول : « لا تخن من خانك » فهو لم يأمر بالمعاملة بالمثل في قضايا الأخلاق الكريمة ، فرفع المسلمين بوصاياه فوق كل خلق .

ثانياً : نقض المعاهدات عند اليهود أمر إلهي :

عاهد ملك مملكة إسرائيل " آخاب " ملك أرام " بنهدد " على الإبقاء عليه حياً بعد معركة خسرها الثاني ، وذلك لقاء : (٣٥) إني أرد إليك المدن التي استولى عليها أبي من أيبك ، وتقيم لنفسك أسواقاً تجارية في دمشق ، فأجابه الملك آخاب : " بناء على هذا العهد فإنني أطلقك حراً " (١ ملوك : ٢٠) .

وكان هذا العهد سبباً في غضب الرب ، فأرسل عن طريق نبي نبوءة بهلاك آخاب : " هذا ما يقوله الرب : لأنك أبقيت على حياة رجل قضيت بهلاكه " أي الرب " فستموت بدلاً منه ، ويهلك شعبك بدلاً من شعبه " (١ ملوك : ٢٠) .

وقد كان اليهود يتقضون عهدهم فتم عقابهم .

تحدثنا التوراة : أن هوشع آخر ملك لمملكة إسرائيل ، كان يدفع الجزية لشلمناسر ملك آشور : (٤) وما لبث أن اكتشف ملك آشور خيانة هوشع ، الذي أرسل وفداً يستغيث " بسوا " ملك مصر ، ولم يؤد الجزية لملك آشور ، كعهده كل سنة " (٢ ملوك : ١٧) .

ونظراً لنقض هذا العهد الذي يوجب دفع الجزية لحماية مملكة إسرائيل والكف عن حربها ، فإن ملك آشور " (٣) قبض على ملك إسرائيل وزجه موثقاً في السجن (٥) واجتاح ملوك آشور أرض إسرائيل " (٢ ملوك : ١٧) .

هذا وقد تم سبي إسرائيل وإسكانهم مدينة حلب .

وكان هذا عقابا من الرب لخيانة اليهود عهدهم مع ربهم : " (١٢) لأنهم أبوا الاستماع لصوت الرب إلههم ، ونكثوا عهده ، وكل ما أمر به موسى عبد الرب ، ولم يعملوا بها " (٢ ملوك : ١٨) .

إذن خيانة العهد مع الله كانت نتيجة تسليط الله من شاء من عباده لمذلة ناقضي العهد معه ، كذلك نقض العهد بين الملوك والدول مبرر أكيد للحرب .

هذا وقد كان بين داود وناحاش ملك عمون ، فظن العمونيون أن هذا الوفد للتجسس فأهانوهم بقص لحاهم ، وقص الثياب عند العورات فما كان من داود إلا أن خرج لحرهم " (أخبار الأيام الأول ١٩ : ٢) .

وهذه الفقرات توضح الجهاد والحرب لنقض العهد والخوف من الفتنة .

جواز المعاهدة لتحقيق مصالح :

معاهدة سليمان مع ملك صور :

أرسل سليمان رسالة لملك صور " حيرام " يطلب منه المساعدة في بناء الهيكل ومده بأخشاب الأرز والسرو ، فوافق ملك صور ، بشرط أن يمدّه سليمان بطعام كاف لقصره الملكي ، وتم التعاهد على ذلك والتنفيذ .

" (٩) سيقوم رجالي " ملك صور " بنقل الخشب من جبل لبنان إلى البحر فيسلمونها إلى رجالك ، وعليك لقاء ذلك ، أن تمون قصري الملكي بما يحتاج إليه من طعام " (١ ملوك ٥) .

" هذا وقد أهدى سليمان لملك صور ٢٠ مدينة في أرض الجليل مكافأة، ولكنها لم ترق له حيث أنها أرض جرداء غير مثمرة (انظر ١٠: ٩ - ١٤).

ثالثاً : جهاد ناقضي العهود في المسيحية :

الواقع أن الأناجيل لم تتضمن أية تعاليم خاصة بجهاد ناقضي العهود حربياً ، وهي تؤمن بما جاء في التوراة : ولكن تاريخ العالم المسيحي يوضح أن نقض المعاهدات قد يؤدي إلى الحروب ، فجاء في قصة الحضارة :

أنه حدث تعاهد عل التسامح بين الكاثوليك والبروتستانت وطائفة تسمى " الهيجونوت " ، وسميت هذه المعاهدة صلح لونجومو ٢٣ / ٣ / ١٥٦٨ م .

" وندد الكاثوليك بالمعاهدة ورفضوا تنفيذ شروطها ، وكانت النتيجة الحتمية حرباً بدأت في ٣ / ٣ / ١٥٦٩ واستمرت حتى أغسطس ١٥٧٠ م^(١) .

وهكذا نرى أن الله في الإسلام يأمر المسلمين بالوفاء بالعهد بين الدول والزعماء ، ولكنه في اليهودية - في زعمهم - يأمر بعدم الوفاء بالعهد واحترامه . باعتبار المصلحة المادية هي الهدف ، أما المسيحية فتؤمن بجهاد ناقضي العهود ، وتسمح لنفسها بنقض العهود إذا كانت قوية تستطيع فرض إرادتها ، فصاحب القوة له حق الخروج عن العهد وفرض ما يشاء .

(١) قصة الحضارة : ح ٢٩ ص ١٨٨ / ١٨٩ بتصرف .

المبحث الخامس

الجهاد ضد الفئة الباغية " الظالمة "

أولاً : في الإسلام :

أوجب الإسلام على المسلمين الجهاد ضد الفئة الباغية أي الظالمة ، سواء كانت من المسلمين أنفسهم أو من غيرهم .

ونصرة الحق تشريع إسلامي ثابت لا تغيير أو تبديل له ، وهو يكون لنصرة المسلم أو غير المسلم ، وهو حق غير مطلق أي إن الجهاد فيه بقدر الضرورة ، ولا يكون لفناء الآخرين ، يقول تعالى :-

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ ﴾ * وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ * وَلَمَنْ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِّنْ سَبِيلٍ * إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ هُمُ عَذَابُ أَلِيمٍ (٤٢) وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ [الشورى : ٣٩ - ٤٣] .

أ- الجهاد ضد البغاة من المسلمين :

يدعى أعداء الإسلام أن في القرآن آية للسيف لحرب غير المسلمين ، وقد لا يعلمون أن

هناك آية للجهاد ضد البغاة من المسلمين أنفسهم وهي قوله تعالى :

﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ

فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات : ٩]. والإصلاح يكون بتحكيم كتاب الله ، وإعطاء كل ذي حق حقه ، مع توافر العدالة وعدم أعمال الهوى ، فإن نجحت الوساطة انتهى التقاتل ، وإن فشل الصلح ، فيجب قتال الفئة الظالمة ، التي لم ترفض بالتحكيم العادل المانع للحرب والمناخ للسلام .

فإذ أثابت الفئة الباغية لرشدها وعادت للسلام ، فيجب الإصلاح بالعدل والإنصاف وإيتاء كل ذي حق حقه .

٢- رفع الظلم والدفاع عن المخالفين في الدين .

تتجلى الإنسانية في أسمى معانيها إذا كان الدفاع عن الضعيف ورفع الظلم عن المقيهور شريعة لا تكون مع أهل الوطن الواحد ، أو الدين الواحد ، ولكن مع كل البشر بغض النظر عن الانتماء العرقي أو الديني ، فالإسلام لا يؤمن بالكيل بمكيالين .

يقول تعالى : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [التوبة : ٦] .

والآية وإن كانت في حق المشركين إلا أنها في حق أهل الكتاب أولى ، فهم أقرب منزلة عند المسلمين من غيرهم . فحق الاستعانة بالمسلم لرفع الظلم مشروع ، وواجب نصرة المظلوم في الإسلام فرض ، والدعوة إلى الدين بالحسنى وإقناع الآخرين به واجب فإن هدوا إلى الدين الحق فذاك خير ، وإن لم يهتدوا فلهم حق الأمن والأمان حتى يبلغوا أوطانهم آمنين

ثانيا : الجهاد ضد الفئة الباغية في اليهودية :

١ - الجهاد ضد البغاة من اليهود أنفسهم :

يحدثنا سفر القضاة ، أن بعض الغوغاء من سبط بنيامين اعتدوا بالاغتصاب حتى الموت على محظية رجل إسرائيلي ، فهب بنو إسرائيل لمحاربة سبط بنيامين .

"(٤٦) فكانت جملة المقتولين من البنيامين في ذلك اليوم ٢٥٠٠٠ رجل ، (٤٧) وتمكن ٦٠٠ منهم من الهرب ... (٤٨) وارتد بنو إسرائيل إلى مدن البنيامين ، وقضوا على أهلها قاطبة بحد السيف ، وذبحوا البهائم وكل ما وجد فيها وأحرقوها بالنار" (القضاة: ٢٠) .

هذا وقد أوضح باقي الإصحاح " أنه لم يتبق نساء لرجال البنيامين ليتزوجوا بهن " .
وهذه الفقرات توضح وحشية اليهود في القتال حتى مع بعضهم البعض ، فهم أبادوا النساء ، حتى لم يجد ٦٠٠ رجل نساء يتزوجونهن .

ولا شك أن هذا جهاد بلغ مستوى الإرهاب ، ما كان ينبغي أن يتم بهذه الصورة البشعة ، فكان يكفي عقاب المعتصين وتطبيق الحد .

هذا وقد تقابل بنو إسرائيل مع إخوتهم بني يهوذا - بعد انقسام مملكة إسرائيل - سنوات عديدة ، وفني من الطرفين الآلاف ، حتى إن بني إسرائيل سبوا أخوتهم بني يهوذا وقتلوا رجالهم ، ولكن نبياً تدخل لفض الخلاف .

"(٨) سبي بنو إسرائيل من أقربائهم بني يهوذا ٢٠٠٠٠٠ من النساء والأبناء والبنات ، ونهبوا منهم أسلابة وافرة حملوها إلى السامرة (٩) غير أن نبياً للرب يدعى عوديد خرج للقاء الجيش الراجع إلى السامرة وقال لهم : "لقد نصركم الرب إله من آبائكم على يهوذا لأنه غضب عليهم ، وها أنتم قد قتلتموهم بقسوة وأغضبت السماء" (أخبار الأيام الثاني: ٢٨) .

هذا وقد أمرهم بالعفو عن المسيبين وإعادتهم لبلادهم ففعلوا .

٢- الجهاد لنصرة غير اليهود:

أعطت التوراة الحق لليهود في الجهاد والقتال لنصرة من يعاهدوهم أو يناصروهم، لقد

عاهد اليهود الجبعونيين على السلام والثمن تسخيرهم كعبيد لليهود، فتعاهد خمس ملوك

على محاربة إسرائيل، خوفاً على بلادهم، وقرروا غزو جبعون والاستيلاء عليها، لعقاب أهلها

لمسالتهم اليهود، فاستغاث الجبعونيين باليهود لحمايتهم والدفاع عنهم؛ لأنهم معاهدوهم

وحلفاؤهم، فسارع اليهود بحرب هؤلاء الملوك الخمسة، وتم الانتصار عليهم، وقتلهم وفناء

وحرق مدنها وقتل رجالهم (يشوع: ١٠) .

جاء في التوراة أن الملك آحاز ملك مملكة يهوذا، استنجد بملك آشور لينقذه من حصار

ملك آرام وملك إسرائيل، وأرسل له ذهباً وفضة، فسارع إليه ملك آشور وحارب أعداءه

وانتصر عليهم، فأصبح ملك آشور يأخذ الجزية من آحاز" (٢ ملوك: ١٦: ٧-٩) .

إذن الجهاد لنصرة غير اليهود من المعاهدين ، أو الجهاد للدفاع عن اليهود شريعة توراتية

وذلك لا يكون إلا لمصلحة سياسة وليس لنصرة مظلوم .

ثالثاً : الجهاد ضد الفئة الباغية في المسيحية :

عند كتابة الأنجيل لم تكن للمسيحيين قوة للدفاع عن أنفسهم أو غيرهم ولكنهم

يستمدون أحكامهم من التوراة "العهد القديم" .

وباستعراض ما سبق يتبين إيمان الأديان السماوية الثلاث بضرورة جهاد الفئة الباغية

الظالمة لنفس الدين ، وكان الإسلام أكثر عدالة لتحقيق ذلك حيث إن الجهاد والقتال لهذه

الفئة بقدر الحاجة لرد طغيانها وأخذ الحق منها ، أما في الأديان الأخرى

فالجهد والقتال فيه زاد الحد وطغى الحق حتى أصبح إرهاباً دموياً .

أما الجهد حتى لنصر المخالفين في الدين لتحقيق أمنهم وكفالة حقوقهم ، ودون تحقيق أهداف أخرى تجارية أو عسكرية أو اقتصادية ، فهذا الجهد لا يوجد سوى في الإسلام فقط .
إن تحقيق أمن ورفاهية وسعادة الإنسان ، دون النظر إلى دينه أو عرقه أو لغته ، فضيلة إنسانية ليست سوى في الإسلام فقط ، فقد أتى محمد بن عبد الله ﷺ بكل خلق رفيع جديد .

الفصل الثاني

الحرب والقتال في الأديان السماوية

توطئه .

أولاً : الحرب والقتال في الفكر الإنساني :

التنازع والتخاصم والقتال بين الأحياء ،سنة من سنن الحياة وغريزة من غرائز البشر أفراداً أو جماعات ، وقد تكون الحروب من وسائل التقدم العلمي ، فالكلم يسخر العلم من أجل القوة ، وفي ثنياه يسخر العلم في سبيل العمران وازدهار الحضارات .

وللحروب ضرورات فقد تكون لنصر الحق على الباطل ، وقد تكون لنصرة العلم على الجهل ، أو لإصلاح فساد ، أو للدفاع عن الدين أو الوطن ، أو للذود عن المال أو العرض أو الشرف ، وربما تكون لكل ذلك أو بعضه وهذه حروب مشروعة والحروب في الإسلام لا تخرج عما سبق ، وتحقيق النصر في الإسلام له غاية واحدة ، ألا وهي نشر السلام والوئام وعبادة الله ، يقول تعالى جل شأنه :

﴿ الَّذِينَ إِن مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ [الحج : ٤١].

كما قد تكون الحروب للعدوان وامتصاص خيرات الشعوب ، ونشر دين أو نصرعة عقيدة بالقوة الجبرية القهرية ، وهذه ليست من أهداف الإسلام لعدم مشروعيته .
وهذه الحقائق يؤمن بها الغرب من ساسة ورجال دين ، فيقول ريتشارد نيكسون الرئيس الأمريكي السابق :

"فالمثاليون يتوقون إلى عالم بلا نزاع ،

عالم لم يكن ولن يوجد أبداً ، وبالرجوع إلى جوهر طبيعة الإنسانية، يتحقق السلام التام في موضعين فقط: في القبر وعلى الآلة الكاتبة، يزدهر السلام التام بالطباعة، إنه مادة الشعر وفكر ومقالات الصحف الافتتاحية مسكوب بأفكار طريفة وكلمات حلوة".

لم يكن للسلام التام سوابق تاريخية، وعليه فليس له معنى عملي في عالم يكتنفه النزاع المستمر بين البشر، إذا ما قيض " قُدِّرَ " للسلام الحقيقي البقاء، فيجب أن يحيا مواكباً لطموحات البشر وما يعتبرون به ، وما يكرهونه ، فالسلام الذي يفشل في أخذ هذه الأمور في الحسبان لن يستمر^(١) .

إذن يرى نيكسون أن الحرب طبيعة بشرية .

الغرب وأمريكا ليست لديهما السباحة الدينية :

" يتمتع الأمريكيون أحياناً بروح دينية سمحة محددة مثل موقف " سنعمل على خلاص العالم " نحن مؤمنون بنظامنا وطريقة حياتنا وتوافقون على أن يشاركنا بها بقية العالم^(٢) .

الإيمان الغربي بضرورة استخدام القوة العدوانية :

" يجب علينا أن نكون عدوانيين بالمقدار نفسه في الترويج لمثلنا وفي مساعدة أصدقائنا في العالم الثالث^(٣) .

الإيمان الغربي باستخدام القوة المدمرة الغاشمة :

ويقول د. زكي نجيب محمود : إن أستاذاً جامعياً أمريكياً ناقشه في أخلاق الحرب عند الشرقيين والغربيين

(١) السلام الحقيقي: ريتشارد نيكسون ، ص ٢١ طلاس للدراسات والترجمة والنشر "سوريا" .

(٢ ، ١) المرجع السابق : ص ١٣٥ .

(٣) أيام في أمريكا : ص ٣٣٧ - ٣٣٨ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، الطبعة الثانية .

ومما قاله هذا الأستاذ: إن أخلاق المدينة الغربية المسيحية هي أنه إذا قابلك قاطع طريق مسلح ورفعت له ذراعيك استسلاماً امتنع عن قتلك، فإن كان هكذا فالحصن الذي يستسلم أو الطائرة التي ترسل إلى أرض العدو، بأنها ستهبط عجزاً أو استسلاماً، ويجب الامتناع عن إيقاع الأذى بالحصن أو ملاحية الطائرة! إنني لما كنت أتحدث في ذلك إلى أهل الشرق الأقصى ، وجدتهم يجيبونني بالقنبلة الذرية التي ألقتها الأمريكيون فوق هيروشيما ، ويذكرون لي كيف فتكت بمئات الألوف دفعة واحدة، وهم يذكرون ذلك ليدلوا على أننا نحن الغربيين كذلك نقتل الناس غير المحاربين ما دمنا في قتال، وهم لا يدركون أنه بدلاً من أن نرسل جنديا يحارب جنديا ، فقد اكتفينا بإرسال جندي ليحارب مدينة بأسرها ؛ وذلك لأنهم لا يزالون يتصورون أن الحرب هي نزال بين جندي وجندي .

وكان رأي د. زكي نجيب محمود :

" إن كان الغرب يساير روح القتال الحديث في أن يرسل جنديا واحداً - كما تقول - ليهلك مدينة بأسرها ، فيها المحاربون وغير المحاربين ، إذا فالغرب باتجاهه هذا قد ناقض أخلاق الحرب التي تزعم أنها من مبادئه^(١) .

أسباب الحرب في رأي ريتشارد نيكسون :

١ - النزاع حالة طبيعية للأمور في العالم ، فمن المؤكد أن بعض الأمم لن تكون راضية بما تملك وستسعى للحصول على المزيد لأسباب عدة وبوسائل عدة، بينما تقاوم أمم أخرى مخططات هذه القوى الطامعة .

٢ - مكاسب العدوان : تلجأ الأمم إلى العدوان فقط عندما تكون لديها القناعة بأنها ستربح منه - أى العدوان - وبالعكس فإنها ستتجنب العدوان إذا ما بدا لها بأنه سيكلفها على المدى الطويل أكثر مما يفيد^(١).

مصادر الحرب كرأي ريتشارد نيكسون :

يمكن أن تأتي الحرب من خمسة مصادر رئيسية :

- ١ - إذا كان التفوق العسكري للقوة العدوانية لا يجابه "لا يمكن رده" .
- ٢ - إساءة الزعماء لتقدير أي من الأعمال التي قد تصدر من الجماعات المناهضة فيتعاملون معها عسكرياً .
- ٣ - إذا انجرت القوى العظمى لحرب بين طرفين متعارضين من القوى الصغرى .
- ٤ - إذا أطلقت قذيفة نووية عرضياً "عن طريق الخطأ" .
- ٥ - إذا استولى مجنون على السلطة وانتهج حرباً عدوانية^(٢).

(١) السلام الحقيقي ص ٢٢، ٢٣ .

(٢) المرجع السابق ص ٧١، ٧٢ .

(٣، ٤، ٥) المرجع السابق ص ١٥، ١٩، ٤٧ على التوالي : وهذه الأفكار قال عنها القرآن الكريم: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُوهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال : ٦٠] .

القوة هي السبيل للسلام :

"إن القدرة العسكرية الضخمة لكل طرف تجعل فكرة الحرب باطلة كوسيلة للسياسة القومية، إن كلفة حرب تقليدية أو نووية شاملة لكلا الطرفين (أمريكا وروسيا) ستتجاوز كل الفوائد التي يمكن تصورها بكثير^(١) .

"إن الردع العسكري، بما فيه القوى النووية، عنصر جوهري لأي سلام دائم، إن تكافؤ القوى سيمنع المعتدي من اقتراح أي عمل عنف^(٢) .

"إن السلام الذي نسعى إليه لا يمكن أن يقوم على الصداقة المتبادلة، بل يمكن أن يقوم فقط على احترام المتبادل لقوة كل منا^(٣) .

كما يقول: إن التفوق في أيدي قوة دفاعية هو ضمان السلام.

ثانيا: الحرب وأسبابها ووحشيتها في الأديان :

كما سبق الإيضاح فإن الحرب فطرة إنسانية وسنة ثابتة وباقية في طبيعة البشر جميعاً بغض النظر عن العرق أو الدين ، ورغم الإيذان الغربي بضرورة الحرب لأي سبب سواء مشروع أو غير مشروع، أخلاقي أو غير أخلاقي ، مبرر أو غير مبرر، إلا أن الغرب من رجال دين وفلاسفة ومفكرين وعامة، ليس لهم شاغل سوى اتهام الإسلام ورسوله : أنهم وحشيون نشروا الدين عن طريق الحرب، بلا أخلاق في الحروب ،

وكأن الحرب لم تكن موجودة قبل الإسلام ، ولولاه لانتهدت بعده ، ومن هؤلاء المدعين:البابا بندكت السادس عشر الذي يقول حاكيا مقولة الذي وصفه بالعالم " مانويل الثاني باليوجوس ":

"أرني ما الجديد الذي أتى به محمد، ولن تجد سوى كل ما هو سيء وغير إنساني ، مثل أنه أوجب نشر الاعتقاد الذي يعلمه بحد السيف،الله لا يرضى عن الدماء،والتصرف بشكل لا عقلائي ليس من صفات الله،من يريد إذن أن يوصل أحداً إلى الاعتقاد يجب أن تكون لديه ملكة الكلام الطيب والتفكير السليم ،وليس التهديد والعنف،من أجل هداية الروح السليمة،لا نحتاج لليد أو لأدوات الضرب أو لأية أدوات تستخدم للتهديد بالموت"^(١).

وزير العدل الأمريكي "جون أشكروفت"،لم يكتف بالحديث عن حرب الحضارة ضد البربرية،والخير ضد الشر،والمدينة ضد التخلف – كنا صنع آخرون- وإنما ذهب ليتفوق على غلاة القساوسة المنصرين،فسب إله العالمين،الذي يؤمن به مليار ونصف المليار من المسلمين... فقال:"عن المسيحية دين أرسل الرب فيه ابنه ليموت من أجل الناس،أما الإسلام فهوود دين يطلب الله فيه من الشخص إرسال ابنه ليموت من أجل هذا الإله!"^(٢).

(١) ترجمة الأزهر لمحاضرة البابا في جامعة ريجنسبرج .

(٢) الغرب والإسلام : ص ٨٤ .

(٣، ٤) المرجع السابق : ص ٢٤٣ ، ٢٤٤ .

ويقول العالم الألماني "إشتيجليكر" ^(١) :

كان محمد قاسياً وخائناً ؟ " وقال فيه : " لقد وجهت إلى محمد باستمرار اتهامات عظيمة تتمثل في أنه في سبيل الانتصار لدعوته قام بمعاملة خصومه بقسوة ووحشية لا ترعى شيئاً ، ولم يثنه عن ذلك خشيته من نقضه للعهود والأيمان ، وفي النهاية جعل معارضيه يجبرون على الدخول في دينه عن طريق حرب لا إنسانية " ! ويقول أيضاً عن انتشار الإسلام في آسيا وإفريقيا أنه كان بسبب جيوش المسلمين الزاحفة التي كانت تنشر الخوف والفرع والرعب في كل مكان " ^(٢) .

يقول " المنسيور كولى " :

الإسلام في القرن السابع للميلاد برز في الشرق كعدو جديد، ذلك هو الإسلام الذي أسس على القوة وقام على أشد أنواع التعصب ،لقد وضع محمد السيف في أيدي الذين اتبعوه،وتساهل في أقدس قوانين الأخلاق ،ثم سمح لأتباعه بالفجور والسلب ووعد الذين يهلكون في القتال بالاستمتاع الدائم بالملذات ،وبعد قليل أصبحت آسيا الصغرى وإفريقيا وأسبانيا فريسة له ، حتى إن إيطاليا هددتها بالخطر ^(٣) .

(١) دراسة ميدانية عن الحركات التنصيرية في العالم الإسلامى.

(٢) الغرب والإسلام : ص ١٣٩ ، ١٤٠ .

وقبل أن نتكلم عن الحرب في الأديان الثلاثة، نود الإيضاح :

ضحايا جميع المعارك والغزوات التي تمت في العهد النبوي لا تتعدى ٣٨٦ قتيلا ، منهم ٢٠٣ مجموع قتلى اليهود والمشركين ، ١٨٣ مجموع شهداء المسلمين ، بينما تحدثت أسفار العهد القديم عن ٢ مليون هم ضحايا الحروب اليهودية ، والحروب الدينية النصرانية ، بين الكاثوليك والبروتستانت ١٠ مليون قتل - ٤٠ ٪ من شعوب وسط أوروبا ، ناهيك عن عشرات الملايين الذين أزهقت أرواحهم في محاكم التفتيش الكنسية، وفي الحروب الصليبية ضد الإسلام والمسلمين^(١) .

كما نود الإيضاح أن اليهودية والمسيحية كأديان تؤمنان بضرورة الحرب والقتال، فجاء في التوراة أن الرب عاهد موسى واليهود لنصرهم في الحرب (٢٠) ها أنا أرسل ملاكى أمامك ليحرسك طوال الطريق ويقودك إلى الأرض التى أعددتها لك ... (٢٩) إنما لن أطردهم فى سنة واحدة ؛ لئلا تقفر الأرض فتتكاثر عليك وحوش البرية (٣٠) بل اطردهم تدريجيا من أمامك ريثما تنمون وترثون البلاد (الخروج : ٢٣) .

وجاء إحصاء عن رجال الحرب في عهد داود فكانوا :

"(٥) ... فكان كل إسرائيل ألف ألف ومائة ألف رجل مستل سيف ، ويهوذا أربعمئة وسبعين ألف رجل مستل سيف (٦) أما لاوى وبنيامين فلم يعدهم " (أخبار الأيام الأول : ٢١) .

أما المسيحية فكانت مستضعفة أيام كتابة الأناجيل ، وعلى ذلك لم تتضمن الإنجيل أحكام الحروب ، لكن المسيح وضع تشريعاً عاماً للحرب وأوضح ضرورتها فقال : "(٣٦) أما الآن فمن عنده صرة مال فليأخذها وكذلك من عنده حقيبة زاد ، من ليس عنده فليبع رداءه ويشتر سيفاً " (لوقا : ٢٢) .

ومن هذا العرض السريع يتبين لنا أن الحرب في جميع الأديان ضرورة وإن اختلفت أسبابها من دين لآخر .

وفي هذا الفصل سنعرض :

المبحث الأول : أسس ومبادئ الحرب والقتال في الأديان السماوية .

أولاً : كراهية الحرب في الأديان السماوية .

ثانياً : مدى إيمان الأديان السماوية بضرورة السلام .

ثالثاً : امتلاك القوة وأهميتها .

رابعاً : مدى الحق في الاعتداء على الغير .

خامساً : الرحمة في الحرب وعدم اتخاذ القتل غاية .

سادساً : قواعد التعامل مع غير المحاربين .

سابعاً : أسس معاملة الأسرى .

المبحث الأول

أسس ومبادئ الحرب والقتال في الأديان السماوية

الحرب فطرة إنسانية ، آمنت الأديان والعقائد المختلفة بأنه لا مناص منها - كما سبق الإيضاح - ولكن أسس الحرب كعمل إنساني - لا نقصد الخطط الحربية - تختلف من دين لآخر .

وسوف نعرض لهذه الأسس كما جاءت في الإسلام ونقارنها بما يتفق معها أو يناقضها في اليهودية والمسيحية ، علماً بأن الأناجيل لم تتضمن تشريعات الحرب والقتال مفصلة ، ولكنها تعتمد في ذلك على التوراة ، لقول المسيح :

" لا تظنوا أنني جئت لألغي الشريعة أو الأنبياء ، ما جئت لألغي بل لأكمل " (متى ٥ : ١٧) .

أولاً : كراهية الحرب في الأديان السماوية

١ - كراهية الحرب في الإسلام

المسلمون لا يلجؤون للحرب إلا مضطرين وعن كراهية ، يقول تعالى :

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٢١٦] .

الجهاد في الإسلام فرض كفاية ، فإذا قام به من قام من المسلمين سقط عن الباقيين ، إلا أن ينزل العدو بساحة الإسلام فهو حينئذ فرض عين والقتال كره ومشقة ولا يرغبه المسلم إذا كان للاعتداء على الغير بلا مبرر مشروع، ولكن إن كان للدفاع عن الدين أو الوطن أو المال أو العرض فهو فريضة وإن كرهت أسبابها.

والآية توضح أن المسلمين ليسوا من هواة الحرب والقتل والدمار، وليس في طباعهم القرصنة، فقد رقق الإسلام قلوبهم، وأنزل عنها ما قد علق بها من طباع الجاهلية من اعتداء وكر وفر.

كما يقول جل شأنه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ * إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التوبة: ٣٨-٣٩].

والآية توضح عدم رغبة المسلمين في القتال بالرغم من أن الجهاد في سبيل الله أي بسبب مشروع، وهو قتال الروم لأنهم قتلوا رسول الله إلههم ، وقتل المبعوثين الدبلوماسيين يعد جريمة في كل الشرائع والقوانين والأعراف .

وغزوة تبوك كانت بمثابة حرب وقائية للدفاع عن أرض المسلمين ، ولذلك كان العقاب ﴿أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ﴾ [التوبة : ٣٨] أي خفتهم أيها المسلمون من الحرب والقتال ، وركنتم إلى الدعة والسكون ونسيتم ثواب الجهاد لإعلاء كلمة الحق في الدنيا ، والفوز بالجنة في الآخرة .

ولا شك أن تقاعس أي أمة عن الدفاع عن نفسها يولد الذل والمهانة وذلك من عذاب الدنيا ، وأيضاً التكاسل عن الجهاد في سبيل ونشر الدين وإعلاء كلمة الحق ، إذا لم يتم ذلك كان حقاً على الله، أن يأتي بأقوام آخرين ينصرون دينه .

٢- حب الحرب لدى اليهود :

من أسماء الله عند اليهود "رب الجنود" وقد جاء هذا اللفظ في التوراة ٢٣٤ مرة، منها :
"فقال داود للفلسطينيين ، أنت تأتي إلى بسيف ورمح وترس ، وأنا آتي إليك باسم " رب الجنود " إله صفوف إسرائيل " (١ صموئيل : ١٧ : ٤٥) .

فالرب هنا هو رب الجنود ، وليس رب العالمين ، لأنه لليهود فقط دون سواهم : " وكان داود يتزايد متعظماً " ورب الجنود " معه " (١ أخبار الأيام : ١١ : ٩) .
وقال أشعيا النبي : " قال " رب الجنود " : إلا إن بيوتاً كثيرة تصير خراباً ، بيوتاً كبيرة وحسنة بلا ساكن " (أشعيا ٥ : ٩) .

: " سخط " رب الجنود " تحرق الأرض ، ويكون الشعب كما كل للنار لا يشفق إنسان على أخيه " (أشعيا ٩ : ١٩) .

" لأن السيد " رب الجنود " يصنع فناء وقضاء في كل الأرض " (أشعيا ١٠ : ٢٣) .

رب الجنود عند اليهود رب قتال وهلاك وإبادة .

يطلب اليهود من نبيهم صموئيل أن يتضرع إلى الله؛ ليعث عليهم ملكاً فرفض صموئيل وبين لهم عيوب النظام الملكي ، ولكنهم أصرّوا :

"(١٩)..... وقالوا لا بل يكون علينا ملك (٢٠) فتكون نحن أيضاً مثل سائر الشعوب ، ويقضي لنا ملكاً ويخرج أماننا ويحارب حروبنا "(١ صموئيل: ٨)، فهم طلبوا الملك ليحكمهم ويقودهم في الحروب رغم أن نبيهم أوضح لهم بجلاء عيوب النظام الملكي^(١) .
وربما سبب هذا الحب للحرب وشدة الغرام بها هو وصية الله لهم .
(٥٥) ثم أنتم إن لم تبيدوا سكان الأرض فالذين يبقون بينهم يكونون لكم كأوتاد في أعينكم ورماحاً في أجنادكم ويشقون عليكم في الأرض التي تسكنوها (٥٦) وما كنت عزمت إنني أفعل بهم سأفعله بكم "(العدد: ٣٣) .

٣- حب الحرب والقتال في المسيحية :

تستمد المسيحية هذا الحب من التوراة ، والتطبيق العملي يوضح ذلك، فالحروب المسيحية يقاسى منها غير المسيحيين فقط، بل تعدتهم إلى الحروب بين طوائف الدين نفسه .

(١) القصة جاءت في القرآن الكريم في سورة البقرة آيات (٢٤٦ - ٢٥١) : ﴿لَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ هُمْ أَرْسَلْنَا لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءَنَا فَلَمْ يَكُنْ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ.....﴾ [البقرة : ٢٤٦ - ٢٥١] .

حروب الطوائف المسيحية :

" لقد انتشرت الحروب الدينية في فرنسا عامي ١٥٦٢ و ١٥٩٨ ، ولم تنته هذه الحروب إلا بتراجع الملك هنري الرابع واعتناقه الكاثوليكية وتوقيع معاهدي السلام ١٥٩٨ م ، الأولى في مدينة " فرفان " ليضع حداً للحروب الداخلية مع الكنيسة الكاثوليكية ولتقنين الوجود الشرعي للكنيسة البروتستانتية ^(١) .

سنة ١٥٧٢ قام التعصب الكاثوليكي بذبح ٥٠٠٠٠ فرنسي بروتستانت ، وقد احتفل البابا جريجوار الثالث بهذه المناسبة ، وفي ١١ / ١٠ / ١٦٨٥ تم اجتياح الكنائس البروتستانتية وطرده ٣٠٠٠٠٠ من صفوف شخصيات فرنسا ، هرب بعضهم إلى سويسرا ، ولاقى الآخر مصيره المحتوم .

الحروب ضد الإسلام :

يقول البابا يوحنا بولس الثاني :

" لا بد من تحالف القوى المسيحية لتكون أقوى درع ضد الإسلام ، فالاتحاد ضد العدو المشترك الذي يبعث الانشقاق في الجمهوريات الإسلامية جنوب الاتحاد السوفيتي كان في عام ١٩٨٩ الدليل الحاسم لإقناع الأرثوذكس بأهمية معاونة الكاثوليك على صحتهم فوق أنقاض الشيوعية " (كتاب الجغرافية السياسية للفاتيكان ص ٢٦٨ ") ^(٢) .

(١) محاصرة وإبادة : د. زينب عبد العزيز . ص ٧٣ ، ٧٤ القدس للنشر والإعلان ، الطبعة الثانية ٢٠٠١ م .

(٢) الفاتيكان والإسلام ص ١١٠ .

ثانيا :مدى إيمان الأديان السماوية بضرورة السلام :

١- الإسلام :

أ- السلام في الإسلام هدفه وغايته لا يفترط فيه : فقد تضمن القرآن الكريم الكثير من الآيات الدالة على ضرورة التمسك بالسلام سواء قبل الحرب أم أثنائها ، يقول تعالى :

﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [الأنفال : ٦١].

ويقول القرطبي في تفسيرها :

"إن مالوا- يعني الذين نبذ إليهم نبد إليهم عهدهم - إلى المسالمة ، أي الصلح فمل إليها ، وقد اختلف في هذه الآية هل هي منسوخة أم لا ، فقال قتادة وعكرمة : نسخها: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ [التوبة : ٥] ، وقيل ليست بمنسوخة ، بل أراد الجزية من أهل الجزية ، وقد صالح أصحاب الرسول ﷺ في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومن بعده من الأئمة كثيرا من بلاد العجم" (١).

كما يقول جل شأنه :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [النساء : ٩٤].

(١) تفسير القرطبي .

(٢) تفسير ابن كثير .

يقول ابن كثير في تفسير الآية :

"إن رجلاً يسمى فزاراً، هاجر إلى رسول الله ﷺ عن أمر أبيه بإسلامهم وإسلام قومهم، فلقيته سرية رسول الله ﷺ في عمية الليل "ظلمة الليل الشديدة"، وكان قد قال لهم أنه مسلم ، فلم يقبلوا منه فقتلوه ، فقال أبوه : فقدمت على رسول الله ﷺ فأعطاني ألف دينار ودية أخرى وسيرني، فنزل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء : ٩٤] ^(١).

ويقول الحكيم الخبير :

﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكُمُ أَعْمَالُكُمْ﴾ [محمد: ٣٥].

يقول ابن كثير في تفسير الآية :

﴿فَلَا تَهِنُوا﴾ أي: لا تضعفوا عن الأعداء وتدعوا للمهادنة والمسالمة في حال قوتكم وكثرة عددكم وعدتكم فأما إذا كان الكفار فيهم قوة وكثرة بالنسبة إلى جميع المسلمين ، ورأى الإمام في المهادنة والمعاهدة مصلحة فله أن يفعل ذلك .
إذن هذه الآية توضح سياسة حربية يلجأ إليها كل قائد محنك لحقن الدماء سواء دماء رجاله أم رجال العدو ، عسى أن يعم السلام .

معنى السلام وأهميته في الدين الإسلامي :

ورد لفظ الإسلام في القرآن الكريم ٤ مرات، ورد لفظ السلام في القرآن الكريم ٦ مرات
ورد لفظ السلم في القرآن الكريم ٤ مرات ، ورد لفظ للسلم في القرآن الكريم مرة
واحدة^(١) هذا بخلاف مشتقات أخرى .

رأي شيخ الأزهر في معنى السلام :

يقول الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور : محمد سيد طنطاوي عن معنى الإسلام والسلام :
الحقيقة الثانية : أن الأصل في شريعة الإسلام هو السلام ، أما الجهاد بمعنى القتال فأمر
طارئ، لا يلجأ إليه إلا عند مقاومة العدوان ، ودحر الظلم والتخريب والبغي والعصيان ..
ومن الأدلة على ذلك أن لفظ " الإسلام " الذي اختاره الله تعالى ليكون الدين المقبول
عنده، فقال: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ [آل عمران : ١٩] .

هذا اللفظ وهو الإسلام مأخوذ من مادة السلام وهذان اللفظان - الإسلام والسلام
- يلتقيان معا في وجوب توفير الأمان والاطمئنان والتعاون على البر والتقوى بين الناس،
الذين ينحدرون جميعاً من أصل واحد ، كما قال سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي
خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي
تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء : ١] .

(١) دراسة بالكمبيوتر .

(٢) يقصد فضيلته لفظ السلام ومشتقاته .

وهذا اللفظ "السلام" قد تكرر في القرآن الكريم في أكثر من ثلاثين موضعاً^(١).

ومما لا شك فيه أن تكرار هذا اللفظ بهذه الكثرة، وفي مناسبات متنوعة وبأساليب متعددة، يلفت الأفكار إلى هذا المبدأ السامي الجليل ويوقظ القلوب والعقول والمشاعر، إلى غرس فضيلة الإخاء الإنساني بين البشر، وإلى تبادل المنافع التي أحلها الله فيما بينهم ويغري بإشاعة روح الأمان والاطمئنان بين الأفراد والجماعات .

ومن بركات لفظ السلام أنه من أسماء الله الحسنى، كما في قوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر: ٢٣].

وأنة التحية التي يتبادلها أهل الإيمان فيما بينهم، بأن يقول المسلم لغيره عند لقائه به: السلام عليكم .. أي الأمان لنا ولكم ..

والمسلم خلال صلاته يقرأ الفاتحة وما تيسر معه من قرآن ويسلم على النبي ﷺ وعلى نفسه وعلى عباد الله الصالحين، فإذا فرغ من صلاته قال عن يمينه: السلام عليكم ورحمة الله، وعن شماله كذلك ..

والتحية التي يتلقاها المؤمنون من خالقهم وهم في الجنة: السلام، قال تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ [الأحزاب : ٤٤] أي : إن تحية هؤلاء من الله في الجنة يوم يلقونه سلام وأمان لهم من عذاب الله ، وقد أعد لهم ثوابا حسنا وهو الجنة ..

وتحية الملائكة للمؤمنين عند دخولهم الجنة: السلام، وقد ورد ذلك في آيات منها قوله عز وجل: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل : ٣٢].

ومنها قوله سبحانه: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر : ٧٣].

وتحية الملائكة للمؤمنين وهم في الجنة: السلام، قال تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ * سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد ٢٣ ، ٢٤] والمؤمنون دعاؤهم في الجنة التسبيح، وتحية الله وملائكته وفيما بينهم السلام، كما في قوله سبحانه: ﴿دَعَوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس : ١٠].

أي دعاء المؤمنين في الجنة التسبيح، وتحية الله وملائكته لهم وتحية بعضهم البعض في الجنة : السلام ، وآخر دعائهم قولهم: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

وخطاب المؤمنين بعضهم لبعض في الجنة: السلام، قال تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ٦٢]. أي لا يسمع أهل الجنة فيها كلاما باطلا، لكن يسمعون سلاما تحية لهم ولهم ما يشتهون في الصباح والمساء .

وقال تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيًّا * إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾ [الواقعة ٢٥ ، ٢٦]. أي إن أهل الجنة لا يسمعون فيها كلاما باطلا ، ولا ما يتأثمون بسماحه ، إلا قولا سالما من هذه العيوب ، وتسليم بعضهم البعض .

وليلة القدر التي هي خير من ألف شهر ﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ [القدر : ٥].
ودار السلام : اسم من أسماء الجنة ، كما في قوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [يونس : ٢٥]. والمعنى : والله عز وجل يدعو عباده إلى جناته عن طريق الإيمان والعمل الصالح ويهدي من يشاء من خلقه ، إلى طريقه المستقيم .
ودعاء الرسول ﷺ الذي كان يردده كثيراً : « اللهم أنت السلام ومنك السلام فحينا ربنا بالسلام » .

وبذلك يتبين لكل عاقل أن شريعة الإسلام تعتبر السلام بين الناس هو الأساس الذي تقوم عليه العلاقات الإنسانية فيما بينهم، أما الجهاد بمعنى القتال، فهو أمر طارئ لا يستعمل إلا عندما تدعو الضرورة لذلك ^(١).

وتحية المسلمين لغيرهم، السلام على من اتبع الهدى ^(٢).

شهادات الغرب بحسن أخلاق المسلمين وميلهم للسلام :

يقول المستشرق الكندي " ولفرد كانتول سميث :

"إن الإسلام" الكلاسيكي " نجح نجاحاً بارزاً في تربية رجال لهم خلق ، لا تفتنهم أطماع الدنيا ولا تفسد ولاءهم للدوافع الخلقية ، وأنه استمر يعطى هذه النماذج البشرية العالية حتى بعد أن فقد قوته السياسية بفترة طويلة" ^(٣).

يقول "سير أورلند" المستشرق الانجليزي : " ولما بلغ الجيش الإسلامي وادي الأردن وعسكر أبو عبيدة في " نخل "

(١) حوار هادي مع قداسة بابا الفاتيكان هدية مجلة الأزهر شهر ذي القعدة ١٤٢٧ هـ .

(٢) جاءت هذه التحية في القرآن الكريم ، أمر الله لموسى وهارون بالذهاب لفرعون : ﴿ فَأَيَّاہُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلٰی مَنِ اتَّبَعَ الْهُدٰی ﴾ [طه : ٤٧] .

(٣) المستشرقون والإسلام: محمد قطب ، ص ٢٢٩ .

(٤) من هدى القرآن الكريم في علاقات غير المسلمين: د. محمد إبراهيم شريف : ص ٩٤ ، ومرجعه الدعوة إلى الإسلام ص ٤٨ ، نقلاً عن شبهات حول الإسلام - محمد قطب ص ١٩٥ .

(٥) الغرب والإسلام : محمد عمارة : ص ١٤٠ .

كتب الأهالي المسيحيون في هذه البلاد إلى العرب يقولون : يا معشر المسلمين أنتم أحب إلينا من الروم، وإن كانوا على ديننا، أنتم أوفى لنا وأرأف بنا وأبعد عن ظلمنا وأحسن ولاية علينا^(١).

يقول "ميخائيل السرياني" :

"لم يسمح الإمبراطور الروماني لكنيستنا بالظهور، ولم يصنع إلى شكاوى الأساقفة فيما يتعلق بالكنائس التي نهبت، ولهذا فقد انتقم الرب منه، ولهذا جاء إلينا من الجنوب أبناء إسماعيل لينفذونا من أيدي الرومان "المسيحيين"، وتركنا العرب نمارس عقائدنا بحرية وعشنا في سلام"^(٢).

إن الإسلام لم يعترف أبداً باستخدام العنف لأسباب سياسية، لأن العنف نقيض الرفق، وفي الحديث النبوي الشريف : « إن الله تعالى يعطى على الرفق ما لا يعطى على العنف » (رواه مسلم والدارمي وغيرهم)، ويقول الرسول لزوجته أم المؤمنين عائشة: «مهلاً يا عائشة، عليك بالرفق، وإياك والعنف والفحش» ، رواه البخاري .

٢- السلام في اليهودية :

أ- السلام في اليهودية ليس هدفاً أو غاية .

السلام في اليهودية لا يعني إلا شيئاً واحداً، ألا وهو الاستسلام لليهود، والاسترقاء لهم، فجاء بالتوراة :

" حين تقرب من مدينة لكي تحاربها استدعها إلى الصلح .فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ، ويستعبد لك ، وإن لم تسالمك بل عملت معك حرباً فحاصرها ، وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف .وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة وكل غنيمتها فتغتنمها لنفسك ، وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب إلهك ، هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جداً التي ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا . وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيباً فلا تستبق منها نسمة ما ، بل تحرمها تحريماً " . (التثنية: ٢٠ : ١٠-١٧) .

والفقرات توضح أنه لا سلام نهائياً حتى لو تصالح المعتدي عليهم ،فجزاء السلام هو التسخير والمذلة والعبودية، والحكم هذا ينصرف إلى المدن التي يطمع اليهود في حربها دون مبرر شرعي ،فهي ليست من مدن أرض الميعاد ،أما مدن أرض الميعاد فلا سلام معهم وإنما فناء كامل وشامل فلا حياة لأي مخلوق يتنفس ،فتدمر المدن ويفنى كل مخلوق فيها .

والحرب مشروعة للحصول على العبيد : فكانت وصية الرب :

"وليكن عبيدكم وإماؤكم من الشعوب التي حولكم منها تقتنون عبيداً وإماء" (اللاويين ٢٥ : ٤٤) .

٣- في المسيحية :

أ- السلام في المسيحية وهم كتابي وليس حقيقة إلهية .

بالرغم مما جاء في الإنجيل من وصايا أخلاقية عظيمة ،يفهم منها السلام والاستسلام

الكامل للغير لقول المسيح :"(٢٧)

أيها السامعون ، فأقول : أحبوا أعدائكم : أحسنوا معاملة الذين يبغضونكم (٢٨) باركوا لاعنيكم ، صلوا لأجل الذين يسيئون إليكم (٢٩) ومن ضربك على خدك ، فأدر له الخد الآخر أيضاً ، ومن انتزع رداءك ، فلا تمنع عنه ثوبك أيضاً (٣٠) : أي من طلب منك شيئاً فأعطه ، ومن اغتصب مالكا فلا تطالبه " (لوقا: ٦) .

إلا أن بولس قد ألغى ذلك ، فافتخر بإبادة اليهود للشعوب فقال : " (١٧) إن إله شعب إسرائيل هذا اختار آبائنا ، ورفع من شأن شعبنا طوال غربتهم في مصر (١٩) ثم أزال سبعة شعوب من بلاد كنعان وأورثهم أرضها " (أعمال الرسل: ١٣) .

هذا وقد أوضح بولس الرسول أن المسيح سيحارب ويبيد مخالفه فقال :
" (٢٤) يسلم المسيح الملك لله الأب بعد أن يكون قد أباد كل رئاسة وكل سلطة وكل قوة (٢٥) فإنه لا بد أن يملك إلى أن يضع جميع الأعداء تحت قدميه (١ كورنثوس: ١٥) .
وبالطبع لن تكون الإبادة للرئاسات والسلطات والقوى إلا بالحرب التي لا سلام فيها .
وهكذا نرى أن الإسلام وحب السلام حقيقة مؤكدة في الإسلام سواء في حياة المؤمن أو عند لقاء ربه ، وهو يعني أيضاً حب السلام وعدم اللجوء للحرب إلا لضرورة .

أما اليهودية فالسلام لديها معناه ذل ومهانة الغير واسترقاقهم .
فالله في الإسلام " هو السلام المؤمن المهيمن " ، وفي اليهودية هو " رب الجنود " .
أما المسيحية فما تتضمنه من تعاليم خاصة بالسلام ، فهي كلمات جوفاء لا تناسب واقع الحياة ، ولا يتبعها المسيحيون في كل العصور .

ثالثا امتلاك القوة وأهميتها :

١- في الإسلام :

أ- يرى الإسلام أن الأخذ بأسباب القوة هي السبيل القويم لاحترام المسلمين وتجنب إيذاءهم أو حربهم ، يقول تعالى :

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال : ٦٠] .

والآية تتضمن الأمر بإعداد القوة المستطاعة وفقاً لمقاييس كل عصر ، وحاجة كل زمان ، فتعبير ﴿مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ يوضح مفهوم القوة بمعناه الواسع وإن كان في زمن نزول القرآن تعتبر الخيل هي القوة الأساسية .

أما الهدف من القوة فليس الحصول على مكاسب مادية أو تحقيق مصالح دنيوية من تجارية أو بترولية أو عسكرية ، ولكن الهدف هو تحقيق الحماية التي تجعل الطامعين المؤكدين والمعلوماتيين في فترة ما ، والمحتملين في زمن لاحق ، يخافون الاعتداء على المسلمين ، ويحترمون سلامهم القائم على القوة ، لا الاستسلام القائم على الضعف والمذلة والهوان .

فالقوة الراشدة المتكافئة هي السبيل لحفظ الإنسانية من ويلات الحروب وقد حذرنا الله من الضعف والتهاون فقال : ﴿كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [التوبة : ٨] .

٢- في اليهودية :

أ- امتلاك القوة في اليهودية للقتل والدمار والاستعباد :

أوصى الرب اليهود بإهلاك أهل أرض الميعاد " فلسطين " فجاء بالتوراة: " (١٦) فأما القرى التي تعطى أنت إياها ، فلا تستحي منها نفساً البتة (١٧) ولكن أهلكتهم إهلاكاً كلياً بحد السيف ، الحثي ، والأعموري ، والكنعاني ، والفريزي ، والحوبي ، واليابوسي ، كما أوصاك الرب " (الاستثناء: ٢٠) .

هذا وقد أوضح رب إسرائيل ، مساعدته لليهود وتقويتهم لحرب واغتصاب أرض فلسطين، فجاء في التوراة (٢٠) ها أنا أرسل ملاكي أمامك ليحرسك طوال الطريق ويقودك إلى الأرض التي أعددتها لك .. " (خروج: ٢٣) .

هذا ويجوز لليهود حرب ودمار البلاد والعباد من غير أرض الميعاد - لتحقيق مآرب أخرى فجاء في التوراة: " (١٠) إذا دنوت من قرية لتقاتلها ، ادعهم أولاً إلى الصلح (١١) فإذا قبلت وفتحت لك البواب فكل الشعب الذي بها يكونون لك عبيداً أو يعطونك الجزية " (الاستثناء: ٢٠) .

ويؤكد ذلك سفر أشعياء الذي جاء به :

" وبنو الغريب يبنون أسوارك ، وملوكهم يخدمونك (أشعياء ٦٠ : ١٠) .

" ويقف الأجانب ويرعون غنمكم ، ويكون بنو الغريب حراثيتكم وكراميتكم "

أي الذين يزرعون لكم ويجمعون العنب " (أشعياء ٦١ : ٥) .

٣- في المسيحية :

أ- القوة في المسيحية التي معناها احتلال الشعوب ونشر الدين عنوة لم يتضمن الإنجيل ذلك ، فلم يفد صراحة احتلال الشعوب والتبشير باستخدام السيف ، فقد كتبت الأنجيل في عهد ضعف المسيحية وهوانها ولم يكن هناك مجال لاستخدام القوة ، كما أن المسيح أرسل أول الأمر لقومه اليهود حيث قال لتلاميذه ورسله : "(٥) لا تسلكوا طريقاً إلى الأمم ، ولا تدخلوا مدينة سامرية (٦) بل اذهبوا إلى الخراف الضالة إلى بيت إسرائيل" (متى : ١٠) .

وبعد صلب المسيح - حسب زعم المسيحيين - ظهر لهم وقال :

"(١٦) فاذهبوا إذن وتلمذوا جميع الأمم ، وعمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس" (متى : ٢٨) .

ومعلوم أنه حتى نهاية كتابة الأنجيل الأربعة والرسائل ، لم يقم المسيحيون بأي حرب ضد الغير ، ومع ذلك فقد آمن الآباء المعصومون - حسب ظنهم - بضرورة اتخاذ القوة للحرب ونشر الدين بالسيف وكذلك اغتصاب خيرات البلاد .

ففي خطاب البابا أوربان الثاني (١٠٨٨ - ١٠٩٩) الموجه إلى فرسان الإقطاع الأوربيين

سنة ١٠٩٥ م في "كليرمونت" بجنوب فرنسا قال :

"يا من كنتم لصوصاً، كونوا اليوم جنوداً، فالحرب المقدسة المعتمدة الآن "هي" في حق الله عينه، وليست هي لاكتساب مدينة واحدة ، بل هي أقاليم آسيا بجملتها مع غناها وخزائنها العديمة الإحصاء - يقصد من الصعب إحصاء أموال الخزائن " - فإذا أنتم انتصرتم على أعدائكم، فالملك الشرقي يكون لكم قسماً وميراثاً" (١).

ومن ذلك يتبين أن امتلاك القوة في الإسلام للحفاظ على السلام أي هي قوة وقائية ، أما في الأديان الأخرى فهي لنشر الحرب والدمار وتحقيق كافة أنواع المكاسب الدنيوية من استعمار واستغلال واستعباد ونشر دين بالعنوة ﴿ فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴾ [النساء : ٨٤].

رابعاً : مدى الحق في الاعتداء على الغير :

١- في الإسلام :

أ- عدم المبادرة بالاعتداء على الغير في الإسلام :

الواقع أن الإسلام يدعو لعدم الاعتداء على الآخرين إلا دفاعاً عن النفس: ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ [البقرة : ١٩٠].

(١) الغرب والإسلام : محمد عمارة : ص ١٢٢ ، ١٢٣ بتصرف .

يقول السيد محمد رشيد رضا في تفسير الآية :

"وتعليل عن قتال الأعداء بأن الله تعالى لا يحب المعتدين مطلقاً دليل على أن هذا النهي محكم غير قابل للنسخ "لإلغاء" ، إن حروب النبي ﷺ للكفار كانت كلها دفاعاً ليس فيها شيء من العدوان"^(٢) .

ويقول جل شأنه: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج : ٣٩] . فهذه الآية الكريمة توضح ضرورة الدفاع عن الأوطان وعن الدين وعدم المبادرة بالعدوان .

كما يقول جل شأنه: ﴿فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة : ٧] . والآية تتكلم عن المشركين المعاهدين الذين لم يجاربوا الإسلام أو يتطاولوا على رسوله ﷺ ، فإن ظلموا على عهدهم ، فيجب الكف عن حربهم ، وهذا الأدب العسكري والخلقي الرفيع هو السبيل لتقوى الله والطريق المستقيم لمحبة الله ، ولا شك أن أهل الكتاب أولى من المشركين في ذلك وكذلك يجب عدم الاعتداء على المحايدين ، يقول تعالى : ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتِلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ [النساء : ٩٠] .

(٢) الوحي المحمدي : ص ٢٦٧ مطبعة نهضة مصر طبعة ١٩٥٦ .

يقول ابن كثير في شرح الآية: ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ﴾ أي إلا الذين لجؤوا تحيزوا بينكم وبينهم مهادنة ، أو عقد ذمة ، فاجعلوا حكمهم كحكمهم^(١) :
أي أن الإسلام لا يبيح الاعتداء على معاهد المعاهد ، فلكليهما له الحق في السلام وعدم المبادرة بالعدوان ، بل والحق في الدفاع عنه .
٢- المبادرة بالاعتداء على الغير في اليهودية :
تحيز اليهودية الاعتداء على الغير لتحقيق مكاسب دنيوية من اغتصاب أرض وسلب أموال .

فعند مباركة يعقوب لبنيه قبل موته أوضح أن بعضهم سيكون قائلاً محترفا يقتل بلا إنذار أو حتى بلا سبب مشروع ، ومما قاله :
(١٧) يكون دان حية على الطريق ، أفعوانا " ثعباناً " على السبيل ، يلسع عقبى الفرس ، فيسقط راكبه إلى الوراء . (التكوين : ٩) .
" (٢٧) بنيامين ذئب مفترس ، في الصباح يأكل غنيمته ، وعند المساء يقسم نهباً " (التكوين : ٩) .

هرب داود من طغيان شاول الملك الذي أراد قتله ، واحتفى هو وأهله وستائة رجل بالفلسطينيين ، وقد وهبه ملك جت " مدينة صقلع " للإقامة ، ومع ذلك فقد اعتدى داود على الجشوريين والجرزيين والعمالقة " (٩) وضرب داود الأرض ، ولم يستبق رجلاً ولا امرأة ، وأخذ غنماً وبقرًا وحميراً وجمالاً وثياباً .. " (١ صموئيل : ٢٧) .

(١) تفسير ابن كثير .

قصة اغتصاب دينه ابنة يعقوب :

يحدثنا سفر التكوين أن ابن أحد زعماء الفلسطينيين ، اغتصب دينه ابنة يعقوب وفاوض أهلها على الزواج منها وتصحيح هذا الخطأ ، ومنحهم حق امتلاك الأرض والتزواج المتبادل بغية تحقيق السلام الكامل .

هذا وقد تظاهر اليهود بالموافقة ولكنهم أضمرُوا الشر ، حيث اشترطوا ضرورة ختان الشعب الحولى ، فوافق على ذلك شكيم بن حمور الحولى والمغتصب " وقومه "

وفي اليوم الثالث بينما الرجال متوجعون من الختان ، هجم عليهم اليهود : " (٢١)
وقتلوهم على حين غرة (٢٢) وقتلوا كل الذكور (٢٦) وقتلوا أيضاً " حمور
وشكيم " بحد السيف " (التكوين : ٣٤) .

قد يلتمس البعض العذر لليهود ويرى أن ما حدث هو دفاع عن شرف عذراء ، ولكن الزواج المتبادل وتحقيق الأمن والأمان ، كان كفيلاً برد شرف الفتاة ، أو كان يجب إقامة الحد على المغتصب فقط لا إفناء كل الذكور .

وهناك قصة توراتية أخرى توضح شريعة الاعتداء على الغير يوضحها سفر القضاة ، فقد سرق الدانيون " يهود سبط دان " تماثيل مسبوكين من ذهب وكذلك أخذوا كاهناً ، ليتسنى لهم عبادة الوثن ، فطاردتهم مالك التمثالين ، ولم يستطيع قهرهم ، فرجع ، ومع ذلك أقبل الدانيون على أهل " لايشي "

" (٢٧) ومعهم أصنام ميخاو الكاهن ، فوجدوا شعبها آمناً مطمئناً مسالماً ، فهاجموها بحد السيف وأحرقوها " (القضاة : ١٨) .

٣- الاعتداء على الغير في المسيحية :

لا يوجد في الأناجيل مبادئ لأخلاقيات الحروب ، حيث لم يكن عندهم حال كتابة الأناجيل القوة على الحرب والقدرة على الدمار ، ولكنهم يؤمنون بما جاء في التوراة عند ذلك ، وسنوضح في فصل لاحق أمثلة للاعتداء المسيحي الغربي على الغير بلا مبرر قانوني أو إنساني أو ديني .

وباستعراض ما سبق نجد أن :

الإسلام لا يبيح إطلاقاً على الاعتداء على الغير ، إلا اضطراراً للدفاع عن النفس ، وبشروط رد العدوان دون التهادي فيه ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ [النحل : ١٢٦] .

﴿فَإِنْ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة : ١٩٣] .

﴿فَإِنْ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة : ١٩٢] .

وهذه الأخلاق الإنسانية الفاضلة الرحيمة ، لم يتضمنها أي دين آخر .

خامساً : الرحمة في الحرب وعدم اتخاذ القتل غاية :

١ - في الإسلام :

يأمر الله إذا حققوا النصر أو أوشكوا على الظفر بأعدائهم بعدم القتل والإبادة وسفك الدماء، ولكن بالمحافظة على الأرواح وصيانة الأجساد ، يقول جل شأنه .
﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فِيمَا مَنَّا بَعْدَ وَاِمَّا فِدَاءٌ حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ ﴾ [محمد : ٤] .

يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية :

يقول تعالى مرشداً المؤمنين إلى ما يعتمدونه في حروبهم مع المشركين ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ ﴾ ، ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَتُمُوهُمْ ﴾ أي أهلكتموهم قتلاً ﴿ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ ﴾ الأسارى الذين تأسروهم ، ثم أنتم بعد انقضاء الحرب وانفصال المعركة خيرون في أمرهم ، إن شئتم منتهم عليهم فأطلقتم أسارهم مجاناً، وإن شئتم فاديتموهم بهال تأخذونه منهم وتشارطونهم عليه ، والظاهر أن الآية نزلت بعد موقعة بدر ، فإن الله سبحانه وتعالى عاتب المؤمنين على الاستكثار من الأسارى يومئذ، ليأخذوا منهم الفداء والتقليل من القتل يومئذ فقال :

﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُفْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ

الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٦٧)

لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٦٨) ﴿ [الأنفال ٦٧ - ٦٨] ﴾^(١) .

هذا ويرى بعض العلماء أن هاتين الآيتين قد نسختا ويرى الآخر أنها لم ينسخا، وللإمام حق الخيار بين المن والمفاداة "الفدية" ولا شك أن فداء الأسرى دون مقابل هو أسمى خلق إنساني رفيع وأن فداءهم بمقابل وتعويض مالي أو بتبادل للأسرى، فهو أمر مشروع ويتوقف الحكم في كل حال على أسباب العدوان، ومدى سعة أو فقر المسلمين، وحاجتهم للمال والإسلام لا يؤمن بقتل الأسرى نهائياً، إلا في حالة اقتراف جرائم - اقترفت قبل الحرب، أو في أثنائها لا تتفق مع أخلاق الحرب .

٢- في اليهودية :

أ- اليهودية لا تؤمن بالرحمة والقتل لديها هدفاً وغاية :

إن جميع أوامر الرب في التوراة ترى أن القتل والإبادة الجماعية حق مشروع لليهود، فقد جاء بها فاعلم اليوم أن الرب إلهك هو العابر أمامك ناراً آكله، هو يببدهم ويذلهم أمامك، فتطردهم وتهلكهم سريعاً كما كلمك الرب " (التثنية: ٩: ٣) .

هذا وقد نفذ داود هذه الوصايا أكثر من مرة فجاء في الأصحاح (١) من (صموئيل الثاني) :

"(٢٩) فجمع داود جميع الشعب وسار إلى ربه فحارب أهلها وفتحها (٣٠) وأخذ تاج ملكهم عن رأسه وكان وزنه قنطاراً من الذهب، وكان فيه جواهر مرتفعة ووضعوه على داود وغنيمة القرية أخرجها كثيرة جداً (٣١)

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير .

والشعب الذي كانوا فيها أخذهم ونشرهم بالناشر وداسهم بنوارج حديد وقطعهم بالسكاكين وأحرقهم في أتون الأجر كذلك صنع بجميع قرى بني عمون ورجع داود وجميع الشعب إلى اورشليم . (نقلت لفظاً لفظاً من الترجمة العربية ١٨٣١ ، ١٨٤٤) .

ومن الملاحظ أن كتبة التوراة استحووا من هذه الأفعال الإجرامية ، فحرفوا الفقرات في الطبعات الحديثة فجاء في طبعة دار الكتاب المقدس س ١٩٩٥ : (٣١) واستعبد أهلها وفرض عليهم العمل بالمعاول والمناشير والفؤوس وأفران الطوب ، ولكن هذه الوحشية ظهرت جلية في مواضع أخرى ، فجاء في الأصحاح الثاني من سفر صموئيل .

"(٢) وقهر داود أيضاً الموابين وجعلهم يرقدون على الأرض في صفوف متراسة وقاسهم بالحبل، فكان يقتل صفيين ويستبقى صفاً ، فأصبح الموابيون عبيداً لداود يدفعون له الجزية . (٢ صموئيل : ٨) .

وقد زاول ملك اليهود جدعون هواية طحن الأسرى أحياء ، فهو قد طلب من أهل سكوت مساعدته بالطعام والسلاح في حربه، ولكنهم رفضوا لأنهم محايدون .

"(٧) فقال جدعون حسناً ! عندما ينصرتي الرب عليهما أى على "عدويه " سأدوس بالنوارج لحمكم مع أشواك البرية " (القضاة : ٨) .

وبعد النصر نفذ جدعون وعيده وأوفى بقسمه الإرهابي : "(١٦) وقبض على شيوخ المدينة وأخذ أشواكا من البرية ونوارج وعاقب بها أهلها (١٧) وهدم برج فنوئيل وقتل رجال المدينة . (القضاة : ٨) .

٣- المسيحية تتخذ القتل والحرق غاية سواء في الحرب أو التبشير :

لم تكن هناك حروب قبل كتابة الأناجيل ، وكان التبشير بالحسنى حيث لا قوة حربية تحقق نشر الدين ، ولكن بمجرد تقوية شوكة المسيحيين حتى نفذوا تعاليم المسيح - حسب الإنجيل - الأمرة باستخدام السيف ، حيث سبق أن قال :"(٣٥) حين أرسلتكم بلا صرة ولا كيس زاد ولا حذاء ، هل احتجتم إلى شيء ؟ فقالوا : لا (٣٦) فقال لهم : أما الآن فمن عنده صرة مال فليأخذها وكذلك من عنده حقيبة زاد ، ومن ليس عنده فليبع رداءه ويشتري سيفاً" (لوقا: ٢٢) .

وهذه الفقرات توضح الأمر بالاستعداد لاستخدام القوة في الدعوة للدين ، ويؤكددها قوله : " ما جئت لأرسي سلاماً بل سيفاً (٣٨) ومن لا يحمل صليبه ويتبعني فهو لا يستحقني " (متى: ١٠) .

وهذا ما فهمه أبناء الكنيسة ورجال الدين فمجرد أن قويت شوكتهم ، قتلوا وحرقوا وأبادوا بلا نهاية .

وللمسيح حكم عجيب وغريب في الإنجيل فيه استهانة بحياة الإنسان المخطئ فهو يقول : (٢١) قد سمعتم أنه قيل للقديماء لا تقتل ومن قتل يكون مستوجب "مستحق" القتل (٢٢) أما أنا فأقول لكم : إن كل من يغضب على أخيه باطلاً يكون مستوجب الحكم " (متى: ٥) .

الغضب على الأخ بالباطل جزاؤه القتل :

وهكذا يتبين أن الإسلام هو الدين الرحيم في الحرب ، والذي لا يجعل القتل غاية أو هدفاً إلا بقدر الحاجة لينصره الحق .

﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾

[النحل: ١٢٦] .

سادساً: قواعد التعامل مع غير المحاربين :

١- في الإسلام :

إن من القوانين الإنسانية الرحيمة ، عدم إيذاء غير المحاربين ، والمعاهدات والقوانين الدولية تقضي على ذلك صراحة، وتجعل من يخالف ذلك مجرم حرب ويستوجب العقاب .
ينفذ هذا على الدول الصغرى، أما الكبرى فلا ينفذ .

أ- الإسلام يحرم إيذاء غير المحاربين :

قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾

[البقرة: ١٩٠] .

فهذه الآية تأمر المسلمين بعدم قتال من لا يقاتلكم قتالاً مباشراً ، مع عدم الاعتداء على

غير المقاتلين ، وقد أوضح الله عدم محبته لمن يخالف ذلك .^(١)

(١) إن الله في الإسلام يكره الظلم والقتل بلا مبرر ، أما في اليهودية فهو رب الجنود المهلك الإرهابي .

ولعل وصايا الرسول ﷺ بمراعاة حقوق الإنسان في الحرب :

روى أنس قول الرسول ﷺ للجيش عند ذهابه للفتح : « انطلقوا باسم الله، وبالله، وعلى ملة رسول الله ، ولا تقتلوا شيخاً فانياً، ولا طفلاً صغيراً ، ولا امرأة ، ولا تغلوا ، وضموا غنائمكم ، وأصلحوا ، وأحسنوا إن الله يحب المحسنين »^(١). وقد زاد الرسول ﷺ على ذلك ، فأمر بعدم قتال من سبق أن أحسن إليه في السلم أو أخرج للقتال مكرهاً .

ففي غزوة بدر وهي أول حرب ضد الإسلام ، وبالرغم من قلة عدد المسلمين فقد كانوا ٣١٨ على أكثر تقدير ، وعدد المشركين حوالي ١٠٠٠ مع قوة عدتهم وعتادهم ، إلا أن الرسول ﷺ أوصى :

« إني عرفت أن رجالاً من بني هاشم وغيرها قد أخرجوا كرهاً ، لا حاجة لنا بقتلهم ، فمن لقي أحداً من بني هاشم فلا يقتله ، ومن لقي أبا البختري بن هشام بن الحارث بن أسد فلا يقتله ، ومن لقي العباس بن عبد المطلب فلا يقتله »^(٢) .

وإنما نهى الرسول عن قتل أبي البختري ، لأنه كان لا يؤذي الرسول ﷺ بمكة ، وكان ممن نقض الصحيفة التي كتبها قريشاً لحصار الرسول وآله في شعاب مكة ومقاطعتهم اقتصادياً واجتماعياً وتجارياً.

(٢) رواه أبو داود .

(١) السيرة النبوية لابن هشام ، القسم الأول ص ٦٢٩ .

وفي الصحيحين أن الرسول ﷺ وجد امرأة مقتولة في بعض المغازي فأنكر الرسول ﷺ قتل النساء والصبيان ^(١) .

وكانت وصية أبو بكر لبعثه أسامة .

" لا تخونوا ولا تغلوا ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً، ولا شيخاً كبيراً، ولا امرأة، ولا تعقروا نخلاً، ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة أو بقرة ولا بعيراً إلا لمأكله، وسوف تمرون على قوم يأتونكم بآنية فيها ألوان الطعام، فإذا أكلتم منها شيئاً بعد شيء، فاذكروا اسم الله عليها، اندفعوا باسم الله ^(٢) .

وكانت وصيته ليزيد بن أبي سفيان حين أمره على جيش لحرب الشام :

"إني موصيك بعشر خلال : لا تقتلوا امرأة، ولا صبيّاً، ولا كبيراً، ولا هرماً، ولا تقطعوا شجراً مثمراً، ولا تخربن عامراً، ولا تعقرن شاة ولا بعيراً إلا لمأكلة، ولا تغرقن نخلاً ولا تحرقنه، ولا تغلل ولا تجبن ^(٣) .

(٢) رواه البخاري ومسلم عن ابن عمر "رضي الله عنه " .

(٣) الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٣٣٤، دار صادر ، بيروت ١٩٦٥ م ، والبداية والنهاية لابن كثير مكتبة بيروت ، ومكتبة النصر بالرياض .

(٤) أخرجه البيهقي عن أبي عمران الجوني ، نقلاً عن تاريخ الخلفاء ص ٦٠ .

(٥) الكامل في التاريخ لابن الأثير ح ٢ ص ١٥٢ .

أبو دجانة يرفض قتل امرأة في الحرب :

يقول أبو دجانة: رأيت إنساناً يثير حمية الناس فصمدت له ، فلما حملت عليه السيف، رفع الصوت وقال : يا ويلاه ، فإذا امرأة ، فأكرمت سيف رسول الله ﷺ أن أضرب به امرأة^(١) .

ويقول الإمام الحسن البصري : من المثلة والغلول قتل النساء والصبيان والشيوخ الذين لا رأي لهم ولا قتال، ومنهم الرهبان وأصحاب الصوامع، وتحريق الأشجار وقتل الحيوان لغير مصلحة^(٢) .

٢- في اليهودية :

أ- اليهودية تأمر بقتل غير المحاربين :

المتدبر للتوراة من بدايتها لنهايتها يجد أن قتل غير المحاربين من النساء والشيوخ والأطفال ، ورجال الدين والحيوان ، وحرقت المدن والشجر شريعة إلهية ، ليس لها استثناء واحد سوى استبقاء العذارى عند الحاجة فقط ، فقد جاء في التوراة الأمر الإلهي : "(٥٥) ثم إنكم إن لم تبيدوا سكان الأرض فالذين يبقون منهم يكونون لكم كأوتاد في أعينكم ورماحاً في أجنادكم ويشقون عليكم في الأرض التي تسكنوها (٥٦) وما كنت عزمتم أني أفعل بهم سأفعله بكم" (العدد: ٣٣) .

والحكم لا ينصرف على أهل أرض الميعاد فقط ، بل كل أعداء اليهود .

(١) المرجع السابق ح ١ ص ٢١٥ .

ولعل قصة عفو شاول ملك اليهود عن رجل واحد ومجموعة من البهائم، توضح كيف سخط الرب عليه وعاقبه أشد العقاب لهذا العفو المسبب كما سنعلم .

فقد أمر الله ، شاول ملك اليهود : " فاذهب الآن وهاجم عماليق ،واقض على كل ماله، ولا تعف عن أحد منهم ،بل اقتلهم جميعاً ،رجالاً ونساءً ،وأطفالاً رضعاً ،بقراً وغنماً ،وجمالاً وحميراً " (صموئيل ١٥ : ٣) .

" هذا وقد انتصر شاول فعلاً ولكنه لم ينفذ أوامر الله كاملة حيث ترك أجاج فقط ملك عماليق وخيار الغنائم : " (٨) وأسر أجاج ملك عماليق حيا ،وقضى على جميع الشعب بحد السيف (٩) وعفا شاول عن أجاج وعن خيار الغنم والبقر والعجول والخراف ،وعن كل ما هو جيد ،وأبوا أن يقضوا عليها ،ولم يدمروا إلا الأملاك والغنائم التي لا قيمة لها " (١ صموئيل ١٥ : ٨ ، ٩) .

ومن العجب أن الرب غضب على شاول لتركه رجلاً واحداً حياً مع خيار البهائم حتى تستغل كثرة لليهود لدرجة أن قال صموئيل : " لقد ندمت (١) أني جعلت شاول ملكاً ،فقد ارتد عن أتباعي ولم يطع أمري " (١ صموئيل ١٥ : ١٠) .

وقد بين شاول لـ " صموئيل " الحكمة من إبقاء الغنم والحيوان : " فاختار القوم من الغنيمة أفضل الغنم والبقر لنقربها ذبائح للرب إلهك في الجلجال " (١ صموئيل ١٥ : ٢١) .

ومع ذلك اعتبر صموئيل ذلك تمرداً على الله "فالتمرد مماثل لخطيئة العرافة" ^(١)

(١ صموئيل ١٥ : ٢٣).

جزاء شاول الرادع من الرب :

١- "ولأنك رفضت كلام الرب فقد رفضك الرب من الملك...." (صموئيل ٢٣ : ١٥).

٢- "يمزق الرب مملكة إسرائيل عنك ويهبها لمن هو خير منك" (١ صموئيل ١٥ : ٢٨).

٣- "فارق روح الرب شاول وهاجمه من عند الرب روح ردىء يعذبه" (١ صموئيل

١٤ : ١٦)

٤- مصرع "شاول" في الحرب ومعه أولاده :

"(٢) وتعقب الفلسطينيون شاول وأبناءه، فقتلوا منهم يوناثان وأبيناداب وملكيشوع... فأخذ "شاول" السيف ووقع عليه (٦) وهكذا مات في ذلك اليوم "شاول" وأبناؤه الثلاثة وحامل سلاحه وجميع رجاله معه" (١ صموئيل ٣١ : ٢-٦).

لو أن هذه العقوبات الفظيعة كانت بسبب يتناسب مع ما اقترف "شاول" من جرائم ضد الإنسانية وحقوق الإنسان والحيوان، لربما تقبلها أي عقل ولكنها بسبب عفوه ورحمته برجل واحد بعض الغنائم، التي ستقدم لله على سبيل العبادة، فهل يقبل أي ذي عقل ذلك،

(١) تعبير ندم الله لا يليق بذاته وصفاته وأفعاله ويجب تنزيه الله عن النقض، وهذا الندم سببه يوضح قسوة

قلب الله - تعالى الله عن ذلك - حتى على الأطفال والنساء والحيوان، وكيف ذلك وهو رب رحيم .

(٢) صموئيل ١٤ : ٤٥ .

وتزداد الدهشة من هذا الانتقام الإلهي من أول ملك اختاره الله ليحكم شعبه المختار والذي غضب الله لعدم رضا اليهود عن مسحه ملكا واعتبر ذلك إهانة له .

ومن العجب حقاً أن شاول كان رجلاً صالحاً يخاف الرب فقد أقسم للشعب قائلاً: "ملعون الرجل الذي يأكل طعاماً حتى المساء حتى أنتقم من أعدائي" (١ صموئيل ١٤: ٢٤). ولم يخبر أو يعلم بالقسم ابنه يوناثان فتذوق بعض العسل بطرف لسانه" (٢٧) أما يوناثان فلم يكن حاضراً عندما استحلف والده القوم ،فمد طرف عصاه التي كانت بيده وغمسه في قطر العسل وتذوق منه" (١ صموئيل ١٤ : ٢٧). ومع ذلك عندما علم أبوه بذلك أمر بقتله "فقال شاول: ليضاعف الرب عقابي إن لم ينفذ بك حكم الموت" (١ صموئيل ١٤ : ٤٤). إن تقوى الله تمكنت من قلب "شاول" حتى إنه توعد ابنه بالقتل؛ لأنه لم يلتزم بأمر لم يعلمه ولم يدر به إلا بعد اقترافه ،ومع ذلك فقد افتدى يوناثان؛ لأنه كان

سبب نصرهم في هذا اليوم على الأعداء^(٣).

ومما يؤكد صلاح "شاول" وتقواه لربه هو أنه ندم على أسر أجاج وعدم قتله: "لقد أخطأت، لأني عصيت أمر الرب ووصيتك (يقصد وصية صموئيل)، إذا خشيت الشعب فسمعت لقولهم (٢٥) فاصفح الآن عن خطيئتي وارجع معي لنسجد للرب" (١ صموئيل ١٥ : ٢٤، ٢٥). ولكن صموئيل رفض ذلك "...فتشبث شاول بهذب جبته، فتمزق هذب الجبة...." (١ صموئيل ١٥ : ٢٧). "فانطلق صموئيل مع شاول حيث سجد شاول للرب" (١ صموئيل ١٥ : ٣١). وقتل أجاج بواسطة صموئيل "وقطع صموئيل أجاج إرباً أمام الرب في الجلجال. وبعد كل ذلك "أسف الرب لأنه أقام شاول ملكا على إسرائيل" (١ صموئيل ١٥ : ٣٥).

ومن هذه القصة الواردة في التوراة "الكتاب المقدس لليهود" والجزء الأصلي من الكتاب المقدس للمسيحيين بصفته العهد القديم والذي أوصى المسيح باتباعه واتباع أحكامه كاملة يتبين لنا ما يلي:

١- الله يغفر الذنوب جميعاً ما عدا ذنب الإبقاء على أحياء من البشر أو الدواب أو الزروع من أعداء اليهود، فالوصية بالفناء لا يمكن تجاهلها حتى ولو قيد شعر^(١) .

٢- مهما بلغ مستوى التوبة والندم ومستوى صلاح القائد الذي لا ينفذ تعاليم ووصايا الله فلن تقبل توبته .

٣- إن أقصى عقاب يوقع على عاص هو ما يوقع على الرحيم بالأعداء من قادة وجند الرب اليهود .

٤- بلغ مستوى سخط وندم الرب لمسخ "شاول" ملكاً منتهاه فلم يصل هذا الغضب إلى أي عاص لله مهما كانت المعصية .

هذا وقد حفظ اليهود وقادتهم هذه الوصايا ونفذوها كاملة ؛ فهي الملك "أسا" سليل داود يقتل مليون كوشي .

" وزحف عليهم زارح الكوشى بجيش مؤلف من مليون محارب وثلاثمائة مركبة " (أخبار الأيام الثاني ١٤ : ٩) .

(١) سبق أن أوضحنا زنا داود بامرأة أوربا ومع ذلك فالله يمجده ويقول : إن داود عبده وأطاع وصاياه .

(٢) الإرهاب في اليهودية والمسيحية والإسلام ص ٧٣ ، ٧٥ .

فانتصر عليهم "أسا" وتعقبهم.....فقتل الكوشيين فلم يفلت منهم أحد (١٣ : ٤)^{١١}

المسيحية وإيذاء غير المحاربين .

لم تتضمن الأناجيل - كما سبق القول - أية حروب ضد أعداء المسيحية، ولكنهم يؤمنون ويؤيدون ما جاء في العهد القديم "التوراة من أحكام .

نشر لوثر في كتابه "المسيح ولد يهوديا " أن الروح القدس شاءت أن تنزل كل أسفار الكتاب المقدس عن طريق اليهود وحدهم وأن اليهود هم أبناء الرب ، والمسيحيون هم الضيوف والغرباء ، وعليهم أن يكونوا كالكلاب التي تأكل ما يتساقط من فئات مائدة أسيادها " !!!

ضم لوثر التوراة إلى الإنجيل وعرفت التوراة بالعهد القديم والإنجيل بالعهد الجديد ، وهما معا يمثلان الكتاب المقدس ، ومن ثم بدأ زوال العداء الأوربي المسيحي ضد اليهود .

وكان من النتائج الإيمان المسيحي الأوربي بأرض الميعاد لليهود وهى فلسطين واليقين من حرب هرمجدن التي يجب فيها مساعدة اليهود ضد أعدائهم وإبادتهم نوويا .

الإسلام هو أعلى الأديان مرتبة في حماية غير المحاربين وعدم إيذائهم مع المحافظة على البيئة من نخل وشجر وزرع وغيره، أما الأديان الأخرى فهي تؤمن بالإبادة الجماعية للإنسان والحيوان والنبات.

سابعاً :أسس معاملة الأسرى:

١- في الإسلام :

غالباً ما تتمخض الحروب من أسرى ،فضلوا الاستسلام للعدو بدلاً من القتل ،أو أصيبوا في المعارك ولم يستطيعوا الدفاع عن أنفسهم أو الهرب ، وقد يكون الأسرى من غير المحاربين كالنساء والشيوخ والأطفال ورجال الدين والعجزة المقعدين والمرضى وغير ذلك ، والإسلام لم يأسر أحداً من هؤلاء أبداً .

وجاء الإسلام والأسر والسبي قائم بين كل شعوب العالم ، ومعترف به في أحكام الأديان ، فلم يبتدع الإسلام نظام الأسر وما يتبعه من استرقاق أو عبودية ، ولكنه أتى بتشريعات جديدة لم تكن معروفة من قبل تهدف إلى حسن معاملة الأسرى والقضاء على نظام الاسترقاق والعبودية ، ومن هذه النظم والتشريعات :

أ- الإحسان إلى الأسرى في الإسلام :

إن حسن معاملة الأسرى والإحسان إليهم واجب ديني يثاب عليه المسلم ، وهو من شروط الإيمان الصادق ، يقول تعالى :

﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا * إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبَّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا * فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا * وَجَزَّاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴾ [الإنسان ٨ : ١٢] .

الآيات توضح أن من صفات عباد الرحمن ،إطعام الأسارى ، طمعاً في رحمة الله ، وخوفاً من عذابه ورغبة في جنته .

ب- النهي عن قتل الأسارى: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة ٣٢] .

هذا ولم تأمر آية قرآنية واحدة أو حديث نبوي واحد بقتل الأسرى أو جعل استعباد واسترقاق الناس هدفاً .

وفي أسرى بدر استشار الرسول ﷺ أصحابه فيهم، فقال أبو بكر : يا رسول الله ، قومك وأهلك استبقهم عل الله يتوب عليهم ، وقال عمر : يا رسول الله ، كذبوك وأخرجوك، فقدمهم واضرب أعناقهم ، وقال عبد الله بن رواحة : يا رسول الله ، أنت في واد كثير الحطب فاضرب الوادي عليهم ناراً ثم ألقهم فيه .

وكان الرسول ﷺ يميل إلى رأي أبي بكر الصديق " رضي الله عنه " فانتظر نزول الوحي، فنزل قوله تعالى :

﴿ مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُنْخَنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال : ٦٧] .

ج- تشجيع تحرير الأسرى :

والأسير في الإسلام يصبح حراً بنطق كلمات قليلة: " أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله " ويقول تعالى حاثا الأسرى على ذلك: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَىٰ إِنَّ يَعْلَمَ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنفال : ٧٠]

وهنا يأمر الله رسوله بحث الأسرى على الإيمان بالله ورسوله، فإن فعلوا آتاهم الله من الفضل والخير أكثر مما تركوا نتيجة إيمانهم، ومن ذلك المغفرة والرحمة أي ثواب الدنيا الفانية والآخرة الباقية، مع التحذير أنهم لو لجؤوا للخيانة فسوف يذلمهم الله كما سبق أن أذلمهم .

والبر في الإسلام هو تعبير عن أعلى مراتب الخير وأرفع درجات الخلق، واعتبر الإسلام الإنفاق على من لا وطن له للاستقرار والأسير والعبد من شروط البر قال تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧]

٢- في اليهودية :

أ- المعاملة غير الإنسانية للأسرى في اليهودية :

لا أعتقد أن هناك قانوناً أرضياً مهما بلغت قسوته - ينافس اليهودية في أحكام الإرهاب ضد الأسرى فقد جاء في التوراة أمر الرب لليهود :

" حين تقرب من مدينة لكي تحاربها استدعها إلى الصلح .فإن أجابتك إلى الصلح
وفتحت لك ، فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ، ويستعبد لك ، وإن لم تسالمك
بل عملت معك حرباً فحاصرها ، وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها
بحد السيف .وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة وكل غنيمتها فتغتنمها لنفسك
، وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب إلهك ، هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جداً
التي ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا . وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك
نصيباً فلا تستبق منها نسمة ما ، بل تحرمها تحريماً (بل تهلكها إهلاكاً) : الحِيثِينَ وَالْأَمُورِيِّينَ
، وَالْكَنْعَانِيِّينَ ، وَالْفِرْزِيِّينَ وَالْحَوْبِيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ ، كم أمرك الرب إلهك " (التثنية ٢٠ - ١٠ -
١٧) .

كما قال موسى لبني إسرائيل :

"فالآن اقتلوا كل ذكر من الأطفال ، وكل امرأة عرفت رجلاً بمضاجعة ذكر اقتلوها "
(العدد ٣١ : ١٧) .

كما جاء عن داود :

"وأخرج داود الأرض ، ولم يستبق رجلاً ولا امرأة ، وأخذ غنماً وبقراً وحميراً ، وجمالاً
وثياباً ورجع وجاء إلى أخبش " (١ صموئيل : ٢٧ : ٩) .

كما جاء بالتوراة أيضاً :

"وأخرج الشعب الذي فيها (في المدينة) ، ووضعهم تحت مناشير ونوارج حديد، وفؤوس حديد، وأمرهم في أتون الآجر ، وهكذا صنع بجميع مدن بني عمون " (٢ صموئيل: ١٢ : ٣١) .

إذن إبادة وقتل الأسرى عقيدة يهودية ثابتة ، شملت حتى الحيوانات .

٣- معاملة الأسرى في المسيحية :

لم تقع حروب إبادة الأناجيل ومن ثم لا تتضمن الأناجيل أحكام خاصة بالأسرى، وهي تتبع أحكام التوراة في هذا الشأن .

ولعل ما نراه رأي العين ونشاهده مشاهدة اليقين في وسائل الإعلام المختلفة ونسمعه أيضاً يوضح أحقر درجات الهمجية الأمريكية بصفة خاصة ، والأوروبية أيضاً في معاملة الأسرى .

فرنسا ومعاملة الأسرى :

تعتبر فرنسا نافذة أوروبا الثقافية والفكرية والفنية ، فهي بلاد النور والموضات "الأزياء " وهي منبع كبار مثقفي وفلاسفة الغرب ، وللأسف هذا كله يذوب عند معاملة المسلمين .

قتل نابليون للأسرى في مصر : أصدر نابليون أمراً بقتل أسرى "يافا" وعددهم ٢٥٠٠ أسير ، ولما كان هناك نقص في الطلقات النارية ، فتم قتلهم بالحرايب ،

ووصف شاهد عيان هذه المجزرة فقال: "هرم مرعب من الموتى ومن المشرفين على الموت ممن تقطر دماؤهم"^(١).

ويقول نابليون في رسالته إلى قومندان الشرقية: عادت السكينة إلى القاهرة وفقد الثائرون نحو ألفي قتيل وفي كل ليلة تقطع رؤوس نحو ثلاثين من الرجال وكثير من زعماء الأهالي^(٢) الألمان يلعبون الكرة بجماجم الأموات "الشهداء".

نشرت وسائل الإعلام الغربية صوراً وتحقيقات حول عبث جنود ألمان بجماجم الشهداء في أفغانستان، حتى إنهم تلاعبوا بهذه الجماجم كأنها كرة، وقد اعترفت مستشارة ألمانيا بذلك وأجرت تحقيقاً لهذا الأمر.

البوسنة وقتل المسلمين غير المقاتلين :

يقول الكاتب "كاتي حافظ" في كتابة الإسلام والغرب وإمكانية الحوار .
ففي حملات التطهير العرقي في البوسنة كان شكل الاسم الأول الإسلامي في جواز السفر تكفي لقتل صاحبه .

أعلن سفاح صربيا :إنه من غير المقبول وجود دولة مسلمة في قارة أوروبا كلها .
وقبل هذا الإعلان وغي ٢٤ / ١٢ / ١٩٩٠ أعلن البابا يوحنا بولس الثاني إدانته للمعارك الدائرة في يوغسلافيا ثم ناشد المسؤولين السياسيين في العالم بأسره : أن يسمعوا لصوت المسيح في السهر على مصير الشعوب .

(١) مصر ولع فرنسي : روبير سوليه ص ٤٥ ، مكتبة الأسرة ١٩٩٩ م .

(٢) تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم: عبد الرحمن الرافعي ، ص ١٩٣ مكتبة الأسرة .

الألمان فوق جماجم الأفغان

اسمعوا صوت الحب الحنون القوي يا من تشهرون أسلحة العنف والقتال^(١).
هذا ١ وقد تم اغتصاب ٥٠٠٠٠ مسلمة أعمارهن ما بين سني السادسة إلى ما فوق
الستين ، واغتيل الأطفال فيما فوق العاشرة أو تنصيرهم جماعياً .
المسلمون هم لاجئو العالم ونازحوه :

جاء في مقال الأستاذ/ شعبان عبد الرحمن بمجلة الوعي الإسلامي، عدد مايو يونيو
١٩٩٧ بعنوان "مشاهدات ودراسات عن محنة المرأة المسلمة في عالم الشتات".
"هناك ما يقرب من ٢٣ مليون لاجئ و ٢٥ مليون نازح ينتشرون في العالم –
إحصائية المفوضة العليا لشؤون اللاجئين **"UNHCR"** يمثل المسلمون منهم ٨٠
٪ ويشكل الأطفال والنساء منهم أكثر من ٧٠ ٪.

ويعرض الكاتب لبعض مهازل اغتصاب المسلمات ومنها :
لقد شاهدت بعيني خلال زيارتي للبوسنة في منتصف العام ١٩٩٤ م كيف يعاني
النساء البوسنيات ومعهن أطفالهن حياة الشتات، ورحلة البحث عن مأوى

(١) محاصرة وإبادة : ص ٢٤٨ ، وحديث البابا هو مجرد تطييب خاطر ، ولو أراد الأمر، برفع هذه
الانتهاكات لفعل!!.

وكان يكفي لمن يقف عند محطة القطار الرئيسية في مدينة زغرب عاصمة كرواتيا أن يشاهد بين ساعة وأخرى الأفواج تلو الأفواج من النساء والأطفال وهم يتدفقون من القطارات بعد أن هربوا بجلدهم من الإبادة لتحملهم الشاحنات إلى المصير والمجهول!

كما شاهدت حالات الانهيار والرعب والعذاب النفسي التي تملكث مئات النساء والفتيات بعد تعرضهن لأبشع عمليات اغتصاب شهدتها القرن العشرون، ولا يستطيع أحد أن يتنبأ متى يزول كابوس الانهيار النفسي عن هؤلاء الضحايا .

ولم تكن أحوال المرأة في البوسنة بأحسن من أحوال المرأة في أذربيجان وكشمير ، ولعل ما تشهد به السيدة "تونزالا فاليما مادونا " وهي سيدة أذربيجانية أعدت أخيراً دراسة تعد صرخة لأصحاب الضمير عن أحوال بنات جنسها المتردية بعد أن احتل الأرمن أكثر من ٢٠٪ من بلادها، وقدمت فيها نماذجاً كشاهدة عيان – من اعتداءات الوحشية الأرمنية ضد النساء والأطفال من قصف المدارس بالطائرات وبقر بطون الحوامل وصلب الأطفال وجلدهم أمام أعين ذويهم وإلقائهم في الصحارى لتفتك بهم الأفاعي والوحوش الضارية، وتقول: إن عدد الضحايا هناك بلغ ١٢٠ ألف قتيل و ٦٠ ألف معاق ومشوه معظمهم من النساء والأطفال، كما أن هناك ١٤٠٠ امرأة و ٩٧ من الأسرى من بين ٤٢٣٧ أسيراً .

أمريكا ومعاملة الأسرى :

تدعى الولايات المتحدة الأمريكية - كما سبق أن ادعت فرنسا- أنها بلاد الحرية والعدل وأنها منبع الديمقراطية التي لا ينضب ، ومنه حقوق الإنسان التي لا يظلم فيها أحد ، وأن من واجبها تصدير كل هذه الآداب والمبادئ الإنسانية الراقية إلى العالم بأسره ، ومن لم يتبعها كرها فعليه دخول الجحيم في الدنيا أي تحمل الحرب والدمار الأمريكي .

وفضائح الأمريكان في تعذيب الأسرى والمشتبه بتورطهم في أعمال ضد أمريكا سواء مشروعة للدفاع عن الوطن أو النفس أو العرض ، يصعب حصرها ، ولكننا سنسوق تقريراً لمكتب التحقيقات الأمريكي^(١) .

أكدت المعلومات أنه بعد سلسلة طويلة من التحقيقات التي جرت مع الجنود والضباط الأمريكيين وعدد المعتقلين في سجن جوانتنامو بناء على الأمر الرئاسي الصادر إليهم ، فقد توصل المحققون إلى عدد من النتائج الهامة أبرزها :
أولاً : أن الحراس الأمريكيين قاموا فعلاً بتدنيس "كتاب المسلمين المقدس" وفقاً لوصف التقرير وأن ذلك تم عمداً وأمام المعتقلين

(١) ورد هذا التقرير في مقال بجريدة الأسبوع للأستاذ / مصطفى بكرى بتاريخ ٢٠ / ٥ / ٢٠٠٥ .

حيث كان الحراس يصادرون هذه الكتب ويقومون بتمزيقها وإلقائها على الأرض ثم ركلها بأقدامهم ووضعها أسفل أحيديتهم . ويشير التقرير الأمريكي إلى أن أحد الضباط الأمريكيين طلب من الحراس أن يخلعوا أحيديتهم وحاولوا أن يجعلوا من أوراق "القرآن" جوارب يمكن استخدامها تحت أقدامهم ولحماية أرجلهم من نعال الأحذية .

إن إضراب السجناء عن الطعام في سجن جوانتنامو جاء بسبب قيام الحراس بإجبار عدد من المساجين على استخدام أوراق الكتاب المقدس للمسلمين في دورات المياه والحمامات وأنه في بعض الأحيان قاموا باستخدام هذه الأوراق مجدداً للف بعض أنواع الطعام ، وأن بعض الحراس قاموا بإحراق العديد من هذه الأوراق أمامهم . وأكد التقرير أن أحد المسجونين الذي مات متأثراً بإصابته وذلك عندما دخل الحمام ووجد أوراق المصحف قام بتجميعها وجففها من المياه إلا أن أحد الحراس فاجأه وأجبره على استعمال هذه الأوراق في داخل الحمام ، فاشتاط السجين غضباً وقام بضرب الحارس الذي عاجله بإطلاق النار عليه .

وأشار التقرير الأمريكي إلى أنه وفقاً للمعلومات فإن اثنين من المسجونين قاموا بتقبيل رجل بعض الجنود الأمريكيين في مقابل أن يرفعوا أقدامهم وأحيديتهم من على أوراق الكتاب المقدس ، وأن البعض من الحراس والضباط كان يكرر ذلك الفعل من أجل إجبار المسجونين على تقبيل أحيديتهم وأقدامهم

، في الوقت الذي كانوا يقومون فيه وبعد تقبيل أحذيتهم وأرجلهم بكل المسجونين بأرجلهم، مما كان يؤدي إلى إصابتهم في بعض الأحيان بإصابات بالغة .

أنه في عام ٢٠٠٤ حدثت أزمة كبيرة داخل سجن جوانتنامو سببها أنه عندما كان المصلون يستعدون لأداء الصلاة كان الحراس يقومون بالعزف على أدوات موسيقية صاخبة ، ويقومون بالرقص وإهانة المصلين وهم مستغرقون في الصلاة ، وكانوا يلجؤون إلى القيام بتحرش جنسي بهم خلال سجودهم على الأرض لأداء الصلاة .

هذا وما نشر عن تعذيب الأسرى بصور بشعة في السجون الأمريكية المختلفة والتي تخصص للعرب والمسلمين ، يفوق الوصف ، فقد أجبر السجناء على مباشرة الشذوذ الجنسي الجماعي (١) ، وتم التعذيب بالكهرباء وباستعمال الكلاب المدربة لتنتهك لحم الأسرى .. وهتك عرض النساء ، والأمثلة كثيرة ، ولكنني سأكتفي بنشر صورة واحدة لعملية انتهاك لأسيرة أعتقد أنها لم تحدث من قبل سوى الآن ، مما جعل البابا شنودة الثالث يقول :

ما يحدث من تعذيب في سجن أبو غريب "بالعراق " عمل بشع بكل المعايير ، ومسألة مقرزة، وهو ضد الإنسانية والدين وضد الأدمية وضد كل القيم والمبادئ^(١) .

(١) جريدة الأسبوع في ١١/١٠/٢٠٠٤ م .

إنهم يغتصبون شرفنا

هذه الصورة التي توضح أقصى وأحق درجات الوحشية والهمجية للأمريكيين، والتي لم تحدث من قبل في تاريخ البشرية، حتى لدى الهمج المتوحشين، نشرتها وسائل الإعلام المختلفة، ونقلتها جريدة الأسبوع في ٣/٥/٢٠٠٤ م، ويلاحظ الفتاة ترتدي شعار علم العراق، إنها إشارة لانتهاك عرض أمة بأكملها ونحن نقول للبابا بندكت ومن يهتمون الإسلام بالوحشية.

قول المسيح: "ولماذا نلاحظ القشة في عين أخيك، ولكنك لا تنتبه إلى الخشبة الكبيرة في عينك" (لوقا: ٦ : ٤١).

الباب الرابع
ادعاءات ظالمة ضد الإسلام

لم تعهد البشرية منذ قدم التاريخ المعلوم لنا حتى الآن ، حرباً إعلامية ، ودعائية ظالمة ، كالحرب ضد الإسلام ، فالسلام: الادعاءات الكاذبة ، والجنود: رجال دين ومفكرون وفلاسفة وساسة وعسكريون ، بالإضافة إلى فيالق منظمة من الفنانين أصحاب المزمار وصاحبات هز الوسط ، وممثلين وممثلات ومخرجين ومؤلفين للسينما والمسرح والتلفزيون وغير ذلك ، والكل يهدف لمحاولة النيل من الإسلام وتسفيه أحلام المسلمين .

والمثير للدهشة أن هؤلاء المدعين منهم من يعلم كذبه يقيناً ، ومنهم من يتكلم عن جهل وإسفاف ، وأغلبهم لا يعلم شيئاً عن دينه ، ولو قرأ توراته أو إنجيله أو كان عنده أدنى فكرة عن دينه ، لما رمى الإسلام بأكاذيبه ، فقد صدق المسيح حيث قال عنهم : "لأنكم بالدينونة التي بها تدينون تدانون ، وبالكيل الذي به تكيلون يكال لكم" (متى ٧ : ٢) .

وقال عنهم القرآن الكريم: ﴿ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ٦٦]

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ﴾ [الحج: ٣]

والواقع أن هذه الادعاءات وتلك المفتريات كثيرة ولكننا في هذا الباب سنتعرض لبعض

هذه الادعاءات في الفصول الآتية :

الفصل الأول : الادعاء بأن الإسلام دين عبودية ورق .

الفصل الثاني : الادعاء بأن الإسلام أقام الحروب لفرض الجزية .

الفصل الثالث : الادعاء بأن الإسلام نشر بالسيف .

الفصل الأول

ادعاء أن الإسلام دين العبودية والرق

كانت الحروب في الماضي تتمخض عن أعداد من الأسرى ، يستغلون في خدمة المنتصرين ، منهم الرجال ويسمون العبيد ، أما النساء ، فيطلق عليهم الإماء والواقع أن الإسلام قد جاء ونظام الرق قائم ، وكان بعض أوائل المسلمين من العبيد والإماء ، منهم بلال بن رباح مؤذن الرسول الذي أكرمه الله باعتلاء أشرف وأقدس مكان على الأرض وهو الكعبة ليرفع الأذان للصلاة: الله أكبر الله وأكبر ، ومنهم سلمان الفارسي الذي أشار على الرسول بحفر خندق حول المدينة للدفاع عنها ، والذي تولى الإمارة بعد ذلك ، وكان أول شهداء الإسلام إحدى الإماء وهي سمية .

ومع ذلك فأعداء الإسلام يدعون أنه دين يؤدي إلى الرق والاستعباد ، بالرغم من أن اليهودية قد زاولته ونظمت أحكامه ، والمسيحية لم تر غضاضة في طاعة الرقيق لسيده واعتبرت ذلك من رضا الله .

يقول الأستاذ / رجب البنا متعجباً !^(١)

وحتى الآن كلما أجلس مع بعض الرجال المسيحيين ينتهي حديث المجاملات إلى سؤال مثل : أليس الإسلام ديناً يبيع الرق ، ويسمح للإنسان أن يمتلك إنساناً آخر ويبيعه أيضاً ، وإن كانت فتاة فهي ملك يمينه ؟

طبعاً لا تستطيع أن تجيب عن السؤال بأن تقول له : إن أمريكا كان فيها أحياء للسود وكانوا إلى عهد قريب جداً يعاملون معاملة الكلاب ... !

(١) الغرب والإسلام : رجب البنا ص ٢٣١ ، ٢٣٢ ، مكتبة الأسرة ٢٠٠٢ م .

أو أن تقول له : إن الاستعمار الغربي في أفريقيا كان يبيع الأفارقة في الأسواق ، وكذلك لا تستطيع أن تشرح له وضع الرق في إطاره التاريخي .. كأن تقول له : إن الرق كان نظاماً سائداً في العالم كله منذ ١٤٠٠ عام .. وفي أوروبا كان أسرى الحرب يؤخذون أرقاء .. وكان الأوروبيون يخطفون أبناء أفريقيا وينقلونهم بالسفن إلى أمريكا وأوروبا للبيع ، وكان المدين المعسر إذا لم يستطع أن يسدد دينه يتحول إلى رقيق لدائنه ، وكان الرق مفروضاً كعقوبة على من يرتكب جرائم معينة " .

وفي هذا الفصل سنتناول المباحث التالية :

المبحث الأول : الرق في حياة الأديان والأمم قبل الإسلام .

المبحث الثاني : الرق في الإسلام مقارنة بالأديان السماوية .

المبحث الأول

الرق في حياة الأديان والأمم قبل الإسلام

١ - صناعة وتجارة العبيد فكر يهودي مسيحي :

" يقول إميل لودفيج ، في كتابه النيل حياة نهر ، موضحاً أسباب الرق وأصل منبع الرق

الديني :

"ونوح هو مصدر الخطأ ولا ريب في أنه كان نشوان"^(١) حين لعن ابنه -واسمه حام-

وحكم عليه بأن يخدم أخوته ، فصار جميع تجار الرقيق يستشهدون به .

وفي ذلك تفسير لوجود عبيد منذ سبعة آلاف سنة وفي قلة عصيانهم، وتاريخ العبيد أطول

من تاريخ الطوائف الأخرى ومن تاريخ الكهنة ، وكان لأكابر محبي الإنسانية عبيد، وكان

للحكيم "سولون" -أحد حكماء اليونان السبعة ومشروعهم (٦٤٠ - ٥٥٨ ق.م) عبيد، وكان

للعادل ليكورغ "مشروع أسبارطة" عبيد ، وكان قيصر يسيطر على إمبراطورية ثلاثها عبيد .

والرق في عهد أشد ملوك أسبانيا كثلثة^(٢) دام حتى القرن السادس عشر .

(١) القصة في التوراة أن نوحاً شرب الخمر حتى سكر ، ونام وكشفت عورته فراها ابنه حام ، فلعنه نوح (سفر التكوين ٩ : ٢٠ - ٢٧) وكانت اللعنة : " ليكن كنعان ملعوناً وليكن عبد العبيد إخوته " .

(٢) يقصد أشد الملوك تمسكاً بعقيدته المسيحية الكاثوليكية .

(٣) النيل حياة نهر : ص ٢١٧ .

ولما بدأ البرتغاليون قبل كولومبس بتجارة الرقيق في الشاطئ الأفريقي الغربي كان لهم بلون جلود ضحاياهم راحة ضمير ، باع النصارى الوثنيين في العصر الحاضر، وقد صرح أحد آباء الكنيسة النظام بأن الرق عمل صالح ، وذلك لأنه يتيح لهؤلاء الكافرين من الحظ ما يتصورون به ، ومن الباباوات من قالوا مؤكدين أن الرق نتيجة حتمية للخطيئة الأصلية فكان موضع حمدهم ، ثم جاء دور الإنجليز فأمضوا المعاهدات لإمداد أمريكا بالعبيد^(١) .

هذا وقد آمنت المسيحية بالرق ، فقد ضرب المسيح مثلاً للمغفرة بين الناس فقال : (٢٣) يشبه ملكوت السموات إنساناً ملك أراد أن يحاسب عبده (متى ١٨) .

ويوصي بولس الرسول العبيد بطاعة السادة ويجعلها من طاعة المسيح " الله " فيقول ... :

(٥) أيها العبيد أطيعوا ساداتكم البشريين بخوف وارتعاد من قلب صادق ، كمن يطيع المسيح (أفسس ٦ : ٥) .

والقديس : توماس الإكويني يقول : إن الطبيعة خصت بالرق قوماً ، والقديس أوغسطين يقول : " العبودية عقاب على ارتكاب الشر " .

إذن الأديان السماوية اعتبرت الرق عقيدة وأمر إلهي قبل الإسلام ، الذي لم ير فيه إلا استثناء .

٢- الرق نظام اجتماعي قائم في الأمم والحضارات:

إن من الثوابت التاريخية التي لا خلاف عليه بين المؤرخين ، أن الرق كان نظاما اجتماعيا معتادا أو معترفا به في كل الأمم السابقة على الإسلام ،وقد زاوله المصريون القدماء، والآشوريون ، والعبرانيون ، والفرس ، والهنود ، والصينيون ، والإغريق ، والرومان .

الرق عند القدماء المصريين :

كانوا يتخذون من أسرى الحروب عبيداً ، يقومون بالاشتغال في أعمال السخرة ، وفي البيوت ، ويتخذونهم لمظاهر الأبهة والعظمة ودليلاً على الثراء ، وكانوا يعاملونهم معاملة طيبة ، فيجوز الزواج من نسائهم ، كما يحرم القانون قتل العبد ويفرض عقاباً لذلك ، وقد استخدم قدماء المصريين العبرانيين في أعمال الزراعة والرعي والصناعات الإنشائية ، كحفر الترع وإقامة السدود ، وصناعة الطوب الأحمر من الطين (ارجع التوراة) .

الرق عند الآشوريين :

قامت الحضارة الآشورية معتمدة على سواعد العبيد الذين كانوا يعملون في المهن المتدنية، وكانت القصور ممتلئة بالجواري من النساء والخدم والأرقاء لخدمة السادة ، وكان هذا من مظاهر العظمة والغنى والمستوى الاجتماعي الراقى .

الرق عند العبرانيين :

كان الاسترقاق عادة عبرانية قديمة ،ففي عهد القوة كانوا يملكون العبيد ،وفي عهد الضعف كانوا هم العبيد ،وفي جميع الأحوال كانوا أكبر تجار العبيد والإماء ، وقد استخدم اليهود العبيد في بناء الهيكل ،وقصور سليمان ، وغيرهم وجاء بالتوراة تشريعات لمعاملة العبيد سواء من اليهود أو غيرهم ،فقد كان يجوز استرقاق اليهودي لأخيه اليهودي .

الرق عند الهنود القدماء :

كان هناك طبقتان اجتماعيتان :طبقة الأشراف وهم البراهمة ،وطبقة العمال وهم الطبقة الدنيا التي تستخدم في التسخير بقوة لأداء الأعمال ،ولا يسمح بترقية أي فرد من الطبقة الدنيا إلى العليا ،فالعبد يظل هو ونسله عبيدا إلى ما لا نهاية ، وكانت القوانين ظالمة في حق العبيد ، فلا مساواة ولا شبه مساواة بين العبد والبرهمي " الحر " .

الرق عند الصينيين قديماً :

كانت القوانين الصينية أكثر رحمة وشفقة بالعبيد عن القوانين الهندية ،حيث كان فقراء الصين يبيعون أبناءهم كعبيد من شدة الفقر والحاجة .

الرق عند اليونان :

لقد كان الرق نظاما طبيعياً عند اليونان . وقد أقره فلاسفتهم جميعاً ،بل إن أفلاطون اعتبره عملاً ضروريا لا يمكن الاستغناء عنه وكان قاسيا في النظام الذي سنه لعقاب الأرقاء فيما يسمى الجمهورية الفاضلة التي كان يحلم بها ، ومن رأيه أن الرحمة إذا وجبت بالأرقاء فليس ؛ لأنهم أناس يستحقون الرحمة . بل لأنهم فقراء لا يليق بالأحرار أن يتنزلوا إلى عقابهم وإيذائهم !

وقد اشتركت الحضارات القديمة كلها في هذه الجريمة،فالقانون الروماني-الذي لا يزال معمولاً به في أوروبا- كان يرى الرق شيئا طبيعياً ، وكان يبيح للدائن أن يبيع مدينه إذا عجز

عن الوفاء، بل - كان الرومان يعدون الأسرى والسبايا وسكان البلد المفتوح ملكاً للفتح
يتصرف فيهم كيف يشاء فله أن يقتلهم، ومن حقه أن يستعبدهم ومن حقه أن يبيعهم^(١).

٣- أوروبا واحتراف تجارة العبيد :

ساق الغرب الأوروبي ملايين الأحرار من الأفارقة في سوق البهائم، يبيعهم للسخرة
والمهانة، لقد كان الإحصاء الرسمي هؤلاء المخطوفين غصباً أنه ١٥ مليون ، وما كانت
الإحصاءات الرسمية يوماً بصادقة فهي تزور الواقع لمصلحة أهله .

عندما اتصلت أوروبا بأفريقيا كان هذا الاتصال مأساة إنسانية عرضت سكان هذه القارة
للبل طويل استمر خمسة قرون متوالية . مأساة اشتركت فيها كل شعوب أوروبا وبخاصة
الأسبان والبرتغال والانجليز . كان يتم اصطياد الرقيق من سواحل إفريقيا بعد إشعال النار
في الأكواخ التي يعيشون فيها ، كان يموت في عملية القنص جماعات كثيرة ، وكان ثلث
الباقين يموت أثناء عملية الشحن أثناء الرحلة . أما من كانوا يموتون في المستعمرات فلا
حصر لهم ، لقد دخل مستعمرة جامايكا سنة ١٨٢٠ م حوالي ٨٠٠٠٠٠ ثمانمائة ألف مات
منهم نصف مليون في سنة واحدة ... !

إن بريطانيا اختطفت حوالي ثلاثة ملايين من شواطئ إفريقيا، وكانت القواعد التي
يتجمع فيها الرقيق قبل تصديره إلى أميركا في ليفربول ولندن وبريستول ولانكشاير وكانت
الملكة إليزابيث الأولى تشارك في هذه العملية ، وكانت شريكة لـ "جون هوكنز" أكبر تاجر
رقيق في تاريخ العالم ،

(١): لماذا يخافون الإسلام : د. عبد الودود شلبي ص ٢٦ دار الشروق .

وقد أنعمت عليه الملكة بلقب سير ، وجعلت شعاره رقيقا يرفل في القيود السلاسل .!
ومن الأشياء المضحكة أن السفينة التي أعارثها الملكة لجون هوكنز اسمها "يسوع" وقد
طلبت الحكومة الانجليزية من رجال الدين المسيحي الفتاوى التي تبيح لهذه الحكومة
استرقاق البشر .

فقام رجال الدين بالمطلوب ، وكتبوا لها ما جاء في أسفار العهدين القديم والجديد من
إباحة استعباد البشر .

في الحضارة الأوروبية لم يكن للرقيق أية حقوق.. بل العكس.... فقد صدر قانون يقول:
من اعتدى من الرقيق - أقل اعتداء على أحد من السادة يقتل وإذا أبق العبد أي هرباً
قطعت أذناه ورجلاه وكوى بالحديد بالنار، وإذا هرب للمرة الثانية قتل ، أما السيد فإنه لا
يعاقب ولو قتل ألف زنجي .! وقد اشتركت الكنيسة في هذه المأساة بصورة أخرى ، إنها لم
تكتف بإصدار الفتاوى التي تبيح استرقاق الإفريقي . بل كانت ترسل القساوسة والكهان
إلى موانئ الشحن والتصدير ليباركوا هؤلاء المساكين، ويخلصوا أرواحهم الشريرة من
التفكير أو العودة إلى بلادهم التي اختطفوا منها حتى لا يجرموا من ملكوت المسيح، وكانوا
يتقاضون مبلغاً من المال على كل رأس تساق إلى مخازن التصدير!!؟^(١) .

(١) لماذا يخافون الإسلام : ص ١٣٤ ، ١٣٥ .

وهكذا يتبين لنا بوضوح أن الإسلام لم يبتدع الرق ولم يدع إليه ، ولكنه كان نظاماً اجتماعياً قائماً قبل بعثة الرسول ﷺ وأن ما يردد باتهام الإسلام ورسوله والمسلمين بأنهم دين يدعو للاسترقاق، فهذه أكاذيب. ﴿مَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [النساء : ١١٢] .

﴿الَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب : ٥٨]

٤ - مصادر الرق قبل الإسلام :

تعددت وتنوعت مصادر الرق عبيد وإماء قبل الإسلام ، وكان لها سبعة مصادر رئيسية هي :

المصدر الأول : الحرب بجميع أنواعها ، ويقصد الحروب الخارجية بين البلاد ، وأيضاً الحروب الداخلية "الحروب الأهلية" ، فكان المنتصر إما أن يقتل الرجال من الأعداء، المحاربين وغير المحاربين، أو يسترقهم ، وأما النساء فكان غالباً ما يتخذن إماءً ، وقد تنال بعضهن الرضا والقبول من السيد فتتبرأ المكانة العالية ، سواء كجارية "عشيقة" أو كسيدة منزل "زوجة أو تحل محلها- أو سيدة مجتمعات "صالونات" ، وأحياناً ملكات ، هذا وقد نظمت التوراة أحكام الرق كحق استرقاق أو كتنظيم اجتماعي .

يوصي الرب فيقول : "(١٠) وحين تتقدمون لمحاربة مدينة فادعوها للصلح أولاً (١١) فإن أجابكم إلى الصلح واستسلمت لكم ،

فكل الشعب الساكن فيها يصبح عبيداً لكم (١٥) هكذا تفعلون بكل المدن النائية عنكم" (التثنية ٢٠) .

(٤٤) ... أما عبيدك وإماؤك الذين يكونون لك فمن الشعوب الذين حولكم ،منهم تقتنون عبيداً وإماءً" (اللاويين ٢٥) .

المصدر الثاني: القرصنة أو الخطف :

فالقوي القادر يختطف الضعيف العاجز ليسترقه لنفسه أو يبيعه لغيره وقد تفشى هذا الأمر في القبائل الهمجية المتوحشة ،ثم أصبح تجارة رائجة في أوروبا وأمريكا .
يقول ول ديورانت :

"بمجرد اكتشاف جزر الهند بواسطة كولومبس ،أصبح هو نفسه تاجراً للعبيد" إذ أرسل حملات لأسر ١٥٠٠ وطني ،وأعطى للمستوطنين ٤٠٠ من هؤلاء وبعث لأسبانيا ٥٠٠ مات منهم ٢٠٠ أثناء الرحلة ،وبيع الباقيون في إشبيلية ،وأهدى الملك والملكة الهنود وسبائك الذهب ، وسمح للمستوطنين في البلاد المكتشفة ،باسترقاق الوطنيين "أهل البلاد" ^(١) .ولقد حدثت منذ عشر سنوات أن أقامت الكنيسة بأغرب عملية اختطاف واسترقاق ، وكان لها ضجة عالمية .

فقد ثبت أن الكنيسة الكاثوليكية قامت بحملات منظمة لبيع وشراء الفتيات من ولاية كيرالا الهندية ، وحين أجرى التحقيق اعترف الكاردينال بأن هذه العملية كانت تتم بعلم البابا ورعايته؟! ^(٢) .

(١) قصة الحضارة ح ٢٣ ص ١٧١ .

(٢) لماذا يخافون الإسلام : ص ١٢٨ .

المصدر الثالث:

عجز المدين عن دفع دينه، فكان يحكم عليه بالرق لصالح الدائن ، وقد كان هذا النوع من الاسترقاق معمولاً به في الحبشة ، ضد المسلمين فقط ، وقد تضمنته التوراة ونظمت أحكامه فجاء فيها : " (٣٩) إذا افتقر أخوك من عندك وبيع عبداً فلا تستعبده استعباد العبد (٤٠) كأجير كنزيل عندك (٤١) ثم يخرج من عندك هو وبنوه معه ويعود إلى عشيرته " (اللاويين : ٢٥) .

أما طريقة العودة للعشيرة "منح الحرية" فقد أوضحها الرب لموسى : " (٢) إذا اشتريت عبداً عبرانياً فليخدمك ست سنوات ، وفي السنة السابعة تطلقه حراً مجانياً " (الخروج : ٢١) .

المصدر الرابع:

سلطة الوالد على أولاده فكان يباح أن يبيعهم في حالة الفقر ، وكذلك الزوجات ، وقد آمنت التوراة بذلك ، فقد قال الرب لموسى : " (٧) ولكن إذا باع رجل ابنته كأمة ، فإنها لا تطلق حرة ، كما يطلق العبد " (الخروج : ٢١) .

وكان بيع الزوجات مباحاً في عهد قريب ، فقد حاول رجل انجليزي بيع زوجته سنة ١٩٣١ ، وحين رفع الأمر إلى المحكمة رفضت البيع ، ثم قالت : إن هذا القانون أبطل !!!^(١)

(١) لماذا يخافون الإسلام : ص ١٢٩ .

المصدر الخامس :

بيع الرجل نفسه لقاء ثمن معين ، وقد كان ذلك معترفاً به في أغلب المجتمعات والقوانين السابقة، وكان معترفاً به في اليهودية فجاء في التوراة : " (٣٩) وإذا افتقر أخوك عندك وبيع لك عبداً فلا تستعبده استعباد العبد (٤٠) كأجير كنزير يكون عندك (٤١) ثم يخرّك من عندك هو وبنوه ويعود إلى عشيرته " (اللاويين: ٢٥).

(١٠٤) ليطلق كل واحد منكم في ختام سبع سنين أخاه العبراني الذي باع نفسه لك (أرميا: ٢٤).

المصدر السادس :

التناسل، فمن يولد من رقيق "أمة" يظل رقيقاً، إلا لو كان أبوه حراً، واعترف به .

وقد اعترفت الأديان السماوية بهذا المصدر، فجاء في التوراة :

"(٦١) ويقف الأجانب ويرعون غنمكم ، ويكون بنو الغريب حراثيكم وكراميكم "صانعي الخمر " (أشعيا: ٦١) .

(٤٥) وأيضاً من أبناء المستوطنين النازلين عندكم، منهم منهم تقتنون عشائهم الذين يلدونهم في أرضكم فيكونون لكم ملكاً (٤١) وتستملكونهم لأبنائكم من بعدكم ميراث ملك تستعبدونهم إلى الدهر " (اللاويين: ٢٥) .

والهدف من الرق والعبودية هو التسخير لخدمة اليهود .

(١٠) وبنو الغريب يبنون أسوارك، وملوكهم يخدمونك " (أشعيا: ٦٠) .

المصدر السابع :

الرق كعقاب لارتكاب بعض الجرائم ،كالزنا والقتل والسرقة ، والحكم قد يكون لمصلحة المجني عليه أو صاحب الحق ،أو لصالح المجتمع ؛ هذا ولم تتضمن الديانات السماوية هذا المصدر ، وإن تضمنته كثير من القوانين الوضعية في الأمم القديمة .

المبحث الثاني

الرق في الأديان السماوية

بعث الرسول ﷺ واكتملت أحكام الدين وشرائعه، وكان الرق نظاماً مقبولاً ومقنناً في التوراة والإنجيل، ويزاوله اليهود والنصارى، ومعمول به عند كافة الأمم والحضارات الأخرى. والإسلام لم يدع للرق ويشجع عليه.

يقول الإمام محمد أبو زهرة رحمه الله :

لم يحج نص صريح في القرآن بإباحة الرق في الإسلام، ولم ينشئ الرسول ﷺ رقاً على حر قط، فلم يسترق وكل من كان تحت يده من رقيق كان بحكم ما قبل الإسلام، وإن الاسترقاق في عهد الصحابة لم يكن إلا من قبيل المعاملة بالمثل في الحروب، أخذاً بقوله تعالى :

﴿فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة : ١٩٤]

وبتطبيق ذلك المبدأ لا يكون من حق المسلمين أن يسترقوا الأسرى، إذا كانت الاتفاقات الدولية قد استقرت على أنه لا استرقاق ولو للأسرى، لأن ذلك يكون من المسلمين اعتداء، وقد نهاهم الله عن ذلك بقوله: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة : ١٩٠]^(١)

(١) روح الإسلام : ص ١٨٨.

وعلى ذلك فالرق في الإسلام أرقى إنسانياً مقارنة بغيره من الأديان أو الأحكام الوضعية ،سواء من حيث حسن المعاملة الإنسانية الكريمة أو طرق العتق .

أولاً : معاملة العبيد والإماء في الأديان :

١ - معاملة العبيد في الإسلام :

إذا كان الرق أمر لا بد منه ،فيجب على الأقل حسن معاملة العبيد ،فهم بشر ربما يكون بعضهم أعلى منزلة من سيده الذي اشتراه أو سرقه والإسلام قد دعا في القرآن الكريم بالإحسان إلى المملوك، وكذلك كانت سنة الرسول ﷺ .

يقول جل شأنه :

﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ ^(١) وَالْمَسَاكِينِ ^(٢) وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ ^(٣) وَالْجَارِ الْجُنُبِ ^(٤) وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ ^(٥) وَابْنِ السَّبِيلِ ^(٦) وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ^(٧) إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ [النساء : ٣٦] .

(١) الأقارب .

(٢) جمع يتيم وهو من توفي أبوه .

(٣) أى المحتاجين .

(٤) الجار القريب .

(٥) الجار البعيد داراً .

(٦) المرأة أو الرفيق في السفر .

(٧) المسافر أو الضيف .

(٨) المملوك والخادم .

(٩) الحيلة : الثوب .

(١٠) ساب : شتم وأهان .

(١١) خولكم : خدمكم وحشمكم .

(١٢) ولى علاجه : صاحب خدمته أو المكلف بالخدمة .

وهذه الآية: قد اشتملت على الإحسان إلى كثيرين منهم المملوك والخدام .

وعن المعرور بن سويد قال رأيت أبا ذر - رضي الله عنه - وعليه حلة ^(٣) ، وعلى غلامه مثلها، فسألته عن ذلك ، فذكر أنه ساب ^(٤) رجلاً ، على عهد رسول الله ﷺ ، فغيره بأمه ، فقال النبي ﷺ: « إنك امرؤ فيك جاهلية ، هم إخوانكم ، وخولكم ^(٥) ، جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل ، ويلبسه مما يلبس ، ولا تكلفوهم ما يغلبهم ، فإن كلفتموهم فأعينوهم » رواه البخاري ومسلم .

وقال النبي ﷺ: « إذا أتى أحدكم خادمه بطعامه ، فإن لم يجلسه معه ، فليناول له لقمة أو لقمتين ، أو أكلة أو أكلتين ، فإنه ولي علاجه ^(٦) » رواه البخاري .

وقال رسول الله ﷺ: « إن العبد إذا نصح لسيدته ، وأحسن عبادة الله ، فله أجره مرتين » ويجب ألا ننسى أن أول من اعتلى الكعبة للأذان هو عبد حبشي هو بلال بن رباح . ارتكب غلام " زنباع " إثماً ، فجذع " زنباع " أنفه ، فجاء الغلام إلى الرسول ﷺ وشكا سيده ، فقال الرسول لزنباع : « ما حملك على هذا ؟ » قال : كان من أمره كذا وكذا أي : أخطأ في كذا وكذا . فقال الرسول للغلام : « اذهب ، فأنت حر » فقال الغلام : يا رسول الله فمولى من أنا ؟ أي : من يتولاني ويحميني وينفق علي .

فقال الرسول ﷺ: « مولى الله ورسوله » فأجرى له الرسول فرضاً "معاشاً" ثم استمر على فرض هذا الرزق أبو بكر الصديق ، ثم أقطعه عمر بن الخطاب في مصر أرضاً ليزرعها ويتكسب منها .

قال الرسول ﷺ: « اضرب عبدك إذا عصى الله ، واعف عنه إذا عصاك » .

كما قال :

« لقد أوصاني حبيبي جبريل بالرفق بالرقيق حتى ظننت أن الناس لا تستعبد ولا تستخدم . »

كما قال الرسول ﷺ:

« اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم ، أطعموهم مما تأكلون ، واكسوهم مما تلبسون ، ولا تكلفوهم من العمل ما لا يطيقون ، فما أحببتهم فأمسكوا ، وما كرهتم فبيعوا ، ولا تعذبوا خلق الله ، فإن الله ملككم إياهم ، ولو شاء لملككم إياكم » .

جاء رجل إلى الرسول ﷺ وسأله : كم أعفو عن الخادم ؟ فصمت الرسول ﷺ : ثم قال « اعف عنه في كل يوم سبعين مرة » .

الرسول ينهي عن مناداة العبد " يا عبد " :

قال ﷺ: « لا يقولن أحدكم عبدي وأمتي ، ولا يقولن المملوك ربي وربتي ، وليقل المالك؛ فتاي وفتاتي ، وليقل المملوك: سيدي وسيدتي ، فإنكم المملوكون والرب الله » .

كما قال ﷺ :

« من كانت له جارية وأحسن إليها وتزوجها كان له أجران في الدنيا وفي الآخرة : أجر

النكاح وأجر العتق »

وكانت آخر وصايا الرسول ﷺ وهو على فراش الموت: « اتقوا الله في الصلاة وما ملكت

أيما نكم»^(١).

حسن معاملة الصحابة والتابعين للعبيد :

القرآن الكريم هو الأساس الكتابي المحفوظ بعناية الله لعباده المسلمين وكمنبع لا ينضب

للشريعة الإسلامية، والرسول ﷺ نفذ ما جاء فيه مقتديا بكلام الله من أوامر ونواهيه.

والرسول كان وما زال وسيظل القدوة الحسنة لتنفيذ أحكام الدين، ويقتدي به المسلمون

في كافة أحكامهم ومعاملتهم ومنها حسن معاملة الأرقاء .

عند فتح عمر لبيت المقدس كان معه غلامه "عبده" فكانا يتناوبان على ركوب الدابة

حتى ان عندما أشرف على الدخول على الناس بيت المقدس الغلام، لم يستح عمر من ذلك،

حتى أن أبا عبيدة بن الجراح نبهه فقال : يا أمير المؤمنين، إن الأنظار متجهة إليك ، ولا يليق

أن تصنع ما صنعت ، فقال عمر : "لم يقل ذلك أحد من قبلك، وكلامك يجلب اللعنة على

المسلمين، وقد كنا أذل الناس ، وأحقر الناس ، وأقل الناس ، فأعزنا الله بالإسلام .

(١) روح الإسلام : ص ١٨٣ .

استعجل "ميمون بن مهران" جاريته لإحضار طعام العشاء له ولضيفه، فأتت الجارية
مهرولة، فتعثرت ووقعت القصعة بها فيها من طعام حار "ساخن" وأراقته على رأس
سيدها ميمون :

فقال يا جارية : أحرقتني .

قالت : يا معلم الخير ، ومؤدب الناس، ارجع إلى ما قال الله تعالى !!

قال ميمون : وماذا قال الله تعالى ؟

قالت : ﴿ وَالْكََاظِمِينَ الْغَيْظَ ﴾

قال : قد كظمت غيظي .

قالت : ﴿ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ﴾ .

قال : لقد عفوت عنك .

قالت : ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ .

قال : أنت حرة لوجه الله تعالى .

كان عون بن عبد الله إذا عصاه غلامه ، قال: ما أشبهك بمولاك ؟ مولاك يعصى مولاه ، وأنت تعصى مولاك ، فأغضبه يوماً ، فقال :إنما تريد أن أضربك اذهب فأنت حر^(١) .

٢- معاملة العبيد في اليهودية :

تختلف المعاملة حسب دين العبد أو عنصره ،فمعاملة العبد اليهودي تختلف عن غيره من باقي العبيد ،فهي رقيقة مع اليهودي ،شديدة مؤلمة مع غيره .

أ- معاملة العبيد القاسية اللا إنسانية في اليهودية :

تأديب العبيد في التوراة كما جاء ما يأتي: "(٢٠) إن ضرب أحد عبده أو أمته بالعصا ضرباً أفاض إلى الموت يعاقب ،(٢١) ولكن إن بقي حياً يوماً أو يومين لا يعاقب الضارب، لأن العبد ملكه" (الخروج: ٢١) .

إن هذه الفقرات توضح أن للسيد ضرب العبد وتأديبه بقسوة ،فإن مات فعلى السيد العقاب ،وإن عاش لفترة وجيزة ليوم أو اثنين فلا يعاقب . إنها تقنين للوحشية !!!

تسخير العبيد غير اليهود في التوراة:

جاء في التوراة: "(٧) أما جميع نسل الأمم الباقيين الذين لا ينتمون لإسرائيل (٨) ممن بقوا في الأرض... ولم يفنهم إسرائيل ، فقد سخرهم سليمان للخدمة إلى هذا اليوم (٩) أما أبناء إسرائيل فلم يسخر منهم أحداً ،لأن منهم كان يتألف رجال القتال" (٢ أخبار الأيام: ٨) .

(١) د.محمد عطية الإبراشي :روح الإسلام ص ١٨٩ / ١٩٠ مكتبة الأسرة .

هذا وقد تم تسخير هؤلاء في بناء الهيكل وبأعداد وفيرة: "(١) وأصدر سليمان أمره ببناء هيكل لاسم الرب وقصر للملك (٢) واستخدم في ذلك سبعين ألف حمال، وثمانين ألف نحات في الجبل، ويشرف عليهم ثلاثة آلاف وستة مائة وكيل " (٢ أخبار الأيام: ٢)

وقد بلغ عدد العبيد عند سليمان حسب الإحصاء :

"(١٧) وأحصى سليمان جميع الغرباء المقيمين في أرض إسرائيل، فوجدهم ١٥٣٦٠٠ (١٨) منهم سبعون ألف حمال، وثمانون ألف نحات، وثلاثة آلاف وستمائة أقامهم وكلاء للإشراف على العمل "(٢ أخبار الأيام) .

والملاحظ أن هذا العدد هو الذي سخر بتمامه لبناء الهيكل والقصر .

إذن التسخير كان عاماً وبالكامل لكل غريب .

عبد الكاهن له احترام خاص :

(١١) لكن إذا اشترى الكاهن عبداً بفضة أو ولد في بيته عبد، فإن ذلك العبد يأكل من

طعام الكاهن "(اللاويين: ٢٢) .

٣- معاملة العبيد في المسيحية :

سارت المسيحية على النهج اليهودي في الأمر بسوء معاملة العبيد، وكانت وصية بطرس: "أيها الخدم اخضعوا لسادتكم باحترام لائق، ليس للسادة الصالحين المترفين فقط، بل للظالمين والقساة أيضاً! (١٩) فما أجمل أن يتحمل الإنسان الأحزان حين يتألم مظلوماً ، بدافع من ضميره الخاضع لله ... (٢١) لأن الله دعاكم إلى الاشتراك في هذا النوع من الألم، فالمسيح الذي تألم من أجلكم، هو القدوة التي تعتقدون بها "(١ بطرس: ٢) .

ثانيا :عتق العبيد في الأديان السماوية :

١ - تحرير العبيد في الإسلام :

الإسلام هو الدين الوحيد الذي جعل عتق العبيد والإماء حكماً شرعياً مفروضاً سواء كفارة لبعض الذنوب والخطايا ،أو تقريبا لله تبارك وتعالى ،وتعبداً لنيل رضاه .
ويؤمن الكثير من الغربيين المنصفين بهذا .

يقول "إميل دفيج :

" ويرى مع التوكيد أن المسلمين أكرم من النصارى - في حسن معاملة العبيد وعتقهم -
ومن يكن له ولد من أمة يلزم بتحريرها ،مع أن قساوسة النصارى لا يعتقون عبيدهم ، وبما
أن القرآن الكريم يحرم الزواج بأكثر من أربع نسوة ،فإن النادر أن يتزوج المسلم أمة كانت
سرية لديه^(١) .

هذا وقد تعددت طرق تحرير العبيد والإماء في الإسلام :

أ- تحرير العبيد والإماء في القرآن الكريم :

تنوعت تلك الطرق وهي تشمل :

١ - المكاتبه

يقول تعالى: ﴿وَلْيَسْتَغْفِرِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ
الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا

(١) النيل حياة نهر :ص ٢٢٣ .

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير .

وَأَتَوْهُمْ مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنِ ارْتَدْنَ تَحْصُنَا لَنَبْتَغُوا
عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَن يُكْرِهْنَهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ [النور : ٣٣].

يقول ابن كثير في تفسير الآية :

رغبهم الله في التزويج ، وأمر به الأحرار والعبيد ، ووعدهم عليه بالغنى... ، وأمر الله من
لا يستطيع الزواج بالتعفف .

وقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ ﴾ هذا أمر من الله للسادة إذا طلب عبيدهم
منهم الكتابة أن يكاتبوهم بشرط أن يكون للعبد حيلة وكسب يؤدي إلى سيده المال الذي
شارطه على أدائه^(١) .

٢- الزواج من الإماء أساري الحرب وغيرهم :

قال تعالى في ذلك : ﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُم طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَّا
مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُم بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَاَنْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ
أَهْلِهِنَّ وَأَتَوْهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ ﴾ [النساء
٢٥] .

فانظر كيف ساوى الله بين الحر والأمة فقال : ﴿ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ ﴾ [النساء ٢٥] ،

وكيف أعز الأمة فقال :

﴿فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ﴾ [النساء ٢٥] ، وكيف حافظ على قيمتها وما لها : ﴿وَأَتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ ، وكيف حافظ على شرفهن فقال : ﴿مُحْصَنَاتٍ غَيْرِ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ﴾ أي : غير عاشقات في الجهر أو في السر ، أكد الله ذلك في سورة النور فقال : ﴿أَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور : ٣٢].

تشريع العتق كفارة لبعض الذنوب :

تعددت الكفارات ومنها :

كفارة اليمين " الغموس " :

يقول تعالى : ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة : ٨٩].

ويلاحظ هنا أن الله لم يشترط أن تكون الرقبة مؤمنة بل جعلها مطلقة لكل العبيد والإماء وهنا حكمة إلهية فالغالب أن أكثر الكفارات في اليمين الكاذبة وبسببه ؛ وعلى ذلك وسع الله في مجال العتق للجميع سواء بسواء.

كفارة القتل الخطأ :

وكفارة القتل الخطأ : ﴿ وَمَا كَانَ لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَّةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَّةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [النساء : ٩٢]

وهنا أحيا الإسلام نفساً رقيقة فجعلها حرة بدلاً من نفس قتلت خطأ ، أي أحيا الله نفساً بنفس ، وأحكام تحرير الرقبة في هذه الآية :

- قتل المؤمن خطأ أي بلا قصد كحوادث السيارات وغيرها : تحرير رقبة مؤمنة ودية ، إلا أن يعفو ولي القتل .

- قتل مؤمن يعيش في بلاد الأعداء : تحرير رقبة مؤمنة ولا دية حتى لا يستعين بها الأعداء لحرب المسلمين .

- قتل مؤمن يعيش مع أهل ذمة أو عهد : تحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله .

إذاً فقد ساوى الإسلام بين كفارة المؤمن الذي يحيا بين المسلمين وبين أهل الذمة والعهد.

كفارة الظهار :

والظهار: وهو أن يقول الرجل لزوجته أنت محرمة علي كظهر أمي ولا يقصد طلاقاً بل يقصد هجراناً، وهو عادة ورثها العرب عن الجاهلية ونفشت في بعض المسلمين، فأراد الله أن يكف المسلمين عن هذه العادة السيئة فجعل كفارة الظهار تحرير رقبة أي عتق أسير أو عبد أمة، ولم يشترط إيمانها من عدمه

فقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسًا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ٣].

وأخيراً وليس آخراً ، فقد جعل الإسلام من شراء الأسير وعتقه عبادة للتقرب إلى الله ، ومن أعمال البر فقال تعالى ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُولَّوْا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة : ١٧٧].

ب- تحرير العبيد في السنة النبوية :

سأل رجل رسول الله ﷺ دلي على عمل يقربني من الجنة ، ويبعدني عن النار ؟ قال ﷺ : «اعتق النسمة وفك الرقبة » .

فقال : يا رسول الله ، أو ليس واحداً ؟

قال « لا ، عتق النسمة أن تنفرد بعتقها ، وفك الرقبة أن تعين في ثمنها » .

ولم يجعل الإسلام حقاً للسيد في تأديب عبده مطلقاً كباقي الأديان وسائر الأمم في جعل جزاء المبالغة في أذية العبد إما العتق أو العذاب يوم القيامة .

عن ابن عمر "رضي الله عنهما" قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من لطم مملوكه أو ضربه فكفارته أن يعتقه »^(١).

وعن سويد بن مقرن قال : كنا بني مقرن على عهد رسول الله ﷺ ليس لنا إلا خادمة واحدة فلطمها أحدنا فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال : « اعتقوها ». وقيل له : ليس لبني مكرم خادم غيرها ، فرخص لهم باستخدامها ما دامت الحاجة وإطلاقها إذا زالت. ومن رحمة الإسلام ، أن الأمة التي تلد ولداً من سيدها يصبح هذا الولد حراً على الفور ما دام اعترف به السيد .

٢- عتق العبيد في اليهودية :

لا تخلو اليهودية من بعض الطرق لعتق العبيد والإماء، ولكنها لا تتعدد وتتنوع كالإسلام ومن هذه الطرق :

أ- منع خطف واسترقاق اليهودي بصفة خاصة وتحريره :

جاء في التوراة :

"(٧) إذا خطف رجل أحد من بني إسرائيل إخوته واسترقه وباعه ، يموت الخاطف فتجتثون الشر من بينكم (الشنية : ٢٤) .

وهذه الفقرات توضح عدم مشروعية القرصنة بالنسبة لليهودي فقط ، وبالطبع إذا تم إقامة الحد فسيحرر العبد المخطوف ليصبح حراً .

(١) رواه البخاري ومسلم والترمذي .

ب- تحرير العبد اليهودي بعد زمن محدد .

"(١٢) إذا اشتريت عبرانياً أو عبرانية وخدمك ست سنوات ،ففي السنة السابعة تطلق
حرّاً من عندك (١٣) لا تطلقه صفر اليدين (١٤) بل زوده مما بارك الرب إلهك من غنم
وحنطة وزيت... (١٧).. وكذلك تفعل بأمّتك " (التثنية: ١٥).

وجاء كذلك عن عتق العبد اليهودي:

"(٤٠) بل ليكن عندك كأجير أو نزيل ،فيخدمك حتى حلول سنة اليوبيل "(٤١) ثم
تعتقه هو وأولاده ،ويعود إلى قومه ويرجع على ملك آبائه "(اللاويين: ٢٥).
وسنة اليوبيل السنة الخمسون (اللاويين ٨: ٢٥-٩) .

"(٤٧) فإذا اغتنى غريب ،أو نزيل مقيم في وسطك ،وافقر أخوك فبيع للغريب
المستوطن عندك،أو لنسل عشيرته،(٤٨) فليكفه واحد من أقربائه بعد بيعه"(اللاويين: ٢٥)
وعن العبيد غير اليهود جاء: " فيكونون عبيداً لكم إلى الأبد"(اللاويين ٢٥: ٤٦).

وهكذا نجد أن العتق في التوراة قاصر على العبيد من اليهود فقط .، ومع ذلك فهم قد

عصوا ربهم ،وخانوا عهده .

أمر الله إرميا "النبي" أن يطلق كل يهودي جميع العبيد والإماء العبرانيين في كل أورشليم ، وقد نفذ الشعب الوصية والعهد (١٠).... وأطاعوا العهد وأعتقوا، (١١) ولكنهم ما لبثوا أن استرقوا العبيد والإماء الذين أعتقوهم، واستعبدوهم من جديد " (إرميا: ٣٤).

ج- عتق المرأة الأسيرة للزواج ثم الطلاق :

" (١٠) إذا ذهبتم لمحاربة أعدائكم وأظفركم الرب إلهكم بهم ، وسبيتم منهم سبياً (١١) وشاهد أحكم من الأسرى امرأة جميلة الصورة فأولع بها وتزوجها (١٢) (١٣) ثم بعد ذلك يعاشرها وتكون له زوجة ، (١٤) فإن لم ترقه بعد ذلك ، فليطلقها لتذهب حيث تشاء ، لا يبيعها أو يستعبدها ، لأنه قد أذها " (التثنية: ٢١) .

٣- عتق العبيد في المسيحية :

لا يوجد في الأناجيل أحكاماً خاصة لعتق العبيد ، ومن ثم فالمسيحية تؤمن بما جاء في التوراة عن ذلك ، ومع هذا فإن آباء الكنيسة ، لم يأمرُوا أو يشجعُوا على عتق العبيد ، وقد نصح القديس "أزيدوروس" ، الأرقاء ألا يطلبوا الحرية حتى لو أمرهم أسيادهم بذلك ، لأن البقاء في العبودية يخفف عن العبد الحساب يوم القيامة ، وأن المساواة التي تعنيها المسيحية ليست هنا بل في مملكة المسيح السماوية .

وفي معجم "لاروس" وهو معجم فرنسي كتبه أساتذة مسيحيون يقول بالنص : لا يعجب الإنسان من بقاء الرق واستمراره بين المسيحيين إلى اليوم . فإن رجال الدين المسيحي يقرون بصحته ويسلمون بمشروعيته ولم يثبت مطلقاً أنهم استنكروه أو طالبوا بإلغائه^(١) .

وبعد هذا العرض يتبين لنا :

١- الرق كان شائعاً قبل الإسلام ، معترفاً به في الأديان السماوية والشرائع الوضعية .

(١) لماذا يخافون الإسلام : ١٢٧ ، ١٢٨ .

- ٢- تعددت أسباب العتق في الإسلام وفاقته ما عداه من أديان أو أحكام أرضية وضعية
- ٣- دعا الإسلام للرفق بالعبيد وأمر بحسن معاملتهم الإنسانية، وفاق الجميع في ذلك .
- ٤- منابع الرق السبعة، اقتصر في الإسلام على اثنين هما: الرق لأسرى الحروب^(١) وفي حدود ضيقة؛ ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً﴾ [محمد : ٤] ، ورق الوراثة، مع العلم أن الأمة إن ولدت للسيد صار الابن أو البنت حرة، متى اعترف السيد ببنوته، كما تكرم الأمة فتسمى أم ولد ولا يجوز بيعها .

(٢) يجب أن تكون الحرب شرعية وإلا فلا يجوز استرقاق الأسارى، وليس في الإسلام استرقاق المسلم لأخيه، كما في اليهودية وغيرها .

الفصل الثاني

ادعاء أن الإسلام أقام الحروب لفرض الجزية على الشعوب

توطئة :

ما فتى الإعلام الغربي وما أكثر أبواقه يكرر، الادعاء الكاذب بوصم الإسلام بما ليس فيه من مساوئ وبلايا، والهدف إقناع أنفسهم -كذبا- والآخرين -احتياطاً- أن الإسلام هو أساس كل خبيث، وفي سبيل ذلك فإنهم يطمسون حقائق التاريخ، ويسترون مخازي الأديان الأخرى، وكأنهم لا يعلمون ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [البقرة: ٧].

ومن الاتهامات الموجه للإسلام أنه : شرع الحرب والقتال لينال منهم الجزية والأموال بدون وجه حق .

ومن اتهموا الإسلام بذلك : المستشرق "مرجليوث" يقول :
ولم يكن الجهاد لنشر الدين أكثر من ذريعة وتعلة للحرب ، كما لم تكن دعوة أعداء الله إلى الدخول في الإسلام قبل محاربتهم إلا مسألة شكلية ^(١).

ويقول "واشنطن إيرفنج" :

"يعتبر موقف الرسول ﷺ من اليهود يخالف ما نعرفه عنه من رحمة وإنسانية، وقد يكون الرسول مدفوعاً إلى ذلك ما ظهر من اليهود من غدر وخيانة وحقد، ولكننا نلاحظ أن محمداً في بعض مراحل حياته كان رسول السيف" ^(٢).

(١) المستشرقون والإسلام : محمد قطب ص ١٧٠، ١٦٩ .

(٢) نفس المرجع : ص ٣٦٢ .

ومعلوم أن الرسول ﷺ قد صادر أموال بني قريظة بعد خيانتهم لعهدهم معه .

وفي هذا الفصل سنعرض للمباحث التالية :

المبحث الأول : الجزية بين التاريخ والأديان السماوية .

المبحث الثاني : التطبيق الفعلي للجزية بين الغرب المسيحي والشرق الإسلامي .

المبحث الأول

الجزية بين التاريخ والأديان السماوية

أولاً: الجزية في التاريخ :

لا يخلو تاريخ أمة أو حضارة سابقة ، كان لها العلو الحربي ، والانتصار العسكري ، من فرض جزية على الضعيف المهزوم ، أو تناولها ، مقابل سلام مشروط عن ضعيف يخشى بأسها ... وقد تدور الدوائر : ﴿ تِلْكَ الْآيَاتُ نُنَادِيهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾ [آل عمران : ١٤٠] ، فيقوي الضعيف ، ويذل القوي ، فيرتضي أن يدفع بدلاً من أن يأخذ .

١ - قدماء المصريون يفرضون الجزية :

جاء في موسوعة مصر القديمة: " ظهر الملك حور محب على اليمين عاقداً مجلساً ، ويستقبل رؤساء بلاد " بنت " ، وهم يقتربون منه من جهة الشمال ، يحملون حقائب مفعمة بالتمر " الذهب " وريش النعام ، وقد نقش فوق " النحت " على الجدار : السلام عليك يا ملك مصر ، وإن كل الأراضي تحت قدميك " .

وفي منظر آخر تشاهد " حور محب " يقدم محاصيل بلاد " بنت " التي استولى عليها حديثاً للإله آمون ، كما يدل على ذلك النقش " إحضار الجزية " الفدية " بواسطة جلالته لوالده آمون

٢ - الرومان يفرضون الجزية :

هذا وقد فرض الرومان على البلاد المستعمرة ومنها مصر " جزية " كانت تسمى بضريبة الرؤوس ، وكانت تمثل رمز الخضوع وطلب الحماية من السلطات الرومانية ، ولذلك كانت تفرض على كل فرد مقيم في مصر يبلغ الرابعة عشرة ، حتى سن الستين ،

أيا كان جنسه ذكر أو أنثى، أو ديانتته أو جنسيته أو عمله، باستثناء الرومان.

٣- الفرس فرضوا الجزية :

فرض الفرس على البلاد التي استعمروها جزية ومنها "مصر" حيث فرضوا على الشعب المصري "الجباية" بما يزيد ما كان يتحمله المصريون، ثم جاء الروم مرة ثانية، وبدؤوا مضاعفة قيمة الجباية الماضية، وذلك نكاية وانتقاماً من المصريين لتعاونهم مع الفرس . وكانت نظرهم إلى مصر : مزرعة للكروم والقمح، وخزينة تمول القسطنطينية ، وهكذا كان المصريون في ظل الحكّمين يدفعون ما يملكون حتى دماءهم مجبرين صاغرين^(١). وتحدثنا التوراة - كما سنوضح - أن الجزية فرضت على اليهود، وأيضاً فرضها اليهود عند علو شأنهم .

والمسيح في الإنجيل أدى الجزية للرومان ولم يعترض .

إذن فالجزية ليست بدعة إسلامية، كما يدعي البعض - ظلماً - وكما يفهم البعض خطأ .

ثانياً: الجزية في تاريخ الأديان :

١ - في التوراة وتاريخ اليهود :

آمن اليهود أن الجزية حق شرعي تفرضه القوة على الضعيف فجاء في التوراة :

"(٢٤) يد المجتهد تسود، أما الرخوة فتكون تحت الجزية" (الأمثال : ١٢١) .

وفي عهود القوة والتمكن، كان من الموظفين من يقوم بتحصيل الجزية، ومن يسجلها أي

أنشئ له ديوان،(٢٥)

(٢) المسيحية والإسلام في مصر د. حسين كفاي، ص ٢٢١ .

وأدورام "اسم رجل" على الجزية ، ويهو شافاط بن أخيلود مسجلاً "

(٢ صموئيل : ٢٠) .

وفي عهود الهزيمة والضعف ، دفع اليهود الجزية للغير ليأمنوا شرهم ،" (١٤) وأرسل حزقيا ملك يهوذا يقول لملك آشور في لجيش "اسم بلد " : " أخطأت فارتحل عني وأنا أدفع ما تفرضه من جزية علي ، وفرض ملك آشور على حزقيا ملك يهوذا ، ثلاثمائة وزنة من الفضة ١٠٨٠ كجم ، وثلاثين من وزنه ذهب " (٢ ملوك : ١٨) ، والواقع أن أحكام الجزية في اليهودية ، تختلف باختلاف أنواع الشعوب التي يتعامل معها اليهود ، فالشعوب عندهم قسمان :

القسم الأول : شعوب تفنى بالكامل ولا يقبل منها الجزية .

١ - شعوب أرض الميراث أي الأرض التي وعد أنبياء إسرائيل وشعبه المختار أن يرثوها وأن تكون لهم موطناً ، وقد وعد بها إبراهيم ، إسحاق ، يعقوب وغيرهم^(١) . ويجب طبقاً لأوامر الله في التوراة إفناء كل نسمة وكل حي من أبناء هذه الشعوب وبالتالي فلا جزية عليهم .

جاء بسفر التثنية ٢٠ : ١٦ - ١٧ "أما مدن الشعوب التي يهبها الرب إلهكم لكم ميراثاً فلا تستبقوا منها نسمة حية (١٧) بل دمروها عن بكرة أبيها ، كمدن الحيثيين والأموريين والكنعانيين والفريزيين والخابيين واليبوسيين ، كما أمركم الرب إلهكم " .

(١) وعد الله إبراهيم ، وأهبك أنت وذريتك من بعدك جميع أرض كنعان ، التي نزلت فيها غريباً ، ملكاً أبدياً وأكون لهم إلهاً " (التكوين ١٧ : ٨) .

والفقرات توضح معاني الفناء الشامل الكامل للأنفس والممتلكات ومع ذلك فقد قبلت من بعضهم الجزية مؤقتاً إلى حين التخلص منهم .

"(٣٠) زبولون لم يطرد سكان قطرون فسكن الكنعانيون في وسطه وكانوا تحت الجزية" (القضاة: ١).

"(١) وبعد ذلك حارب داود الفلسطينيين واستولى على عاصمتهم جت (٢) وقهر أيضاً المؤابيين وجعلهم يرقدون على الأرض في صفوف متراسة وقاسمهم بالحبل فكان يقتل صفيين ويستبقي صفاً ، فأصبح المؤابيون عبيداً لداود، يدفعون له الجزية "(٢ صموئيل: ٨).

القسم الثاني : شعوب لا تفنى بالكامل ويجوز استعبادهم وقبول جزيتهم :
وقد حددت التوراة هذه الشعوب ،فهي ليست من شعوب أرض الموعد ولكن قتالها قد يحقق مصالح سياسية أو تجارية أو غير ذلك ،فجاء عن هذه المدن .

"(٥) هكذا تفعلون بكل المدن النائية عنكم، والتي ليست من مدن الأمم القاطنة هنا" (التثنية: ٢٠) .

"(١٠) وحين تتقدمون لمحاربة مدينة فادعوها للصلح أولاً (١١) فإذا أجابتم إلى الصلح واستسلمت لكم ،فكل الشعب الساكن فيها يصبح عبيداً لكم (١٢) وإن أبت الصلح وحاربتم فحاصروها (١٣) فإذا أسقطها الرب إلهكم في أيديكم ،فاقتلوا ذكورها بحد السيف (١٤) وأما النساء والأطفال والبهائم ،وكل ما في المدينة من أسلاب فاغتنموها لأنفسكم وتمتعوا بغنائم أعدائكم التي وهبها الرب إلهكم لكم" (التثنية: ٢٠).

ويلاحظ أن اليهود هم المعتدون .

وأكد سفر اللاويين هذه الشرائع التي تؤدي إلى العبودية وانتشار الرق وأعمال السخرة، وبالتالي تدخل في مفهوم الجزية الجسدية وهي أحقر صورة لاستغلال النفس الإنسانية، فالتنازل عن جزء من الدخل أو الثروة شيء يسير، أما التنازل عن الحرية الكاملة وضياع حقوق الإنسان المتمثلة في الحرية والكرامة والعزة فالموت أهون منه .

(٤٤) وليكن عبيدكم وإماؤكم من الشعوب التي حولكم منها تقتنون عبيداً أو إماء (٤٥) وكذلك من أبناء المستوطنين النازلين عندكم فمنهم ومن عشائهم الذين عندكم المولودين في أرضكم تقتنون عبيداً لكم" (اللاويين: ٢٥) .

وما أكثر التطبيق العملي لفرض جزية على الغير في التوراة: "(٥) حارب يوناثان ملك يهوذا ، ملك عمون وهزمه ،فدفعوا له الجزية في تلك السنة: ٦, ٣ طن من الفضة وعشرة آلاف كيس قمح وعشرة آلاف من الشعير ،وقد أدى له العمونيون نفس الجزية في السنة الثانية والثالثة" (أخبار الأيام الثاني: ٢٧) .

"(٤) وكان ميشع ملك موآب صاحب مواشي فأدى لملك إسرائيل مائة ألف خروف ومائة ألف كبش بصوفها" (٢ملوك ٣: ٤) .

القتل من أجل الغنائم :

انتصرت مملكة يهوذا على زارح الكوشي رغم قوة جيشه، ولم يكتفوا بالنصر بل هاجموا دول الجوار التي لم تحاربهم: "(١٢) ثم هاجموا جميع المدن المجاورة لجرار لأن زعمت أن الرب طغى عليهم ،

ونهبوا كل المدن لوفرة ما فيها من غنائم (١٥) وهاجموا أيضاً مضارب رعاة الماشية فساقوا غنماً وجمالاً بأعداد كبيرة، ثم رجعوا إلى أورشليم" (أخبار الأيام الثاني: ١٤) .
هذا وكانت وصية الرب لبناء هيكله .

"(٣٧) من الحروب ومن الغنائم اقدموا لتشييد بيت الرب" (١ أخبار الأيام: ٢٦) .
إذن فالجزية كانت نظاماً سائداً عند اليهود يفرضونها عند القوة، وتفرض عليهم حين ضعفهم .

٢- الجزية في المسيحية:

بدأت المسيحية كدين في أرض فلسطين وسط اليهود، وكانت تلك البلاد محتلة من الرومانيين أصحاب القوة والسلطة والشوكة، وكان المسيح مطاردًا من اليهود الذين تعاهدوا وتضافروا واتحدوا للكيد له ولدينه الجديد عند الرومان، وعلى ذلك نشأت الديانة المسيحية في بيئة ضعف وهوان ومذلة ومكائد واحتلال .

والواقع أن الشهداء من المسيحيين الذين دفعوا أرواحهم وبذلوا دماءهم في سبيل الدين سواء لاعتناقه أو للدعوة إليه ، هم الأكبر والأكثر عدداً في كافة الأديان والشرائع، ومن ثم فلم تكن عند المسيحيين الأوائل القوة لفتح البلاد والانتصار وفرض الجزية أو اتباع تعاليم التوراة الإبراهيمية^(١)، وعلى ذلك لم يفرض في الأنجيل جزية على الغير، ومرجع ذلك ليس لاستنكارها ولكن لعدم المقدرة على فرضها وتطبيقها، وإن وافق المسيح دفع الجزية، ولم يعترض عليه، فجاء في الإنجيل :

(١) رغم ذلك فقد وافق بولس الرسول وبارك حرب اليهود وإفنائهم لدول أرض الميعاد .

"(٢٤) ولما وصلوا إلى "كفرنا حوم" جاء جباة ضريبة الدرهمين للهيكل إلى بطرس، وقالوا: "ألا يؤدي معلمكم الدرهمين؟" فأجاب "بلى" (٢٩) وما إن دخل بطرس البيت حتى بادره يسوع بالسؤال "ما رأيك يا سمعان، ممن يستوفي ملوك الأرض الجزية أو الضريبة؟ أمن أبناء بلادهم، أم من الأجانب؟" (٢٦)، فأجاب بطرس من الأجانب؟ فقال له يسوع، إذن الأبناء أحرار (٢٧) ولكن لكي لا تضع لهم عشرة^(١)، اذهب إلى البحيرة، وألقى صنارة الصيد، وامسك السمكة التي تطلع أولاً، ثم افتح فمها تجد فيه قطعة نقد بقيمة أربعة دراهم، فخذها وأد الضريبة عني وعنك" (متى، لوقا ٢٠: ٢١-٢٥).

هذا وقد رأى المسيح أن فرض الجزية عمل سياسي، فلا يجب إنكاره، سأل الفريسيون ورجال هيردوس المسيح ليخطئوه " (١٧) فقل لنا إذن: ما رأيك؟ أيجل أن ندفع الجزية للقيصر أم لا؟ (١٨) فأدرك يسوع مكرهم وقال: أيها المراءون لماذا تجربونني (١٩) أروني عملة الجزية فقدموا له ديناراً (٢٠) فسألهم لمن هذه الصورة وهذا النقش؟" (٢١) أجابوه للقيصر! فقال لهم: "إذن أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله" (متى ٢٢: ١٥).

(٢) نجعل لهم حجة أو سبباً للوم.

هذا وقد أوصى بولس بإعطاء الجزية لأهلها فقال :

"(١) على كل نفس أن تخضع للسلطات الحاكمة ، فلا سلطة إلا من عند الله (٢) حتى إن من يقاوم السلطة فإنه يقاوم ترتيب الله ... (٣) (٤) (٥) (٦) فإنكم لأجل هذا توفون الجزية أيضاً ، إذ هم خدام الله مواظبون على ذلك بعينه " (رومية : ١٣) .

"(٧) فأعطوا الجميع حقوقهم الجزية لمن له الجزية ، والجباية لمن له الجباية " الضرائب والخوف لمن له الخوف ، والإكرام لمن له الإكرام " (رومية : ١٣) .

ومن ذلك يتبين إيمان المسيحية بالحق في فرض الجزية وتحصيلها ، وهو أمر لا يجب مقاومته ؛ لأنه من النظام العام والحقوق المشروعة للقوي على الضعيف .

٣- الجزية في الإسلام :

سبق أن أوضحنا أن الجزية لها أصل تاريخي لا ينكر ، وأصل ديني لا يخفى ، جاء في التوراة ، والإنجيل الذي رأى في سداد الجزية لفارضيها حقاً إلهياً شرعياً لا يجب المماطلة فيه ، لأنه من طاعة الله .

إذا فالجزية لم يبتدعها الإسلام ، ولكنه جاء ليعدل أحكامها فيجعلها أحكاماً إنسانياً بدلاً من أحكام وحشية لا إنسانية .

أ- مفهوم الجزية إسلامياً : " هي مقابل مالي جزاء على المنعة والحماية ، تدوم بدوامها وتمنع بزوالها ،

فهي ببساطة جزاء قليل على ما تلتزمه الحكومة الإسلامية من الدفاع عن أهل الذمة ،
وإعانة للجند الذي يمنعهم أي يحميهم ممن اعتدى عليهم^(١) .

ب- سند فرض الجزية في الإسلام :

١ - القرآن الكريم .

يقول تعالى : ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ
وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ
صَاغِرُونَ ﴾ [التوبة : ٢٩] .

يقول ابن كثير في تفسيره الآية :

" هذه الآية ، أول أمر بقتال أهل الكتابين اليهود والنصارى .. ولهذا تجهز الرسول ﷺ
لقتال الروم ، ودعا الناس إلى ذلك ، وأظهره لهم ، وبعث إلى أحياء العرب حول المدينة فندبهم
"دعاهم- فأوعبوا معه "خرجوا معه" واجتمع من المقاتلة نحو من ثلاثين ألفاً^(٢) " .
ومعنى ﴿ عَنْ يَدٍ ﴾ أي عن قدرة مالية لا إرهاب فيها ولا عنت ولا استغلال ، بلا جهد أو
مشقة ، فالجزية ضريبة مالية تؤخذ من أموال غير المسلمين المستظلين بالراية الإسلامية ، وذلك
ليسهلوا بأموالهم في ميزانية الدولة التي يستظلون بها ، وتحميهم في أنفسهم وأموالهم
وأعراضهم ، وأنها في مقابل ما يؤخذ من

(١) الوحي المحمدي : محمد رشيد رضا ص ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، إصدار المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
لوزارة الأوقاف بالقاهرة ، طبعة ١٤٢١ هـ ، ٢٠٠٠ م .

(٢) تفسير ابن كثير : ح ٢ ، ص ٣٣٢ .

المسلم، الذي يؤخذ منه، الزكاة، وصدقات الفطر، الكفارات المختلفة للذنوب وهي تنفق في المصالح العامة وعلى فقراء أهل الذمة^(٢).

ولذلك فهي لا تفرض على الفقراء، ومن لا يستطيعون الكسب من الأطفال والشيوخ والنساء ورجال الدين وغيرهم.

وهي في إحدى صورها تقابل نظام التأمين على الحياة أو المعاشات.

وها هو الفاروق عمر بن الخطاب "رضي الله عنه" مر برجل يسأل على الأبواب وكان الرجل ضريراً، فقال له عمر: من أهل الكتاب أنت؟ فقال: يهودي: قال عمر: فما الذي ألجأك إلى ما أرى؟ قال: الجزية والحاجة والسنن، فأخذ عمر بيده، وذهب به إلى منزلة وأعطاه مما وجد، وأرسل إلى خازن بيت مال المسلمين وقال له: انظر هذا وضرباه فوالله ما أنصفناه إن أكلنا شبيبته، ثم نخذله عند الهرم ووضع عنه الجزية، وأمر أن يعطى من الصدقات قوم من النصارى مصابون بالجذام.

إذن معنى ﴿عَنْ يَدٍ﴾: أي عن قدرة وسعة واستحقاق، ولها معنى آخر، إذا أضيف لها ﴿وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ أي وهم مجبرون، لسبب خضوعهم لدولة الإسلام، وتمتعهم بالحماية الإسلامية؛ فإذا فشل المسلمون في تحقيق الحماية والأمن والدفاع والإنفاق على دافعي الجزية، كان من حقهم استرداد ما دفعوه.

(٢) الجهاد في القرآن الكريم: عطية الدسوقي عمر، ص ٢٣١، مؤسسة دار الشعب بالقاهرة.

وكان كتاب خالد بن الوليد "لصلوبا بن نسطونا" حينما فتح العراق: "...إني عاهدتكم على الجزية والمنعة، فلك الذمة والمنعة، ما منعناكم فلنا الجزية وإلا فلا" (١).

٢- السنة النبوية المطهرة: كتب الرسول ﷺ إلى المنذر بن ساوى أمير البحرين: «إني أحمد الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد، فإن من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم، ومن أبى فعلية الجزية» (٢).

كتب أيضاً إلى أهل اليمن:

"من أسلم من يهودي أو نصراني فإنه من المؤمنين له ما لهم، وعليه ما عليهم، ومن كان على يهوديته أو نصرانيته فإنه لا يفتن وعليه الجزية" (٣).

(١) الوحي المحمدي: ص ٢٨٣.

(٢) البلاذري، فتوح البلدان، القاهرة ١٩٣٢ ص ٩١.

(٣) المرجع السابق ص: ٨٠.

(٤) معاملة غير المسلمين في الدولة الإسلامية: د. ناريان عبد الكريم أحمد ص ٩٤ ومرجعها كتاب إمتاع الأسماع للمقريزي ج ١، ص ٥٣٦.

(٥) المرجع السابق ومرجعها: حميد الله: مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدة، وثيقة ٩٣ ص ٨٠.

وعندما ودع الرسول ﷺ جيش أسامة بن زيد كانت من وصاياه ﷺ

« ... وإذا لقيتم عدوكم من المشركين فادعهم إلى ثلاث ، فأتينهم ما أجابوك إليها فاقبل منهم واكفف عنهم ، ادعهم إلى الدخول في الإسلام ، فإن فعلوا فاقبل منهم واكفف عنهم ، فإن أبوا فادعهم إلى إعطاء الجزية ، فإن فعلوا فاقبل منهم واكفف عنهم ، فإن أبوا فاستعن بالله وقاتلهم ^(١) » .

كما أرسل إلى أساقفة نجران : « إني أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد ، وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد ، فإن أبيتم فالجزية ، فإن أبيتم آذنتكم بحرب والسلام ^(٢) » .

ج - الجزية ليست عقاباً لغير المسلم :

الإسلام يرى في الزكاة والجهاد ، عبادة إسلامية خالصة ، لذلك كان من العدل ألا يكلف غير المسلم بهما ، ولذا من العدالة أن يكلف بما يساويهما من أو يوازيهما في القيمة المالية والمشقة العملية .

وقد يرى بعض غير المسلمين في لفظ الجزية إهانة لهم ، ولا مانع من وصفه بما يشاءون من ألفاظ ، وقد كان قبل ثورة ٢٣ يوليو يفرض على جميع المصريين غير الراغبين في التجنيد الإجباري ، غرامة مالية تسمى " البدلية " وكان يدفعها القادر سواء أكان مسيحياً أم مسلم وبرضا كامل .

"وقد سبق واعترض نصارى تغلب على لفظ الجزية وطلبوا من الفاروق عمر أن يدفعوا صدقة مضاعفة، فوافق وقال في ذلك : هؤلاء القوم حمقى ، رضوا بالمعنى وأبو الاسم ^(١) !!

ومن المعلوم أن " خالد بن الوليد " قد فرض الجزية على أهل حمص ، فلما انشغل بدفع هجوم " هرقل " رد على أهل حمص ما كان قد أخذ منهم وقال : وقد شغلنا عن نصرتكم والدفع "الدفاع" عنكم ، فأنتم على أمركم ، فقال أهل حمص : " لولايتكم وعدلكم أحب إلينا مما كنا فيه من الظلم والغشم ، ثم انضموا إلى المسلمين وساعدوهم ضد الروم ^(٢) .

وأكبر دليل على عدم اعتبار الجزية عقوبة على غير المسلم، أنها لم تفرض إلا على القادرين على الكسب فقط ، ولذلك أعفى منها النساء والوالدان والشيخ وأصحاب العاهات "المقعدين" ، والمتفرغين للعبادة ، ومن لا عمل له أو حرفة ، ولا تؤخذ من تركه المتوفى .

أما من حيث القيمة فهي لا تمثل عبئاً مالياً يؤثر في رفاهية وغنى دافعها ، فهي على قدر "الطاعة" فقد وضعها عمر بن الخطاب ، على أهل الذهب أربعة دنانير ، وعلى أهل الفضة أربعين درهما ، وجعلهم طبقات لغنى الغنى ، وإقلال المقل ، ولوسط المتوسط .

وفرضها عمرو بن العاص على أهل مصر ، على كل حالم دينارين ، إلا أن يكون فقيراً ، وعلى أهل برقة ديناراً ، أما أهل زويلة ما رأى أنهم يطيقونه ^(٣) .

(١) الأقليات الدينية والحل الإسلامي : د. يوسف القرضاوي ص ١٤ ، مكتبة وهبة بالقاهرة .

(٢) معاملة غير المسلمين في الدولة الإسلامية ص ٤٢ ، ومرجعها تاريخ الأمم والملوك للطبري، ص ١٤٣ .

(٣) المرجع السابق ص ٤٥ .

د- الفئات المعفاة من الجزية :

أعفى الإسلام غير القادرين كالصغار وكبار السن، فهي لا تعطى إلا عن يد أي عن قدرة، فالجزية في النص القرآني خاصة بهذه الفئة من أهل الكتاب الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ونكثوا العهود فلا يدينون دين الحق، ومن ثم اختاروا القتال والعدوان، ولهذا فإن قبولهم الجزية ليس إلا سبيل لإنهاء حالة الحرب وحقن الدماء، ومع هذا فلا تفرض الجزية عليهم جبراً فهي عقد رضائي وليست من النظام العام فيفرض فرضاً فالصغار هو قبول حكم الإسلام وقانونه والرضا به، لهذا قبل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب اعتراض نصارى بني تغلب على الجزية ووافقهم على طلبهم التعامل بنظام الزكاة، كما أن الإمام الشافعي في كتابه "الأم" يقرر أنه من كان صغيراً ودخل في عقد الجزية تبعاً لوالديه، فإن له الخيار عند رشده بقبول هذا العقد أو رفضه.

خفف النبي ﷺ قيمتها فجعلها ديناراً واحداً على كل حالم أي: بالغ كما ورد في حديثه لمعاذ

بن جبل .

أعفى منها الذين لا يجاربون كرجال الدين والنساء وكبار السن والصبيان^(١) .
أعفى الإسلام أهل الجزية من إثبات عدم قدرتها على دفعها وجعل الإثبات على حاكم المسلمين^(٢) .

الجزية ليست من فرائض الإسلام ولا من قواعده، فهي في الإسلام عقد رضائي يجوز التصالح عليه، فإذا لم يقبلوا اسم الجزية لقسوتها في الدولة الرومانية والفارسية، وتراضوا على دفع الزكاة كالمسلمين، قبل الحاكم منهم ذلك بعد أن يصرهم بأن الزكاة ليست مفروضة عليهم، وأن الجزية أقل من قيمة الزكاة، وهذا ما فعله عمر بن الخطاب مع نصارى العرب عندما اعترضوا على اسم الجزية .

ويشترط في هذه الحالة أن يتمتعوا بنصاب الزكاة وهو الحد الأدنى الذي يعفى منه الفرد من الزكاة فلا تؤخذ منهم زكاة الزروع حتى يكون عند كل منهم خمسة أو سق^(٣) .

(١) أحكام أهل الذمة لابن القيم .

(٢) الأم للإمام الشافعي، ص ٤ ص ٢١٢، ٣١١ .

(٣) الأم للإمام الشافعي، ص ٤ ص ٢١٢، ٣١١ .

(٤) الأم للإمام الشافعي، ٤ / ٣١١ .

(٥) قواعد التعامل مع غير المسلمين: المستشار: سالم البهنساوى، ص ٥٠ - ٥٣، دار الوفاء بالمنصورة .

والجزية نظام قائم قبل الإسلام يقضي أن تدفع البلاد المغلوبة ضريبة إلى الغالب ،فجاء الإسلام وأصلح هذا النظام بأن أعفى هؤلاء من التجنيد في الجيش الإسلامي ، ولكن إن دخل هؤلاء الجيش مع المسلمين تسقط عنهم الجزية كما فعل أبو عبيدة هؤلاء مع أهل فلسطين ، وكما فعل معاوية مع أهل أرمينيا^(١). كما أوضحت من قبل^(٢) .

فالدولة التي تقف على الحياد بين المسلمين وعدوهم يتم التعامل معهم بالمودعة وحسن الجوار،دون أن يدفعوا الجزية كما فعل النبي ﷺ مع بني مدلج لقول تعالى : ﴿إِنْ اِعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يَقَاتِلُوكُمْ وَآلَقُوا إِلَيْكُمْ السَّلَامَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ [النساء : ٩٠].

وبعد هذه الدراسة يتبين لنا بوضوح كامل وشفافية مطلقة : أن فرض الجزية على المستضعفين ، تضمنتها أحكام الأديان السماوية اليهودية والمسيحية ، كما زاوها كل شعوب وحضارات العالم ، ولم يأت الإسلام بها ، ولكن للمسلمين الفخر وللإنسانية والته ؛لأن الإسلام عدل وصحح أحكام الجزية المستغلة ،القاسية ،الظالمة والتي شرعت لامتنصاص دماء الشعوب وسرقة خيراتها وإذلالها،أما الإسلام فالجزية فيه للدفاع عن الشعوب ونشر الأمن والأمان فيها وتحقيق رفاهيتها وذلك نظير مقابل مادي يسير ، لا يفرض إلا على القادر فقط .

المبحث الثاني

التطبيق الفعلي للجزية بين الغرب المسيحي والشرق الإسلامي

إن عظمة الدين وسمو تشريعاته لا تتوقف عند أحكامه فقط ، ولكنها ترتبط بالتنفيذ

الفعلي لهذه الأحكام

والتطبيق الفعلي لأحكام الجزية يبين لنا ويجلى حقيقة هامة ، وهي مدى التزام أهل الكتاب

أو المسلمين بإحكام الجزية الإنسانية .

أولاً : الغرب وتطبيق الجزية قديماً وحديثاً .

نقصد بالغرب : الغرب المسيحي – بصفة خاصة – فهو القادر بما يملك من قوة على

فرض الجزية على المستضعف من أهله ، وعلى الآخرين من منائيه وخصومه .

١ – فرض الجزية في العصور الوسطى :

لقد طرد اليهود من انجلترا سنة ١٢٩٠ م ، ومن فرنسا في سنة ١٣٠٦ م ومن فلاندرز في

سنة ١٣٧٠ م ، ودعوا إلى فرنسا ثانية في ١٣١٥ شريطة أن يعطوا الملك ثلثي أي مال يكونون

قد جمعوه من فوائد القروض التي عقدوها قبل طردهم ونفى اليهود ثانية سنة ١٣٢١ ،

وعادوا مرة أخرى سنة ١٣٤٩ ، ليلقوا التائب على الموت الأسود ويحملوا مسؤوليته ،

وأعيدوا من جديد سنة ١٣٦٠ م

ليقدموا قروضا مالية ويسهموا بمهاراتهم عوناً منهم على افتداء ملك فرنسا الذي أسر في إنجلترا^(١).

فرض القائد شارل دوق بوريون قائد جيش الإمبراطور شارل الضرائب على أهل ميلانو حتى كاد يقتلهم قتلاً، وكتب الإمبراطور شارل ويقول: إنه استنزف دماء المدينة، وكان جنوده الذين أسكنهم في بيوت أهلها لا يفتنون يضايقونهم بالسرقة والمعاملة الوحشية، مما حدا بالكثيرين منهم أن يشنقوا أنفسهم أو ينتحروا بإلقاء أنفسهم من الأماكن العالية في الشوارع، ولما تبين للبابا كلمنت أن ليس لديه من الجنود ما يكفي لصد الغزاة، دفع رشوة ٦٠٠٠٠ دوقه يرشو بها جيش فرندسبرج حتى يبقى خارج الولايات البابوية، وأرسل بوريون إلى كلمنت ٢٤٠٠٠٠ دوقه ليرضى جنوده حتى لا يزحفوا على روما... وعجز البابا عن السداد... وفتحت روما.. وأبيد الحرس... وفر البابا هارباً^(٢).

"عرض الملك هنري الثامن وفرانسيس مبلغاً مقداره ٢,٠٠٠,٠٠٠ دوقه على شاول ليطلق سراح البابا كلمنت والأمراء الفرنسيين، وأن ترد الولايات البابوية إلى الكنيسة.... فرفض^(٣).

(١) قصة الحضارة: ج ٢٦، ص ١٣٩.

(٢) قصة الحضارة: ج ٢٦، ص ١٣٩.

(٢) قصة الحضارة: ج ٢١، ص ٢٠٠.

(١) قصة الحضارة: ج ٢١، ص ١١٩.

(٥) قصة الحضارة: ج ٢١، ص ١٨٨.

(٤، ٣) قصة الحضارة: ج ٢١١، ص ١٨٦/١٨٧.

بابا الفاتيكان يدفع الجزية :

باع البابا كلمنت مناصب الكرادلة ليسدد لشارل ١١٢٠٠٠ دوقه ليطلق سراحه ، ومنح الإمبراطور عشر إيراد الكنيسة في مملكة نابولي^(١) .

تعهد البابا كلمنت والإمبراطور شاول بأن يتعاونوا فيما بينهما ، على أن يدفع البابا للإمبراطور شارل ، مقابل إهاناته السابقة له ، وضماناً لخدمات الإمبراطور المستقبلية ١٠٠,٠٠٠ دوقه (١,٢٥٠,٠٠٠ دولار)^(٢) .

وقع فرانسيس والبابا كلمنت وغيرهم في ١٥٢٦/٥/٢٢ اتفاقاً تعهدوا فيه بإرجاع " استي " و " جنوة " إلى فرنسا ، وإعطاء " إسفوردسا " ميلان إقطاعية فرنسية ... وأن يفتدي الأسرى الفرنسيون بـ ٢,٠٠٠,٠٠٠ كرون وأن تمنح نابولي لأي أمير إيطالي يرضى أن يؤدي عنها إلى ملك فرنسا جزية سنوية مقدارها ٧٥,٠٠٠ دوقه^(٣) .

في معاهدة كمبرية (١٥٢٩ ٨/٣ م) أطلق الإمبراطور شاول الأمراء الفرنسيين من الأسر نظير فدية قدرها ١,٢٠٠,٠٠٠ دوقه^(٤) .

وهكذا يتبين لنا أن الغرب المسيحي فرض على غيره ونفسه وعلى الكنيسة الجزية .

٢- الغرب وفرض الجزية حديثاً :

استمرت المسيحية الغربية المتمثلة في الدول الاستعمارية الحديثة التي بدأت بالاستعمار الفرنسي لمصر ثم الإنجليزي للعالم الإسلامي تقريباً، وحالياً الأمريكي مع اختلاف المسمى، فتحولت الجزية إلى مفهوم المصالح التجارية تارة، وأخرى المصالح الاقتصادية، ثم البترولية .

فقد احتلت إنجلترا العظمى - حينذاك - مصر بهدف الاستيلاء على دخل قناة السويس بصفة أساسية، ثم اغتصاب خيرات البلاد المختلفة من زراعية وتعدينية وصناعية وغير ذلك ، مع الادعاء بأن الاستعمار ما جاء ليستعمر، ولكن جاء لحكم بلاد لا تستطيع حكم نفسها بنفسها، ولا تستطيع الدفاع عن نفسها ولشعر مفاهيم المدنية والعدالة والحضارة .

ثم ورثت الولايات المتحدة الأمريكية الإمبراطورية الإنجليزية ، فزاوت نفس الحق، ولكن تحت مسمى جديد، وهو مقاومة الإرهاب ، والواقع المر أن الأهداف هي امتصاص دماء الشعوب باغتصاب البترول ومنابعه وإيراداته، ثم تقليل أعداد المسلمين، والدعوة للتبشير المسيحي .

رأي ريتشارد نيكسون الرئيس الأمريكي السابق في أسباب الحروب :

يقول موضحاً أن المال قد يكون من أسباب الحروب الرئيسية :

النزاع حالة طبيعية للأمور في العالم ، فمن المؤكد أن بعض الأمم لن تكون راضية بما تملك وتستسعى للحصول على المزيد ، تلجأ الأمم إلى العدوان فقط عندما تتكون لديها القناعة بأنها ستربح منه ، وبالعكس فإنها ستتجنب العدوان إذا ما بدا لها بأنه سيكلفها على المدى الطويل أكثر مما يفيد^(١).

يقول " بوليتيز " مخطط سياسة الأمن الأمريكي في تقرير له سنة ١٩٤٨ م :

"نحن نمتلك حوالي ٥٠ ٪ من ثروة العالم غير أننا نمثل فقط ٣,٦ ٪ من سكانه وفي مثل هذا الوضع ، لا يمكن تجنب أن نكون هدفاً للضعيفة والغيرة ، ولا يمكن أن نسمح لأنفسنا اليوم باتباع رفاهية حب الخير والغير على الصعيد العالمي"^(٢).

يقول " جيمي أكيتر " السفير الأمريكي في السعودية :

"الآن فقط مع تواجد القوات الأمريكية حول حقول النفط يمكن تصحيح أحد الأخطاء الإلهية والمتمثلة في وضع هذه الثروة الثمينة في مكان لا تستحقه " .

وسأل أحد أعضاء مجلس الشيوخ بوش :

(١) السلام الحقيقي ، ص ٢٢ .

(٢) أمريكا قمة الانحطاط : روجيه جارودي ص ٢٢٩ ، ٢٣٠ .

(٣) الإجرام الأمريكي في الخليج والحل الإسلامي : أبو إسلام أحمد عبد الله ص ٢٢ .

كيف ترسل أمريكا أبناءها من أجل شيوخ البترول ؟

-بوش : "نحن ذهبنا من أجل شيوخ أمريكا ومصالحها وليس من أجل شيوخ النفط".

صرح "جيمس شليزنجر" في البتاجون في ١٤ / ١ / ١٩٧٥ :

"بات من المجدي القيام بعمليات عسكرية ضد الدول المصدرة للبترول الواقعة بالقرب من الخليج العربي ، وتستطيع الولايات المتحدة الأمريكية أن تلحق الهزيمة بالقوات المسلحة لدول الأوبك ، في أي مكان وأن تستولي على حقول النفط"^(١).

يقول أحد الساسة الأمريكيين :

إن عدد حروبنا تزايد بالضرورة بحجم تزايد أنشطتنا الإنتاجية ، وعندما تعجز صناعة عن تصريف منتجاتها لا بد من حرب ، لفتح آفاق جديدة لها وهكذا كانت لنا في هذا العام حرب الفحم وحرب النحاس ، وحرب القطن ، قتلنا في زيلندا الثالثة ثلثي السكان لئلا نرغم الباقين على شراء الشماسي والحمالات منا^(٢) .

ونظرة الغرب وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية للحرب نظرة إرهابية بحتة، فهم يرون الحرب أفضل من السلام، لأن خلال سنوات السلام المريحة ، يتحلل المجتمع ويصدأ الجيش، ويفقد المؤهلات القتالية ، ويضعف الضبط والربط ، أما الحرب فتنتعش الشعوب، وتجدد شباب الأمة ، وتنشط الصناعة وتروج للتجارة .

(١) أمريكا طليعة الانحطاط : ص ٢٣٠ .

ويقول شومسكي " في كتابه ماذا يريد العم سام " : **what uncle sam**

realy wants

وحين نتحدث عما يريد العم سام من الشعوب المغلوبة على أمرها ، وماذا سنفعله للحفاظ

وعلى المصالح المالية ، فإنه يجيب في كتاب كامل بأنه :

يستخدم وسائل العنف من تهشيم الأطفال الرضع أو تعليق النساء من أقدامهن ، وقطع

أثدائهن ، وسلخ جلودهن أو قطع رؤوس الضحايا أو وضعهم على خازوق^(١) .

وهذه الأفكار عبر عنها الرئيس الأمريكي " روزفلت " في بداية هذا القرن مؤمنا بسياسة

العضلات : " فإذا خيرت بين سياسة الماء والحليب ، وبين سياسة الدماء والحديد لاخترت

الأخيرة لصالح السلام العالمي ، ولأمريكا بصفتها دولة متحضرة الحق في التدخل في العالم

الغربي^(٢) " .

وعلى ذلك تم إنشاء قوات التدخل السريع ، هذا وقد صرح " جيمس شليزنجر "

البتاجون في ١٤ / ١ / ١٩٧٥ :

" بات من المجدي القيام بعمليات عسكرية ضد الدول المصدرة للبترول الواقعة بالقرب

من الخليج العربي ، وتستطيع الولايات المتحدة الأمريكية أن تلحق الهزيمة بالقوات المسلحة

لدول الأوبك ، في أي مكان وأن تستولي على حقول النفط " .

(٢ ، ٣) الإرهاب في اليهودية والمسيحية والإسلام ص ٢٦٤ للمؤلف ومرجعه كتاب : حقوق

الغرب بين الحملة الفرنسية والأمريكية ص ١٣ مكتبة الأسرة د. مصطفى عبد الغني ، ومقال أ/

أمين هويدي بالأهرام ٥ / ٢ / ٢٠٠٠ م بعنوان نظام العالم الحالي .

ثانياً: المسلمون وفرض الجزية عملياً.

١- تعريف الجزية: مقابل مادي بسيط ويسير نظير تقديم خدمة الحماية للدول المغلوبة على أمرها وليس سلب خيراتها .

والإسلام ينظر إلى دافعي الجزية ،نظرة احترام فنسميهم أهل الذمة ،تلك الذمة أو العهد الذي يمنحهم حرية العقيدة والعبادة بلا قيود أو شروط إلا احترام الدين الإسلامي وعدم محاربة المسلمين أو مساعدة الغير في حربهم ، ولذلك بلغت الدول المفتوحة أوج عظمتها وتقدمها الحضاري والثقافي في عهد الإسلام ، كما انتشر الإسلام في هذه الدول بلا عنف أو إكراه، فكانت سماحة الإسلام ، هي الأساس القويم لنشره .

حدث في خلافة عمر بن عبد العزيز أن الوالي في مصر شكاً إليه أن الأقباط فيها يعتنقون الإسلام ويتركون المسيحية ،وأن ذلك يؤدي إلى نقص ما يجبي منهم من الجزية ، واستأذنه في منعهم من اعتناق الإسلام فأجابه عمر بن العزيز : " قبح الله رأيك، ما بعث الله محمداً جابياً ولكن بعثه هادياً"^(١) .

حقوق أهل الذمة الإنسانية في الإسلام :

الجزية في الإسلام تتشابه مع ضريبة الرؤوس التي كانت تفرض في عهود ما قبل الإسلام ،من الفرس أو الروم أو غيرهم ،

(١) عظمة الإسلام: محمد عطية الإبراهيمي ج ٢ ص ١٢ ، مكتبة الأسرة .

(٢) خطب أمير المؤمنين ووصاياه : محمد أحمد عاشور .

ولكنها تتميز بأنها أكثر إنسانية فهي لا تفرض على الأطفال والنساء والشيوخ ورجال الدين ، ومن لا يستطيع الكسب ، كما نعطى الحق لأهل الذمة من عدم دخول الجيش وأداء الخدمة العسكرية ، باعتبار أن المسلمين ملتزمون بحمايتهم ، فهي ضريبة مقابل الدفاع عن الغير وتحقيق الأمن والأمان له ، وليست كالجزية الغربية لقتل الغير وسفك دمه واستغلاله اقتصاديا، فإذا دخل أهل الجزية "الذمة" الجيش سقطت عنهم الجزية ، أو إذا لم يستطع المسلمون حمايتهم كان لهم الحق في رد ما أخذوه من جزية ، وإذا أسلموا سقطت الجزية وبقى حق أداء الزكاة والصدقات للمسلمين ، وهو يفوق قيمة الجزية في الغالب .

وصايا الفاروق عمر بأهل الذمة لمن يليه في الخلافة :

"وأوصيك بأهل الذمة خيراً أن تقاتل من ورائهم ، ولا تكلفهم فوق طاقتهم ، إذا أدوا ما عليهم طوعاً ، أو عن يد وهم صاغرون ، وأوصيك ألا ترخص لنفسك ولا لغيرك في ظلم أهل الذمة ^(١) " .

وصية عمر بن الخطاب إلى أبي عبيدة :

" فإذا أخذت منهم الجزية فلا شيء لك عليهم ولا سبيل .. وكف عنهم السبي ، وامنع المسلمين من ظلمهم ، والإضرار بهم ، وأكل أموالهم إلا بحلها ، ووف لهم بشرطهم الذي شرط لهم في جميع ما أعطيتهم ^(٢) " .

(١) عظمة الإسلام ج ٢ ص ١٠٣ .

كتاب خالد بن الوليد لصلوبا بن نسطونا :

كتب خالد وثيقة توضح حقوق أهل الذمة إذا أدوا الجزية والغاية منها مما فيه:

"هذا كتاب من خالد بن الوليد ، لصلوبا بن نسطونا وقومه ، إني عاهدتكم على الجزية والمنعة فلك الذمة والمنعة ، وما منعناكم "دافعنا عنكم "فلنا الجزية وإلا فلا"^(٣).

المسلمون يردون الجزية لأهلها .

جاء في فتوح البلدان للبلاذني وفتوح الشام للأزدي :

"رد الصحابة لما كانوا أخذوه من أهل حمص من الجزية ، حين اضطروا إلى تركهم لحضور موقعة اليرموك ، بأمر أبي عبيدة بن الجراح ، وقد صرحوا لهم أنهم قد أخذوها جزاء منعتهم "حمايتهم" فوجب ردها للعجز عن هذه الحماية ، فعجب أهل حمص يهود ونصارى أشد العجب من رد الفاتحين أموالهم عليهم ، ودعوا لهم بالنصر على الروم"^(٤) .

عمرو بن العاص وفتح مصر وفرض الجزية :

بعد فتح مصر وتحريرها من قبضة الاستعمار الروماني المسيحي ، الذي اضطهد المسيحيين حتى أنهم هجروا المدن إلى الصحارى والكهوف ، بعد قتل المئات منهم ، عاهد عمرو بن العاص أهل مصر على أداء الجزية مقابل حمايتهم وتحقيق الأمن والأمان لهم وحرية العبادة ، وذلك وفقاً لمعاهدة الإسكندرية عام ٢١ هـ الموافقة لعام ٦٤٢ وكان من شروط هذه المعاهدة .

(٢، ٣) الوحي المحمدي: السيد/ محمد رشيد رضا ص ٢٧٤ طباعة المؤتمر الإسلامي .

١- يؤدي المصريون الجزية وهي ٢ دينار سنوي عن كل رجل قادر على العمل .

٢- تجلو الجيوش الرومانية عن مصر في مدى ١١ شهرا ومعها كل متاعها .

٣- أن يباح للمسيحيين أداء عبادتهم وتصان معابدهم ، وأن يسمح لليهود بالبقاء في الإسكندرية ، وفي هذا الصدد لم يغير عمرو بن العاص الجهاز الإداري للحكم ، فلم ينزع المناصب من أهل البلاد ، ليستأثر بها المسلمون بل تركها لمن هم أعلم بها من المصريين والأقباط ، وإن كانوا ما زالوا مسيحيين .

وهي سياسة بعثت الطمأنينة في أوصال مصر من أدناها إلى أقصاها^(١) .

الحرية الدينية لأهل الكتاب في مصر :

ومع استقرار الحكم في مصر ، والأمن والأمان الذي استمتع به المصريون مع عدل عمرو بن العاص ، وإعطاء حرية الديانة للمصريين - وجه البطريك التفاته إلى الأديرة التي خربها الفرس أثناء حكمهم واستعمارهم لمصر ، واجتهد في إصلاحها ، فرمم وعمر أبروشيات وكل تخوم وادي النظرون وبني دبر الأنبا بيشوى ، وأعاد إليه رهبانه ، ورمم دير أبي مقار وبنو الكنيسة الكبيرة ، وأيضاً قد ساعد عمرو بن العاص المصريين في بناء الكنائس وترميمها التي تهدمت إبان حكم الرومان .

(١) المسيحية والإسلام في مصر : د. حسين كفا في ص ١٩٩ / ٢٠٠ بتصرف ، مكتبة الأسرة ٢٠٠١ م .

إقامة المشروعات العملاقة :

في مجال التجارة قام عمرو بن العاص، بإصلاح القناة التي تربط بين النيل والبحر الأحمر، والتي كانت تسمى "قناة داريوس"، والذي أدى إهمالها إلى عدم صلاحيتها للملاحة، خلال القرن السادس والسابع الميلادي ، فقام عمرو بتطهير القناة ، وسميت بخليج أمير المؤمنين، فكانت طريقاً صالحاً للملاحة ^(١) .

من مزايا الجزية في الإسلام :

لم يسمح الخلفاء للجنود المسلمين بالاستقرار والعمل في البلاد المفتوحة ، في أي ميدان اقتصادي، سواء زراعي أو صناعي أو حرفي أو حتى إداري حكومي، وذلك للتفرغ لحرب الأعداء والدفاع عن الدول المفتوحة .

وهذا أفضل للبلاد المفتوحة ، حتى لا ينازع المسلمون أهلها في الحصول على المناصب العليا ، أو المنافسة في شئون التجارة والصناعة والمال ، ولا يغيب عن الفطنة أن القوانين دائماً تميل وتشعر لنصرة الغازي المنتصر .

هذا وقد انصهر أغلب العرب الفاتحين في نسيج الشعب المصري، عن طريق الزواج والمصاهرة ، واعتناق الكثير من أهل الكتاب للإسلام ، وظهور أجيال جديدة من المسلمين عن طريق التكاثر والتوالد .

(٢) المرجع السابق ص ٢٥٥ .

التطبيق الفعلي للجزية في الشام :

كان الشام محتلاً بالاستعمار الروماني، وتم هزيمة الروم بعد حصار طويل طال لمدة أربع أشهر للبيت المقدس، وفي النهاية خرج قائد الحامية الرومي " أريطبون" والذي أطلق عليه العرب اسم " أرتبون " فاراً إلى مصر، وترك بطريك القدس يفاوض في الصلح والتسليم حتى يصون المعابد والشعائر.

وأصر البطريك على رفض التسليم حتى يتفاوض مع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب شخصياً لعلمه لعدله الذي ملء طباق الدنيا .

فجاء عمر وتسلم مفاتيح المدينة ووقع وثيقة نصها :

" هذا ما أعطى عبد الله أمير المؤمنين أهل إيلياء القدس الأمان ، أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم ،سقيمتها وبريئتها وسائر ملتها ، أنه لا تسكن كنائسهم، ولا تهدم، ولا ينقص منها ،ولا من خيرها ،ولا من صليبهم، ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم يسكن معهم أحد من اليهود وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطى أهل المدائن^(١) ."

هذا النص يحوي أسمى آيات الأخلاق وأعلى مراحل السمو الروحي والإنساني بدأه المنتصر وصاحب اليد العليا بلفظ " ما أعطى عبد الله " فقد تواضع لله وحده، ولم تمنعه نشوة النصر عن شكر الله .

(١) المرجع السابق ص ١٤٢ .

ثم ذكر العطية وهي الأمان العام ، الكامل ، الشامل ، الغير منقوص أي الأمان في أجل معانيه. ثم أوضح تفصيله ولم يترك أي مبهم .

- أمان النفس .

- أمان المال .

- أمان الأماكن المقدسة بما تحويه من مبان وكنوز بل وأرض ومنافع ، ولا يزال منها شيء أي أن القابل للهدم والإزالة بفعل الزمن وغيره لا يزال بل يرمم ويعاد بناؤه بحيث لا ينقص عدد دور العبادة ولا تمس المقدسات .

وأيضاً لا إكراه بأي صورة لترك دينهم وزاد عمر من فضله فجعل لهم الحماية من اليهود . وكل ذلك مقابل الجزية التي يقابلها في الإسلام الزكاة

ويذكر أن عمرو بن العاص كان ممن شهدوا على الوثيقة حتى يلتزم ببندوها واستلم عمر بن الخطاب مفاتيح كنيسة القيامة وزارها عندما أذن لصلاة الظهر خرجا من الكنيسة وصلى عمر بن الخطاب ومن خلفه من جموع المسلمين خارج كنيسة القيامة ، لكي لا تتحول الكنيسة إلى مسجد ، وذلك صيانة لحقوق المسيحيين . وما تعاهد عليه معهم في وثيقة الأمان^(٢) .

والجدير بالذكر أن المسلمين لو أرادوا نهباً أو أموالاً لكفاهم كنوز كنائس الشام التي لم يمسوها ، ولكن إرادتهم كانت نشر الأمن والأمان والسكينة والحب والسلام ونشر دين الله وخلق الإسلام في مجتمعات ودول وسياسات أضاعت هذه المبادئ ،

(٢) المرجع السابق ص ١٤٣ .

وفرطت في تلك المفاهيم ، وصدق تعالى حيث قال عن المسلمين المخلصين المجاهدين :
﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ
الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ [الحج : ٤١] .

الفصل الثالث

الادعاء بأن الإسلام نشر بالسيف

لا تكل ولا تمل ألسنة أعداء الإسلام من تكرار أكذوبة كبرى ، ألا وهي الادعاء بأن الإسلام نشر قهراً باستخدام السيف ، فالبابا بندكت السادس عشر يقول : " أرني ما جلب محمد من جديد ، وستعثر هناك على أشياء شريرة وغير إنسانية وحسب ، كإيعاز بنشر الإيمان الذي بشر به بالسيف ، الله لا يسر بالدم والعمل بلا عقلانية مخالف لطبيعة الله ؛ ولإقناع روح عاقلة ، لا يحتاج المرء إلى ذراع قوية ، أو إلى سلاح من أي نوع ، ولا غير ذلك من وسائل تهديد الشخص بالموت ^(١) " .

ومن قبله بعقود قال المنسينيور كولي في كتابه "البحث عن الدين الحقيقي" :
"الإسلام في القرن السابع الميلادي ، برز في الشرق كعدو جديد ، أسس على القوة ، وقام على أشد أنواع التعصب ، فقد وضع محمد السيف في أيدي الذين اتبعوه ، وتساهل في أقدم قوانين الأخلاق ، ثم سمح لأتباعه بالفجور والسلب ووعد الذين يهلكون " يستشهدون " في القتال ، بالاستمتاع الدائم بالملذات " الجنة " ^(٢) " .

ويقول المستشرقون الألماني "فلهوزن" (١٨٤٤ - ١٩١٨) :

(١) ترجمة كلمة البابا في جامعة ريغنسبرج : مجلة سفير ٢١ / ٩ / ٢٠٠٦ ، دراسة بالإنترنت .

(٢) حقائق ووثائق عن الحركات التنصيرية في العالم الإسلامي ، ص ٨٨ / ٨٩ عبد الودود شلبي .

(٣) المستشرقون والإسلام : محمد قطب ص ١٧٠ ، ١٦٩ .

" ولم يكن الجهاد لنشر الدين أكثر من ذريعة وتعلة "سبب" للحرب ،كما لم تكن دعوة أعداء الله إلى الدخول في الإسلام قبل محاربتهم إلا مسألة شكلية ^(١) .

وقبل أن نثبت هؤلاء وغيرهم أن الإسلام لم ينتشر بالسيف ،نسوق كلمة منطقية وواقعية وعقلانية لكاتبين أجنيين هما هنري توماس ودنالي توماس في كتابهما : " قادة الأديان " حيث قالوا :

" إن شارلمان لم ينشر الدين بين قبائل السكون بالدعوة والموعظة الحسنة ، وإن العبرانيين لم ينشروا بها الدعوة في قبائل كنعان ، وإن من السخف أن يقال عن محمد أنه نشر دينه بالسيف ؛ لأن الذين يقولون ذلك يصورون لنا رجلاً واحداً قائماً وحده يحمل السيف ويشهره على أمة كاملة تعاديه ، وتنكر دعواه وهي صورة غير معقولة يرفضها خيال المتخيل قبل أن يرفضها إدراك المتأمل ، ولا بد له من النظر قبل ذلك

إلى الدعوة المقنعة التي آمن بها عدد من الناس كاف لحمل السيف والجهاد به للدفاع لا للإقناع ^(٢) " .

وفي ردنا على هؤلاء وأمثالهم سنتعرض للمباحث التالية :

المبحث الأول : حاجة العالم إلى دين لتصحيح انحرافاته .

المبحث الثاني : انتشار الإسلام في مدة وجيزة دون إكراه .

المبحث الثالث : انتشار الحضارة المدنية في البلاد المفتوحة .

(١) الإسلام دعوة عالمية :عباس محمود العقاد ص ١٤ .

المبحث الأول

حاجة العالم إلى دين جديد لتصحيح انحرافاته .

أولاً حال العالم في بداية الدعوة الإسلامية :

إن من يصغي للدعاوي الظالمة والفاجرة ضد الإسلام ، يظن أن الرسول ﷺ بعث بدينه حين كان العالم في سلام شامل كامل، ولكن الإسلام جاء ودول الشمال المسيحية محتلة للدول المسيحية وغير المسيحية ، وكان الاضطهاد الديني على أشده ، ساوى فيه مسيحو الشمال "الغرب" بين إخوانهم مسيحي الشرق والوثنيين .

كما كان لعبده النار "الفرس" والروم صولات وجولات وحروب لا تهدأ للتنافس على احتلال وقهر الدول، فجاء الإسلام والحروب تشمل أكثر أرجاء العالم ونيرانها في ذروة اشتعالها، فما كان من محمد إلا أن حرر برجاله ودينه البلاد المستعمرة من قاهريها، وقبل ذلك عانى محمد ﷺ والمسلمون معه من الاضطهاد والقتل والتعذيب حتى إنهم تركوا الأهل والأرض والأموال وبلادهم مهاجرين للحبشة مرتين، ثم للمدينة المنورة، التي كانت تسمى يثرب ثم أنيرت بالإسلام ورسوله . ويمكن تلخيص حال العالم حينذاك من عدة نواح :

من الناحية الدينية :

كانت المسيحية هي الدين الأكثر انتشاراً وبجانبها اليهودية والوثنية ، والحرب العقائدية بين هؤلاء مستمرة ، بالسيف أو بالقلم أو بكليهما ولكن الملاحظ أن المسيحية كانت تأكل نفسها بنفسها من الناحية العقائدية "اللاهوتية"

فعدم قناعة العقل الإنساني بأكثر العقائد المسيحية، والتي أطلق عليها "الأسرار"، جعل الخلاف بين الأفراد والكنائس والملل خلافاً كبيراً يحال حله. ، ومن ثم نشأت الحاجة إلى اجتماع علماء المسيحية من آن لآخر لمحاولة إيجاد حلول كتابية "مستقاة من الكتاب المقدس" أو عقلية، وقبل بعثة الرسول ﷺ كان هناك أكثر من مجمع^(١) منها :

١- مجمع "نيفية" سنة ٣٢٥ م.

كان هذا المجمع - باختصار - يناقش هل المسيح أزلي أم غير أزلي ؟ هل يساوي الأب في الجوهر أم لا يساويه ، هل المسيح إله أم لا ، هل أم المسيح "السيدة مريم" إلهة أم لا ، وانتهى المجمع بأن قرر أن المسيح إله ... ، وفقاً لرأي ٣١٨ أسقفياً فقط من أصل ٢٠٤٨ ، وبرئاسة الإمبراطور قسطنطين الذي كان وما زال وثنياً ولم يعمد بعد وقد هدد باستخدام السيف لمن يعارض هذا القرار .

٢- مجمع صور عام ٣٣٤ م.

ألغى قرارات مجمع نيقية السابقة .

٣- مجمع القسطنطينية الأول ٣٨١ م.

ألغى قرارات مجمع صور سنة ٣٣٤ م .

٤- مجمع أفسس الأول سنة ٤٣٠ م :

(١) يقصد بالمجمع : اجتماع رجال الدين للاتفاق على حل مشكلة ما أو تقرير عقيدة ، أو الرد على هرطقة "بدعة" أو غير ذلك ، وللأسف التناقض بين قرارات المجمع المختلفة كان هو السمة الغالبة .

وتقرر فيه أن للمسيح طبيعتين، واحدة لاهوتية والأخرى ناسوتية "بشرية" السيدة مريم هي أم الإله وليست إلهة .

٥- المجمع المسكوني^(١) الرابع :

يوجد مجمعان بهذا الاسم : مجمع أفسس الثاني ، وخلقيدونية سنة ٤٥١ م . وكان من نتائج المجمع الأول أن للمسيح طبيعتين في طبيعة واحدة ، أنهما اللاهوت والناسوت التقيا معاً في المسيح، وأصبحت طبيعة واحدة ويسمى هذا المذهب بالطبيعة الواحدة .
وكان من نتائج المجمع الثاني خلقيدونية سنة ٤٥١ م أن للمسيح طبيعتين منفصلتين واحدة فألوهيته طبيعة والناسوتية طبيعة ، التقتا في المسيح ، كما تم إبطال قرارات مجمع أفسس الثاني المنعقد ٤٤٩ م .

٦- المجمع المسكوني الخامس : القسطنطينية سنة ٥٥٣ م .

وكان من نتائجه :

تأييد مذهب الطبيعة الواحدة ، أي إبطال قرار مجمع سنة ٤٥١ م السابق له مباشرة .

٧- المجمع المسكوني السادس : القسطنطينية سنة ٦٨٠ م .

كانت من قراراته :

المسيح له طبيعتان وله مشيئتان ، وطرد ولعن من يقول بالطبيعة الواحدة ، أي أنه أبطل قرارات المجمع السابق له سنة ٥٥٣ م .

(١) معنى مجمع مسكوني : أي عالمي حضره آباء من كل أنحاء الأرض " المسكونة " .

٨- المجمع المسكوني السابع : نيقية الثاني سنة ٧٨٧ م .

وكان من قراراته :

تقديس صور المسيح والقديس ووضع الصور في الكنائس والبيوت والطرق .
وبدراسة هذه المجمعات حتى بعثة النبي ﷺ وبداية انتشار الإسلام ، نجد أنها كلها كانت متضاربة في القرارات ، فاختلقت في الألوهية وكفر بعضها بعضاً ، وكل مجمع يلغي فكر وعقيدة وقرارات السابق له .

ومن ثم كانت بعثة النبي ﷺ وظهور الإسلام كدين هو الحل الأمثل والأكيد والعقلائي،
الذي أوضح الوجدانية الحققة لله تبارك وتعالى ، وحقيقة المسيح كرسول من عند الله ﴿ يَا أَهْلَ
الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ
وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ [النساء : ١٧١] .
﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران : ٥٩] .

ب- من الناحية العدوانية " الاضطهاد وسفك الدماء " .

كان العالم يموج بالصراعات دموية عاتية كعاصفة من القتل وسفك الدماء ، وقد شملت
تلك العاصفة أهل الأديان وأيضاً الوثنيين .

الوثنيون يضطهدون المسيحيين :

قبل مؤازرة الإمبراطور قسطنطين للمسيحية ، كان الاضطهاد الذي عانى منه المسيحيون
قد بلغ الذرا ، فقد شمل التعذيب والسجن والقتل والحرق والإلقاء إلى الحيوانات المفترسة

اضطهاد "نيرون" الوثني للمسيحية .

مات كثير من المسيحيين بعد تعذيب مريع وإهانات مكروهة ، فبعضهم سُمر على الصليب ، وبعضهم وضع داخل جلود الحيوانات المفترسة ، وتعرضوا لنهش الكلاب ، وآخرون ألقوا في مواد ملتهبة ، وعلقوا على مشاعل لإنارة حدائق القصر^(١) .

اضطهاد الإمبراطور سفروس :

منع اعتناق المسيحية بقوة القانون (٢٠٢ م) .

وفي عهد الإمبراطور تراجان (١١٢ م) :

أُتاح الحرية للمسيحي إذا ارتضى أن يقدم بخوراً لتمثال الإمبراطور ، أما إذا تَأبى فإنه يعرض نفسه للموت ، وذلك بتهمة الخيانة العظمى للدولة .

كما ألقى القبض على القديس أغاطيوس ، وصدر ضده حكم الإمبراطور " تراجان " " بما أن أغاطيوس قد اعترف بأنه يحمل في صدره ذاك الذي صلب ، فإننا نحكم عليه بأن يربط ويرسل إلى رومية العظيمة مخفوراً " بحراسة مشددة " ، وهناك يطرح أمام الوحوش الضارية لتسلية جماهير الشعب^(٢) .

اضطهاد المسيحيين للوثنيين .

بمجرد أن قويت شوكة المسيحية ، حتى نسوا أو تناسوا تعليمات الإنجيل الأخلاقية ، ونزعوا للعنف .

(١) تاريخ المسيحية: القس : حبيب سعيد ج ١ ص ٥٥ .

(٢) المرجع السابق : ص ٦١ .

اضطهاد قسطنطينوس للوثنيين .

أصدر قسطنطينوس أول قانون هام ضد الأوثان يقول : "يجب إبادة كل الخرافات والخزعبلات تماماً" .

وأمر أن تكون كل المعابد خارج أسوار المدينة ، وألا تستخدم إلا للألعاب والملاهي ، وبحلول عام ٣٥٠م أغلقت المعابد ، وكان من يقبض عليه وهو يقدم القرابين والذبائح للمعبد تتم إدانته بعقوبة الموت ومصادرة ممتلكاته ، لقد اضطهد الوثنيون واليهود معاً بنفس القسوة تقريباً ^(١) .

قام الإمبراطور يوستينانوس بحملة شعواء مسعورة لاضطهاد الوثنيين ، فوضع تشريعاً يهدف لاستئصال الوثنية كلية ، ولقد أصدر دستوراً يرغب فيه كل الوثنيين بالذهاب إلى فصول خاصة بالتعليم المسيحي ، هم وأولادهم ونساؤهم لكي يعدوا أنفسهم للتعميد " اعتناق المسيحية " ، والذي لا ينفذ هذه المادة تصادر ممتلكاته ، كما أصدر بعد ذلك قانوناً آخر يقضي بتنفيذ حكم الموت على أي شخص قبل المعمودية وبعد ذلك رجع إلى ديانته ^(٢) .

اضطهاد اليهود للمسيحيين :

بالرغم من تشتت اليهود قبل بعثة الرسول ﷺ ، وطردهم من شتى دول العالم ، حتى إن الكثير منهم استقر بجزيرة العرب خاصة يثرب "المدينة المنورة" إلا إنهم إذا وجدوا الفرصة للقتل وسفك الدماء ما ترددوا .

(١) تاريخ الكنيسة : ج ٣ ص ٦٩ .

(٢) تاريخ الفكر المسيحي : د. القس حنا الخصري ، ح ٤ ص ١١٤ دار الثقافة بمصر .

فقد قاموا في سنة ٥٢٩ م بثورة عارمة سالت فيها الدماء غزيرة ، عندما أعلن يوليانوس إمبراطوراً ، لقد راح ضحية هذه الثورة ٢٠,٠٠٠ ألفاً ، كما سجن ٢٠,٠٠٠ ألفاً آخرين . كما أنهم قاموا بثورة أخرى في سنة ٥٥٥ م، فقتلوا عدداً كبيراً من المسيحيين، وحرقوا بعض الكنائس^(٣).

اضطهاد المسيحيين لليهود :

اضطهدوا المسيحيون اليهود أشد الاضطهاد، وقتل من الجيش الإمبراطوري الكثيرين، واستعمل معهم القسوة المفرطة، ردّاً على ثوراتهم ومكائدهم، كما هدمت مذابحهم، وعوملوا معاملة الوثنيين. وهكذا يتضح لنا أن الرسول ﷺ بعث والعالم أجمع يقتل بعضه البعض مستعملاً السيف والنار بالخرق وإلقاء البشر للحيوانات المفترسة .

(٣) تاريخ الفكر المسيحي ، ح ٤ ص ١١٥ .

المبحث الثاني

انتشار الإسلام في فترة وجيزة ودون إكراه

مضيت على رسول الله ﷺ ثلاث سنوات وليس له من الأتباع إلا ثلاثة عشر ، ولما اتسع نطاق الدعوة وتفتحت أمامها السبل كان عند دخول الرسول ﷺ مكة فيما سمي الفتح في السنة الثامنة للهجرة كان عدد الجيش عشرة آلاف إنسان مسلم وكانت حجة الوداع في السنة الحادية عشرة للهجرة في ١٢٤ ألف مسلم^(١) .

أي أنه خلال ثلاث سنوات أسلم ١١٤ ألف بلا قتال .

أوضحت ١٢٠ آية في القرآن الكريم أنه لا إكراه في الدين صراحة وبالمعنى منها :

﴿ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ ﴾ [المائدة : ٩٩] .

﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴾ [الرعد : ٤٠] .

﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ [البقرة : ٢٥٦] .

﴿ أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس : ٩٩] .

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّٰ

فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴾ [يونس : ١٠٨] .

(١) صور حضارية من عطاء الإسلام : ص ٨ وهو من إعداد : لجنة التعريف بالإسلام القسم الثاني ، مقال

أ/ محمد التهامي . إصدار وزارة الأوقاف بمصر ٢٠٠٣ م .

لقد هاجر النبي ﷺ وصحابته للمدينة المنورة ، ولم يكن مع واحد منهم سيف واحدٌ أو عتادٌ لقتال ، بل ذهبوا دون أموال وما سبقهم إلا معلم يدعو لدين الله وهو " مصعب بن عمير " ، وقد دعا الرسول ﷺ أهل المدينة في بيعة العقبة الأولى والثانية على أن ينصروه ، وينصروا دينه ، ولم يعدهم بملك أو قتال غايته السلب والقتل والاعتصاب والدمار .

وشاءت حكمة الله العلي القدير أن تكون هجرة الرسول ﷺ إلى بلدهي معقل وعز وقوة اليهود ، الذين تعاهد معهم على حق المواطنة الكامل ، ولولا أنهم نقضوا عهدهم ما حاربهم وأدلة عدم الإكراه في الإسلام كثيرة منها :

إرسال الوفود لدعوة الملوك والزعماء لاعتناق الإسلام :

أرسل الرسول ﷺ وفوداً كثيرة للدعوة لدينه ، وكلها تحمل كتب ورسائل تعريف بالإسلام والدعوة إليه اختياراً لا إكراها ، سلمياً لا حرباً ، ومما جاء في رسالته لهرقل عظيم الروم .

« بسم الله الرحمن الرحيم .

من محمد بن عبد الله إلى هرقل عظيم الروم ، سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام ، يؤتكَ الله أجرك مرتين ، فإن توليت فإنما عليك إثم الأريسيين " أي مسئولية من هم في ولايتك » ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ٦٤] .

والمتدبر لهذا الكتاب يجده بدأ بسم الله الرحمن الرحيم، أي بدأ بالرحمة لا بالتهديد والوعيد ، والمرسل هو " محمد بن عبد الله " أي محمد النبي وليس السلطان أو الملك أو الزعيم ، وإنما الذي يفتخر بعبوديته لله ، وهو أيضاً ابن عبد الله ، والمرسل إليه رجل عظيم ذو مهابة " عظيم الروم " هذا يوضح الاحترام من المرسل إلى المرسل إليه ، هذا الاحترام الذي لا يحوي أي وعيد أو تهديد ، وهدف الرسالة هو الدعوة لدين الله الخاتم " الإسلام " ، وهو دين يجب اتباعه ؛ لأن فيه الهدى ، أما الجزاء فهو مضاعفة الأجر ، لأنه لو أسلم هو وقومه ، فسوف ينال ثواب اتباعه لهم ، وإن تولى ورفض ، فعليه تحمل خطيئتهم أيضاً في عدم هدايته لهم ، وفي الإسلام العبادة الخالصة لله جل وعلى ، فإن أجاب فقد أحسن ، وإن لم يجب فسيظل محمد والمؤمنون به على إيمانهم .

هذا وقد حددت استجابة هؤلاء القياصرة والملوك معاملة الرسول ﷺ لهم ، فمن بدا له الحسنى لم يقاتله ، ومن اعتدى على مبعوثه وحارب الإسلام فقد حاربه الرسول ، ولم يكن معتدياً قط .

فالنجاشي : استجاب للدعوة ، وأسلم ولم يعلن إسلامه لظروف خاصة بملكه وشعبه ، ولم يحاول قتال المسلمين ، فلم يقاتله المسلمون .

المقوقس " حاكم مصر " كان رده كريماً ، حيث أرسل الهدايا ومنها مارية القبطية التي أنجب منها الرسول ﷺ ابنه إبراهيم .

أما الروم فقتلوا عاملهم على عمان "فروة بن عمر الخرامي " لأنه اعتنق الإسلام وكان قتله صلباً .

كما قتل أعوانهم كتيبة من ١٥ فارساً ذهبت للدعوة للدين في شرق الأردن ، حيث لم يبقى إلا فارس واحد من ١٥ فارس . كما قتل شرحبيل بن عمر الغساني الحارث بن عمرة الأزدي المرسل من قبل الرسول ﷺ إلى هرقل ، عند منطقة مؤتة ، مما سبب غزوة مؤتة .

أما كسرى ملك الفرس فلما وصلت رسالة الرسول ﷺ إليه هاج ومزق الكتاب وأرسل إلى عامله باليمن ليتحرش بالمسلمين ، كما تحرش بهم أيضاً عرب الحيرة واستمروا في الإغارة على المسلمين ، فاضطر المسلمون لقتالهم .

أما فتح مصر فكان لتأمين حدود الدولة الإسلامية ، وأيضاً لتحرير مصر من الاحتلال الروماني الذي قاوم مسيحية المصريين وطارد الدين ورجاله حتى لجأ المسيحيون ورجال الدين للهروب للصحاري وسكن المعابد الفرعونية القديمة في الأماكن النائية ، ثم بناء كنائس لهم هناك .

هذا واستمرت مناوشات الروم ومحاولتهم هزيمة المسلمين نحو سبعين عاماً إلى أن تمكن المسلمون من فتح بلاد المغرب^(١).

ثانياً : نجاح الإسلام في مقاومة قاهرية وإسلامهم عن إقناع :

الدافع أن الإسلام تعرض لحروب كثيرة مهلكة استشهد فيها الآلاف ، وأوصلت أقطاره ، ومع ذلك فقد أسلم المنتصرون عليه طواعية .

(١) عظمة الإسلام : ج ١ ص ٢٨٤ .

١ - إسلام المغول وهم المنتصرون :

لقد حارب المغول المسلمين وانتصروا عليهم ، وأخضعوهم لسلطانهم ، واحتلوا بلادهم ، ونهبوا ثرواتهم ، وقتلوا خليفاتهم الأعظم ، ثم أسلموا فيما بعد من تلقاء أنفسهم ، وبمحض إرادتهم ، ثم تحمسوا للإسلام فدافعوا عنه وعن عقيدته ، بعد أن كانوا وثنيين .

قال : (السير توماس أرنولد) في كتابه : " الدعوة إلى الإسلام " :

" لا يعرف الإسلام بين ما نزل به من الخطوب والويلات أشد هولاً من غزوات المغول؛ فقد انسابت جيوش (جنكيز خان) انسياب السيول من قمم الجبال ، واكتسحت في طريقها العواصم الإسلامية ، وأتت على ما كان لها من مدنية وثقافة ، على أن الإسلام لم يلبث أن نهض من تحت أنقاض عظمته الأولى ، وأطلال مجده التالد ، واستطاع بواسطة دعاة أن يجذب أولئك الفاتحين المتبربرين ، ويحملهم على اعتناقه . ويرجع الفضل في ذلك إلى حماسة الدعاة من المسلمين ، الذين كانوا يلاقون من الصعوبات أشدها لمناهضة منافسين عظميين ، هما : المسيحية والبوذية .

٢ - إسلام الكثير من الدول والأقطار والأفراد دون قتال :

ولم ينتشر بالسيف كما يدعي المدعون ، بل انتشر بقوته الروحية ، والمعنوية ، وسمو مبادئه ، ويسره وبعده عن التعقيدات ، وسهوله تعاليمه ، وصلاحياتها للنهوض بالأفراد والمجتمعات في كل زمان ومكان ، وموافقتها للعقل السليم ، والفطرة السليمة ، والحضارة والمدنية ، وحسن معاملة المسلمين للشعوب المهزومة .

وخير دليل على انتشار الإسلام لقوته الروحية دخوله الصين ، واعتناقه الناس له في جزر الهند الشرقية بدون أي حرب أو قتال .

لقد وصل الإسلام إلى الهند عن طريق التجار المسلمين ، ولم يغزها المسلمون إلا في عهد ولاية الحجاج بن يوسف الثقفي ، كما وصل إلى بلاد جنوب شرق آسيا عن طريقهم فأمنت به دول " أندونيسيا، جزر الملايو، ماليزيا ... وغيرهم " ، وكذلك بعض دول قارة إفريقيا التي لم تصلها أي حروب ولكن وصلها أخلاق التجار المسلمين .

المبحث الثالث

انتشار الحضارة والمدنية في البلاد المفتوحة

أولاً : دور الإسلام في انتشار الحضارات:

أولاً: لم يكن الإسلام دين يطيح بالعروش ليقيم طغيان ويمتص خيرات الشعوب كما صنعت المسيحية أمس من خلال الحملات الصليبية، واليوم من خلال الاحتلال الأمريكي لبلاد الإسلام، ولكنه كان يعمر ولا يفرق بين المسلمين وغيرهم في المعاملة.

يقول وول ديورانت: وصف ابن بطوطة غرناطة على أنه لا تضارعها "ينافسها" موقع مدينة أخرى في العالم، وحوها من كل جانب بساتين وحدائق ومراع مزدهرة وكروم وفيها مبان جليلة، ولها سور عليه ألف برج، ورطبت المياه في الميادين العامة سحير الشمس، وعقد السلطان أو الأمير أو الخليفة بلاطه في أبهاء الحجرات الرحبة .

وكانت الحكومة تأخذ سبع غلة الأرض كلها، وربما أخذت الطبقة الحاكمة مقداراً مماثلاً كنفقات لإدارة الأمور الاقتصادية والنفقات العسكرية ووزع الحكام والنبلاء بعض مواردهم على الفنانين والشعراء والدارسين والعلماء والمؤرخين والفلاسفة وتولوا " جامعة "سمح فيها لعلماء المسيحيين واليهود أن يكونوا أساتذة وعمداء أحياناً، ونقش على أبواب الكلية خمسة أسطر .

دعائم الدنيا أربع :

علم الحكماء عدالة العظماء صلوات الأبرار وإقدام الشجعان
وأسهم النساء في الحياة الثقافية بحرية، ونحن نعرف أسماء بعض العالمات في غرناطة
الإسلامية، ولم يمنع التعليم السيدات مع ذلك من تحريض رجالهم على حب الفروسية^(١).
وأكبر دليل على نشر الإسلام للحضارة في البلاد المفتوحة هو أن أكثر من ٨٠٪ من علماء
الإسلام جامعي الحديث ومفسري القرآن الكريم وأصحاب المذاهب من غير العرب وهم
من الدول التي تم فتحها، كما أن علماء العلوم غير الدينية من طب ورياضيات وفلك من
غير العرب أيضاً، والحقيقة الراسخة الثابتة أن الحضارة الإسلامية قامت على أيدي وعقول
غير العرب من الأتراك والروس والأسبان وغيرهم، فقد سما الإسلام بعقولهم وحقق لهم
الأمن والأمان والحرية، فعلت بهم الحضارة الإسلامية.

لقد ظل المسلمون في أسبانيا حوالي ٨٠٠ سنة، لم يكرهوا أحداً على اعتناق الإسلام
دينهم، وكان من غير المسلمين من كانوا من أصحاب الخطوة والمكانة والرئاسة، في بلاط
الخلفاء والأمراء، وبمجرد طرد المسلمين من أسبانيا بدأت المسيحية إنشاء محاكم التفتيش،
وبدأ قتل وحرق وطرد المسلمين واليهود من البلاد، أو التنصير بالقوة، لقد كانت أول وصمة
عار كبرى في تاريخ المسيحية الغربية في حق البشرية حدثت هذه المحاكم بما فيها من مذابح
بشعة، وتعذيب رهيب بمجرد انتصار المسيحيين وطرد الجيوش الإسلامية من أسبانيا.

(١) قصة الحضارة: ج ٢٣ ص ٦٧ مكتبة الأسرة.

إنه على مر التاريخ لم يجزؤ مسلم واحد على سب المسيح أو أمه أو الاستهانة بموسى وهارون وباقي الأنبياء، ولكن الكذب المسيحي الغربي صور الرسول ﷺ في القرون الوسطى على هيئة صنم بشع أو صورة مسكين مدمن ، وحديثاً صور الرسول ﷺ على صورة إرهابي أو زانٍ أو قاتل محترف مأجور ... ومع ذلك فالإسلام بدأ صحوته رغم ضعفه وصدق تعالى حيث قال: ﴿لَنْ يَضُرَّكُمْ إِلَّا أَذًى﴾ [آل عمران : ١١١].

ثانياً :شهادات منصفى الغرب بسماحة الإسلام :

١ - شهادة البطريرك يوساب :

أرسل إلى صديق له يتعجب ويقول : لم يعتنق المسيحيون الإسلام دون إكراه؟ فأجبت قائلاً : أما العرب الذين أتاهم الله ملك الدنيا - كما تعلم - فلم يطغوا في ديننا ، ولم يعتدوا على معابدنا ، بل بالعكس كانوا في صف ديننا ، وفضلوه على غيره ، وأكرموا رهباننا ، وقساوستنا واحترموا أوليائنا ، وأحسنوا الهبات إلى كنائسنا .

فلماذا إذن هجر أهل "مرو" نصرانيتهم زلفى "قرباً" لهؤلاء العرب وهم يعلمون ويقولون: إن العرب لم يطلبوا منهم تغيير دينهم ، بل أقروهم عليه كاملاً ، ولم يطلبوا منهم إلا ضريبة يسيرة يؤدونها عن أنفسهم ، ولكنهم -المسيحيين - اشتروا أرواحهم في دين المسيح بمتاع قليل ؟!

٢- شهادة السير توماس أنولد :

"لقد أصبحت الطوائف الكبيرة التي اعتنقت الإسلام مختارة، من أشد أنصاره تحمساً، وأكثرها زهداً، فكانوا يمثلون الطهر والتقشف، حتى صار الفرق بينها وبين الأرستقراطية العربية التي مالت إلى الترف واضحاً"^(١).

شهادة "بلاسكوا أبانيز" في كتابه "في ظلال الكنيسة"^(٢).

"لقد أحسنت أسبانيا استقبال أولئك الرجال الذين قدموا إليها من القارة الإفريقية. وكانت غزوة تمدين، ولم تكن غزوة فتح وتدويخ، ولم يزل المهاجرون يتدفقون من جانب المضيق وتستقر معه تلك الثقافة الموطدة الأركان، نابضة بالحياة بث فيها النبي حمية قدسية، واجتمع فيها أفضل ما في وحي بني إسرائيل وعلم بيزنطة وتراث الهند وذخائر فارس والصين، وفي خلال سنتين اثنتين استولى الغزاة على ملك قضى مستردوه سبعة قرون كاملة في استرداده، ولم يكن في الواقع فتحاً فرض على الناس برهبة السلاح، بل حضارة جديدة، بسطت شعابها على جميع مرافق الحياة"^(٣).

(١) عظمة الإسلام ج ١ ص ٢٧٨ / ٢٧٩ .

(٢) كاتب معاصر مات في أوائل القرن العشرين .

(١) أثر العرب في الحضارة الأوربية : عباس محمود العقاد، ص ٩١، ٩٢ مكتبة الأسرة لسنة ١٩٩٨ .

(٢) عظمة الإسلام ج ١ ص ٢٨٦ ، وأشعيا نبي من أنبياء بني إسرائيل في التوراة .

شهادة " الكونت هنري دي كاسترو " :

يقول الكونت موضحاً اضطراب الرسول ﷺ للحرب كضرورة لا بد منها :

" ثم إن شدة اعتقاد النبي ، وقوة إيمانه بأن القرآن أنزل إليه ، ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ، كانا سببين يؤيدانه في استعمال الحرب ، فكان مثل أشعياء يخدم ربه بإبادة الوثنيين ، كذلك اعتناق بعض القبائل للإسلام في مبدأ ظهوره ، كان قد أوجب عداوات شتى اشتعلت بسببها نيران الفتن في بلاد العرب أجمعها ، وما كان ينبغي للنبي حباً في السلام أن يترك الباطل يعلو كلمة الحق المبين^(٣) " .

ونحن نوضح ما اشتملته الفقرات من معان فنقول :

لم يحارب الرسول ﷺ مخالفه حباً في مغنم أو طمعاً في شهرة ، ولكن لنشر الدين بالحسنى ، وإن ارتضوا الجزية فلا حرب ولا قتال ، وكانت وصية الرسول ﷺ لمعاذ بن جبل عند انبعائه لهداية الناس في اليمن :

« إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب ، فادعهم إلى شهادة " لا إله إلا الله وإني رسول الله " ، فإن هم أطاعوا لذلك ، فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة ، فإن هم أطاعوا لذلك ، فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم صدقة ، تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم ، فإن هم أطاعوا لذلك ، فإياك وكرائم أموالهم ، واتق دعوة المظلوم ، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب^(٣) » .

(٣) رواه البخاري ومسلم .

والقتال في سبيل الدفاع عن الدين ونشره كان شريعة من قبلنا قال تعالى :

﴿ كَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ * وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ * فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران : ١٤٦ : ١٤٨].

وهدف الفتوحات الإسلامية رفاهية العالم وعبادة الله: ﴿ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ [الحج : ٤١].

الباب الخامس

مخازي وبلايا الغرب المسيحي ضد الإنسانية والإسلام

توطئة :

بدأت الحرب الدينية والثقافة ضد الإسلام ببداية إعداد الغرب المسيحي لدارسين متخصصين أعدوا خصيصاً لكراهية الإسلام أولاً، ثم دراسته بغير إنصاف ثانياً ولمحاولة اختراع وافتراء بعض العيوب فيه ثالثاً، سواء في القرآن أو السنة أو التشريع ، هؤلاء أطلق عليهم مصطلح "المستشرقين" والواقع أن منهم من درس بعدالة وإنصاف فاعتنق الإسلام اقتناعاً ، ومنهم من غرته الدنيا بزيتها ففضل أن يسيء إلى الإسلام لطلب الشهرة ، وطمعاً في المناصب ، أو جنياً للأموال ، ونتج عن ذلك مدارس استشراقية متعددة كلها موحدة الهدف وإن اختلفت في الأساليب، وجندت وسائل الإعلام والإعلان من مكتوبة أو مسموعة أو مرئية لدوام الطعن في الدين الإسلامي . والكثير منهم ازدري دينه فلم يدرسه ، ولو أمعن الفكر في توراته وإنجيله لسارع للإسلام مهتدياً .

أما المسلمون فهم في غفلة عن دراسة الأديان الأخرى ، وحجة أكثرهم أن الرسول ﷺ

رأى عمراً يقرأ في صحيفة من التوراة فمنعه ، وهم لا يعلمون أنه ﷺ خاف في بداية الدعوة

من اختلاط القرآن والسنة بغير وحي السماء ، وبعد اكتمال القرآن الكريم وانتقال المصطفى

ﷺ إلى جوار ربه انتفى السبب وزال ، ويتناسى هؤلاء أن أول مناظرات في الأديان كانت بين

الرسول ﷺ وأهل الكتاب ، الذين سألوه عن أهل الكهف وعن الروح وغير ذلك ، وإن من

أهم كتب مقارنة الأديان كتاب "الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح" لشيخ الإسلام أحمد

بن تيمية

، ولذلك ندر المدافعون عن الإسلام بالطعن في الأديان المحرفة الأخرى ، وبالتالي ندرت

الكتابات والأقلام والأفلام التي تكشف عور الشرائع الأخرى التي هجرها أهلها لعدم

إيمانهم بكمالها واكتمالها .

وفي هذا الباب سنوضح - إن شاء الله - بعض مخازى وبلايا الغرب المسيحي:

الفصل الأول : الغرب المسيحي ضد حرية الأديان .

الفصل الثاني : الغرب المسيحي نشر دينه بالسيف .

الفصل الثالث : ظلم الغرب المسيحي لتعليم المسلمين .

الفصل الأول

الغرب المسيحي ضد حرية الأديان .

توطئة :

لقد احترف الغربيون سن القوانين التي تنظم حقوق الإنسان وحقوق الحيوان أيضاً، ولكنهم في التطبيق الفعلي يفرقون بين حقوق الغربي والشرقي والمسيحي وغير المسيحي، وانطبق عليهم قوله تعالى :

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [البقرة : ٢٠٤ - ٢٠٦] .

ومن حقوق الإنسان المقنعة غربياً لقوانين عالمية ، حق التدين وحرية العبادة ، وهذه الحريات شرعت للغرب فقط ، أما لغيرهم فلا حق ولا حرية ، إذ يمكن التدخل في شؤون الدول العقائدية تحت مسميات شتى منها : مقاومة الإرهاب ، نشر الديمقراطية ، دعاوي الحرية الشخصية الكاذبة، ولا تنتهي هذه المسميات وفي جميع الأحوال القوي يفرض إرادته على الضعيف ، فالبقاء للأقوى وليس للأصلح .

وبدراسة ما في الغرب وحاضره يتبين لنا عدم احترامه لأي دين حتى عقائده فقد اختلف فيها ، فتحارب البروتستانت مع الكاثوليك ، بل وتقاتل أصحاب الملة الواحدة بسبب الخلافات اللاهوتية، والأسرار المسيحية ومع ذلك فهم يدعون لدينهم ويبشرون به حتى يقضوا على الأديان الأخرى بالترغيب والترهيب .

يقول البابا يوحنا بولس الثاني :

"إن الكنيسة باتت مضرة على تحديد رسالتها المعينة وهي غرس الإنجيل في كافة الثقافات"^(١).

جاء في كتاب "التفسير الديني الجديد للكنيسة الكاثوليكية العالمية" الصادر في نوفمبر ١٩٩٢ : "أما فيما يتعلق بالذين لم يقبلوا الإنجيل بعد، بأشكال مختلفة، فهم أيضاً مأمورون بأن يصبحوا شعب الله"^(٢).

إن هدف الخلاص يتضمن أيضاً، من يعترفون بالخالق :
أولاً: المسلمون الذين يؤمنون بإبراهيم ويعبدون معنا الله الواحد الرحيم ، حاكم الناس
في اليوم الآخر (ص ١٨٥) .

"إنه من واجبنا المقدس تبشير كل الذين ما زالوا يجهلون الإنجيل" (ص ١٨٦) .
وعبارة "مأمورون بأن يصبحوا شعب الله " تعني الإجبار والقهر سواء المعنوي أو
الجسدي على اعتناق المسيحية .

ونحن نرى الحق الكامل لكل دين في محاولة الدعوة إلى اعتناقه والتبشيرية ، ولكن يجب
أن يكون هذا الحق لجميع الأديان والملل والعقائد دون إكراه من أي نوع ، ودون اضطهاد
قائم على الظلم .

(١) الفاتيكان والإسلام : ص ١١٢ .

(٢) الفاتيكان والإسلام : ص ٢٥ / ٢٦ .

والملاحظ أن أول دين يضطهد أهله الآن معنوياً وعسكرياً لترك عقيدته هو الدين الإسلامي، ويرجع ذلك إلى الإيمان الغربي بقوة الدين الإسلامي وقدرته على الاستمرار والانتصار .

تقول أمريكية أسلمت وادعت اسم مريم جميلة :

"إن الإسلام هو الدين الوحيد الذي هزم المسيحية في فترات الصراع بينهما، وهو الوحيد الذي يتصدى لها في أجزاء كثيرة من العالم، وهو الذي يتحدى المسيحية بإنكار كل مبدأ من مبادئها الكبرى، ويجعل من هذا الإنكار عقيدة وراسخة عنده سواء تعلق الأمر بأبوة الرب ، وبقوة المسيح للرب وتحسده وصلبه وقيامته ، والقرآن جاء ليصحح هذه المفاهيم ، ولا يوجد دين آخر تتخذ هذا الموقف ضد المسيحية ، وهو يرفض الاستسلام بعد هزائمه السياسية في العصر الحديث ببساطة عقيدته في التوحيد وخلوها من مظاهر التعقيد والأسرار الكهنوتية ، فدينهم موثوق في أصله التاريخي، وكتابهم وحي حقيقي لا يستطيع أحد التشكيك فيه ، وفي نسبته إلى رسول الله ﷺ وهذا الكتاب لا تحريف فيه"^(١) .

يقول المنصر الألماني هانز :

"لم يحدث أن اتفقت الكنائس واتحدت إلا في هذا العصر الذي اتخذ فيه الجميع خطة تنصير المسلمين، أقنوماً رابعاً يضاف إلى الأقانيم الثلاثة التي تقوم عليها عقيدتنا المسيحية"^(٢)

(١) حقائق ووثائق.... دراسة ميدانية عن الحركات التنصيرية..... عبد الودود شلبي ، ص ٧١ بتصرف.

(٢) (٣ ، ٢) سبق أن أوضحنا حرب المسيحية ضد الأديان الأخرى وحربها بعضها البعض ، بل أصحاب الملة

الواحدة، المرجع السابق ص ٩ ، ٥ .

ويقول روبرت ملكس :

"لن يتوقف سعيينا نحو تنصير المسلمين حتى يرتفع الصليب في مكة ويقام قداس الأحد في المدينة ^(١) .

ويقول جورج بوش الجد :

"الإسلام هرطقة "كفر وبدعة " والمسلمون جرذان فئران " وحشرات تستحق القتل ،
ومحمد مدع ، والإسلام دين ضلال امتحن به الله المسيحيين ليعيدهم إلى الهداية " .
وبناء على هذه الكراهية سنعرض لمحاولات الغرب لمحو الإسلام ومحاربته . مؤمنين بأن
هذه الحروب لن تنال من الإسلام ولكنها تقوي أركانه وترسي دعائمه ، وتجعل المسلمين أكثر
تمسكاً به مسترشدين بقوله تعالى :

﴿ لَتُبْلَوْنَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ
أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ [آل عمران : ١٨٦]
واثقين أن ما ينفق في سبيل الحرب ضد الإسلام لا جدوى من إنفاقه ولا طائل من ورائه
لقوله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ
حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال : ٣٦] .

المبحث الأول

إظهار الإسلام للشعوب الغربية في صورة مشوهة

هناك مثل مصري يقول : الدوي على الودان أقوى من السحر ، أي أن كثرة ترديد الأقوال الظالمة المفتراة قد يجعل الأكاذيب براءة كأنها حقائق لا جدال فيها ، وقد أوضح هتلر هذا المعنى وأحلاه عندما قال : إن ترديد الكذبة عشرة آلاف مرة يجعلها تبدو كحقيقة ، وهذا هو ما يفعله الغرب بالإسلام ، فهو دائم الانتقاص من قدره ، دائم النيل من أحكامه ، لا يكل ولا يمل من الإساءة له ، مسخراً لتحقيق ذلك الخطب والأقلام والأفلام وكل وسائل الإعلام والإعلان .

أولاً: الساسة والكتاب يشوهون صورة الإسلام :

١ - ولي العهد الفرنسي يسيء للإسلام :

أثناء زيارة ولي عهد فرنسا " هنريش الخامس " لمصر سنة ١٨٦١ قال : " كل الشعوب الشرقية ما إن تحصل على شهادة الحضارة حتى تتحول في أول فرصة مناسبة إلى العنف"^(١) .
الرئيس الألماني يهين الإسلام :

(١) الإسلام والغرب ما إمكانية الحوار : ص ٣٦ ، مكتبة الأسرة لسنة ٢٠٠٥ م .

(٢) المرجع السابق : ص ٢١٨ .

من خطاب الرئيس الألماني رومان هرتزوج ١٥ / ١٠ / ١٩٩٥

"وتعبر علاقاتنا الحالية بالإسلام عن واقعنا بوضوح، فوسائل الإعلام الألمانية محقة عندما تؤكد أن ذكر كلمة "الإسلام" تعني في أذهان كثيرين الربط بينها وبين العقوبات الشديدة مثل الإعدام وقمع المرأة والتعصب الديني والأصولية المتشددة، إلا أن هذا الربط يعبر عن قصر نظر يجب علينا إصلاحه ولنتذكر مرة واحدة إن تاريخ العالم شهد تنويراً إسلامياً منذ ستمائة أو سبعمائة عام"^(٣).

الكاتب "كاتي حافظ" يقول:

"وما يمكن اليوم وصفه بالشرعية يتضمن أساساً المعايير القانونية الإيجابية التي استقاهها علماء المسلمين من القرآن الكريم والسنة النبوية وبالرغم من أنها توصف بأنها أحكام إلهية إلا أنها تظل دائماً قانون الفقهاء المسمى بالعربية "الفقه" وهذا التشريع يميز تحديداً وتفصيلاً المعايير المختلفة التي تصنف البشر إلى نساء رجال مسلمين وغير مسلمين"^(٣).

يقول المستشرق الألماني: جبرونوت روتر:

"هناك من يروج منذ سنوات طويلة أفكاراً خاطئة عن الإسلام، ففي القرون الوسطى ظهر مؤلف ملحمة رولاند الذي جعل العرب يعبدون محمداً، وأبللو وتير فاجانت، لمجرد أن يدعى أن العرب لديهم الثالوث المسيحي،

(٣) المرجع السابق ص ٣٦.

ولكن بصورة تخلط ما هو إلهي بما هو وثني^(١)"

محاولة الفنون تشويه الإسلام :

إن كلمة السر المفضية إلى بلوغ قمة الشهرة وارتقاء سلم المجد-الكاذب لأي فنان، هي الإساءة إلى الإسلام، والنيل من نبل أخلاق المسلمين، ويتضافر لتحقيق ذلك، الرسامون، والموسيقيون، والمخرجون والمؤلفون ، للمسرح والسينما والتلفزيون وغير ذلك .

يوضح د.زكي نجيب محمود التأثير الإعلامي الغربي وتأثيره على عقول الغربيين فيقول:
" مصدر الخطأ - في فكرتهم الخاطئة عن الإسلام - كتابهم ومخرجو الأفلام السينمائية، فهؤلاء جميعاً يهمهم أن يصورونا في صورة غريبة أكثر مما يهمهم أن يصفوا الحق والواقع، فالفكرة العامة عند الأمريكيين هي أننا حفنة من العرب نغوص في الجهل والشهوة .

هذا ولما رأى د.زكي انبهار الأمريكيين به قال لهم :

ها أنذا أمامكم فهل رأيتموني أتكلم أو أفكر أو أسلك على صورة تدل على أنني إنسان أقل من متوسط الناس عندكم ؟ فأنا في مصر لست في بلدي إلا واحداً من أوساط الناس، وفي عالم الثقافة والتفكير في بلدي من غمار الأوساط ، فقد يسأل سائل منكم ١٠٠٠٠ مصري يختارهم . عفوا - أي بلا قصد - من المثقفين في مصر ، هل تعرفون فلانا ؟ وسيجد إجابتهم من فلان هذا!!؟

(١) المرجع السابق :ص ٢٦٨ .

(٢) أيام في أمريكا : ص ١٣٩ ، ١٤٠ .

وكان رد أحد المستمعين له :

أقول لك مخلصاً إنني قبل أن أراك لم أعرف العربي إلا إنساناً، أقرب إلى الهمجية في ثيابه
الواسعة ولحيته الكثة وجهله المطبق^(١).

وقد سأل أستاذاً جامعياً د.زكي نجيب محمود :

أتعدون قصة ألف ليلة وليلة بما فيها من شهوات جنسية قصيدة الإسلام الكبرى؟
وكان رد د.زكي :

"ألف ليلة وليلة يا سيدي الأستاذ ، هي أحلام الشباب المراهق في أي بلد من بلاد العالم
.... هي مجموعة من القصص فيها تصوير النفس الإنسانية في وجه من وجوها لكن
ما دخل الإسلام في ذلك^(٢) ؟ .

ويذكر الأستاذ الدكتور/ زكي نجيب محمود، عرض مسرحي عن ألف ليلة وليلة فيقول:
حضرت الليلة رواية غنائية اسمها "قسمت"، قائمة على الجو الساحر في ألف ليلة وليلة،
وهي رواية من فصلين، كل فصل منها ذو سبعة مناظر؛ أما الفصل الأول فمناظرة تتدرج
من ساعة الفجر إلى سوق في الضحى إلى مناظر في حديقة قصر الوزير؛ وأما الفصل الثاني
فتتدرج مناظرة من الغروب إلى الفجر، أغلبه "حريم" ورقيق، وما يظن أنه حياة الوزراء
والخلفاء في الإسلام،

(١) المرجع السابق : ص ١٣٣، ١٣٤ .

المناظر كلها من الفتنة بحيث تنقلك على جو من الأحلام ؛ إنني إذ أقول ذلك أخشى أن تحمل ألفاظي على المبالغة اللفظية التي لا تعني شيئاً من واقع ، ولا أدري ماذا أقول لأصف هذا الفن الذي أخرج المنظر في إثر آخر إخراجاً يسلبك عقلك ووعيك ويتركك سابحاً في حلم .

لكن هل كان يمكن لهذا الجمال كله وهذه الفتنة كلها أن تغرقني في حلم لا أصحو منه حيناً بعد حين محزون الفؤاد مغموم النفس ضيق الصدر؟! فكم مرة ذكر القرآن في سخرية؛ وكم مرة ذكر الإسلام في ازدراء ، وكم مرة ذكر محمد في استخفاف وتحقير ؟ كيف جعلوا الوزير المسلم لا يتصرف إلا أن يكون في تصرفه كالأبله المجنون ؟ وكيف جعلوا الخليفة لا يتكلم إلا كما يتكلم المجاذيب بغير عقل ؟ كنت في وسط هذا الجمال كله من مناظر وغناء وموسيقى ، ووسط هذا السحر كله من أضواء وظلال تتعاقب وتتغير في لطف وحسن ذوق ورفعه فن ، إلى درجة لم أكن أتصورها في الإخراج المسرحي ، كنت وسط هذا كله يعاودني الألم الممض مما أرى وما أسمع ، فأتصور نفسي وقد وقفت وسط المسرح صائحاً : حرام عليكم أن تنظروا إلى الإسلام وإلى القرآن وإلى محمد هذا النظر بغير دراسة ولا قراءة، أمن أجل الإخراج الفني البديع تفتكون بأنفس ملايين من البشر ، وتذكرت عندئذ ما رأيته في واشنطن : مسجد لم يكمل بناؤه لا تمتنع الدول العربية أن تمده بالعون ، وله طابق تحت سطح الأرض ، وفي هذا الطابق مركز للثقافة الإسلامية ، فيه رجل واحد أو رجلان، للدعوة للإسلام في أمريكا !!! .

كم ألف خطبة، وكم ألف مقالة، وكم ألف رجل نحتاجه ليزيل من أذهان الأمريكيين أثر هذه الرواية الواحدة؟!

لقد خرج الناس من المسرح مأسورين مبهورين مفتونين ، وتلكأت في السير بين جموعهم لأسمع تعليقاتهم، فلم أسمع إلا أعجاباً وعجباً من هذا الفن كيف بلغ كل هذا المدى، وبالطبع في قلب هذا الفن كله لباب سيظل عالقاً بأذهانهم، لن يزول عنها إلا مع آخر أنفاسهم؛ وهو أن الإسلام هو هذا الذي استخلصوه مما رأوه وما سمعوه: هو حماقة عقل، وشهوة للمرأة لا تنقضي، ولا تنقطع، فذلك هو شغل الوزير الشاغل وشغل الخليفة الشاغل، بل ذلك هو القرآن وهو محمد والمسلمون يصلون في حركات هستيرية تثير الضحك، والعبادة كلها يشار إليها بما يبعث على الاستخفاف.

وما زلت أفكر في الأمر مهموماً، حتى جعلت من نفسي رجلين: رجلاً يعزى رجلاً فقال الأولى للثاني: إذا كانت هذه الحياة التي يسخرون منها لا تعجبهم، فلماذا يتخذون منها معيناً لا ينفد ولنهم؟ فهم ما ينفكون يستمدون من حياة ألف ليلة وليلة النفائس تلو النفائس للسينما والمسرح^(١).

٣- المحاضرات العلمية وتشويهها للإسلام :

حضر د. زكي نجيب محمود - في أمريكا - محاضرة يعرضها أستاذاً أمريكياً على طلبته مستخدماً الفانوس السحري لعرض بعض الصور عن القدس وفلسطين وحيفا ويافا وغيرها ، وكان من الصور المعروضة ، صورة سماها "البوابة الذهبية " وقال: إن هذه البوابة أغلقها المسلمون ، وهم يقولون أن الوادي الذي ينتهي إلى هذه البوابة مشدود فيه سلك رفيع ، وسيمشي الناس على هذا السلك يوم القيامة ،

(١) أيام في أمريكا : ص ٢٠٧، ٢٠٤.

(٢) أيام في أمريكا : ص ٣٠٠، ٢٩٩.

وعندئذ ستفتح البوابة لمن يستطيع الوصول ..، أثارت هذه القصة الأطفال .. وأخذوا يسألونه أسئلة كثيرة عن البوابة والسلوك وهل مر عليه أحد إلخ وكان من جواب المدرس هذه هي عقيدة المسلمين وإننا نحترم عقائد الناس ، ولكننا لا نلتزم بها .

وكان رد د.زكي نجيب محمود عن هذا الأمر :

"أحب أن أقول لكم بأن السير على سلك رفيع أو ما يشبه السلك الرفيع ، يراد به الرمز على العمل الصالح ، وانفتاح البوابة لمن يستطيع الوصول رمز لدخول الجنة جزاء العمل الصالح ، فالعمل الصالح كثيراً ما يكون عسيراً صعباً؛ لأن الإنسان يقاوم به شهواته ورغباته ، ولذلك شبهوا أداؤه بالمشي على سلك رفيع ... فوقفت

سيدة وقالت : إذن فهذا شبيه جداً بما قاله المسيح وورد في الإنجيل ، وهو أن الطريق إلى الجنة ضيق ، وأما الطريق إلى جهنم فواسع عريض ^(١) ". .

ويلخص الأستاذ رجب البنا نظرة الغرب للإسلام الظالمة فيقول :

ويجب أيضاً ألا ننسى أن الحضارة الغربية قائمة على شعور بالتفوق وإسقاط عيوب الغرب على الغير ... ولذلك نجد أن صورة العالم الإسلامي على أنه قائم على حضارة أساسها النفاق : فالمسلم ليس صريحاً ولا واضحاً ولا مباشراً .. المسلم محتال كذاب يظهر شيئاً ويبطن شيئاً آخر المسلم لا يؤمن ... المسلم ليس له عهد ولا وعد المسلم ليس له في الدنيا إلا الطعام والجنس ... المسلم مهمل في عمله ... كسول ... وليس في العالم الإسلامي ما يسمونه "الأصالة الحضارية" ... والإسلام لا يصلح لإقامة حياة مدنية ديمقراطية ... الإسلام دين يؤمن بحكم الفرد ... الخليفة أو الحاكم وليس أمام المسلمين إلا السمع والطاعة لولى الأمر مهما يكن فاسداً .. وكل من أراد أن يستخدم عقله ويفكر اتهموه

بالكفر .. طه حسين .. علي عبد الرازق ... وطابور طويل من المفكرين أرادوا تحرير عقول

المسلمين فاتهمهم المسلمون بالكفر ... آخرهم نصر أبو زيد ... !

الإسلام يرفض التجديد .. يرفض التطور ، يرفض التعايش أو التعامل مع الديانات الأخرى ، اتهامات كثيرة - كثيرة جداً .. كلها قائمة على أكاذيب ... ولكن علماء ومفكري الغرب يصدقونها ، أو على الأقل يرددونها ، وتتفشى حتى تدخل عقل المواطن الغربي العادي الذي لا يستطيع دراسة الإسلام فيصدقها ويعتبرها حقيقة ويصير مفروغاً منها .. وهذه هي المصيبة ... !^(١).

ثانياً : الإساءة إلى القرآن الكريم :

يؤمن المسلمون كلهم أجمعون في كل زمان ومكان، مهما اختلفت مدارسهم الفقهية أو الفكرية أو مذاهبهم الدينية ، أن القرآن الكريم هو آخر كتاب سماوي أنزل بوحى من السماء وأنه أصدق كتاب حالياً ، شاهد على تحريف التوراة والإنجيل فالله يقول عن قرآنه الكريم :

﴿ أَلَمْ يَأْتِ الْكِتَابَ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة ١-٢] .

كما يقول مخاطباً رسول الله ﷺ :

﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [المائدة : ٤٨] .

(١) الغرب والإسلام ، رجب البنا : ص ٢٢٢ .

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [النساء : ١٧٠] .

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾ [النساء : ١٧٤]

ويقول الله تعالى مؤكداً صدق وحي الكتاب لرسوله ﷺ :

﴿كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾

[الأعراف: ٢] .

﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ

الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس : ٣٧] .

هذا وقد أوضح الله أن رسوله ﷺ لا يمكن أن يخطيء في قرآنه فقال تعالى :

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ

يُوحَىٰ﴾ [النجم ١-٤] ^(١) .

هذا وقد جعل الله تعالى أهل الكتاب المنصفين شهوداً على صدق القرآن فقال للرسول ﷺ :

﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍّ مِّمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ

الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ [يونس : ٩٤] ^(٢) .

(١) ٢٠، تقصد الآية الكريمة نبوءة موسى في التوراة : سوف أقيم لهم نبياً مثلك من وسط إخوتهم ، وأجعل

كلامي في فمه ، ويكلمهم بكل شيء أمره به ، وهذا مطابق للإنجيل حيث قال المسيح : " وأما متى

جاء روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق ؛ لأنه لا يتكلم من نفسه ، بل بكل ما يسمع يتكلم به ،

ويخبركم بأمر آتية " (يوحنا ١٦ : ١٣) .

(٣) الغرب والإسلام : د/ محمد عمارة ص ٧٢ .

ومع ذلك لم يسلم القرآن من طعن أهل الكتاب فيه ومحاربته .

١ - ادعاء عدم بلاغة القرآن وكذب وحيه :

رأى المستشرق الألماني " تيودور نولدكه " (١٨٣٦ - ١٩٣٠) :

قال في كتابه " من تاريخ القرآن " : لغة القرآن مترامية ركيزة ، وتكراراته لا تنتهي والبراهين تعوزها الدقة والوضوح ، وهي لا تقنع إلا المؤمنين من البداية بالعاقبة النهائية البعث والحساب ، والقصص لا تقدم إلا قليلاً من التنوع ، فأسلوب القرآن فيه عيوب كثيرة ، عيوب غير موجودة في القصائد العربية القديمة ، ولا في أخبار العرب ، وأفكاره ضحلة وساذجة وبدائية ^(١) .

رأي المستشرق مرجليوث :

يقول في كتابه " موسوعة تاريخ العالم " **Univer ALhistory of**

World " ولكن الشعر الذي يقول عنه المسلمون إنه الشعر الجاهلي ، ويقسبون إليه

القرآن فيظهر

إعجازه ، ليس هو الشعر الجاهلي الحقيقي إنما هو شعر انتحلته المسلمون وسموه " الشعر الجاهلي " بعد أن أعدموا الشعر الحقيقي الأصلي ! وقد فعلوا ذلك ؛ لأن الشعر الجاهلي الحقيقي الأصلي كان بليغاً جداً.. أبلغ مما نتصور ! كان أبلغ من القرآن ^(٢) .

(١) المستشرقون والإسلام ، محمد قطب : ص ١٥٣ ، ونود الإشارة أن الله أنكر تشبيه القرآن بالشعر فقال

تعالى ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * * * تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الحاقة : ٤٠ - ٤٣] .

رأي المستشرق الألماني "فلهوزن":

يقول: "إن المسلمين يعتقدون اعتقاد جازماً لا سبيل إلى زحزحتهم عنه ، أن القرآن كلام الله ، وإن هذا الأمر – لا سند له – إلا ما يفسره من العقلية السامية التي يسهل عليها الإيمان بعالم الغيب ، وإمكان الاتصال عن طريق نبوة الأنبياء!^(٢).

شهادة بعض المنصفين للإسلام:

ومع هذا الخضم الهائل من المفترين إلا أن هناك من ينصف القرآن من الغرب المنصفين للقرآن من الغرب .

رأي المستشرق "مونتجمري وات":

" لقد شهدت بدايات القرن العشرين "موضة" تقديم القرآن للقارئ الأوربي باعتباره مختارات من أفكار اليهودية والمسيحية ،بالإضافة لقليل من الزيادات المحددة ومعنى هذا انتفاء الجدة والأصالة ، والواقع أن هذه النظرة بقية من بقايا الدعاية المسيحية التي سادت فترة الحروب الصليبية، عندما كان على أوروبا الغربية ، أن تقوي دفاعاتها برسم صورة زائفة عن الإسلام"^(٣).

كما يقول أن القرآن ليس بحال من الأحوال كلام محمد ، ولا هو نتاج تفكيره ، إنما هو كلام الله وحده ،

(٢) المرجع السابق ص ١٧٨ .

(٣) الغرب والإسلام: د. محمد عمارة ص ١٤٨ ، ١٤٩ .

(٤) المرجع السابق ص ١٤٧ .

قصد به مخاطبة محمد ومعاصريه ، ومن هنا فإن محمداً ليس أكثر من رسول اختاره الله لحمل هذه الرسالة ، على أهل مكة أولاً ثم لكل العرب ، ومن هنا فهو قرآن عربي مبين ، إن هناك إشارات في القرآن إلى أنه موجه للجنس البشري قاطبة وقد تأكد ذلك بانتشار الإسلام في العالم^(١) .

ومع ذلك فالحرب ضد القرآن لا تنتهي ، وتزيد بازدياد القوة العسكرية الغربية ، وتتزامن مع احتلال الدول الإسلامية ، فاحتلال أرض المسلمين هو احتلال لفكرهم وعقيدتهم أيضاً ، ونحن نرد على هذه الافتراءات بقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا أَأَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا * قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً﴾ [الفرقان ٥ ، ٦] .

﴿إِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ [آل عمران : ١٨٤] .

٢- محاولة تحريف القرآن أو اختراع قرآن جديد :

أطلق بوش الابن مبادرته المسماة ، " شرق أوسط جديد " ومن المسؤولين عن التنفيذ "رومانوفسكي" ومن المخطط له الحرب ضد الدين الإسلامي ، ومنها المحاولة القبيحة لمس قدسية القرآن الكريم .

وقد جاء بمقال في جريدة الأسبوع بتاريخ ١/٣/٢٠٠٤ للكاتب وليد الشيخ
هذه خطط رومانوفسكي المسؤولة عن تنفيذ الشرق الأوسط الكبير ، إلغاء سور من
القرآن الكريم وكتابه قرآن جديد والإطاحة بالحكام العرب ، واختراق المجتمعات من
الداخل .

"والقرآن كتاب عن الحرب والإرهاب ويجب إعادة كتابته ومحو النصوص التي تحض
على العنف فيه"!!

جاءت هذه العبارة على لسان "روبرت دونان" المرشح الجمهوري لعضوية مجلس
النواب الأمريكي في تظاهرة أقيمت أمام النصب التذكاري لإبراهيم لينكولن في مارس
٢٠٠٣م، لتعبر وبوضوح عما بلغته الولايات المتحدة من بجاجة ووقاحة في التعامل مع العالم
العربي خاصة أن السيدة "ألينا رومانوفسكي نائبة مساعد وزير

الخارجية "وليام بيرنز" ومسؤولة ما يسمى "برنامج مبادرة الشراكة الأمريكية في الشرق
الأوسط " والذي يهدف إلى اختراق العالم العربي وخلق شبكة من أتباعها في المنطقة على
شاكلة " أحمد الجلبلي "، أيدت هذا الرأي يوم ٢٤ / ٩ / ٢٠٠٣ أثناء زيارة لها إلى قطر بقولها
:" أؤكد لكم .. نعم، إننا نود إزالة كل النصوص السلبية من المواد الدينية " .

بل إنها ردت على تساؤل حول صحة سعي أمريكا لحذف بعض نصوص القرآن الكريم
من المناهج الدراسية بالقول : إذا كان سؤالك حول ما إذا كنا نود إزالة كل العوامل السلبية
من النصوص الدراسية ، فالجواب هو : نعم بكل تأكيد ، وأنا لم أتحدث عن هذا التغيير في
إطار ديني ، بل سؤالك هو الذي فعل ذلك !!

هذا وقد بدأ العمل فعلياً لتحقيق هذا الهدف ،فجاء في جريدة الاسبوع بتاريخ ٢٩ / ١١ / ٢٠٠٤ قرآن أمريكي للأديان الثلاثة يوزع في الكويت ويسمى الفرقان الحق .

يتألف من ٢٧ سورة منها : المحبة - الثالث - الصلب - الزنا - الرعاة - الأساطير - الطهر - السلام .

يبيح الزنا والقتل في الأشهر الحرم ، ينكر تشريع الإسلام للميراث وتقسيماته بين الذكر والأنثى .

ومصحف الفرقان الحق المزعوم يقع في ٣٦٦ صفحة من القطع المتوسط .

يبتديء المصحف المزعوم بمقدمه مسمومة ترسخ وتؤصل للخلط العقدي وحرية الأديان، زاعمة أن الفرقان الحق لكل إنسان بحاجة إلى النور بدون تمييز لعنصره أو لونه أو جنسيته أو أمته أو دينه يتألف من ٧٧ سورة مختلفة وخاتمة. ومن أسماء تلك السور المفتراة : الفاتحة - المحبة - المسيح - الثالث - المارقين - الصلب - الزنا - الرعاة - الإنجيل - الأساطير - الكافرين - التنزيل - التحريف - اللجنة - الأضحى - العبس - الشهيد .. إلخ .

ويفتتح بالبسملة الطامة بقولهم: (بسم الأب والكلمة الروح الإله الواحد مثلث التوحيد ، موحد التثليث ما تعدد). يتجلى فيه خلط واضح لمعنى الإله فهو الأب ومثلث التوحيد وهو الإله الواحد الأحد .

ثم تأتي سورة الفاتحة المزعومة بتبليس إبليس في مطبقة اسمها لفاتحة القرآن العظيم .. ثم سورة النور.. ثم السلام .. وهكذا.

وفي سورة السلام المفتراة حشو للإفك والباطل وتلفيق واضح ومن آياتها: (والذين اشتروا الضلالة وأكروهوا عبادنا بالسيف ليكفروا بالحق ويؤمنوا بالباطل أولئك هم أعداء الدين القيم وأعداء عبادنا المؤمنين).

فمن ذا في عصرنا يكره المؤمنين ليكفروا بالحق غير أعداء الله من اليهود؟ ثم يأتي التصريح بما يكشف عن مكنون صدورهم في السورة ذاتها بقولهم: افتراء على الله: (يا أيها الناس لقد كنتم أمواتاً فأحييناكم بكلمة الإنجيل الحق، ثم نحياكم بنور الفرقان الحق).

ثم يتجلى التحريف والعبث بآيات القرآن العظيم في كل آيات ذلك الكتاب . ثم تأتي الفرية في الكذب على الله بقولهم: (لقد افترىتم علينا كذباً بأننا حرمتنا القتال في الشهر الحرام ثم نسخنا ما حرمتنا فحللنا فيه قتالاً كبيراً)!!.

وهكذا يحللون لأنفسهم القتال في الأشهر الحرم ، ولعلمهم يقصدون بذلك حربهم التي شنوها في رمضان وفي الأشهر الحرم أخيراً . ثم يتجلى الكفران والبهتان في مثل قولهم في سورة التوحيد الزعومة: (وما كان لكم أن تجادلوا عبادنا المؤمنين في إيمانهم وتكفروهم بكفركم فسواء تجلبنا واحداً أو ثلاثة أو تسعة وتسعين فلا تقولوا ما ليس لكم به علم وإننا أعلم من ضل عن السبيل) .

وفي سورة المسيح التي خطتها أيديهم الآثمة: (وزعمتم بأن الإنجيل محرف بعضه فنبذتم جلّه وراء ظهوركم). وبذلك يستنكرون على القرآن تجليه الحقائق العقدية. ويتبع ذلك اتهام المسلمين بالنفاق في مثل قولهم: (وقلتم: آمنا بالله وبما أوتي عيسى من ربه، ثم تلوتهم منكرين، ومن يتبع غير ملتنا ديناً فلن يقبل منه، وهذا قول المنافقين)!!

ينكرون على المسلمين اتباع الإسلام وينكرون قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وفي سورة الصلب كفرا: (إنما صلبوا عيسى المسيح ابن مريم جسداً بشراً سوياً وقتلوه يقيناً) يردون قول الله عز وجل: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ﴾ [النساء: ١٥٧]. وفي سورة الثالث زعموا كفراً: (ونحن الله الرحمن الرحيم ثالث فردي إله واحد لا شريك لنا في العالمين)

فأي طفل يصدق وحدانية الله عز وجل بعد هذا؟ وفي السورة ذاتها إنكار سافر لأسماء الله الحسنى وصفاته العلا بقولهم: (إن أهل الضلال من عبادنا أشركوا بنا شركاً عظيماً فجعلونا تسعة وتسعين شريكاً بصفات متضاربة وأسماء للإنس والجان يدعونني بها وما أنزلنا بها من سلطان.. وافتروا علينا كذباً بأننا الجبار المنتقم المهلك المتكبر المذل وحاشا لنا؛ لأن نتصف بإفك المفترين ونزهننا عما يصفون).

فأي مصحف هذا الذي ينكر قوله تعالى في القرآن العظيم: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ

بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]

وقوله عز من قائل: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ
الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر: ٢٣]

وما لبث الكفار أن ظهرت مكنونات صدورهم وخبايا سرائرهم في سورة الموعظة
وخوفهم من الجهاد ورغبتهم في نشر ثقافة الاستسلام والخضوع والضعف والجن في ديار
المسلمين وعقائدهم بقولهم: (وزعمتم بأننا قتلنا قاتلوا في سبيل الله وحرصوا المؤمنين على
القتال وما كان القتال سبيلنا وما كنا لنحرص المؤمنين على القتال إن ذلك إلا تحريض شيطان
رجيم لقوم مجرمين).

هل أصبح الجهاد إجراماً؟! وهل أصبح أمر الله بتحريض المؤمنين قول شيطان رجيم؟
تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا.

وفي سورة الصلاح المكذوبة نفى لمعاداة الكافرين والبراءة من الضالين الملحدين بقولهم
افتراء على الله: (يا أيها الذين ضلوا من عبادنا هل ندلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم
تحابوا ولا تباغضوا وأحبوا ولا تكرهوا أعداءكم فالمحبة سنتنا وصراطنا المستقيم .. وسكوا
سيوفكم سككا ورماحكم مناجل ومن جني أيديكم تأكلون).

يريدون بذلك أن يصبح المسلمون أهل جزية وصغار وأهل زروع ودنيا ومصانع
السلح بأيديهم والقوة ملكهم وحدهم !! فأين هم من قوله عز وجل في القرآن العظيم:
﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

ويتوالى الجرم الأعظم والتعدي على الله عز وجل بقولهم رفضاً للقرآن العظيم في السورة ذاتها: (ولا تطيعوا أمر الشيطان ولا تصدقوه إن قال لكم: كلوا مما غنمتم حلالاً طيباً واتقوا الله إن الله غفور رحيم)، ويتواصل الرفض لاستخدام القوة في قتال الكفار أعداء الله بقولهم في السورة المزعومة نفسها: (كم من فئة قليلة مؤمنة غلبت فئة كثيرة كافرة بالمحبة والرحمة والسلام)!!

ثم يتعمدون مساواة الطهر بالخبث والنجاسات!! ومساواة النكاح بالزنا!! في سورة الطهر بقولهم على الله زورا وكذبا: (وما كان النجس والطمث والمحيض والغائط والتيمم والنكاح والهجر والضرب والطلاق إلا كومة ركس لفظها الشيطان بلسانكم وما كانت من وحينما وما أنزلنا من سلطان) .

وفي السورة المزعومة ذاتها منتهى التعالى على الله عز وجل والكفر بما أنزل من آيات بينات بقولهم افتراء عليه: (وقلتم إفا لا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا، وأمرتم باقترافه مثنى وثلاث ورباع أو ما ملكت أيمانكم ولا جناح عليكم إذا طلقتم النساء فإن طلقتموهن فلا يحللن لكم من بعد حتى ينكحن أزواجا غيركم). فهل بعد هذا من زنى وفحش وفجور ؟

تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا إنهم يصفون تعدد الزوجات بالزنا والطلاق كذلك!! وفي اختلاق وتجن على الله تأتي سورة الغرائق المزعومة وكأنها سورة النجم في قرآنا العظيم

مع تحريف سافر بقوليهما: (أيها الذين كفروا من عبادنا لقد ضل رائدكم وقد غوى .إن هو إلا وحي إفك يوحى علمه مريد القوي .فرأى من مكائد الشيطان الكبرى كلما مسه طائف من الشيطان زجره صحبه فأخفى ما أبدى .. وإذا خلا به قال : إني معك فقد اتخذ الشيطان وليا من دوننا ، فلا يقوم إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس إذ ينزل عليه رجزا !!!)

ويا له من كفر بواح .. وشرك صراح .. وتعد على الله ورسوله ﷺ وإنكار للإسلام !..
ثم اتهموا الإسلام بامتهان المرأة كما تزعم جمعيات حقوق الإنسان الغربية الكافرة بأن الإسلام جعل المرأة سلعة تباع وتشترى بقولهم على الله كفراً وزوراً :"(وهن حرث لكم تأتون حرثكم أنى شئتم ذلك هو الظلم والفجور، فأين العدل والخلق الكريم، وبدأنا خلقكم بآدم واحد وحواء واحدة، فتوبوا عن شرك الزنا ووجدوا أنفسكم بأزواجكم، فللزواج الذكر الواحد زوجة أنثى واحدة، وما زاد عن ذلك فهو من الشيطان الرجيم، فالمرأة بشر عتكم نصف وارث، فللذكر مثل حظ الأنثيين وهي نصف شاهد، فإن لم يكونا رجلين، فرجل وامرأتان فللرجال عليهن درجة، وهذا عدل الظالمين ، وإذا خشيتن عليهن الفتنة غيره احتبستوهن بقولكم :قرن في بيوتكن ألا ساء حكم الظالمين قراراً لأي سلعة تبتاعون وأي بهيمة تقتنون وتسوسون ؟ .

قد أغاظهم سماح الإسلام للمسلمين بالزواج مثنى وثلاث ورباع ، وبتشريع الإسلام للطلاق حلاً في نهاية المطاف للمشكلات الزوجية العقيمة ،واستنكروا تشريع الإسلام للميراث وتقسيماته بين الذكر والأنثى .

وفي سورة الزنا افتروا على الله القول: (يا أهل السفاح من عبادنا الضالين :لقد دفعتم بأنفسكم إلى الزنى بما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع أو ما ملكت أيانكم، فعارضتم سنتنا في الإنجيل الحق بأن من نظر لأثنى بعين الشهوة ،فقد زنا بها في قلبه السقيم ، ومن أشرك بزوجة أخرى فقد زنا وأوقعها في الزنا والفجور).

وفي سورة المنافقين يصفون الله عز وجل بالشیطان – حاشا لله ، ونعالی عما یصفون بقولهم : (ومكرتم ومكر الشيطان والشیطان خیر الماكرين ... وطبع الشيطان على قلوبكم وسمعكم وأبصاركم فأنتم قوم لا تفقهون).

وفيما زعموا سورة الجزية ينفون القتال والجزية يقولون افتراء على الله: (زعمتم بأننا قلنا : قاتلوا الذين لا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون . يا أهل الضلال من عبادنا : إنما دين الحق هو دين الإنجيل والفرقان الحق من بعده ، فمن ابتغى غير ذلك دينا فلن يقبل منه فقد كفر بدين الحق كفرا).

تلك أمانيتهم أن نكفر بالقرآن العظيم وبآيات الله عز وجل ونتبع فرقانهم المكذوب على الله ولكن هيهات لهم !^(١).

(١) جريدة الأسبوع : الصفحة الأولى ، بتصرف .

٣- تدنيس القرآن الكريم في المعتقلات الأمريكية:

كشفت صحيفة النيوزويك عن تدنيس القرآن في سجن جوانتانامو ، مما دفع الرئيس الأمريكي لطلب تحقيق في هذا الشأن . وجاء بمقال بجريدة الأسبوع بتاريخ ٣٠ / ٥ / ٢٠٠٥ بمقال أ/ مصطفى بكري تحت عنوان نص الوثيقة السرية لمكتب التحقيقات الفيدرالية حول تدنيس القرآن .

الحراس مزقوا القرآن واستخدموه كجوارب في أحذيتهم :

قطعوا المياه عن الحمامات إجبار المعتقلين على استخدام صفحات القرآن ، وأحد قادة السجن يعلق آيات من القرآن ويضع عليها توقيع ، ويقول : أنا مؤلفها ، والحراس رقصوا على أجساد المصلين وتحرشوا بهم أثناء الصلاة .

تدنيس القرآن لم يكن عملاً فردياً ، والتعليقات صدرت من البتاغون ، من يرد قراءة القرآن كان يتوجب عليه أن يخلع ملابسه ويبقى عارياً ، وكنيسة صهيونية تطالب بإلقاء المصحف في المراحيض "مقال مصطفى سليمان " .

تدنيس القرآن الكريم :

جاء بجريدة الأسبوع بتاريخ ١٣ / ٢ / ٢٠٠٦ بمقال للكاتب محمود بكري :

لفظ الجلالة والقرآن الكريم على حذاء سائحة إيطالية بشرم الشيخ .

حيث كشف أحد باعة الأحذية في منطقة السوق القديم بمدينة شرم الشيخ عن حالة

مثيرة تكشف استهانة بعض دوائر الغرب بالذات الإلهية وبكتاب الله "القرآن الكريم "

ففي خلال الأسبوع الماضي تقدمت سائحة إيطالية إلى صاحب المحل لشراء حذاء
وخلال عملية استبدال الحذاء الذي في قدميها بالحذاء الجديد لاحظ البائع وجود آيات قرآنية
على الفرش الداخلي للحذاء الذي ترتديه فاستأذنها للاطلاع على محتواه ففوجئ بآيات قرآنية
من كتاب الله الكريم على الفرش الداخلي مدونة بنفس الخط الذي يكتب به القرآن الكريم
وهي تحمل الآية رقم (٦) من سورة الصف والتي تقول: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي
اسْمُهُ أَكْمَدُ﴾ [الصف : ٦]، وقد بذل البائع مجهوداً مضنيّاً لاقتناع السائحة الإيطالية بخلع
الفرش الداخلي للحذاء حتى وافقت على نزع الفرش الداخلي للحذاء والذي حصل عليه .
وأثناء تقليب الحذاء وتفتيشه فوجيء البائع بنعل الحذاء يحمل لفظ الجلالة "سبحانه
وتعالى "

ونحن نقول للجميع، القرآن باق: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].
كما ننصحهم بتقوى الله قبل أن يحاسبوا ولا ينفعهم الندم مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمُرْ
عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ *وَأَنَّهُمْ لَيَصْدُوْنَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُوْنَ أَنَّهُمْ
مُهْتَدُوْنَ* حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ﴾ [الزخرف ٣٦-
٣٨] .

ثالثاً: الإساءة إلى رسول الله ﷺ :

توقير وتبجيل المسلمون للرسول ﷺ كبشر رسول .
يؤمن المسلمون بعلو منزلة الرسول ﷺ وارتفاع شأنه ، كبشر رسول وليس كإله -كما في
المسيحية - فسمي قبل البعثة بالصادق الأمين ،

وكانت هاتان الصفتان هما الأساس القويم لتصديق أهل مكة لرسالته، وقد أعلى الله قدره

في القرآن الكريم فقال عنه ربه تبارك وتعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾

[الأحزاب ٤٥-٤٦].

فالنداء فيه تعظيم وتبجيل وتوقير من الخالق لمخلوق هو الرسول ﷺ، الذي وصف بأنه سراج منير.

ولم يترك الله رسولا أو نبيا كما زكى رسوله محمد ﷺ فزكى لسانه فقال تعالى:

﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم ٣-٤].

وزكى عقله فقال تعالى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾ [النجم: ٢].

وزكى علمه وتعليمه فقال تعالى: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ [النجم: ٥].

وزكى قلبه ووجدانه فقال تعالى: ﴿مَا كَذَّبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ [النجم: ١١].

وزكى بصره فقال تعالى: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ [النجم: ١٧].

وزكاه كله كخلق قويم بلغ العلا فقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

وحفظه ورعاه فقال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ

﴿[الطور: ٤٨].

﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ [الحجر: ٩٥].

ولا بد أن تؤدي هذه التزكية وتلك الحماية والرعاية لاحترام المسلمين لنبیهم ﷺ ومن

مظاهر هذا الاحترام قوله تعالى:

﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْتَلْلُونَ مِنْكُمْ لَوْ آذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].
 ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات: ٢].

ومع هذا فإن الكثير من أهل الكتاب وغيرهم يستهزأ بالرسول ﷺ ، وهذا ليس بأمر مستبعد ، فكل الرسل عانوا من هذا الإفك يقول تعالى :

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمٌ الْكِتَابِ [الرعد : ٤٣] .

﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَىٰ بُرْسِلٌ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الأنبياء : ٤١]

ادعاءات الغرب الخاطئة ضد الرسول ﷺ :

أغلب الغربيين من رجال الدين وكتاب وفلاسفة احترفوا محاولة النيل من شخص الرسول ﷺ ، وهم في هذه الادعاءات الكاذبة يشطون وينأون عن الحق، عن عمد أحياناً وعن جهل غالباً ومن هؤلاء :

البابا بندكت السادس عشر :

يقول :أرني ما جلب محمد من جديد ، وستعثر هناك على أشياء شريرة وغير إنسانية وحسب .

وما أجمله البابا بندكت فصله آخرون في أفكار متكررة ليس فيها جديد ،إنما هي كلمات يحفظونها كالبيغاوات ولا يحسنون ترديد غيرها ، ومن هذه الادعاءات :

أ- القوة الجنسية المفرطة وكثرة الزواج :

يقول المستشرق الشهير "واشنطن أرفنج" :

"سمح الرسول لنفسه بأن يتزوج عدداً أكبر من العدد الذي سمح لغيره من المسلمين حتى ينجب لقومه جيلاً من الأنبياء"^(١).

كما يقول القس "لامارس" :

"كان لمحمد شهوة قوية جيدة ،وقد كثفت جسمه بالملذات ، وخدرت أعضائه ،فأصبح مهتداً بالسكته القلبية"^(٢).

ويحاول واشنطن أرفنج الادعاء بأن مزايا الرسول ﷺ الجسدية من قوة هزم بها صناديد المشركين في مصارعتهم لهم ، ومن مزايا رجولة وفحولة جنسية ، هي طفرة إنسانية وليست نتيجة إرادة إلهية، فيقول :

"يروى المؤرخون العرب الكثير عن قوة هذا الطفل البدنية والروحية ،في هذه السن المبكرة ،

(١) المستشرقون والإسلام : ص ٣٦٣ لمحمد قطب .

(٢) أوروبا والإسلام ، د.عبد الحليم محمود ، ص ١٣٠ مطابع الأهرام التجارية .

فقد استطاع أن يقف على قدميه وعمره ثلاثة أشهر، واستطاع العدو حينما أتم سبعة أشهر ، حتى إذا أتم عشرة شهور استطاع أن يشارك الأطفال الآخرين في رياضتهم واستخدام القوس والسهم، واستطاع الكلام والفهم وعمره ثمانية أشهر، وبعد شهر تكلم بطلاقة وحكمة أدهشت الآخرين^(٣)

كما يؤكد هذا الفكر المستشرق : بيير بيل **Pierre Bell** فيقول :

"إن الملاك جبريل علمه وصفه طيخ "تمنحه قوة فائقة للاستمتاع بالنساء وعندما أكل منها لأول مرة ، كان من القوة هزم أربعين رجلاً ، ومرة أخرى ضاجع أربعين امرأة دون أن يتعب !!"^(٣)

الرد على هذه الادعاءات :

وفي الرد على هؤلاء وأمثالهم نقول :

- ١ - طفولة الرسول كانت عادية، لم يؤت فيها مزايا أو قوى خارقة كما يدعى البعض .
- ٢ - لم يحدث أن الرسول ﷺ جامع ٤٠ امرأة معاً أو صارع أربعين رجلاً معاً والراجع أنه دخل بـ ١٣ امرأة ، اجتمع عنده ١١ زوجة ، ومات عن تسع زوجات وسراري، وصارع البعض فرادى، ومنهم ركانة الذي طلب مصارعة الرسول ، كدليل على أنه نبي لا يهزم أو يقهر؛ لأن ربه ينصره ويحميه .

(٣) المستشرقون والإسلام ص ٢٦٢ ، والمؤكد أنه كاذب في دعواه فلم يدع أحد هذه الخوارق لطفولة الرسول ﷺ وإنما أضغاث أحلام !!! .

(٤) محاصرة وإبادة، د. زينب عبد العزيز : ص ٤٠ ، القدس للنشر والإعلان بالقاهرة .

٣- لو أن جبريل علم الرسول ﷺ كيفية إعداد عقار أو أكل يعطيه قوة ٤٠ رجلاً فحلاً، ليجامع بهذه القوة ما شاء من النساء حتى لو كن ٤٠ امرأة، لكان ذلك دليل على صدق النبوة، فجبريل هو أمين الوحي في الإسلام، وهو أيضاً الذي بشر مريم بمولد المسيح، يقول تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ * مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة ٩٧، ٩٨].

كما جاء في الإنجيل عن بشارة الله لمريم بمولد المسيح، والرسول هو جبريل: "(٢٦) وفي شهرها السادس^(١) أرسل الملاك جبرائيل من قبل الله إلى مدينة بالجليل اسمها الناصرة (٢٧) إلى عذراء مخطوبة لرجل اسمه يوسف..... واسم العذراء مريم (٢٨) فدخل الملاك فقال لها: "سلام أيتها المنعم عليها! الرب معك، مباركة أنت من النساء"..... (٣١) وها أنت ستحبلين وتلدن ابناً وتسمينه يسوع" (لوقا: ١).

ونقول للقس "لامارس": الرسول ﷺ لم يجهد من مجاعة النساء، ولكن جهد في سبيل الدعوة لله ولدينه في سبيل الله. ولو صح ادعاء "واشنطن" بأن جبريل علمه خلطة تقوية لجماع ٤٠ امرأة، لما هددته السكتة من معاشرة تسع نسوة فقط.

(١) المقصود: هو زوجة زكريا التي كانت في الشهر السادس وكان من حمل يحيى "يوحنا".

٤- الرسول ﷺ لم يتزوج لينجب عدداً من الأبناء يرثون ملكه أو النبوة، والدليل على ذلك أن القرآن أوضح له أنه لن يعيش له أبناء ذكور، وصدق الله حيث قال: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٠] إذن فالقرآن الكريم رد على هذا المدعى الذي لو درس الإسلام لما حاول النيل من الرسول .

ومعلوم أن كل أبناء الرسول الذكور ماتوا صغاراً ، وأغلب زوجاته كن مسنات .

٥- لم يحل الرسول ﷺ لنفسه الزواج بأي عدد من النساء .

ونود أن نذكر هؤلاء أن سليمان "عليه السلام" الذي بنى هيكل الرب وأثنى عليه ربه في التوراة ، قد تزوج بأكثر من ١٠٠٠ امرأة ، والشاهد هو التوراة التي جاء فيها " (١) وأولع سليمان بنساء غريبات كثيرات (٢) (٣) فكانت له سبعمئة زوجة وثلاثمئة مخطية ، فانحرفن بقلبه عن الرب " (الملوك الأول: ١١) .

هذا النبي الكريم يدعى كتبة التوراة أنه انحرف بقلبه عن الرب ، وسبق أن جاء عنه " (٢٩) ووهب الله سليمان حكمة وفهماً بالغين ، ورحابة صدر غير متناهية (٣٠) وتفوقت حكمة سليمان على جميع أبناء المشرق وكل حكمة المصريين " (الملوك الأول : ٤) .

فإذا تزوج الرسول ﷺ بضع عشرة من النساء فكأنه بالنسبة لسليمان نظر إلى امرأة عابرة ولم يتمتع بنسوة .

أ- الله منح رسوله ﷺ أن يجمع بين أكثر من امرأة ومنعه من الزيادة عليهن من العدالة أن تكون لكل منحة ما يقابله من منعه ،

فالله تبارك وتعالى أمره وأحل له الزواج والتسرى بمن عاشروهن لقوله ﷺ: «ما تزوجت شيئاً من أزواجي ولا زوجت شيئاً من بناتي إلا بوحى من الله تعالى»^(١)، ويؤكد الحديث قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾ [الأحزاب: ٥٠].

هذا وقد منع الله رسوله ﷺ من أن يتزوج أي نساء بعد زواجه أي أن الله حدد العدد فقال جل شأنه: ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيباً﴾ [الأحزاب: ٥٢].

ب- فهي رخصة ومنحة تقابل تخصيص وتحديد وهذه للرسول فقط وليست لباقي المسلمين الذين يمكنهم أن يتزوجوا أي عدد من النساء بشرط ألا يجمعوا بين أكثر من أربع معاً.

فكرة عامة عن أزواج الرسول ﷺ:

١- الزوجة الأولى: السيدة خديجة بنت خويلد "رضي الله عنها":

هي المثال الحي المجسد للسكن والمودة والرحمة، فكانت المعينة على الدعوة وأول من أسلمت على وجه الأرض من البشر رجالاً ونساءً.

(١) الحديث ضعيف: رواه أبو نعيم في "حلية الأولياء" (٧/ ٢٥١) بسنده عن إسماعيل بن يحيى عن عطية العوفى عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ.

تزوجها الرسول ﷺ وهو ابن ٢٥ سنة وهي ابنة ٤٠ سنة ولم يجمع معها أياً من النساء، أي هي زوجة ربيع العمر، وربيع انتشار الدعوة للإسلام، وماتت في سن ٦٥ عاماً وللرسول ٥٠ عاماً، ولخص الرسول مزاياها فقال: « آمنت بي حين كفر الناس، وصدقني إذ كذبنني الناس، وواستني بها إذ حرمني الناس، ورزقني الله منها الولد دون غيرها من النساء ».

٢- الزوجة الثانية : سودة بن زمعه " رضي الله عنها ":

تزوجها الرسول ﷺ وسنها ٥٥ عاماً، والباعث هو رعايتها وتكريمها بعد استشهاد زوجها وكان للزواج، منها أثر عظيم في إسلام قومها، ولم تكن ذات حسن وجمال وشباب، فزواجها لم يكن لشهوة ولكن لبر ورحمة .

٣- الزوجة الثالثة : عائشة بنت أبي بكر الصديق " رضي الله عنها ":

البكر الوحيدة التي تزوجها الرسول ﷺ صغيرة السن وقد تزوجها الرسول ﷺ إكراماً لأبيها، وأحبها حباً جماً - وهو أمر لا يعاب ، وكانت من رواة الحديث النبوي الشريف، ومعلمة للمسلمين لقوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرَنَّ مَا بُدِّلَ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الأحزاب : ٣٤] ، ويقول الرسول ﷺ : « خذوا العلم من هذه الحميراء »^(١)

٤- الزوجة الرابعة : حفصة بنت عمر " رضي الله عنها ":

ترملت بعد استشهاد زوجها ولها من العمر ١٨ سنة، ولم تكن ذات جمال وفتنة ولكن الرسول ﷺ تزوجها إكراماً لأبيها ، وقد شاء الله أن يحفظ القرآن مكتوباً عندها .

(١) التصغير للتدليل : فقد كانت " رضي الله عنها " حسنة المنظر وجميلة ، وذكية ، والمعلوم أن من أشار بالزواج منها هي "خولة بنت حكيم" .

الزوجة الخامسة : زينب بنت خزيمة " رضي الله عنها " :

أرملة شهيد ، تزوجها الرسول ﷺ شفقة ورحمة بها ، مكثت لديه أشهراً قليلة وماتت ، ولم تكن مما يغار منها ، فلم تك ذات حسن ، وبالتالي لم يتزوجها الرسول ﷺ لشهوة جسدية .

الزوجة السادسة : أم سلمة " رضي الله عنها " :

كانت ذات حسن وبهاء وجمال ، هاجرت للحبشة وكانت أول المهاجرات من النساء ، ثم للمدينة المنورة ، وكانت مسنة حين تزوجها الرسول ﷺ وقد تكفل الرسول برعاية أبنائها وتربيتهم ، وكان لها دور بارز في إزالة الجفوة بين الرسول وصحابته بسبب صلح الحديبية ، حين لم يرض الصحابة بالاتفاق والمعاهدة بين الرسول وقريش ، فأشارت أم سلمة وقالت للرسول ﷺ : يا رسول الله ، اخرج ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك ؛ ليحلق لك ، ونفذ الرسول ، وهنا تدافع الصحابة ليقصدوا به .

الزوجة السابعة " زينب بنت جحش " رضي الله عنها " :

هي ابنة عمة الرسول ﷺ زوجها لمولاه زيد بن حارثة ، ولم يحدث بينهما وفاق وطلقها زيد ، فتزوجها الرسول ﷺ حتى يحل الله زواج الرجال من نساء أديانهم ، وليحرم الله التبني الكامل ، وإن لم يحرم كفالة اليتيم ، يقول تعالى :

﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ [الأحزاب : ٣٧] .

وقد نظم الله التبني في قوله تعالى: ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴾ * ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٤ - ٥].

لقد أكرم الله زينب بزواجها من الرسول، وأكرم زيداً بأن ذكر اسمه في القرآن الكريم وهو الصحابي الجليل الوحيد، الذي جاء اسمه في قرآن يتعبد به إلى يوم الدين.

الزوجة الثامنة : جويرية بنت الحارث " رضي الله عنها ":

أسيرة، عظيمة الجمال تزوجها الرسول ﷺ وكان صداقها حريتها، وتم فك أسرى قومها إكراماً لها، بعد أن أصبحت أمّاً للمؤمنين، أسلم بعد إسلامها قومها، وقيل أن أباهما أسلم هو الآخر، وكان سيد قومه بني المصطلق، فكان زواجها بركة على ذويها للعتق والإسلام.

الزوجة التاسعة : صفية بنت حي بن أخطب " رضي الله عنها ":

ابنة زعيم يهود خيبر ذات ١٨ ربيعاً، تزوجت مرتين، ثم أسرت وأعتقها الرسول ﷺ وكان من صداقها عتقها، ورأت في منام أن قمراً، وقع في حجرها، فقصت رؤيتها على زوجها، فقال غاضباً: ما هذا إلا أنك تمنين "ترغبين" مالك الحجاز محمداً، ولطم وجهها، وربما سبب التمني أنها كانت تعلم أن الرسول ﷺ هو نبي آخر الزمان، فقد سمعت والدها وعمها

يتحدثان، فيقول العم للأب : أهو هو النبي ؟ قال نعم والله ، قال عمها : أتعرفه وتثبته ؟
قال : نعم ، قال فإذا نفسك منه ؟ أجاب : عدواته والله ما بقيت ^(١) .

الزوجة العاشرة : أم حبيبة بنت أبي سفيان " رضي الله عنها " :

اسمها رملة وهي ابنة زعيم مكة وقائدها ، هاجرت مع زوجها للحبشة ، حيث تنصر
هناك ، ورفضت ترك دينها ، فخسرت الزوج وريحت الوطن ، والعز ، والجاه
والعقيدة ، فأرسل الرسول ﷺ يخطبها للزواج تكريماً لها ، لا طمعاً في جمالها وحسنها . لقد دفع
صداقها ملك الحبشة النجاشي ، وأولم وأهداها هو ونساؤه الكثير .

الزوجة الحادية عشرة : مارية القبطية " أم إبراهيم " رضي الله عنها :

هي مارية بنت شمعون ، أبوها قبطي وأمها مسيحية رومية ، أهداها المقوقس عظيم القبط
للسول ﷺ فتزوجها الرسول وقد أسلمت وأنجب منها " إبراهيم " الذي توفي صغيراً ، أنزل
الله بسببها قرآناً يتلى ليوضح عدم عنصرية الإسلام ، فقد جامعها الرسول في بيت حفصة التي
علمت بذلك فغضبت واتفقت مع باقي النساء على مقاطعته ، فقرر تحريمها على نفسه
، إرضاء لهن ، فأنزل الله قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ
أَزْوَاجِكَ ﴾ [التحریم : ١] .

الزوجة الثانية عشرة : ميمونة بنت الحارث " رضي الله عنها " :

أرملة في السادسة والعشرين ، اسمها " برة " وهبت نفسها للرسول ﷺ فقبلها كزوجة ،
أحبت الرسول حباً جماً ، جاء عنها في القرآن الكريم :

(١) السيرة النبوية : لابن هشام ١٦٥ / ٢ .

﴿وَأَمْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأحزاب ٥٠] .

ثانياً: الحكمة من تعدد زوجات الرسول ﷺ^(١) :

يمكن تقسيم زوجات رسول الله ﷺ من حيث الحكمة في زواجهن إلى الفئات التالية :

١ - زوجات أعدهن الله للمشاركة في الدعوة إليه وإعانة الرسول على ذلك :

إن السيدة خديجة بنت خويلد هي الدليل الساطع على اكتمال صفات الرسول ﷺ خلقاً وخلقه قبل بعثته ﷺ ولولا توسمها الخير فيه لما خطبته ، فقد أعدها الله على كبر سنها لتكون المعين والناصر والمؤيد والسكن والمودة والرحمة ، في فترات الدعوة العvisية الأولى ، ولنساء العالمين جميعاً الحق في الفخر بها ؛ لأنها أول من أسلم على وجه الأرض من بشر رجالٍ ونساء أما عائشة بنت الصديق فكان دورها آتياً بعد الهجرة ، فبالإضافة لحسن التبعل وحب الرسول ﷺ الجم لها والذي لا ينقص من قدره أو قدرها فارق السن ، إلا أن صغر سنها واكمال فهمها وقوة ذاكرتها وملازمتها الرسول ﷺ شبه الدائمة لها ، مكنها من حفظ حوالي ألف حديث للرسول ، فحملت لواء السنة أثناء حياته وبعد وفاته ﷺ .

وحفصة بنت الفاروق عمر ، قد شرفت بحفظ القرآن الكريم كاملاً مكتوباً لديها .

وهكذا نرى أن الثلاث منهن من حملت لواء الدعوة في بدايته ، وأخرى لواء الدعوة بنشر

السنة النبوية ،

(٢) المرأة بين الشريعة وقاسم أمين ، زكي على السيد أبو غضة : ص ٤٠٠ - ٤٠٢ ، دار الوفاء .

وثالثة حافظة القرآن، ولم يتزوج الرسول واحدة منهن طمعاً في إشباع رغبة جنسية أو اشتهاً وقد تزوج عائشة إكراماً لأبيها وتكريماً له، ثم أحبها فأحبته .

٢- زوجات تزوجهن الرسول ﷺ للرعاية الإنسانية وجزاء لتعبدهن ونسكنهن :

أولهن: سودة بنت زمعة المترملة التي لا عائل لها يعينها على نوائب الدهر صاحبة المهجرتين، وأيضاً زينب بنت خزيمة، أرملة شهيد أحد، والتي أعلى الرسول قدرها وقدر زوجها بنكاحها وهي أم المساكين لرحمتها إياهم ورقتها عليهم، والثالثة أم حبيبة بنت أبي سفيان التي كانت تقترب من الأربعين وهاجرت مع زوجها السابق الذي تنصر، وقاومت هي ظروف الحياة والوحدة وهجر الزوج، ليكافئها الله بخير البرية رسول الله ﷺ. أما الرابعة فهي ميمونة بنت الحارث التي أحبت الرسول ﷺ، ووهبته نفسها حباً وكرامة، فلم يرفضها رحمة ورأفة، فالحب الحلال في الإسلام شرف.

٣- زوجات أعجب بجمالهن الرسول ﷺ :

وهن أم سلمة، زينب بنت جحش، جويرية بنت الحارث، صفية بنت حيي . رسول الله ﷺ كان بشراً رسولاً، كامل العقل، سليم الذوق، قوي الرجولة، فهل يعيبه الإعجاب ببعض النساء صاحبات الجمال والزواج منهن، إن ما يعيب الرجل هو نقص الرجولة أو عدم تذوق الجمال والاستمتاع بها أحل الله من حلال بين، وهذه سنة الأنبياء أصحاب الكمال .

وإذا طعن أهل الكتاب في نبوة الرسول ﷺ أو حاولوا النيل من كماله لزوجاته من نساء جميلات أربع، فلنا أن نسألهم حسب اعتقادهم المستقى من كتبهم وليس حسب الاعتقاد الإسلامي .

يا أيها اليهود ماذا قالت التوراة عن داود ؟ ألم تدع أنه زنى بامرأة أوريا ؟ وخطط لقتله حتى يتزوجها ، وهو قد تزوج بأكثر من أكثر من واحدة .

وكم تزوج سليمان ؟ لقد تزوج بأكثر من ألف امرأة، ومع ذلك فهو باني هيكل الرب أي بيت عبادة الرب .

تزوج الرسول ﷺ صفية بنت حيى بن أخطب اليهودية ، وتسرى بهارية القبطية ، وكان ذلك لتشريع حل الزواج من نساء أهل الكتاب ، لزيادة أواصر المحبة والألفة عن طريق المصاهرة والنسب .

لقد أوصى الرسول ﷺ بأهل مصر خيراً ، إكراماً لما رية أم إبراهيم فقال : " استوصوا بالقبط خيراً فإن لهم ذمة ورحماً " .

ب- الادعاء بكذب الرسول وأنه لم يوح إليه :

يقول المستشرق " هولباخ " عن الرسول ﷺ :

" لقد ظهر محتال في بلاد العرب ، ارتجل الأكاذيب باسم السماء وسرعان ما أصبحت هذه الأكاذيب مقدسة ، وانتشرت بالسلاح ^(١) " .

(١) محاصرة وإبادة : ص ٣٨ .

(٢) المرجع السابق : ص ٣٨ .

ويقول الأب "لويس موريري"

" محمد نبي مزيف ،عربي الموطن ولد عام ٥٧١م وفقاً للتقدير العام – وهو راهب
نسطوري ، أصبح دينه مكوناً من جزءاً من اليهودية ، وجزءاً آخر من أحلام هرطقية "بدع
" وضلال ^(٣) .

يقول الكونت "هنري دي كاسترو" في كتابه الإسلام سوانح وخواطر :
"إن مواطنيه الفرنسيين" افتروا على الرسول ودينه افتراءات عجيبة ، وذهبوا وادعوا أن
محمدًا وضع دينه بادعائه الألوهية ".
"إن محمدًا الذي هو عدو الأصنام ومبيد الأوثان ، كان يدعو الناس لعبادته في صورة وثن
من ذهب ، كما كان يعتقد "الكرلوقنجيون".

بل لقد أغرق خيالهم في الضلال ، فذهبوا إلى أبعد من ذلك :
وذهبوا إلى أن صورة " ماهون " كانت تصنع من أنفس الأحجار والمعادن بأحكام صنع
وأدق إتقان ^(٣) .

ونحن نرد على هذه المزاعم فنقول :
كل الأنبياء بما فيهم موسى وعيسى عليهما السلام اتهموا نفس هذه الاتهامات فعندما كلم
الرب موسى في سيناء ليرسله نبياً إلى بني إسرائيل ، قال موسى للرب :

(٣) أوروبا والإسلام : ص ٥٣ .

"(١٣) حينما أقبل على بني إسرائيل وأقول لهم : " إن إله آبائكم قد بعثني إليكم وسألوني : ما اسمه فماذا أقول لهم ؟ (١٤) فأجابه الله : " أهبه الذي أهبه " (الخروج : ٣) .

ومع ذلك شك موسى في تصديق بني إسرائيل له " (١) فقال موسى : ماذا إذا لم يصدقوني ، ولم يصغوا إلى ، وقالوا : إن الرب لم يظهر لك ؟ (الخروج : ٤) .

إذن فمن الطبيعي وجود فئة من الناس لا تؤمن بانبعاث الأنبياء ، وعندما تأخر موسى في استلام الألواح ، عاد فوجد اليهود يعبدون عجلاً ذهبياً .

ومعلوم أن اليهود لم يؤمنوا برسالة المسيح حتى الآن ، واتهموه بأنه ساحر ، وكاذب ، وساقوه إلى حافة الجبل الذي بنيت عليه مدينتهم ليطرحوه إلى أسفل (لوقا : ٤)

وقال المسيح عن أورشليم " (٣٤) يا أورشليم يا أورشليم ، يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها " (لوقا : ١٣) .

لقد أنكر قوم موسى نبوته وعصوا وعبدوا العجل في وجوده ، ولم يعترف بنو إسرائيل بنبوة المسيح ورفضته مدن بأكملها ، كالناصرية وأورشليم ، فمن الطبيعي أن ينكر نبوة الرسول ﷺ الغرباء عن وطنه والحاقدون على دينه .

ولقد أوضح القرآن الكريم ذلك بقوله تعالى :

﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾ [الرعد : ٤٣] .

كما قال : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِعَابِ الْأَوَّلِينَ * وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ [الحجر : ١٠-١١] .

إن الادعاء بأن الرسول كان يدعو الناس في صورة وثن من ذهب أو غير ذلك هو ضلال وإضلال وكذب صراح، فعندما هم رجل بالسجود منعه وقال له : إنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد بمكة ، وأوضح القرآن أن الرسول ﷺ كان بشراً عادياً فقال جل شأنه: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ [آل عمران : ١٤٤].

كما قال: ﴿ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴾ [الإسراء : ٩٣] وأكد ذلك قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف : ١١٠].
﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ﴾ [الأنبياء : ٣٤].
إن هذه افتراءات يروج لها كاذب ليصدقها جاهل، ولم يكن الرسول ﷺ أبداً راهباً مسيحياً كما يدعى البعض كذباً، ولم يقتبس قرآنه من التوراة والإنجيل، لأن كتابه يحوي من الحقائق ما لم يأت به أي منهما سواء ، حقائق علمية أو فكرية أو بلاغية .

وقد رد الله على هذه المفتريات في القرآن فقال تعالى :

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان : ١] ، كما قال: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا * وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْتَلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا * قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [الفرقان : ٤-٦] .

وحتى يؤكد المدعون كذبهم ، فقد قالوا أيضاً بأن الرسول ﷺ كان يكتب ويقرأ

ولندع منصف غربي يرد على هذا الزعم

يقول الكونت "هنري دي كاسترو" :

"إن من أولى الافتراءات على الرسول ﷺ الادعاء أنه ﷺ كان يقرأ ويكتب ، فقرأ التوراة

والإنجيل وأخذ تعاليمه منها " ويرد على هذا الادعاء فيقول :

وقد رد القرآن على هذه الفرية فقال تعالى : ﴿ وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ

بِيَمِينِكَ إِذَا لَأَزْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ [العنكبوت : ٤٨] .

كما يقول : " ما كان الرسول يقرأ ولا يكتب ، بل كما وصف نفسه مراراً بأنه نبي أمي ،

وهو وصف لم يعارضه فيه أحد من معاصريه ، ولا شك أنه يستحيل على رجل في الشرق أن

يتلقى العلم بحيث لا يعلمه الناس ، لأن حياة الشرقيين كلها ظاهرة للعيان ، على أن الكتابة

والقراءة كانت معدومة في ذلك الحين من تلك الأقطار ، ولم يكن بمكة قارئ أو كاتب سوى

واحد..... كذلك من الخطأ مع معرفة أخلاق الشرقيين ، أن يستدل على معرفة النبي ﷺ

للقراءة والكتابة باختيار "السيدة خديجة" رضي الله عنها " إياه لمتاجرها في الشام ، ولم تكن

لتعهد إليه أعمالها إن كان جاهلاً غير متعلم ، فإننا نشاهد بين تجار كل قوم غير العرب وكلاء

لا يقرؤون ولا يكتبون وهم في الغالب أكثر أمانة وصدقاً^(١) .

(١) الغرب والإسلام : ص ٥٦ ، ٥٥ د. عبد الحليم محمود شيخ الأزهر رحمه الله إليه .

ج- ادعاء صرع الرسول ﷺ :

يدعى أدعاء الإسلام أن ما كان يعاني منه الرسول ﷺ عند نزول الوحي عليه كان مرضاً يشبه الصرع ، وعن ذلك يقول الكونت "هنري دي كاسترو" :

"أما هؤلاء الذين بلغ بهم التعسف مداه، فظنوا أن هذه الفترات التي يغيب فيها الرسول ﷺ عن هذا العالم ليكون بكليته مستغرقاً في الملاء الأعلى ، إنما هي فترات مرضية ، أو هي الصرع ورغم تكذيب الطب لمزاعمهم مستنداً على الاختلاف الكلي بين أعراض الصرع وأعراض الوحي ، فقد أعماهم التعصب عن رؤية الحقيقة ، ويرد الكونت عليهم قائلاً :
"ومن ذلك الحين أي البعثة - أخذت شفتاه تنطلق بألفاظ بعضها أشد قوة وأبعد مرمى عن بعض ، والأفكار تتدفق من فمه على الدوام إلى أن يقف لسانه ، ولا يطبق الصوت ، ولا يجد من الألفاظ ما يعبر به عن فكر قد ارتفع عن مدارك الإنسان ، وسما عن أن يترجمه علم أو لسان .

وكانت تلك الانفعالات تظهر على وجهه بادية، فظن بعضهم أن به جنة، وهو رأي باطل، لأنه بدأ رسالته بعد الأربعين، ولم يشاهد عليه قبل ذلك أي اعتلال في الجسم أو اضطراب في القوة المادية، وليس من الناس من عرف الناس جميعاً أحواله في حياته كلها مثل النبي ﷺ فلقد وصل المحدثون عنه إلى أنهم كانوا يعدون الشعر الأبيض في لحيته، ولو أنه كان مريضاً ما أخفى مرضه؛ لأن المرض في مثل ذلك الأحوال يعتبر أمراً سماًوياً عند الشرقيين

وليست حالة الرسول ﷺ بحالة ذي جنة، بل كانت مثل التي قال نبي بني إسرائيل في وصفها : "لقد شعرت بأن قلبي انكسر بين أضلعي، وارتعشت من العظام، فصرت كالنشوان، لما قام بي من الشعور عند سماع صوت الله وأقواله المقدسة"^(١).

ولقد رد الله مزاعمهم فقال تعالى: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر : ٦]. وأوضح الله أن كافة الرسل اتهموا بذلك فقال تعالى: ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الحجر : ١١]

وقد نفى هذا الاتهام عن الرسول فقال ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾ [التكوير: ٢٢].

٢- الادعاءات أن الرسول ﷺ كان نوماً، وسوداوي المزاج :

يقول القسيس اللبناني "لامانس" كان محمد نؤوما "أي كثير النوم".

ويقول المستشرق "دودي": إن محمداً سوداوي المزاج يلتزم الصمت، ويميل إلى التنزهات

الطويلة، فريداً "منفرداً" ويميل إلى التأملات المستغرقة في شعاب مكة الموحشة"^(٢)

ولا يغيب عن فطنة القارئ أن الهدف من هذه الأكاذيب، هي إظهار الرسول ﷺ

كصاحب عقد نفسية، وليس كناسك يتدبر في خلق السموات والأرض وملكوت الخالق

جل وعلا .

(١) الغرب والإسلام ص ٢٨، ٢٩ .

(٢) المرجع السابق ص ١٢٦ .

(٣) المرجع السابق ص ١٢٦ .

ويناقض "لامانس" المستشرق "دوزي" فيقول: كلا، ليس هناك ما يثبت اعتكاف محمد وعزلته، فذاك لا يتفق مع نظرة "كراهية" محمد عن الوحدة، وكراهيته المشهورة للنسك^(١).
الرد على هذه التناقضات :

لم يدع أحد من معاصري الرسول ﷺ انه كان نؤوما ، وإلا لاعتبر العرب ذلك سبه، وقد أوضح الله في القرآن الكريم نشاط الرسول ﷺ الديني الليلي وعبادته فقال جل شأنه :
﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ﴾
[المزمل : ٢٠].

وهذه العبادة وغيرها تنفيذاً لأمره تعالى :
﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ﴾ [هود : ١١٤].
﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ [طه : ١٣٠].
﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ (٣٩) وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ (٤٠)﴾ [ق : ٣٩-٤٠].
﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ [الإنسان : ٢٦].
﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء : ٧٩].

وقد ورد في الحديث عن المغيرة بن شعبه أنه قال: "كان النبي ﷺ يقوم ليصلي حتى ترم
"أي تنتفخ قدماه"، فيقال له، فيقول: «أفلا أكون عبداً شكوراً» رواه البخاري .

وكان في رمضان يكثر من الصلاة والزكاة والاعتكاف ، وربما كان يواصل: أي يصوم
أياماً متتابعة أي دون إفطار .

أما عن الادعاء بأن الرسول ﷺ كان سوداوي المزاج لا يحب النسك ، فهو ادعاء يدل
دلالة واضحة على إفلاس المدعى، وخلو جعبته مما يستطيع به أن ينال من الرسول ﷺ فحاول
نعتة بما ليس فيه باتفاق ، وهو كمن لم يجد في الضياء عيباً فقال: إنه منير .

فكيف يكون الصادق الأمين سيء الخلق، وقد شهد له الغريب قبل القاصي والقاصي قبل
الداني، والعدو قبل الصديق ، والمشارك قبل المؤمن ، إنه الصادق الأمين ، كما شهد له ربه
بذلك فقال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ
فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران : ١٥٩] . كما قال عنه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء :
١٠٧] ، ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم : ٤] .

إن سيرته ﷺ من الطفولة حتى الانتقال إلى ربه كانت عقداً منتظماً متلاً منيراً من الفضائل
، ولم يعرف عنه أي ظلم أو غبن أو فحش ، لقد وصفه ربه فقال عنه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا
أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً﴾ [الأحزاب : ٤٥] .

لقد حاول المستشرق "لامانس" إيهام القارئ كراهية الرسول ﷺ للنسك فادعى قوله:
"كراهيته المشهورة للنسك"، وصورها كأنها حقيقة واقعة وأمر ثابت لا جدال فيه .

وربما يشير إلى واقعة الثلاث نفر الذين أتوا الرسول ﷺ وقال أحدهم: إنه سيقوم الليل كله مصلياً، والآخر سيطوى نهاره صائماً، والثالث سيعتزل النساء فلا يتزوج، فنهاهم الرسول ﷺ عن ذلك وقال لهم: «إني أصلي وأصوم وأقرب النساء» ونصحهم بالافتداء به والتوسط في العبادة فإن للجسد حق وللزوجة حق والله حق، والدين الإسلامي ليس بدين مادي جامد أو رוחي طاغي، ولكنه دين التوسط ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣] .

لقد كان الرسول ﷺ نعم العابد الناسك المعتدل في كل شيء وقد قال عنه ربه تبارك وتعالى: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام ١٦٢-١٦٣] .

﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨]

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ﴾ [الطور: ٤٩] .

﴿يَا أَيُّهَا الْمَزْمِلُ * قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا * نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل ١-٤] .

إن من الثابت يقينا أن الرسول ﷺ كان ينفرد بنفسه في غار حراء قبل البعثة؛ ليتدبر في عظيم خلق الله ، وما زال الجبل شاهداً على ذلك ، وكان أول لقاء مع الوحي وبداية الرسالة في غار حراء ، وأول آية في القرآن الكريم ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ [العلق : ١] .
ثم رجع الرسول إلى أهله فقال : « زملوني، زملوني » فأنزلت سورة المدثر .
ولعلنا لا نجد كتاباً سماوياً يدعو للتدبر في عظيم خلق الله كالقرآن الكريم ومن آياته الدالة على ذلك :

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [فصلت : ٣٧].
﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ [غافر : ٦١].
﴿ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴾ [فاطر : ١٣].
﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ * ﴾ [آل عمران ١٩٠-١٩١].
هـ - الادعاء بأن الرسول ﷺ كان مشعوذاً :

يقول المستشرق "مرجليوث":

"إن الباعث على بعثة الرسول إنما هي أعمال الشعوذة، لقد عرف محمد خدع الحواة، وحيل الروحانيين، ومارسها في دقة ولباقة، وقد كان يعقد في دار الأرقم جلسات روحانية، وكان المحيطون به يؤلفون جمعية سرية تشبه الماسونية، ولهم شعارات تعارف مثل "السلام عليكم"، وعلامات يتميزون بها، كإرسال طرف العمامة بين الكتفين^(١)".

ونحن في ردنا نقول :

إن هذه الأفكار لأهل الكتاب مصدرها أديانهم، وما تحويه كتبهم من تناقضات وأمور تنافي العقل أحياناً، فقد جاء عن تنبؤ الملك شاول: "(٢٥) حل عليه روح الرب فشرع يتنبأ حتى بلغ نابوت "اسم رجل" في الرامة "اسم قرية" (٢٤) فخلع هو أيضاً ثيابه وراح يتنبأ أمام صموئيل "اسم نبي" ثم انطرح عارياً طوال ذلك النهار والليل، لذلك قيل: "شاول أيضاً بين الأنبياء؟" (صموئيل الأول: ١٩) .

والفقرات في هذه الكتب المحرفة توضح أن من علامات النبوة كثرة الكلام، وأيضاً خلع الملابس والعري طوال النهار والليل!

(١) أوروبا والإسلام: ص ١٣٠ د. عبد الحليم محمود شيخ الأزهر السابق رحمه الله .

ومن العجيب أن هذا الملك النبي "شاو" ذهب لعرافة ليعرف حظه، وتستحضر له روح النبي صموئيل ليسألها هل سينتصر أم سيهزم؟! فجاء في التوراة: "(٨) فتكر شاو وارتدى ثياباً أخرى وتوجه إلى بيت العرافة ليلاً بصحبة اثنين من رجاله، وقال لها: "استشيري لي روحاً واستدعي لي من أسميه لك" (٩)..... (١٠)..... (١١) فسأله المرأة: "من أستدعي لك؟"، فأجابها: "استدعي لي صموئيل" (صموئيل الأول: ٢٨) .

هذا وقد تم تحضير روح النبي صموئيل فعلاً: "فقال صموئيل لشاو: "لماذا أزعجتني بإصعادي لي؟ فأجاب: "إني في ضيق شديد، الفلسطينيون يحاربونني والرب قد نبذني، ولم يعد يجني لا عن طريق الأنبياء ولا بالأحلام، فدعوتك لترشدني" (صموئيل الأول: ٢٨) . هذا وقد بشره صموئيل بالهزيمة والهلاك.

لقد جاء بالتوراة صدق القول بتحضير الأرواح، وتم تحضير روح النبي، ليرشد نبياً وملكاً ماذا يفعل !!!

والمسيحية أيضاً تؤمن بالعرافة، فقد أخرج بولس روح عرافة من عرافة فجاء في سفر أعمال الرسل: "(١٦).... فالتفت بنا خادمة يسكنها روح عرافة، كانت تكسب سادتها ربحاً كثيراً من عرافتها..... (١٨)..... فالتفت بولس، وقال للروح الذي فيها: "باسم يسوع المسيح، آمرك أن تخرج منها! فخرج حالاً" (أعمال الرسل: ١٦) . كما تؤمن المسيحية بالسحر أيضاً، فجاء بأعمال الرسل:

"(٩) وكان جاء في المدينة رجل اسمه سيمون، يستعمل السحر، ويدهش شعب السامرة، قائلاً: إنه شيء عظيم" (أعمال الرسل: ٨) .

ولم يدع كاتب الإنجيل إن هذا الساحر مضل ولكنه بالعكس زكاة فقال عنه :
" (١٠) وكان الجميع يتبعونه من الصغير للكبير ،قائلين :إن هذا هو قوة الله العظيمة
(١١) وكانوا يتبعونه لكونهم قد اندهشوا زمانا طويلا بسحره " (أعمال الرسل : ٨).
والفقرة توضح أن الرجل كان يجيد السحر وليس بكاذب هذا ،وقد آمن هذا الساحر
بالمسيح ومن اتبعه أيضاً .

ومن ذلك يتضح أن المسيحية آمنت بالعرافة والسحر وبينت أن هناك سحرة ليسوا
بدجالين، وكان الجميع يتبعونهم ويؤمنون بهم ويبجلونهم ، وكانوا هؤلاء السحرة يتكسبون
من الناس .

فإذا ادعى مدع أن الرسول ﷺ كان ساحراً ومشعوذاً ،وصاحب حيل روحية ،فهذا
الادعاء هو نتيجة رواسب لأفكار دينية عندهم بعضها شاذ كتحضير الأرواح في
التوراة، وبعضها ورد في الإنجيل كحقيقة لم يُذم فاعلوها .

هذا وقد اتهم كافة الرسل والأنبياء بأنهم سحرة ،فقال الله موضحاً لرسوله ﷺ مطيباً
لخاطرهم: ﴿ كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ ﴾ [الذاريات:
٥٢].

وقد اتهم فرعون موسى "عليه السلام " بأنه ساحر أو مجنون ،قال تعالى: ﴿ وَفِي مُوسَى إِذْ
أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ فَتَوَلَّىٰ بُرْكَانِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ ﴾ [الذاريات: ٣٨، ٣٩].
وسبق أن ادعى كفار قريش أن الرسول ساحر

قال تعالى: ﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مَّعْرُضُونَ * مَا يَأْتِيهِمْ مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ * لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسْرَأُ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ تَبْصُرُونَ ﴾ [الأنبياء ١-٣] .

كما قال جل شأنه: ﴿ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُّنْذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ﴾ [ق : ٢] .

والآية توضح أن سبب اتهام الرسول بالسحر أنه نادى بأن الله واحد وليس معه آلهة أخرى ولا رب سواه .

وقد دافع الله عن رسوله ونفى عنه هذه التهم ، وأوضح أن ما جاء به الرسول ﷺ من قرآن كان المسلمون الأوائل يتدارسون سرّاً في دار الأرقم ، خوفاً من بطش قريش ، فقال تعالى: ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ * وَمَا لَا تُبْصِرُونَ * إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُوْمَنُونَ * وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ * تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الحاقة ٣٨-٤٣] .

أما عن الادعاء بأن الرسول ﷺ وصحابته كانوا يؤلفون جمعية سرية ، فنحن نقول له، أيمن أن تثمر جمعية سرية في خلال ٣٠ سنة حضارة عظمى ، تمتلك نصف أقطار العالم لتنتشر فيه دينها؟! ، وهل من المعقول أو المشاهد لأي جمعية سرية أن تستمر خمسة عشر قرناً حتى الآن ويدين لعقيدتها ؛ (خمس) العالم تقريباً رغم ما يتعرض له المسلمون من حروب إبادة ثقافية ودينية وعسكرية؟ إن تحية المسلمين هي السلام ، وما أجملها من تحية ، هذا ولم يثبت أن صحابة الرسول ﷺ في بداية الدعوة كان لهم زى خاص ؛ لأن ذلك يكشفهم لقريش والكفار ولا يستر دعوتهم ،

نحن نقول لهؤلاء المدعين ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [الأحزاب : ٧٠]. كما قال تعالى : ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام : ٣٣] .

والآن لنفسح المجال لمنصف ليرد على هذه الادعاءات :

دفاع "كارلايل " عن الرسول ﷺ ودينه :

كارلايل أحد كبار الكتاب الإنجليز وله كتاب الأبطال الذي يقول فيه :

" من العار أن يصغي أي إنسان متمدين من أبناء هذا الجيل إلى وهم القائلين : " إن دين الإسلام كذب ؛ وأن محمداً لم يكن على حق " .

لقد آن لنا أن نحارب هذه الادعاءات السخيفة المخجلة ، فالرسالة التي دعا إليها هذا النبي ظلت سراجاً منيراً أربعة عشر قرناً من الزمان لملايين كثيرة من الناس ، فهل من المعقول أن تكون هذه الرسالة التي عاشت عليها هذه الملايين وماتت أكذوبة كاذبة ؟!! أو خديعة مخادع ؟ ولو أن هذا الكذب والتضليل يروجان عند الخلق هذا الرواج الكبير لأصبحت الحياة سخفاً وعبثاً ، وكان الأجدر بها ألا توجد .

هل رأيتم رجلاً كاذباً ، يستطيع أن يخلق ديناً ، ويتعهد بالنشر بهذه الصورة ؟ .

إن الرجل الكاذب لا يستطيع أن يبني بيتاً من الطوب لجهله بخصائص مواد البناء ، وإذا بناه فما ذلك الذي يبنيه إلا كومة من أخلاط هذه المواد ، فما بالك بالذي يبني بيتاً دعائمه هذه القرون العديدة ، وتسكنه هذه الملايين الكثيرة من الناس .

وعلى ذلك فمن الخطأ أن نعد محمداً رجلاً كاذباً متصنعاً ، يتذرع بالحيل والوسائل لغاية أو مطمع ، وما الرسالة التي أداها إلا الصدق والحق^(١) .

ويقول الكونت موضحاً إيمان هؤلاء الضالين بكذب ادعائهم وعلمهم بذلك فيقول : " إذن من المحقق أن الاختلاط بين المسيحيين والمسلمين سهل للمنشدين " الباحثين عن الحق " معرفة الدين المحمدي على حقيقته ، ولكنهم ما كانوا يقصدون الحقائق التاريخية ، بل حفظ روح البغضاء في نفوس قومهم^(٢) .

٢- مظاهر الحرب ضد الرسول ﷺ والإساءة إليه :

أ- تشويه اسم الرسول في الترجمات :

تم تشويه اسم الرسول ﷺ في الترجمات المختلفة حتى لا يستقر اسمه المحمود في ذهن القارئ ، فمحمد تعني كثير الحمد لله ، ولكنها تترجم : **Maخوميه Maphomet** و **Mathomos** وماكوميتس و **Bophimet** وماكوموس و **Macomites** وماكومتو و **Macometto** تحت زعم أن ذلك هو ترجمة اسمه في الفرنسية !!

(١) أوروبا والإسلام : ص ٦٢، ٦٣ .

(١) أوروبا والغرب : ص ٥٥ .

(٢) محاصرة وإبادة : ص ٣٨ .

ومن الغريب أن نرى كافة كتاب الغرب وخاصة في فرنسا ، حيث بدأت وانتشرت هذه البدعة "ماوميه" فإنهم جميعاً يعرفون كيف يكتبون اسم محمد ﷺ صحيحاً حينما يتعلق بأي فرد سوى الرسول ﷺ.... وهذا الاسم مرادف لكلمة ساحر، وماجن منحل، وسارق للجمال، وخاطف النساء، ودجال، ومحتال^(٣)."

ب- محاولة نسب دينه إليه كأنه فكر شخصي وليس إلهياً :

يقول د.زكي نجيب محمود أنه قابل أستاذا جامعياً في الفلسفة .. يبلغ من العمر سبعين عاماً ، وسأله الأستاذ: أي كنيسة تتبع ؟ فرد د.زكي إنني مسلم ، فسأل ما معنى مسلم ؟ فقال د.زكي : جاء الإسلام بعد المسيحية بسبعة قرون ، فهو تعديل لها من بعض الوجوه .. فقال السائل : لم أسمع قط بكلمة مسلم هذه ، أتكون محمدياً ؟ فقلت : نعم إلا أنني لا أحب أن تسمى عقيدتنا بالمحمدية ، كما تسمونها ، لأن لها اسماً واحداً هو الإسلام " من السلام " صحيح أن معظم الديانات تنتسب لأنبيائها فالبودية لبوذا والمسيحية للمسيح ، وقد تسألني لماذا لا تكون المحمدية لمحمد ؟ لكنني أحس في استعمالكم لكلمة " محمدية " معنى آخر ، وهي أنها عقيدة أنشأها رجل ولم يوح بها من الله ، فتساءل الأستاذ ومعه مرافق له: معذرة أليست المحمدية تعبد شيئاً غير الله ؟ فقلت لهما: لو كان الإسلام قد جاء بشيء واحد ، فهو تأكيد عبادة الله الواحد الذي لا يتعدد ولا يشاركه أحد^(٣)."

فإذا كان عالم بلغ السبعين ، لا يعلم عن الإسلام سوى أنه دين شرك اخترعه رجل يسمى محمداً ، فماذا يكون حال الشعب من صغار السن محدودي العلم ؟ !! .

(٣) أيام في أمريكا : د.زكي نجيب محمود : ص ٥٤ .

ولا شك أن مرجع ذلك كله هو نجاح الغرب في تشويه صورة الإسلام ورسوله
والمؤمنين به .

ج- الإهانات والإساءات المتكررة للرسول ﷺ :

من آن لآخر تطالعنا وسائل الإعلام بكافة أنواعها في صور شتى لمحاولة الإساءة
للرسول ﷺ ، وإظهاره في أبشع الصور الخلقية والخلقية ، وآخر هذه الإهانات ما نشر عن
الرسول ﷺ من رسوم (كاريكاتير) في إحدى جرائد الدانمارك ، تمثل الرسول ﷺ كإرهابي
يمنتطق بالأسلحة المختلفة ، وكوحش جنسي فاجر " نعوذ بالله من ذلك " وكقرصان وقاطع
طريق ، وكإعراي متوحش .. إلخ ، ومع استنكار العالم الإسلامي لهذه الرسوم ، إلا أن
الغرب يرى في ذلك حرية للرأي والتعبير ؟!!!

جاء بجريدة الأسبوع بتاريخ ٦ / ٢ / ٢٠٠٦ بمقال الأستاذ/ محمود بكري:

على الرغم من الضجة التي أثارها عملية نشر صور وقحة في إحدى الصحف الدانمركية
تسيء إلى رسول الله ﷺ ، إلا أن الحاقدين في الدانمارك لا يزالون يواصلون مخططهم العدواني
للتعريض بالنبي محمد وبالإسلام والمسلمين ، ففي تطور خطير ومثير علمت " الأسبوع "
أن الحكومة الدانمركية تسعى لإنتاج فيلم سينمائي يحمل تهجماً وقحاً وإساءة بالغة للنبي محمد
ﷺ ،

وإن رئيس الوزراء الدنماركي الذي رفض في وقت سابق استقبال (١٩) سفيراً عربياً ومسلماً يمثلون دولهم العربية والإسلامية ، وقرر استقبال المسلمة الساقطة " أيام حرزي على " الصومالية الجنسية التي سبق أن كتبت فيلماً تم إخراجه في هولندا وأثار ردود فعل واسعة النطاق بسبب تعريضه لسمعة النبي محمد ﷺ والإساءة إليه مما دفع أحد الشباب المغاربة الذي أثاره ما حدث من تشويه لرسول الله إلى قتل مخرج الفيلم الهولندي " فان جوخ " .. الأمر الذي أثار عاصفة من العداء ضد الإسلام والمسلمين .

هذا وقد أعادت صحف أوروبا نشر هذه الصور استهانة بالإسلام والمسلمين .
ففي باريس أعادت جريدة " فرانس سوار " الفرنسية والتي يملكها رجل الأعمال المصري "رامي لكح" نشر ذات الصور المسيئة زاعمة أن اختيار نشرها قد جاء لأن بعضها "طريف" !! ، معتبرة أن لها الحق في رسم صور كاريكاتيرية لله سبحانه وتعالى في تجراً غير معهود على الوجدانية ، مدعية أن موقفها هذا يأتي دفاعاً عما وصفته بحرية التعبير ، وزعمت أن الرسوم الكاريكاتيرية المنشورة لا توجد بها أي من الإحالات العنصرية أو المس بشرف لأي معتنق بدين .

ولأن الحقد الصليبي على الإسلام والمسلمين يجد صده مدوياً في تلك الدوائر المعادية للإسلام فقد راحت صحيفة " دي فيلت " الألمانية تنشر أربعة من الرسوم المسيئة للنبي محمد ﷺ أحدها تصدر صفحتها الأولى ،قائلة بشكل مستفز في صدر صفحتها الأولى :
"إن احتجاج المسلمين كان يمكن أن يؤخذ على محمل أكثر جدية لو كانوا هم أقل نفاقاً"

وعلى نفس الخط سارت جريدة "لستامبا" الإيطالية لتعيد رسم الصور البذيئة في عددها الصادر صباح الخميس الماضي بينما سبقتها صحيفة "كوريرا ديل سيرا" بنشر ذات الرسوم في عددها الصادر الاثنين الماضي .

وفي سويسرا نشرت صحيفة "بليك" الثلاثاء الماضي رسمين من الرسوم المسيئة للنبي محمد ﷺ، فيما نشرت صحيفة "تليون دي جينيف" الصور البذيئة في عددها الصادر الخميس الماضي، وقال رئيس تحريرها في تعليق له لعدد الثلاثاء الماضي: "عن هذا النزاع إيضاح للتصادم بين ثقافة علمانية بدرجة كبيرة كالتى نعيشها وثقافة أخرى الدين محورها". وقال: "يمكنك أن تتفهم مشاعر المسلمين ولكننا في دول تعددية حيث نملك الحق في أن ننشر ذلك".

وفي هولندا قال: "أري الشوت" نائب رئيس تحرير صحيفة "فولكسكرانك" اليومية: أن صحيفته نشرت هذه الرسوم في نوفمبر ٢٠٠٥، ثم نشرتها ثانية الأربعاء الماضي وزعم أن النشر يستهدف توضيح الجدل المثار، لافتا على عدم وجود رد فعل سلبي على ما نشرته الصحيفة .

ووصفت الصحيفة في افتتاحيتها الثلاثاء الماضي الاحتجاجات التي شنها المسلمون في أنحاء العالم بأنها مسألة خسيصة تنعكس بشكل سيء على الدول التي لم تؤيد الدانمارك . هذا وتشارك السينما والمسارح في الإساءة على الرسول ﷺ .

جاء بجريدة الأسبوع ٢٠٠٦/٣/١٣ مقال للكاتبة منى مذكور بعنوان " ماذا بعد فضيحة الرسوم الدانمركية ":

أسبانيا تصف المسلمين بالحيوانات :

وخرج علينا مهرجان أسباني للأغنية الشعبية بتحد آخر للمسلمين ومشاعرهم من خلال منح الجائزة الأولى لأغنية تصف المسلمين بأنهم مجموعة من الحيوانات والأوغاد

(Animals & Bastards Muslims)

المهرجان الذي يحمل اسم (**CHIRIGOTA FESTIVAL**) هو مهرجان للأغنية الشعبية يقام كل عام في مدينة سبتة المغربية التي تحتلها أسبانيا منذ القرن الخامس عشر وتخضع للسيطرة الأسبانية تماما حيث أكد مراسل مدينة الرباط المغربية لموقع إسلام أون لاين أن المهرجان لم يكتف بمنح الأغنية المشبوهة الجائزة الكبرى ، بل منح كاتب كلماتها المركز الأول في فرع جائزة (أحسن كلمات) ، وهي من ضمن فروع المهرجان المختلفة تأكيداً لترحيب المهرجان بالعنصرية ضد المسلمين وسبهم !

ومن بين الكلمات التي تضمنتها الأغنية الفائزة في المهرجان عبارة تقول " هتلر أخطأ .. الأتراك حيوانات .. والمسلمون أوغاد " ، كما سخرت الأغنية الفائزة من الأذان بشكل مهين ، والجدير بالذكر هنا أن الأسبان يستعملون في كلماتهم العامية كلمة " أتراك " للإشارة في الوقت نفسه إلى المسلمين !!

هذا وقد أعلن الرئيس محمد حسني مبارك أن حرية التعبير ينبغي ألا تكون ذريعة للنيل من المقدسات والمعتقدات الدينية .

وهذه الكلمات تمثل أساساً مهماً ، يجب أن تتضمنها قوانين حقوق الإنسان العالمية.

ونحن نقول أن محاولات النيل من الرسول ﷺ لن تفيد أعداء الدين شيئاً ، والنصر للرسول والمسلمين قادم ، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الأنعام : ١٠].

﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ * وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَاِ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأنعام ٣٣-٣٤].

رابعاً : الإساءة إلى تعاليم وأحكام الشريعة الإسلامية:

الإسلام: دين الله القويم الذي ختم الله به الأديان السماوية، ليصحح ما حدث لهذه الأديان من اعوجاج، وانحراف عن طريق الله المستقيم، سواء انحراف في وحدانية الله، أو في شرائع وأحكام الله. يقول جل شأنه: ﴿وَكَتُبْنَا لَكَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُنَا إِلَيْكَ قَالِ عَذَابِي أَصِيبُ بِهِ مَن أَشَاءَ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف ١٥٦-١٥٧]

كما قال تعالى ناصحاً أهل الكتاب بالإيمان برسوله وقرآنه ودينه : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾ [المائدة : ١٥] .

وأجلى الله حقيقة هامة وهي أن هناك من علماء أهل الكتاب من يؤمن بالرسول ودينه، فقال تعالى :

﴿ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ ﴾ [العنكبوت : ٤٧] .

ومع ذلك فالمفترون من أعداء الإسلام يسيئون إلى أحكامه وآدابه وشرائعه عمداً ، هادفين إلى زرع كراهية شعوبهم للإسلام .

١ - الاعتراض على مصادر الشريعة الإسلامية :

رأى المستشرق " مرجليوث " :

" التشريع الأوروبي علم تجريبي ، يشتمل على جهد يبذل في تسجيل الحالات وتبويب النتائج ، وتعيين لجان من الرجال تختار وتدرّب بعناية ، وتصحيحات وتحسينات لا تقف عند حد ، أما نظرة الإسلام فهي أن التشريع عمل خارج عن إمكان الإنسان ، وأن مهمة الإنسان محصورة في معرفة مجموعة من الأوامر منزلة من عند الله ، وتنفيذ هذه الأوامر

، وعلى ذلك فالمبدأ الأساسي في الإسلام هو " فلنطع الله أكثر مما نطيع البشر"^(١).
كما يدعو لترك أحكام الجهاد ضد الأعداء فيقول : " .. أحوال العالم قد تغيرت تغيراً
كبيراً منذ أيام الخلفاء حتى إن هذا الخطر لم يعد له اليوم شأن يذكر"^(٢).

٢- الادعاء بأن الإسلام ضد الحرية والديمقراطية :

رأي الكاتبة " جوديث ميللر " في كتابها الغرب والإسلام :
" الإسلام ذاته ضد الحرية والديمقراطية ، وضد حقوق الإنسان ، وقوانينه لا تقبل
التعديل أو التطور ، والحكم باسم الشريعة يعني الحكم الديكتاتوري المطلق إن
الإسلام لم يعترف أبداً بالمؤسسات النيابية ، والدولة الإسلامية دولة ثيوقراطية " أي دينية "
ليس بالمعنى الغربي الذي كان يعرف الدولة الثيوقراطية على أنها دولة تحكمها الكنيسة ،
ولكن في الإسلام الدولة يحكمها الله !!... "

وحيث إن الحاكم يستمد سلطته من الله والقانون المقدس ، وليس من الشعب فمعارضة
سلطة الحاكم هي تحد لله ومخالفته خطيئة ، وحكم الفرد هو القاعدة ، ولا تجد مفاهيم
التعددية أو النقض أو حق الاختلاف قبولاً من المسلمين ... ! ولذلك فإن الإسلام ضد
حقوق الإنسان .. !"^(٣).

(١) المستشرقون والإسلام ، ص ١٤٦ .

(٢) المرجع السابق : ص ٤٧ .

(٣) الإسلام والغرب : رجب البنا ، ص ٢٦٢ .

ونحن نرد على هذه المزاعم - بإيجاز - فنقول : إننا كمسلمين نفتخر بطاعتنا المطلقة لله ورسوله ، وبطاعتنا النسبية^(١) لعلماء الإسلام الذين يقتدون برسول الله ، والمكلفين بدراسة العلوم الدينية والفقهية، يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء : ٥٩].

فأولي الأمر منهم العلماء والحكام ، إذاً مصادر التشريع واحدة ، لا خلاف فيها ، وهي تمثل الدستور الأعظم ، ويلاحظ أن لفظ أولى الأمر جاء بالجمع أي الحكم جماعي . هذا وقد كلف الله علماء الدين بالتفرع لدراسة الأحكام الشرعية وعلوم الدين المختلفة ، وبذل الجهد في النجاح في ذلك : ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَتَبَعْتُمْ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء : ٨٣]، والآية توضح أن تكليف العلماء المقتدين بالرسول ﷺ للبحث في أمور الشريعة هو السبيل الرشيد لضمان عدم انحرافهم بسبب الأهواء أو الميل لسياسات خاصة أو فلسفات معينة .

(١) نقصد بالطاعة النسبية : طاعة العلماء كل حسب مذهبه ، مع الإيمان الكامل بإمكان وجود اختلافهم لا خلافهم، وهذا من عوامل السعة والمرونة في الإسلام.

والإسلام هو دين الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان : فالله يقول للرسول ﷺ : ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران : ١٥٩] .

والحكم باسم الشريعة لا يعني الحكم الفردي المطلق "الديكتاتوري ؛ لأن المرجع ليس رأي الحاكم ولكن شريعة الله ، التي يؤمن بها ويقدها ويرتضي الشعب بالخضوع لها عن حب وإعزاز ، لا عن بغض وكراهية ، فإن نبذ الحاكم شريعة الله جاز للأمة عزله ، يقول أبو بكر في خطبة ولايته : "أيها الناس ، إني قد وليت عليكم ، ولست بخيركم ، فإن أحسنت فأعينوني ، وإن أسأت فقوموني ، الصدق أمانة ، والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوي ، عندي حتى أريح "أرد " عليه حقه عن شاء الله ،" .

وحق الاختلاف شريعة ومنهاج عند المسلمين – لا حق الخلاف – ولذلك نشأت المذاهب الإسلامية الفقهية المختلفة ، ولم يطعن أهل مذهب في آخر ، فبالإضافة للمذهب المالكي والشافعي والحنفي والحنبلي ، هناك مذاهب أخرى معترف بها ، كمذهب الليث بن سعد في "مصر" ، والمذهب الشيعي ، والمذهب الظاهري "لابن حزم الظاهري" وغير ذلك ، وسبق أن شاور الرسول صحابته وأخذ برأيهم يوم بدر ، ويوم الأحزاب ، وفي كثير من الأمور ، وكانت البيعة بالخلافة عن طريق الشورى بين الصحابة .

كما كان أبو بكر وعمر "رضي الله عنهما" يتشاوران في كثير من الأمور ويختلفان وبعد دراسة مستفيضة يتفقان غالباً كما حدث في أمر محاربة مانعي الزكاة ، وأمر جمع القرآن ، ومعلوم أن الفاروق عمر استبقى بعد الصحابة في المدينة ليشاورهم في أمور الحكم والتشريع وكيف يدعي مفتر أن الإسلام ضد حقوق الإنسان والله يقول : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل : ٩٠].

كما يقول : ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لُمُسْرِفُونَ ﴾ [المائدة : ٣٢].

﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيٍّ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴾ [الإسراء : ٣٣].

ويقول الرسول ﷺ مشجعاً الثورة على الحكم الظالم الديكتاتوري : « إذا رأيتم أمتي تهاب الظالم أن تقول له : إنك ظالم، فقد تودع منهم ^(١) » .

كما يقول موضحاً حقوق الإنسان الأساسية: « المسلمون شركاء في ثلاث : الماء والكلاء والمرعى والنار » الطاقة " وثمرته حرام «، وثلاث لا يمتنع : " الماء ، الكلاء ، والنار « ، وعندما سئل عن الشيء الذي لا يحل منعه ؟ قال : « الماء ، والملح والنار ^(٢) » .

(١) رواه ابن حنبل .

(٢) روى هذه الأحاديث ابن حنبل وابن ماجه وهي عن ابن عباس وأبي هريرة وعائشة " رضي الله عنهم "

فإن أدب المعارضة في الإسلام لجدير باقتداء العالم به ، فدائماً معارض السلطة والمتنافس على الرئاسة والزعامة يقتل تخلصاً منه خوفاً من الفتن ، ولكن سعد بن عبادة ، لم يبايع أبا بكر أو عمر للخلافة ، حتى إنه كان لا يتبع الأمير الموكل منهما للإفاضة من عرفات، وقابل سعد الفاروق عمر فقال لعمر وهو الخليفة : " .. والله ما جاورني أحد هو أبغض إلي من جوارك . أكره أن أعيش معك في بلد واحد " فأجابه عمر : إنما من كره جوار رجل انتقل عنه ! ولم يغضب عمر ، ولم يؤذه ، بل تركه حراً في إبداء الرأي وفي الانتقال والعيش حيث يشاء ولم يحدد إقامته أو يعتقله .

الادعاء بوجود مظاهر للوثنية في الإسلام :

رأى المستشرق الألماني "فلهوزن" عن الحج في الإسلام . " وأصبح الحج إلى الكعبة، بل وتقيل الحجر المقدس " الأسود " أو الأسعد " من الشعائر المفروضة ، بذلك دخل في الإسلام فأصبح مركزاً للشعائر، وعيداً وثنياً شعبياً^(١).

ونحن نوضح لهذا المستشرق ومن اعتنق فكره :

لا يوجد في الإسلام أية مظاهر وثنية نهائياً، وكما يقبل الحجر الأسود، فإن مواضع إغواء الشيطان لإبراهيم "عليه السلام" ليفتنه حتى لا يذبح ابنه ، ترجم بالحجارة أيضاً، والهدف من ذلك هو اختبار طاعة المسلم لربه وحرصه على تقواه : ﴿ وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ ﴾ [الحج : ٣٧] .

(١) المستشرقون والإسلام : ص ١٦٧ .

كما قال: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

ولذلك قال الفاروق عمر عن الحجر الأسود: والله إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك.

ونحن نسأل هؤلاء مندهشين أتعون وثنية الإسلام لسبب، وهو تقبيل حجر في أشرف مكان على الأرض وهي الكعبة المشرفة، وهي أول مسجد لعبادة الله على الأرض، بينما اليهودية والمسيحية زاخرة بالعديد من مظاهر الوثنية.

مظاهر الوثنية في التوراة:

أمر الله موسى بصنع تابوت وصندوق خشبي لحفظ لוחي الشهادة "التوراة الأصلية" وهذا التابوت مقدس، وعليه يصنع ملكان: "(٢٠) ويكون الكروبان باسطين أجنحتها إلى فوق مظللين بأجنحتها على الغطاء (٢١) ويجعل الغطاء على التابوت من فوق، وفي التابوت تضع الشهادة التي أعطيك (٢٢) وأنا أجتمع بك هناك وأتكلم معك..... (الخروج: ٢٥). وهذا التابوت بلغ من التقديس أن ابني كاهن لمساه عند نقله بعد أن كاد يقع من عربة النقل فماتا!!!

الحية النحاسية:

لما خرج اليهود لسيناء، وأرسل الرب عليه حيات لدغت الشعب كعقاب ومات منهم كثيرون (العدد ٢١: ٦) أمر الله موسى بصنع حية نحاسية: "(٨) فقال الرب لموسى: "أصنع لك حية محرفة وضعها على راية، فكان من لدغ ونظر إليها يحيا (٩) فصنع موسى حية من نحاس" (العدد: ٢١).

فهل هذه الحية النحاسية ليست من مظاهر الوثنية ؟!!!

مظاهر الوثنية في المسيحية :

إن مظاهر الوثنية في المسيحية متعددة ، فقد تم تقديس الصليب حتى إنه يقبل بتقديس وورع شديدين .

هذا وقد آمنت المسيحية بمظاهر الوثنية اليهودية فجاء في إنجيل يوحنا : " وكما رفع موسى الحية في البرية هكذا ينبغي أن يرفع ابن الإنسان " (يوحنا ٣ : ١٤) .
وما أكثر ما ابتدعه الآباء ورجال الدين المسيحي من مظاهر للوثنية ؛ عبادة الصور والتماثيل في المسيحية " الأيقونات " .

جاء في كتاب تاريخ المسيحية :

العبادة كانت باللغة اللاتينية ، التي لم يكن العامة يفهمونها ، فاستعان رجال الدين بالصور واللوحات الدينية التي تحكي قصص الإنجيل ، وتعاليم المسيح ، لكن شيئاً فشيئاً ، كسبت هذه الصور نوعاً من التقديس والتكريم ، وتطور الأمر إلى السجود ورفع الصلوات أمامها والتبرك بها ، وهذه دون شك صورة من صور العبادة الوثنية القديمة^(١) .

وسائط التبرك والعبادة :

"كان الناس يعتقدون أن للملائكة ومخلفات الرسل والقديسين قدرة سحرية تنقذ الناس من تأثير القوى الشيطانية ، فنظروا إليهم نظرة ملؤها التقديس والإكرام ، كما اعتبروا الكهنة وأبنية الكنائس ، والممارسات الدينية وسائط يتبركون بها .

(١) تاريخ الكنيسة : ج ٢٤ ص ٤٥ / ٤٧ بتصرف ، وللعلم هذه بدع "هرطقات أصبحت عادات ثم عبادات وهي ليست في الأناجيل أو التوراة ، فالوصايا العشر نمت عن نحت الصور والتماثيل .

وقد لعبت رفات القديسين دوراً كبيراً وخطيراً في ديانة الشعب وأخذ عامة الناس يتفننون في تكريم ما قيل أنه عظام بعض الرسل، والسلاسل التي قيد بها "الرسول بطرس" وأشياء أخرى كثيرة قيل أنها من متعلقات رسل المسيح، وكان الاعتقاد السائد هو أن لهذه الأشياء قدرة على إثبات المعجزات الخوارق، حتى البابا غريغوريوس الأول، كان يعتقد بأن لمخلفات الرسل والقديسين القدرة على إجراء المعجزات، وكان يروي الكثير من القصص عن قوتها المعجزية^(١).

٤ - الادعاءات بتغليظ العقوبات في الإسلام :

رأى الرئيس الألماني "رومان هرتزوج" في خطابه بتاريخ ١٥ / ١٠ / ١٩٩٥ .
"فمن يتحدث عن الأصولية اليوم يربط ذلك غالباً مع رؤية قمع المرأة والعقوبات الشديدة للسرقة والخيانة الزوجية، والتعدي على الكتاب والصحفيين، إن تاريخنا الدموي والوحشي - الطويل قد علمنا نحن الأوربيين ألا نعارض تلك الحقوق مطلقاً، ولذا فإننا لا يمكن أن نفتنح بأن إنساناً يتعرض للقتل لأنه ألف كتاباً، إن من يهدد سلمان رشدي أو غيره بالقتل بسبب نصوص أدبية، فإنه يصبح عدواً في أعيننا ومن يتهدهد القتل أو التعذيب فإننا نراه في جانبنا ومن البدهى أننا لا نستطيع تدبر ما يراه الأتقياء المسلمون بمثابة كفرًا أو إلحاداً بالله .

وقد لاحظنا أن ما يراه الرئيس الألماني تشدداً في الإسلام، يراه آخرون تسبباً وجرائم أخلاقية .

فيقول القسيس الألماني "إيمبريخور" :

إن المسلمين يحتفلون بجميع أشكال الزواج التي تحرمها الشريعة الإسلامية ، وقد جردوا الطبيعة من حقوقها غصباً - يقصد انحرفوا عن الفطرة الإسلامية - تسعى المرأة إلى ممارسة السحاق مع نظيرتها ، وي مارس الرجل اللواط مع مثيله ، بل خلافاً للتقاليد ، يجامع الشقيق شقيقته ، ولا تمنع الأخت المتزوجة أن يضاجعها أخوها الشيطان ، والأبناء يهتكون عرض أمهم ، والبنت تغتصب أباه.....^(١) .

ونحن نتساءل أيهما نصدق الذي يرى قمع الحريات الجنسية وغيرها عيباً في الإسلام ؟ أم الذي يدعى أن المسلمين يزاولونها كفرّاً وإلحاداً ، ولكننا نريد أن نوضح لهما أن الإسلام كأديانهم لا يدعو إلى الرذائل والحريات الجنسية ، كما أنه يقرر لها عقاباً رادعاً كأديانهم أيضاً ، فالله حرم زواج المحارم فقال تعالى : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِنْ لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً ﴾ * وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ

(١) الإسلام والغرب وإمكانية الحوار : ص ٢٧٢ لرجب البنا ، وللعلم عقاب الزاني في التوراة القتل :"(٢٢) وإذا ضبطتم رجلاً مضجعاً مع امرأة متزوجة تقتلونها كليهما "(التثنية : ٢٢) .

وَأَحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيهَا تَرَضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا * وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ فِتْيَانِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ فَاَنْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَ فَإِنَّ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ [النساء ٢٣ - ٢٥] .

وفرض العقاب على الزناة فقال: ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرْمٌ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ [النور ٢-٣]

وجعل إهانة المؤمنات في شرفهن يستوجب العقاب: ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ [النور ٤ - ٥] .

وعن عقاب المسيء لله ولدينه كسلمان رشدي نذكر الرئيس الألماني أن عقابه في التوراة هو القتل: "(٣٠) أما إذا تعمد أحد الخطأ سواء كان من الإسرائيليين أم من الغرباء ، فهو يزدري بي ويجب أن يستأصل من بين شعبه (٣١) لأنه احتقر كلامي " (العدد : ١٥) .

ومن العجيب أن الكنيسة البابوية في الفاتيكان تناهض ما يراه الغربيون من حريات جنسية باعتبارها حريات شخصية ، فهي تتفق مع الإسلام في ذلك .

يقول البابا يوحنا بولس الثاني :

" كل ما يتعرض للحياة نفسها مثل كافة أنواع القتل البشري والقتل العرقي، والقتل للخلاص من الألم، والانتحار، فكل ذلك يمثل انتهاكا لسلامة كيان الإنسان ... والدعارة وتجارة النساء والصغار^(١) .

كما يدين البابا حبوب منع الحمل، والتعقيم المباشر وتحديد النسل، وعلاقات ما قبل الزواج، والعلاقات المثلية " زنا الشواذ " .

إن هذه المفتريات وغيرها إنما تعبر عن حسد غير المسلمين، وحقدهم على ما جاء في الشريعة الإسلامية من أحكام إلهية فاضلة، يقول تعالى :

﴿ وَكَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة : ١٠٩] .

كما يقول جل شأنه : ﴿ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِّنْ خَيْرٍ مِّنْ رَبِّكُمْ ﴾ [البقرة : ١٠٥] .

(١) تنصير العالم : ص ١٩، ٢٠ بتصرف .

المبحث الثاني

تدخل الغرب في العقيدة الإسلامية لمحاولة إضعافها

العلاقة بين الاستعمار العسكري ، والغزو الفكري للمسلمين ، علاقة وطيدة وثابتة ، فالحروب الصليبية ضد الإسلام لا تبغي نهب ثروات المسلمين ، أو إراقة دماءهم أو انتزاع أرواحهم ، ولكنها تعني أيضاً محاولة نزع الإسلام من صدور المسلمين قبل سلب الأرواح ، يقول تعالى : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة : ١٠٩] .

كما قال جل شانہ : ﴿ إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءٌ وَيَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتُهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴾ [المتحنة : ٢] .

والآية توضح أن أعداء الإسلام إذا أصبحوا قوة قادرة على حرب المسلمين وإهلاكهم ، فالعداوة ستكون بأسلوبيين ، الردع والقتل المادي ﴿ يَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ ﴾ ثم المعنوي بالحرب باللسان ومحاولة الطعن في الدين ، والهدف هو نزع الإسلام من الصدور ﴿ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴾ .

ونحن نرى اليوم الغرب المسيحي في عنفوان قوته واتحاده ، والشرق الإسلامي في ضعف وفرقة وهوان ، وهذه الفرصة سانحة لفرض ما يراه القوي على الضعيف من مبادئ هدامة ، وأفكار مميتة .

وبالرغم من نجاح فرض هذه الحروب على الدول الإسلامية ووضوحها - في أحوال كثيرة - لهذه السياسات إلا أن الشعوب الإسلامية اعتادت أن تضحي بكل غال وقيم في سبيل الدفاع عن الدين والوطن ، وكلما اشتعلت نيران هذه الحروب وتأججت فتنتها ، كلما ازداد المسلمون تمسكاً بدينهم ، ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ [الصف : ٨] .

ومظاهر التدخل في العقيدة الإسلامية كثيرة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر :

أولاً : محاولة الغرب المسيحي الاستعماري إلغاء الجهاد الإسلامي .

ثانياً : محاولة تقليص دور الدين في حياة المسلم .

أولاً : محاولة الغرب المسيحي الاستعماري إلغاء الجهاد الإسلامي :

الاستعمار الصليبي في القديم والحديث لا يخشى سوى المسلم المجاهد في سبيل الله ، دفاعاً عن وطنه ودينه وماله وعرضه ، ولذلك تتزامن الدعاوي الرامية إلى ترك الجهاد واعتباره وحشية مع الاستعمار العسكري للدول الإسلامية ، فيبدأ أعوان الغرب من وطنيين خونة ، كتاب ، وفنانين ، وسياسيين ورجال دين أحياناً في تمجيد الاستعمار والمناذاة بالتعاون معه وعدم مقاومته وجهاده ، ثم تطورت الأفكار وتنوعت الأساليب وعملت الدول الاستعمارية الصليبية إلى اتخاذ إجراءات لمحاولة حجب فريضة الجهاد عن التعليم الديني ، ثم محاولة طمس آياته القرآنية .

١ - تجنيد الدعاة في القديم لإلغاء الجهاد الإسلامي :

جندت بريطانيا العديد من الدعاة خاصة من أصحاب الملل والنحل المنحرفة إسلامياً كالفاديانية وغيرها.

يقول ميرزا غلام أحمد :

لقد قضيت معظم عمري في تأييد الحكومة الإنجليزية ونصرتها ، وقد ألفت في منع الجهاد ووجوب طاعة ولى الأمر "الإنجليز" كثيراً من الكتب ، وقد نشرت جميعاً في البلاد العربية ، وكان هدفي أن يصبح المسلمون مخلصين لهذه الحكومة ، وتمحى من قلوبهم الأحكام التي تبعث فيهم عاطفة الجهاد ، وتفسد قلوب الحمقى .

ويقول قادياني آخر هو "قاسم على :

لقد ظللت منذ حادثة سني وقد ناهزت الستين أجاهد بلساني وقلبي لأصرف قلوب المسلمين إلى الإخلاص للحكومة الإنجليزية ، والنصح لها والعطف عليها ، وألغى فكرة الجهاد التي يدين بها بعض جهالهم .

"لقد ألغى الجهاد في عصر المسيح الموعود إلغاءً باتاً لقد آن أن تفتح أبواب السماء، وقد عطل الجهاد في الأرض وتوقفت الحروب"^(١).

(١) من هدى القرآن الكريم في علاقات غير المسلمين، د/ محمد إبراهيم شريف: ص ٩٧ ، كلية دار العلوم ط٢ سنة ١٩٩٧ .

٢- المحاولات الأمريكية والغربية لإلغاء الجهاد في الإسلام :

إن ما يؤرق الاستعمار مهما بلغت قوته ، وتطورت أسلحته ، واتخذ من إجراءات قمع وأساليب قهر ، هو مقاومة المجاهدين من المسلمين ، الذين وضعوا أرواحهم في أكفهم ، وحملوا رؤوسهم على أيديهم ، دفاعاً عن الدين وزوداً عن الأوطان ، فنجحوا

فيما لم ينجح فيه جيوش الشعوب العربية والإسلامية ، من النيل من الأعداء المنتصرين ، وتحويل نصرهم الحربي إلى هزيمة سياسية ، وتضحيات بشرية ، أو شكتا أن تذهب بالنصر المزعوم وتحوله إلى اندحار معلوم ثم انسحاب مأمول .

أ- التدخل في التعليم الديني بالمدارس الإسلامية :

يقول الأستاذ الكبير والمفكر العظيم أنيس منصور في عموده الشهير "مواقف" بجريدة الأهرام :

عندما قلت: إن الأمريكان سوف يطلبون إلى بعض الدول الإسلامية أن تخفف الجرعة الدينية في المدارس والجامعات حتى لا تؤدي إلى تخليق متطرفين يقتلون ويهدمون ويدعون أن هذا هو الإسلام - مع أن الإسلام ليس كذلك - فلم أكن أقرأ الكف وأرجم الغيب ، وإنما قلت ما أعرفه . فقد طلبت أمريكا فعلاً من كثير من الدول العربية وبعض الدول وافقت فوراً ، والبعض الآخر يفكر وإن كان في النية شيء من مثل ذلك ! وليس هذا سرّاً يذاع لأول مرة ، وإنما نشرت الصحف الأمريكية والبريطانية مقالات وأبحاثاً كلها تؤكد لهم أن التطرف الإسلامي سببه الدراسات الدينية الكثيفة في المدارس

وكل وسائل الإعلام . أي أنهم يرون ضرورة تخفيف ذلك، أو أن تكون الدول علمانية مثل العراق وتركيا، وأن تضع الدين جانبا وألا يكون له المقام الأول ! وكل هذه المعاني قد نشرتها الصحف الأمريكية ..

وقد ذكرت كثيراً في هذا المكان وفي مناسبات مختلفة كيف أن رئيس وزراء إسرائيل بيجين قد شكا من هجوم الشيخ الشعراوي على اليهود ، وأرسل خطابات عديدة إلى الرئيس السادات . وطلب مني الرئيس أن أذهب إلى التلفزيون وأسمع ماذا قال الشيخ الشعراوي وهو أستاذ البلاغة القرآنية . فلم أجد هجوماً شخصياً لا سبا ولا لعناً وإنما كان تفسيراً لما جاء في القرآن الكريم . وجاءت رسائل كثيرة من بيجين تعليقا على عبارات الشعراوي ، وفجأة تلقيت من د. بطرس غالي نص الخطاب الذي ألقاه وزير التعليم في إسرائيل يقول فيه : لا سلام بيننا وبين العرب إلا إذا حذفوا بعض الآيات من القرآن الكريم ؟! .

ووجد الرئيس السادات^(١) أن هذا أكثر من احتماله ، فذهبت إلى مناحم بيجين أقول له : إن الرئيس السادات سوف ينشر في كل وسائل الإعلام المصرية والعربية هذه الخطبة البشعة لوزير التعليم الإسرائيلي ! .. هنا فقط أغلق مناحم بيجين ملف الشيخ الشعراوي !

فليس جديداً ما طلبته أمريكا وإسرائيل وتردده الصحف والتلفزيون في جميع المناسبات وسوف نعرض لبعض أمثلة التدخل :

(١) الرئيس السادات - رحمه الله - كان رجل مواقف حازمة ، ودفع حياته ثمناً لإخلاصه لوطنه ولدينه وقد استشهد وهو يحتفل بعيد النصر في السادس من أكتوبر الذي تم في عهده ، وفي هذا إشارة واضحة بأن قضاء الله وقدره تم وهو مرفوع الرأس في عز وجلال وفخار " رحمه الله بواسع رحمته " .

في أفغانستان :

جاء بجريدة الأسبوع بتاريخ ١٢ / ١ / ٢٠٠٣ بمقال أ/ محمد عودة بعنوان باسم الدين والديمقراطية .

تحتفل جامعة نبراسكا الأمريكية عما قريب بإتمام مهمة جليلة قامت بها بتكليف وتحت رعاية السيدة الأولى لورا بوش، وبإشراف وزير التعليم الأفغاني وهي إعداد مناهج التعليم الديني للمدارس الابتدائية والثانوية في أفغانستان، وذلك أن الأجهزة الأمريكية ودوائر البحث "الأكاديمي" اكتشفت أن مناهج التعليم الديني التي تلقنها المدارس القرآنية للشباب والأطفال الأفغان هي التي انتهت إلى كارثة ١١ سبتمبر .

وأعلن المستر بلير في اجتماع موسع لسفراء بريطانيا في العالم أن بريطانيا هي أفضل الدول وأقدرها على فهم الإسلام وإقناع المسلمين ، وأن لها في هذا الصدد تراثا عريقا سوف تجددته وتمارسه بريطانيا حينما كانت عظمى ولا تغرب الشمس عن إمبراطوريتها هي التي طاردت جمال الدين الأفغاني في أقصى الأرض وهي التي نفتته واعتقلته وانتهت به رهين المحبسين لدى السلطان العثماني "عميلها" حتى مات ميتة مشبوهة هناك . وهي التي نكلت بعلماء وفقهاء الأزهر الذين ناصرُوا الثورة العرابية ونفت إمامهم الشيخ محمد عبده، ثم استقطبته لكي يدعو إلى التعايش والتحالف مع أهل الكتاب ودعته ليزور بريطانيا ويجد الإسلام هناك والكفر هنا !!! .

التدخل في التعليم في مصر :

جاء بجريدة الأسبوع العدد ٣٨٧ في ٩ / ٨ / ٢٠٠٤ من التدخل الأمريكي في التعليم

بمصر

أعد مستشارو وزير الخارجية الأمريكية حول الإشراف الأمريكي على هيكليّة العملية التعليمية في مصر . والإشراف على المناهج والمقررات الدراسية ، وذلك بعد أن أكدت ورقة العمل الخارجية الأمريكية أن المقررات والمناهج التعليمية مطعّمة ببعض المواد والأفكار التي تحض على الإرهاب والعداء مع الولايات المتحدة

والدول الغربية وزعمت الورقة الأمريكية أن هذه المناهج لا تحض على التسامح أو تقبل أفكار الآخرين وإنما تدعو إلى العصبية والتعصب المطلق لرفض الأفكار السياسية الغربية . وانتقدت الورقة المناهج التعليمية باعتبار أنها لا تحمل رؤية عصرية لبناء أجيال جديدة للمستقبل القريب أو بناء خطط عمل تتعلق باختراق علوم الغد وأنها تكرر ما أسمته الورقة بتخلف الحاضر وربط الحاضر دوماً بالماضي كنقطة انطلاق أساسية نحو بناء مستقبل مصر .

وأشار تقرير الخارجية الأمريكية إلى أن هذه المقررات مليئة بصور ومشاهد مختلفة للحضارة المصرية وأنها تحمل دعوة مبطنة لاستلهاام روح الماضي في بناء المستقبل ، في حين تتناسى هذه المناهج عن عمد المتغيرات الدولية الحديثة وما واكبها من ثورات حقيقية في تكنولوجيا العلوم .

واهتمت الورقة الأمريكية المخططين المصريين للتعليم بأنهم من النوع المحافظ الذي يربط دائماً بين أي فقرة تعليمية في أي كتاب نوعي وبين قيم وتقاليد دينية يعجز المصريون أنفسهم عن تطبيقها في الوقت الحاضر ، أو فهمها بالشكل العصري .

نشر التعليم الأجنبي الموجه لتنصير المسلمين :

لم يقتصر دور الاستعمار على التدخل في التعليم في البلاد الإسلامية ، بل تعداه إلى نشاط هائل في نشر التعليم الأجنبي الموجه ، لإضعاف عقائد المسلمين ، ثم محاولة تنصيرهم ، ويتم ذلك عن طريق المدارس والجامعات الغربية ، التي تنتشر في كل البلاد الإسلامية ، في الأوساط الاجتماعية العالية والغنية ، والتي سيصبح أبنائها هم قادة الغد ، الذين ينشرون أفكار الغرب التي تعلموها وآمنوا بها وألفوها فيصبح أبناء المسلمين دعاة غربيين دون أن يدروا .

مدى حجم وخطورة المدارس الأجنبية :

نشرت مجلة "لافيد الإيطالية " تقريراً عن عدد المدارس والمعاهد التي تشرف عليها "دائرة تنصير الشعوب"^(١) .

٥٨٠٠٠ مدرسة ، ٢٦٠٠٠ معهد وجامعة ، ٤١٧٠٠٠ عامل .

ميزانية الكنيسة الكاثوليكية في أسبانيا ، ١١٧ مليون دولار .

سيقوم الفاتيكان بتدبير الأموال اللازمة لتشغيل هذه المدارس والمتشفيات والمعاهد .

(١) حقائق ووثائق عن الحركات التنصيرية في العالم الإسلامي ، دكتور :عبد الودود شلبي: ص ٨٣ ، ٨٤

بتصرف ، الدار السعودية للنشر والتوزيع .

إن أهداف المدارس والكليات التي تشرف عليها الإرساليات في جميع البلاد كانت دائماً متشابهة.... فهي واسطة لتمرين قسوس الكنيسة. كما أنها تهدف لتنصير التلاميذ والطلاب .

كتب المبشر "هنري هرس" :

لتبتهل إلى الله في سبيل تعميد نفوس أولئك الشباب الذين يترددون على هذه الكليات.

ويقول المبشر "بتروز" مدير الجامعة الأمريكية ببيروت عام ١٩٤٨ :

"لقد أدى البرهان إلى أن التعليم أثمن وسيلة يزاوها المبشرون الأمريكيون في سعيهم

لتنصير سوريا ولبنان".

"إن الأثر المفسد في الإسلام يبدأ باكراً جداً..... من أجل ذلك يجب أن يحمل الأطفال

الصغار إلى المسيح قبل بلوغهم الرشد وقبل أن تأخذ أطباعهم أشكالها الإسلامية .

من أجل ذلك ترفض هذه المدارس التقيد بالمنهاج الرسمي التعليمي للبلاد ، وتسير على

سياسة الاستغناء عن المعلم المسلم^(١).

وهذه المدارس وغيرها تتبع في مناهجها التعليمية لسياسات وإشراف الكنائس

ومناهجها تضع اللغة العربية أو التربية الإسلامية على الهامش ، باعتبار أن شهادتها الممنوحة

هي شهادات أجنبية لها امتياز خاص .

(١) المرجع السابق : ص ٨٣ / ٨٧ بتصرف .

ج- الادعاء الغربي المسيحي الكاذب بإنسانية الاحتلال :

إن فن تبرير احتلال الدول وخاصة الإسلامية ،هو فن غربي أصيل ، تزامن مع الاحتلال الفعلي للبلاد ، فالغرب يحاول أن يجمل قباحتته بالتستر خلف حجاب الإنسانية والرفاهية وحقوق الإنسان .

ادعاءات الاستعمار الفرنسي :

يقول المفكر الفرنسي "هنري لورانس ":

"كل ثقافة لا تنتمي إلى العقل تكون مجردة من المنفعة ،وبالتالي من الشرعية ،ولا يمكن لعدو العقل القيام بتنظيم الحضارة ،والمقصود بعدو العقل هو الاستبداد ،...ولدت الحضارة في مصر زمن الفراعنة في صورة الحكمة، ثم انتقلت إلى اليونان

، ثم ظهرت حضارة العرب التي طورت العلوم ،وفي النهاية وصلت هذه الحضارة لأوروبا التي ورثت جميع هذه الخاصيات ، وأصبحت فرنسا على رأس الحضارة - حينذاك - فهل يمكنها احتكارها ؟ أليست الحضارة مقدرة - من حق - الجنس البشري بأكمله ، وحين تقوم فرنسا بنقل الحضارة إلى وادي النيل - باحتلاله - فإنها لا تفعل سوى العودة بها إلى منابعها.

نداء نابليون للمصريين بقبول الاحتلال :

ناشد نابليون في بيان موجه للمصريين إبان الحملة الفرنسية معاونته وعدم مقاومة

الاحتلال الفرنسي والادعاء أنه ما جاء لحرب الإسلام فقال :

"أيها المصريون، قد قيل لكم أنني ما نزلت إليكم بهذا الطرف إلا بقصد إزالة دينكم، فذلك كذب صريح لا تصدقوه، فإني ما قدمت إليكم إلا لتخليص حقكم من يد الظالمين، وإني أكثر من المالك عبادة الله سبحانه وتعالى ، وأحترم نبيه والقرآن العظيم .. قولوا لأمتكم أن فرنساوية هم أيضاً مسلمون مخلصون وإثبات ذلك أنهم قد نزلوا في رومية الكبرى وخربوا فيها كرسي البابا، الذي كان دائماً يحض النصارى على محاربة الإسلام"^(١).

هذا وقد تم محاربة الإسلام ورجاله، ودخل الفرنسيون الأزهر الشريف بخيولهم، وأعدموا شيوخه بصفقتهم المحرضين على الجهاد وإشعال الثورة ضد الفرنسيين .

والحقيقة أن الاحتلال الفرنسي كان لنهب ثروات البلاد .

كتب خطاب لسفير باريس لدى القسطنطينية جاء فيه :

"أرجوك أيها المواطن لا تتقاعس عن المعاونة في إعطاء مصر لفرنسا، هذه هي من أجمل الهدايا، التي يمكنك منحها لها، سيجد الشعب الفرنسي في هذا الكسب موارد هائلة "

هذا وقد ادعت فرنسا أن احتلالها لمصر هو أن المصريين أهانوا الجالية الفرنسية والتجار الفرنسيين، وكان عددهم عام ١٧٩٠م : ٢٩ نسمة بالقاهرة ، ١٨ بالإسكندرية ، ١٤ في رشيد"^(٢).

(١) المرجع السابق ص ٣٧ .

(٢) مصر ولع فرنسي : ص ٣٠ .

(٢) عمائم وطرايش، مصريون عاشوا في باريس: د. سعيد اللاوندي : ص ١٢٥ مكتبة الأسرة سنة ٢٠٠٥ .

ادعاءات الاستعمار الانجليزي :

سار الإنجليز على نفس النهج الفرنسي ،فادعوا أنهم احتلوا مصر لمصلحتها :
في رسالة لمصطفى كامل باشا من "جلادستون" رئيس وزراء انجلترا بأن احتلالها لمصر
عام ١٨٨٢ م ،وكان يلقب بشيخ الأحرار :
"أنه يجب علينا أن نترك مصر بعد أن نتمم فيها بكل شرف ،ولمصلحة مصر نفسها العمل
الذي من أجله دخلناها"^(١).

دارت مناقشة بين الإمام محمد عبده واللورد "هرتكتون" وزير الحرية الإنجليزية هذا
ملخصها:

اللورد : ألا يرضى المصريون أن يكونوا في أمن وراحة تحت سلطة الحكومة الإنجليزية –
وألا يرون حكومتنا خيراً لهم من حكومة الأتراك .

الشيخ محمد عبده :كلا .. إن المصريين قوم عرب وكلهم مسلمون إلا قليلا ،ومنهم من
محبي أوطانهم مثل ما في الشعب الإنجليزي ،فلا يخطر ببال أحد منهم الميل إلى الخضوع
لسلطة من يخالفه في الدين والجنس

اللورد: هل تذكر أن الجهالة عامة في مصر ؟ وأن الكافة لا تفرق بين الحاكم الأجنبي
والحاكم الوطني ؟ وان ما ذكرته من النعرة "الكراهية" من سلطة الأجانب إنما يكون في
الأمم المهذبة ؟

الشيخ محمد عبده: " غاضباً محتداً ":

أولاً: إن النعرة من ولاية الأجنبي ونبد الطوع لسلطته، مما أودع في فطرة البشر، وليس بالاحتاج للدرس أو المطالعة، وهو شعور إنساني ظهرت قوته في أشد الأمم توحشاً .

"كالزولوس" الذين لم تنسوا ما كابدتموه منهم في الدفاع عن أوطانهم .

ثانياً: من لا يقرأ ولا يكتب من المصريين لا يفوتهم العلم بضروريات الدين ومن أجلها ألا يدينوا المخالفين فيه وإن لهم من الخطب الجماعية ومواعظ الوعاظ في مساجدهم ما يقوم مقام العلوم الابتدائية ^(١) .

كما تم إجراء حوار مع مراسل صحيفة "يول ميل جازيت صن" الإنجليزية مع

الشيخ/ محمد عبده ومما جاء به :

الشيخ محمد عبده: كل إنجليزي يقول أنه يرجو الخير لمصر، ولكن أي السياسيين حاول أن يبرهن على صدق تصريحاته، لقد كنا نؤمن ... بمذهب الحرية الإنجليزية والتعاطف الإنجليزي، ولكننا لم نعد نؤمن بهذا، إن الحقائق أقوى من الألفاظ ، أما مساندتكم للحرية فنحن نرى بوضوح أنها مسألة من أجلكم وحدكم، وأما تعاطفكم معنا، فهو تعاطف الذئب مع الحمل الذي يخطط لالتهامه، لقد قضيتم على كل ما لدينا من خير تجدوا مبرراً للاستمرار في تملك بلدنا .

(١) عثائم وطرايبش ص ٢٧٤ / ١٧٥ .

(٢) المرجع السابق: ص ٢٧٨ / ٢٨٠ .

المراسل: وما رأيكم في الفرنسيين ؟ إن رحيلنا عن مصر الآن سيعني بالتأكيد أنهم سيحتلون بلدكم بعدنا ؟

الشيخ محمد عبده: لا أظن ذلك ، فالفرنسيون يعرفون أنهم لن يستطيعوا أن ينالوا موافقتنا على حكمهم ، لا بد أن نقاومهم مثلما قاومناكم ، لا يمكن على أي حال أن يلحقوا بنا من الضرر أكثر مما فعلتم^(١) .

ادعاء مسيحي الغرب بحمايتهم لمسيحي الشرق :

سأل مراسل جريدة "جازيت صن" الشيخ محمد عبده :

المراسل: ولكن ماذا سيحدث للمسيحيين في مصر إذا رحلت قواتنا- إبان الاحتلال الإنجليزي؟

الشيخ محمد عبده : لم تحدث في مصر مذابح سوى تلك التي تسببت فيها أنتم، فوصول أسطولكم إلى الإسكندرية أشعل حوادث الشغب بالمدينة ، ونزول قواتكم إلى البر أشعل الشغب في طنطا ، ولم يحدث أن تعرضت حياة مسيحي للخطر إلا مع حضوركم ، ولن يتكرر هذا إذا رحلتكم ، فليس بيننا وبين المسيحيين أي نزاع طالما أنهم يحافظون على قوانيننا ولا يحاولون التدخل في الحكم^(٢) .

د- الاستعمار الأمريكي الحديث وإدعائه الاحتلال لنشر الديمقراطية :

لقد ورثت الإمبراطورية الأمريكية، الإمبراطورية الإنجليزية، فكراً وثقافة ولغة ومن ثم فادعاءات بريطانيا الاستعمارية هي نفس الأمريكية الحديثة، ولكن مع اختلاف في التعبير.

(١) المرجع السابق: ص ٢٨٢ .

الرئيس الأمريكي بوش الابن وادعاءاته الكاذبة بمساعدة العالم :

في خطاب للرئيس بوش عن حال الاتحاد "اتحاد دول غزو بلاد الإسلام " أفغانستان والعراق وغيرهما، يقول : أمريكا لن تتخلى عن العالم ولن تستسلم أبداً للشر^(١).
في الخارج: فإن بلدنا ملتزم بهدف تاريخي طويل الأمد- إننا نسعى إلى القضاء على الاستبداد في عالمنا، والبعض يستنكر هذا الهدف ويعتبره مثالياً ليست في محلها، لكن الواقع أن مستقبل أمن أمريكا يتوقف على ذلك الهدف. ففي سبتمبر ٢٠٠١ وجدنا أن المشاكل التي تنشأ في دولة فاشلة وظالمة على بعد آلاف الأميال يمكن أن تجلب القتل والدمار إلى بلدنا^(٢)
إن النظم الديكتاتورية تؤوي الإرهاب وتغذي مشاعر الاستياء والتطرف، وتسعى للحصول على أسلحة الدمار الشامل أما النظم الديمقراطية فإنها تحل الأمل محل الاستياء، وتحترم حقوق مواطنيها والدول المجاورة لها، وتنضم إلى الحرب على الإرهاب . وكل خطوة نحو الحرية في العالم تجعل بلدنا أكثر أمناً؛ ولذلك فإننا سنعمل بكل جسارة في سبيل قضية الحرية وبعيداً عن كونه حلمًا خالياً من الأمل . فإن تقدم الحرية هو أعظم قصة في زماننا، ففي العام ١٩٤٥، لم يكن هناك سوى ما يقرب من عشرين دولة ديمقراطية في العالم لكنها أصبحت الآن ١٢٢ دولة^(٣)،

(٢) جريدة وطني بتاريخ ٥/٢/٢٠٠٦ مع اختصار بعض الفقرات .

(٣) يقصد ضرب برج مركز التجارة في نيويورك ، وللعلم لم يثبت حتى يومنا هذا قيام العرب أو المسلمين ، وكل من يعتقل يطلق عليه اسم المشتبه فيه .

(١) تمت انتخابات ديمقراطية حرة في فلسطين لم تكن نتائجها على هوى الأمريكيين فلم يعترف بها وتم محاربة "حماس" واعتبارها منظمة إرهابية ، ونفس الأمر تقرر في الجزائر ، فألغيت نتائج الانتخابات ، إن الديمقراطية لدى أمريكا هي تولى أنصارها للسلطة .

وإننا نكتب فصلاً جديداً في حكاية الحكم الذاتي - بانتظام النساء في صفوف للتصويت في أفغانستان ، وملايين العراقيين وهم يشيرون إلى حريتهم بالخبر البنفسجي ، والرجال والنساء في لبنان ومصر وهم يتجادلون حول حقوق الأفراد وضرورة الحرية ، وفي بداية العام ٢٠٠٦ أصبح أكثر من نصف سكان عالمنا يعيشون في دول ديمقراطية . ونحن لم ننس النصف الآخر في مناطق مثل سوريا وبورما وزيمبابوي وكوريا الشمالية وإيران؛ لأن مقتضيات العدل والسلام في هذا العالم تتطلب حريتهم أيضاً .

ولا أحد يستطيع أن ينكر نجاح الحرية ، لكن بعض الرجال يغضبون ويكافحون ضد تحقيق ذلك .. ومن بين المصادر الرئيسية للرجعية والمعارضة هذه هو التطرف الإسلامي . إن إرهابيين أمثال ابن لادن^(٢) جادون في مسألة القتل الجماعي ، وكلنا يجب أن نأخذ نواياهم المعلنة مأخذ الجد .

إنهم يسعون لفرض نظام قاس لفرض السيطرة الشمولية في جميع أرجاء الشرق الأوسط ، وتسليح أنفسهم بأسلحة الدمار الشامل ، وهدفهم هو السيطرة على السلطة في العراق ، واستخدامه كملاذ آمن لشن هجمات على أميركا والعالم . ونظراً لأنهم لا يملكون القوة العسكرية لمواجهةنا مباشرة ، فإن الإرهابيين اختاروا سلاح الخوف . وحينما قتلوا أطفالاً في بيسلان ، أو فجروا الركاب في قطارات لندن ، أو قطعوا رأس أسير مقيد ،

(٢) عندما كان أسامة بن لادن يحارب الروس في أفغانستان ساعدته أميركا وكان مجاهداً مخلصاً ولما بدأ يقاوم الاستعمار الأمريكي أصبح إرهابياً !!! .

فإن الإرهابيين كانوا يأملون في أن تلك الأعمال الرهيبة ستوهن هزيمتنا ،مما يسمح للعنف بأن يرث الأرض ،لكنهم أخطؤوا الحساب فنحن نعشق حريتنا ، وسنكافح من أجل المحافظة عليها .

وفي أوقات الاختبار ،لا يمكن لنا أن نجد أمننا بالتخلي عن التزاماتنا والتقهر خلف حدودنا ، فلو تركنا المهاجرين الأشرار وشأنهم فإنهم لن يتركونا وشأننا .بل إنهم ببساطة سينقلون ساحة المعركة إلى سواحلنا ،والتراجع لا يحقق أي تشريف .وإننا إذا سمحنا للتطرف الإسلامي بتنفيذ إرادته – بترك العالم الذي تعرض للاعتداء لكي يدافع عن نفسه – فإننا نكون قد وجهنا إشارة للجميع مفادها أننا لم نعد نؤمن بمثلنا ومبادئنا ،ولا حتى بشجاعتنا لكن ليتأكد أعداؤنا وأصدقاؤنا من أن الولايات المتحدة لن تراجع أو تتخلى عن العالم وإننا لن نستسلم إطلاقاً للشر .

إن أميركا ترفض الراحة الزائفة المتمثلة في العزلة :إننا الدولة التي حمت الحرية في أوروبا، وحررت معسكرات الموت ، وساهمت في إقامة النظم الديمقراطية ، وواجهت إمبراطورية الشر حتى سقطت ومرة أخرى نلبي دعوة التاريخ إلى إنقاذ المظلومين وتحريك هذا العالم نحو السلام ،وسنظل في وضعنا الهجومي ضد الشبكات الإرهابية .لقد قتلنا أو اعتقلنا العديد من قادتهم ، أما الآخرون فإن يومهم قريب .

وسنظل في وضعنا الهجومي في أفغانستان حيث يكافح رئيس بارع هو والجمعيات الوطنية ضد الإرهاب ،وهم يقيمون في الوقت نفسه مؤسسات ديمقراطية جديدة .
كما سنظل في وضعنا الهجومي في العراق . ولدينا خطة واضحة لتحقيق النصر .

أولاً : نحن نساعد العراقيين على تشكيل حكومة شاملة ، لكي تخف مشاعر الاستياء القديمة ، ويتم تهميش التمرد .

ثانياً: نحن نواصل جهود إعادة الأعمار ونساعد الحكومة العراقية على مكافحة الفساد وبناء اقتصاد حديث ، لكي يتمكن كل العراقيين من الاستفادة من مزايا الحرية وثالثاً : نحن نضرب أهدافاً إرهابية وفي الوقت نفسه ندرّب القوات العراقية التي تتزايد قدرتها على هزيمة العدو^(١) .

إن مهمتنا في العراق صعبة ، لأن عدونا في منتهى الوحشية . لكن تلك الوحشية لم توقف التقدم الكبير لديمقراطية جديدة، ففي أقل من ثلاث سنوات انتقلت تلك الدولة من الديكتاتورية إلى التحرير إلى السيادة ثم الدستور والانتخابات الوطنية . وفي الوقت نفسه فإن تحالفنا لم يكل أبداً في سد منافذ تسلل الإرهابيين ، وتطهير المواقع الحصينة للمتمردين وتسليم مناطق لقوات الأمن العراقية . إنني واثق من خططنا لتحقيق النصر، وإنني واثق من عزيمة الشعب العراقي، وواثق من مهارة جنودنا والروح المعنوية لجيشنا .

إخواني المواطنين،إننا نخوض هذا القتال لكي نتصر ، وإننا نحقق النصر .
إن طريق النصر هو الطريق الذي سيقود قواتنا للعودة إلى الوطن . وفيما نحقق تقدماً على أرض الواقع ، تتولى القوات العراقية زمام القيادة بشكل متزايد ، وبمقدورنا أن نخفض عدد قواتنا بدرجة أكبر –

(١) قتل في العراق خلال شهر ديسمبر ٢٠٠٦ حوالي ٣٦,٠٠٠ ألف قتيل ... فهل لأمریکا أن تستحي .

لكن هذا القرار سيتخذه قاداتنا العسكريون ، ولن يتخذه السياسيون في واشنطن .
إن تحالفنا من التجربة في العراق . فقد عدلنا خططنا العسكرية وغيرنا أسلوبنا الأمر ذاته
يصدق على إيران التي هي دولة رهينة لنخبة صغيرة من رجال الدين التي تعزل شعبها
وتقمعه . فالنظام في ذلك البلد يتبنى الإرهاب في الأراضي الفلسطينية وفي لبنان، وينبغي أن
يوضع حد لذلك . والحكومة الإيرانية تتحدى العالم بأطماعها النووية . وستواصل أمريكا
مسعاها لحشد العالم لمواجهة هذا الخطر ، ودعوني أتحدث الليلة إلى الشعب الإيراني مباشرة
وأقول ، إن أميركا تحترمكم ونحن نحترم بلدكم ونحترم حقوقكم في تقرير مصيركم وكسب
حريتكم بأنفسكم . وإن بلدنا يأمل أن يصبح في يوم من الأيام من أقرب أصدقاء إيران الحرة
الديمقراطية .

ومن أجل أن نتغلب على الأخطار في عالمنا ، علينا أيضاً أن نأخذ زمام المبادرة لتشجيع
التقدم الاقتصادي ومكافحة المرض وبث الأمل حيث اليأس . فالانعزالية لا تغل أيدينا في
محاربة العداء وحسب ، بل وتحول بيننا وبين مساعدة أصدقائنا المحتاجين . إننا نبدي تعارفنا
في الخارج؛ لأن الأمريكيين يؤمنون بالكرامة التي وهبها الله وبنبدي تعاطفنا مع قروي
مصاب بفيروس مرض فقدان المناعة المكتسب "الإيدز" أو بطفل مصاب بالمalaria أو
بلاجئ هارب من الإبادة الجماعية أو فتاة تباع في أسواق النخاسة ، وإننا نبدي تعاطفنا في
الخارج أيضاً لأن المناطق التي يسودها الفقر والفساد واليأس تشكل مصدراً للإرهاب
والجريمة المنظمة والاتجار بالبشر وتجارة المخدرات .

التعليق على هذا الخطاب :

إن هؤلاء جميعاً ينطبق عليهم قول المولى تبارك وتعالى :

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [البقرة ٢٠٤ - ٢٠٦].

ثانياً : محاولة تقليص دور الدين في حياة المسلم :

١ - التدخل في خطب الجمعة واللقاءات الدينية :

إن تأثير الخطاب الديني على الناس لا يخفى على الغرب والخطاب الديني له عدة وسائل أهمها وأخطرها خطب الجمعة التي يلقيها العلماء على المصلين بصفة دائمة ومستمرة ودورية كل أسبوع، بخلاف اللقاءات الأخرى كالاحتفالات الدينية سواء بالمناسبات أو الأعياد، وحيث إن أعداء الإسلام لا يواجهونه صراحة وعلانية وبصورة مباشرة إلا في الحروب - غالباً - فإنهم لا يقولون بالتدخل في خطب الجمعة ولكنهم ينادون بذلك تحت ستار ظاهرة الرحمة وباطنه العذاب ، ألا وهو تطوير الخطاب الديني، وكأن الدين الإسلامي ونشره أمر يهم الغرب ، والواقع أنهم يهدفون إلى توجيه الخطب الدينية وغيرها إلى خدمة أهدافهم التوسعية ، وإلى إلغاء الجهاد ، ونشر الرذائل والمفاسد بين المسلمين باعتبارها حرية شخصية وأمر لا دخل فيه للدين .

١ - مبادرة وزير خارجية أمريكا "كولن باول" :

أعلن وزير الخارجية الأمريكية عن مبادرة أطلق عليها مشروع "الشراكة من أجل الديمقراطية والتنمية".

ويطالب المشروع بتطوير "الخطاب الديني" في اتجاه ما يسميه بلغة التواصل والحوار بين الإسلام وغيره من الديانات الأخرى وبين الشعبين المصري والأمريكي تحديداً . وسوف يجري ربط المشروع المقترح بالمعونة الأمريكية المقدمة إلى مصر حيث يتوقع أن يخصص الكونجرس الأمريكي الاعتمادات اللازمة لتنفيذ هذا المشروع خلال الأسابيع القليلة القادمة .

وتركز خطة "تطوير الخطاب الديني" على الموضوعات التي يتم تناوؤها في الخطب العامة ويقصد "خطبة الجمعة" حيث تشير اللجنة إلى أنه لا يجوز بأي حال تسييس هذه الخطب العامة ، خاصة بعد أن ثبت أن تسييس هذه الخطب هو الذي أدى إلى زيادة أعداد "المتطرفين" و"الإرهابيين" في دول المنطقة ، كما أن هذا التسييس يتم دائماً بهدف الهجوم على السياسات الغربية والإسرائيلية تحديداً وتطالب الخطة الأمريكية بأن يلتزم الدعاة في خطبتهم على شعائرهم الدينية بعيداً عن أي تعصب أو إثارة للكراهية ضد الآخرين ، بل وتطالب الخطة بفرض جزاءات فورية على كل رجل دين يحاول أن يقوم بتسييس الخطب العامة أو حتى في أحاديثه الإعلامية .

وتشدد "الخطة" على ضرورة وضع رجال الدين المسؤولين عن الدعوة تحت رقابة أجهزة الدولة، وذلك لضمان قيامهم بالتوجيه الديني المناسب الذي يقضي على نزاعات التطرف والعدوان .

وترى الخطة أهمية أن تكون هناك خطة إعلامية متدرجة تبدأ بإزالة الحقد والبغضاء والاختلاف بين "المحمديين" وغيرهم من أصحاب الديانات الأخرى ، وفي مرحلة تالية فإن الخطة الإعلامية يجب أن تعمل على طرح أحاديث مشتركة ولقاءات حوارية يشارك فيه رجال الدين الإسلامي والمسيحي معاً حول كافة جوانب الاتفاق الممكنة ، وفي المراحل الثلاث الأخيرة سينضم إلى هؤلاء رجال الدين اليهودي على أن يجري تطبيق هذه الخطة الإعلامية أيضاً على نطاق التجمعات الأخرى داخل المجتمع ، ونفس الأمر بالنسبة للكتب والمقررات الدينية وبعض الصحف التي يجب على أن تركز على هذا الاتجاه وذلك من أجل "عالم أفضل" !!

وترى الخطة الأمريكية ضرورة أن يأخذ "المحمديون" بأحكام وشرائع المسيحيين واليهود في بعض المسائل الفقهية أو العبادات ، لأن ذلك سيقرب وفقاً لما ترى من نقاط الالتقاء بين هذه الأطراف وبعضها . وتشير الخطة إلى أن هذا لم يخل بخصوصية الدين المحمدي ، لأنه على حد علمهم فإن الدين المحمدي في الكتاب المقدس يعترف بأنبياء الديانات الأخرى ، خاصة أن التوحيد الديني سيظل هدفاً مثالياً وسنسعى إلى تحقيقه بكل الطرق والخطوات اللازمة .

دور المسجد :أما عن دور المسجد فقد حاز على اهتمام كبير في إطار خطة تطوير الخطاب الديني حيث تهدف الخطة إلى أهمية أن يتحول المسجد إلى مؤسسة اجتماعية تربوية بدلاً من كونه أداة للتحريض وبث الكراهية في مواجهة الآخرين .

وترى الخطة ضرورة ألا يقتصر دور المسجد على الجوانب الدينية فقط ، بل يجب أن تلحق به حدائق للأطفال والسيدات ، وأن يمارس الشباب بجواره مختلف الألعاب الرياضية ، وأن تلحق به برامج كاملة لمحو الأمية وزيادة نسبة التعليم !!

أما إمام المسجد فترى الخطة أنه يجب ألا يكون هو القائد المتحكم في كل هذه المؤسسة، وإنما يجب أن تديرها إحدى الشخصيات الناجحة، وذلك لضمان ألا تتحول هذه المؤسسة مستقبلاً إلى مؤسسة دينية.

وتقترح الخطة أن يلحق بهذه المؤسسة الاجتماعية أيضاً إدارة كاملة لترقي التبرعات الخيرية وإن ممثلاً من الدولة سيكون هو المسئول الأول عن هذه الإدارة ، وأنه هو الذي سيقوم بنقل هذه الأموال إلى الجهات العليا في الدولة التي سيتم الاتفاق معها على أوجه الإنفاق .

وسيضمن تحويل المسجد إلى مؤسسة اجتماعية إنشاء هيئة خاصة في كل مؤسسة لتنشيط دور المرأة اجتماعياً؛ لأنه ووفقاً لما توصلت إليه اللجنة الأمريكية ، فإن إحدى المشاكل الأساسية التي تواجه المرأة في ممارسة أدوارها السياسية والاجتماعية هو عدم وجود مؤسسات تدعم عمل وأنشطة المرأة ، في حين أن ذلك يتوافر للرجال بشكل أساسي .

وتقول الخطة : إن المساجد تلعب دوراً كبيراً في الانتخابات بجميع أنواعها ، وأن المرأة يجب أن تمارس دورها في الدعاية الانتخابية من خلال المسجد بعد أن جرى الحظر عليها كثيراً في أوقات سابقة ، وإن تحويل المسجد من مؤسسة دينية إلى مؤسسة اجتماعية سوف يساعد في تحقيق المد الديمقراطي وممارسة المرأة لدورها .

وترى الخطة أن أحد المتطلبات الجديدة إنشاء المسجد هو أن يلحق به ما يضمن للمرأة أن تمارس فيه نشاطها السياسي والاجتماعي، وبالتالي الاختلاط مع الرجال في داخل هذه المؤسسة الاجتماعية ، فبذلك فقط هو الذي سيضمن أن تتحول هذه المؤسسة إلى إحدى المؤسسات الداعمة للمد الديمقراطي، وهذا هو أحد الأهداف الأساسية التي ستسعى الخطة إلى تحقيقها في السنوات المقبلة لتحويل دور المسجد من كونه أداة ساعدت على تجمع الإرهابيين وطرح الأفكار "الإرهابية" إلى مؤسسة ديمقراطية يتم فيها ممارسة كافة الأنشطة على أن يبقى النشاط الديني هو أحد هذه الأنشطة^(١).

٢- التدخل في السنة والاحتفالات الدينية :

في تقرير لمؤسسة " راند" البحثية حول الإسلام الجديد ، جاء في ٨٨ صفحة وتم رفعه إلى وزارة الدفاع الأمريكية " البنتاجون " ، أكد أن الشريعة الإسلامية تحتوي على نصوص من شأنها الخوض على العنف ويجب إزالتها من أهمها " السنة النبوية " .

(١) تقرير للأستاذ / مصطفى بكري في ١٣ / ١ / ٢٠٠٣ م .

ولعل مؤتمر سعد الدين إبراهيم حول " الإسلام الديمقراطي " الذي عقد منذ شهور واستضاف فيه منكري السنة النبوية ، فخرج بتوصية بإلغائها والاعتماد فقط على القرآن الكريم كان مقدمة لصدور تقرير مؤسسة " راند " حول الإسلام " الحداثة " أو الإسلام " التفصيل " حسب الأجندة الأمريكية التي تبناها سعد الدين إبراهيم .

لقد وضع التقرير خطة جديدة لتبني هؤلاء تمهيداً للقضاء على الإسلام نهائياً .

يقول التقرير في مقدمته: إن الإسلام الراهن بصدد أزمة واضحة تتلخص في كونه محاصراً بآراء مختلفة ومتباينة حول ماهيته وتعريفه وحول موقعه في وسط العالم . ولقد وضع الإسلام الراهن في حالة متقلبة ومتطايرة نتيجة شعور كل فئة أن الأحق في الهيمنة الروحية والسياسية على المسلمين وبالطبع كان لهذا الصراع آثاره الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والأمنية على بقية العالم ، ومن الواضح أن الولايات المتحدة الأمريكية تفضل عالماً إسلامياً يتماشى مع بقية النظام، أي: يريدون عالماً إسلامياً يتسم بالديمقراطية والتطور الاجتماعي والتبعية لقوانين ومعايير السلوك الدولي؛ ومن ثم فإنه من الحكمة والاعتدال تشجيع عناصر أكثر حداثة من تلك المتواجدة في داخل الخطة الإسلامية. ويضيف التقرير : إن أزمة الإسلام الحالية تتشكل في مكونين أساسيين، هما فشل في الازدهار والنجاح وفشل في التواصل مع الاتجاه العالمي السائد فقد قبع العالم الإسلامي على امتداد فترات طويلة تحت ظلال التخلف والضعف^(٢) .

(٢) جريدة الأسبوع بتاريخ ٢٠ / ٢ / ٢٠٠٤ مقال للأستاذ / مصطفى سليمان .

وفي مذكرة الكونجرس الأمريكي حول الشرق الأوسط الجديد طُلب :

- إلغاء بسم الله الرحمن الرحيم من الاحتفالات الرسمية .

- منح الأقليات استقلالاً ذاتياً لإدارة شؤونهم .

- برلمان خاص للأقباط .

الإسلام مجرد مصدر من مصادر التشريع ، ويجب ألا يتعارض مع المصادر الأخرى في

العالم .

وتؤكد مذكرة الكونجرس أن كافة أنواع الشعارات الدينية أو بعض الرموز أو الأعمال

الافتتاحية التي تتم باسم الدين يجب أن تختفي من مظاهر ممارسة السلطة ، لأن فكرة الدين

تنبع أساساً من اقتناع داخلي (!) وأن هذا الاقتناع يجب أن يكون في داخل كل فرد ، وأن

الأفراد ليسوا ملزمين بالإفصاح عنه بين الحين والآخر ، وأن كل الأعمال الرسمية الافتتاحية

أو الجلسات الرسمية أو المؤتمرات أو الندوات أو كل ما يأخذ نطاق العمل الحكومي

والبرلماني والقضائي والعسكري وغيره يجب أن تفتتح ، باسم الحرية والديمقراطية والشعب

ومبادئ الدولة العليا - ووفق هذا النموذج ، فإنه لا يجوز افتتاح جلسات مجلس الشعب

بالآية القرآنية التي تقول : ﴿ وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التوبة :

[١٠٥

أو أن يبدأ رئيس الجمهورية خطابه أو ينهيه بآية قرآنية، بل إن " بسم الله الرحمن الرحيم " تعد رمزاً دينياً كما ورد في المذكرة الأمريكية، وعلى هذا الأساس يجب إلغاء استخدامه ، وأن يتم استبدالها "باسم الشعب، وباسم الديمقراطية والحرية " وغير ذلك من المعاني الدينية^(١).

هذا وبعد تنصيب بوش الابن للولاية الثانية، قال لمستشاريه: لا أريد حكومات إسلامية في الشرق الأوسط .

٣- تقييد حرية المسلمين الدينية وإطلاقها لغيرهم :

لقد طور الأمريكيون السياسة الإنجليزية الشهيرة "فرق تسد " وجعلوها أكثر اتساعاً وأوفر شمولاً، حيث وظفوها لهدم الدين الإسلامي، ومحاولة إضعاف الدين المسيحي في الشرق، فنادوا بفصل الدين عن الدولة وعن حياة الناس في الإسلام وتنادوا بحرية مزاوله العبادة لأصحاب الفرق المنشقة عن الإسلام والتي أصبح أغلبها منتسباً إليه اسماً ، ومارقاً عنه ومخالفاً له فعلاً، ولم تسلم الكنيسة الشرقية من هذا الوباء، فتم الترويج إعلامياً والمساعدة مالياً لكل هرطيق، ينفصل عن الكنيسة الأرثوذكسية بفكر شاذ مخالف لتعاليمها، وكل ذلك وأكثر منه لا هدف له ولا غاية إلا زرع الخلافات الدينية ، وحصد الفتن الطائفية، ثم الحروب الأهلية، ولعل ما يتم في العراق وانتقل إلى لبنان واستمر في السودان والصومال هو خير مثال .

(١) جريدة الأسبوع بتاريخ ١٥ / ٣ / ٢٠٠٤ مقال للأستاذ / مصطفى بكري .

ويقول عن ذلك المؤرخ "ليدر فيك دي كونتش"^(١):

"كان الغرب يعمل جاهداً على تأصيل بذور الكراهية والحقْد ضد المسلمين في نفوس المسيحيين يتلقونها خلفاً عن خلف ، ويرضعها الطفل من شعور أمه ، كما يرضع اللبن من ثديها ، فتسرى في كيانه مسرى الدم في عروقه ، وينشأ على عقيدة تقضي على العلاقة بين المسيحيين وبين المسلم للأبد".

أمريكا تدعو لحرية الاعتقاد والفرقة في مصر :

جاء بجريدة الأسبوع في ١٩ / ٧ / ٢٠٠٤ مقال أ/ مصطفى سليمان : بعنوان

الوطنيون يرفضونها ... والمرتزقة يرحبون بها ... لجنة أمريكية مشبوهة تستبيح الوطن

وتفتش عن حرية الاعتقاد !!

اللجنة تزور المعبد اليهودي وتلتقي بالبهائيين والشيعة في مصر وتطالب بحرية التبشير

لجماعات مسيحية بهدف إضعاف الكنيسة الوطنية ، اللجنة المشبوهة تتكون من اثنين من

أعضاء الكونجرس الأمريكي المعينين بالخریات واثنين من أعضاء جمعية الحرية الدينية ،

(٢) الأقليات الدينية والحل الإسلامي : أ.د. يوسف القرضاوي : ص ٥٥ مكتبة وهبة .

حيث تهدف الزيارة إلى التعرف على ماذا يفعل المجتمع المدني ومنظماته والحكومة المصرية لتحسين أوضاع حرية الفكر والقيم وحرية المعتقد؟! ويلاحظ أن هذا المدخل الجديد لعمل اللجنة وهو : الانتقال من التدخل في الشؤون الدينية إلى التدخل في شؤون حقوق الإنسان والتعبير والفكر يلقي بظلاله إلى مشروع الشرق الأوسط الكبير ومبادرة الإصلاح الأمريكية التي تحاول واشنطن فرضها على المنطقة وقد اختارت اللجنة أن تبدأ بمصر؛ لأنها تدرك تماما تأثير مصر في العالم العربي والشرق الأوسط .

كما ستلتقي اللجنة برموز من المذهب الشيعي والبهائيين في مصر للتعرف على حرية ممارسة شعائهم الدينية، وهو ما يؤكد أن الإدارة الأمريكية تسعى جاهدة لتفتيت وحدة مصر. ومن المعروف أن هذه اللجنة تم تشكيلها بموجب قانون الحرية الدينية في العالم الذي أصدره الكونجرس الأمريكي الذي يعتبر نفسه الوصي على حريات الشعوب في ممارسة حرياتهم الدينية، وأن هذا القانون يهدف في الأساس إلى حماية حرية التبشير حسب البند "١٠٧" منه وحرية التبشير هذه مطلقة وفق المفهوم الأمريكي فما هي أهداف اللجنة من هذه الزيارة .

وحول دور اللجنة في دعم مذاهب ترفضها الكنيسة الأرثوذكسية الوطنية يقول الأنبا "مرقص" أسقف شبرا الخيمة وتوابعها ونائب البابا: إن تقرير اللجنة الصادر في مايو الماضي طالب بوضع مصر في لائحة المراقبة ، أي مراقبة مصر بصفة دائمة ودورية في مجال حرية الأديان وحقوق الإنسان، كما أن التقرير وضع مصر في المرتبة الثانية ضمن الدول التي لا تراعي حقوق الإنسان والحرية الدينية وهو أمر يشكل خطورة بالغة، فتصنيف مصر بهذا الشكل يوحى بانتهاك حقوق الأقباط في مصر .

الفصل الثاني

الغرب المسيحي نشر دينه ومبادئه بالسيف وأسلحة الدمار

الشامل

قد يستمر ترديد الأكذوبة على الألسنة ، ونشرها في وسائل الإعلام ،لمدة طويلة،حتى يتوهم المتلقي أنها حقيقة ، وقد قال القدماء : الدوي على الودان أقوى من السحر ، ومن أكبر الأكاذيب التي ترددت كثيراً حتى توهم الناس أنها حقيقة : أن الإسلام نشر عن طريق السيف، وللأسف اتخذ أغلب المدافعين عن الإسلام أسلوباً دفاعياً محضاً ، فهم يحاولون بقوة وإصرار وعزيمة وصدق، إثبات حقيقة أن الإسلام لم ينتشر قهراً ، ولم يسد ضغطاً ، ولم يستمر إكراهاً ، وكان الأجدر بهم أن يوضحوا للعالم كله ، أن المسيحية هي التي انتشرت قهراً ، وضغطاً ، وإكراهاً ، لا باستعمال السيف فحسب -قديماً - ولكن بالحرق والصلب والطرْد ونشر الهلاك والموت أيضاً ، وحديثاً باستعمال أسلحة الدمار الشامل .

وفي هذا الفصل سنعرض لما يلي :

المبحث الأول : نشر المسيحية بالسيف والقهر والتعذيب والحرق قديماً .

المبحث الثاني : نشر المسيحية بأسلحة الدمار الشامل حديثاً .

المبحث الثالث : نشر المسيحية ومقاومة الإسلام في التعليم الغربي للمسلمين.

المبحث الأول

نشر المسيحية بالسيف والقهر والتعذيب والحرق قديماً .

بدأت المسيحية رسالتها كدين بالغ في المحبة والتواضع والدعوة للسلام الذي كان يمثل الاستسلام للغير ، والتخلي عن كرامة الإنسان ، فجاء في الإنجيل :

"(٢٩) من ضربك على خدك ، فأعرض له الخد الآخر أيضاً ، ومن انتزع رداءك ، فلا تمنع عنه ثوبك أيضاً (٣٠) ... ومن اغتصب مالك فلا تطالبه " (لوقا ٦) .

ولكن ما إن اشتد الساعد حتى أصبحت المسيحية دين القتل والإرهاب وسفك الدماء :

جاء في كتاب : التاريخ الأسود للكنيسة :

"كانت رسالة المسيحية الأولى هي نشر السلام، وكان سلاح المحارب المسيحي الوحيد هو الصلاة والتضحية وليس القتل، ولكن منذ انتصار قسطنطين على ماكستتيوس تحت راية الصليب ، كان على المسيحيين أن يتواءموا مع فكرة دمج الدين والحرب والسياسة ^(١) .

وهذا الإرهاب العنيف لم يعان منه غير المسيحيين فقط ، بل عانى منه طوائف المسيحية المتنوعة :

(١) التاريخ الأسود للكنيسة : ص ١١٣ .

(٢) قصة الحضارة : ج ٢٣ ص ٩٧ .

يقول "ول ديورانت" :

"وتدهورت المبادئ الأخلاقية الحربية على مر الزمان..... ولما ازدادت قيمة الزعماء المغامرين المأجورين، وكبرت الجيوش وتطلبت نفقات ضخمة، سمح للجنود بأن ينهبوا المدن المفتوحة بدلا من أن تؤدي لهم أجور منتظمة، وحين استولى الفرنسيون على كابوا عام ١٥٠١م، أوقعوا بأهلها مذبحه شنيعة، وسقط كثير من النساء حتى اللاتي كرسن أنفسهن لعبادة الله، وزاد استرقاق أسرى الحرب كلما تقدمت أساليبها في عصر النهضة"^(٣).

"عندما نجح الفرسان في دخول مدينة "بيزيه" قاموا بقتل وذبح أكثر من ٢٠٠٠٠ شخص ما بين رضيع ونساء وشيوخ ورجال، رغم انتمائهم لكنيسة القديسة مريم المجدلية، ثم تم إحراق المدينة كاملة بحيث أصبحت كومة من الرماد لم يبق على أثر واحد"^(٤).

بعد استيلاء المسيحيين على الأندلس، نصح كرينال طليطلة التقى بقطع رؤوس جميع من لم يتنصر من العرب، رجالاً ونساءً وشيوخاً وولداناً، ولم ير الراهب الدومنيكي "بيليا" الكفاية في ذلك، فأشار بضرب رقاب من تنصروا من العرب، ومن بقوا على دينهم، وحجته إنه من المستحيل معرفة الصادقين من الكاذبين، فمن المستحب قتل الجميع بحد السيف، ليحكم الله بينهم في الحياة الأخرى، فدخل النار من لم يكن صادق النصرانية منهم، فأمرت الحكومة الأسبانية -

(٣) التاريخ الأسود للكنيسة: ص ١١٣ .

نظراً لصعوبة تنفيذ الاقتراح - بإجلاء العرب عن أسبانيا ، فقتل أكثر المهاجرين في الطريق ، وقد قتل هذا الراهب ١٠٠,٠٠٠ مهاجر من قافلة واحدة مؤلفة من ١٤٠,٠٠٠ من المسلمين في طريقهم لإفريقيا^(١) .

الاضطهاد المسيحي لليهود لترك دينهم واعتناق المسيحية :

"في تولوز بفرنسا ، اعتصم نحو ٥٠٠ من اليهود في أحد الأبراج ، فحاصروهم حشد من الغوغاء ، وخيروهم بين التعميد أو الموت ، فقتل اليهود بعضهم البعض ورفضوا التخلي عن دينهم ، ما عدا واحداً ، ومع ذلك مزقه الغوغاء إرباً .

ويمثل هذه الطريقة ، استؤصل نحو ١٢٠ جالية يهودية في جنوب فرنسا وشمال أسبانيا ، وفي عام ١٣٢١ مأخرق في شيتون ١٢٠ يهوديا بتهمة تسميم الآبار^(٢) .

في ألمانيا ادعى متعصب أنه أوحى له من الله بقتل اليهود ثأراً لموت المسيح ، فقتل هو وجماعته كل يهودي عثروا عليه ، واجتاحت حمى القتل بافاريا ، وبوهيميا ، ومورافيا والنمسا (١٣٣٧) وعذب الآلاف من اليهود وقتلوا^(٣) .

وفي فرنسا ألقيت الجالية اليهودية كلها في النار ، وأحرق كل اليهود في سافوي ، وحول بحيرة ليغان وفي برن وبروكسل .

(١) قصة الحضارة .

(٢) قصة الحضارة : ج٢٦ ، ص ١٤٧ ، ١٤٨ .

(٣) المرجع السابق : ج٢٦ ص ١٤٨ .

(٤) المرجع السابق : ج٢٦ ص ١٤٩ .

(٥) المرجع السابق : ص ١٤٩ .

ولما انتشر الطاعون اتهم اليهود أنهم سبب انتشاره ،ففي مدينة ستراسبورج ، أمر بالقبض على كل اليهود في المدينة، وهرب بعض هؤلاء حيث لقوا حتفهم بأيدي الفلاحين، وبقى ألفان في المدينة أودعوا السجن ، اعتنق نصفهم المسيحية وأحرق الممتنعون في (١٤/٢/١٤٣٩)^(١).

وفي أرفورت قتل ٣٠٠٠ يهودي ، وفي بافاريا ١٢٠٠٠ يهودي ، وفي فيينا تجمع كل اليهود في المعبد وقتلوا أنفسهم بأيديهم ، وبلغ مجموع من أبيدوا ٥١٠ جالية يهودية في أوروبا المسيحية^(٢).

تاريخ الغرب ونشر دينه بحد السيف :

- الملك شارلمان (٧٤٢ - ٨١٤ م) فرض النصرانية على السكسونيين بحد السيف !!.
- استأصل الملك كنوت **Cnut** في الدانمارك ،الديانات غير المسيحية من بلاده بالقوة والإرهاب !!
- وفي روسيا ،فرض الأمير "فلاديمير (٩٨٠ - ١٠١٥ م) المسيحية الأرثوذكسية على كل الروس ،غداة اعتناقه لها سنة ٩٨٨ م !!
- وفي الجبل الأسود ، ذبح "دانيال بيتروفيتش " غير المسيحيين - بما فيهم المسلمون - ليلة عيد الميلاد سنة ١٧٠٣ م .

- وفي المجر أرغم الملك "شارل روبرت" (١٣١٦ - ١٣٧٨ م) غير المسيحيين على
التنصير أو النفي من البلاد سنة ١٣٤٠ م .

المبحث الثاني

نشر المسيحية بالقتل والدمار بأسلحة الدمار الشامل حديثاً

إن التطور العلمي والتقني هو السبيل لرفاهية الإنسان وتحقيق سعادته ، ولكنه في نفس الوقت أقصر طريق لفناء الإنسان وتحقيق تعاسته ، فبدلاً من استخدام السيف والحرق والمفصلة في إكراه غير المسلمين ، على نبذ دينهم والتعميد قهراً ، أصبح الآن يتم ذلك باستخدام القتل الجماعي والدمار الشامل باستخدام الصواريخ والأسلحة المحرمة دولياً ، كالغازات السامة والأسلحة النووية المفقنة وغيرها . وكلها أسلحة دمار شامل .

الدعوة البابوية بالإكراه لنشر المسيحية :

أعلن البابا يوحنا بولس الثاني في وثيقة الحوار والتبشير ١٩٨٤ فقرة ٣ :
"على أن أعضاء الديانات الأخرى مأمورون بالدخول في الكنيسة ، بمعنى أنها تمثل السر الذي يوجد فيه ملكوت الله ، ويقدر استجابتهم لنداء الرب يقوم يسوع المسيح بإنقاذهم ، أي أن رسالة الكنيسة هي تنمية ملكوت الرب ، إذا أنها أقيمت لخدمته ^(١) .
ولا يخفى عن القارئ أن لفظ مأمورون بالدخول في المسيحية يعني في مفهومه اتخاذ كل الطرق والتدابير لنزع الآخرين من دينهم ، وإكراههم على اعتناق المسيحية وقد تقوم القوى الكبرى بهذا العمل بطريق مباشر ، كما قد يكون عن طريق الغير من رجالهم .

(١) الفاتيكان والإسلام ص ١٣٤ .

(٢) كفاح دين : محمد الغزالي : ص ٦١ .

قال إمبراطور الحبشة في خطاب له في الكونغرس الأمريكي :

"إن أهم الأهداف التي نسعى إليها هي توحيد الدين واللغة في بلادنا وبدون ذلك لا يمكن أن نحقق شيئاً من التقدم.....وهناك أقلية مسلمة في مدينة هرر اعتنقت الإسلام بتأثير الأجانب،وقد وضعنا لها برنامج منذ ١٢ سنة،فلا يمضي وقت طويل إلا وقد عادت إلى حظيرة دين آبائها".

وحتى يتم تنصير هرر،كان يجمع كل عشرين أو ثلاثين من الشيوخ والنساء والأطفال ويوضعون داخل أكواخ من البوص الجاف وغيره من الحشائش ثم يسكب فوقهم البنزين ويحرقون كما كانت تقتل المواشي^(١).

حروب الدمار الشامل ضد العراق :

العراق تمثل للعرب الزعامة الإسلامية السياسية والعسكرية،فقد كانت مركزاً للحضارة الإسلامية في أوج نموها،وخرجت منها جيوش المسلمين لفتح مناطق كثيرة،وبالتالي فحرب العراق هو هدم رمز إسلامي كبير وأيضاً تنفيذاً لأوامر الرب القاضية بهلاك الأمم التي ستجتمع لمحاربة اليهود آخر الزمان ، فقد جاء بالتوراة :

"(٢) يا ابن آدم،اجعل وجهك على جميع أرض مأجوج رئيس روش ماشك وتوبال،

وتنبأ عليه (٣)

وقل : هكذا قال السيد الرب : هأنذا عليك يأجوج رئيس روش ماشيك وتوبال (٤) وأرجعك أنت واضع شكائم في فكك ، وأخرجك أنت وكل جيشك خيلاً وفرساناً كلهم (٥) فارس وكوش وقوط معهم ، كلهم بمجن وخوذة (٦) جومر وكل جيوشه ، وبيت توحمة من أقاصي الشمال مع كل جيشه : " (حزقيال : ٣٨) .

وقد عدت الفقرة أعداء اليهود ومنهم (روسيا ، الدول الإسلامية ، فارس : إيران ، دول الشمال "العراق" ^(١) .

فكل من يهدد إسرائيل فهو عدو للمسيحية لابد من إبادته .

يقول الرئيس "رتشارد نيكسون" في مذكراته :

"إن التزامنا ببقاء إسرائيل التزام عميق ، فنحن لها حلفاء رسميون ، إن أمريكا لن تسمح أبداً لأعداء إسرائيل الذين أقسموا على النيل منها بتحقيق هدفهم في تدميرها ^(٢) . وعلى ذلك قامت أمريكا وبريطانيا وحلفاؤهما بحرب مدمرة وشاملة ضد العراق انتهت باحتلال العراق ، بلا سبب شرعي أو حتى وهمي ، ولكن بأكاذيب لم تستطع أمريكا تبريرها ، فقد ادعت امتلاك العراق لأسلحة دمار شامل ، وثبت أنه لم يمتلكها ، وهي تعلم ذلك مسبقاً .

(١) أوضحت فقرات أخرى أن من هذه الدول : الحبشة ، الصومال ، العراق ، ودول البحر المتوسط .

(٢) قيل هذا في ٢٠/٩/١٩٧٠ أثناء حملة انتخابية لريجان عن كتاب : الإجرام الأمريكي في الخليج لأبي إسلام أحمد عبد الله ، ص ١٢٥ دار الإسراء للنشر والتوزيع .

(٣) جريدة أفاق عربية ٤/١٠/٢٠٠٤ م .

وقالوا: العراق يساعد تنظيم القاعدة، وثبت كذب هذا الادعاء، وفي النهاية اعترفت أمريكا وبريطانيا بكذبهما، وقامتا بضرب العراق دون موافقة الأمم المتحدة، وما سمي بالشرعية الدولية.

جاء في مقال د/ صلاح عز، تحت عنوان " في تبرئة المجرمين"^(١).

كان هانز بليكس - الرئيس السابق لفريق المفتشين عن الأسلحة - قد أكد أن الحكومة البريطانية ضللت شعبها، ولم تذكر له الحقيقة كاملة واعتمدت على تقارير استخباراتية غامضة زاعمة أنها تمثل الحقيقة كلها، وأنها قادت الشعب إلى تصديق أمور لا علاقة لها بالواقع. وهناك عدد من العجائب المحيطة بتقرير بتلر، منها ما نشرته الصنداي تلجراف (٧/١٨) نقلاً عن أحد أعضاء فريق بتلر المشاركين في صياغة التقرير، والذي أكد أن مقر رئيس الوزراء تدخل لإجراء "تعديلات هامة جداً" على التقرير قبل نشره من أجل تخفيف حدة النقد الموجه لتوني بلير والأسلوب الذي عرض به قضية الحرب على مجلس العموم، فأى موضوعية ونزاهة تلك التي تسمح لكبير المتهمين بالتلاعب في أدلة جريمته؟

ويؤكد ذلك جريدة الأسبوع بتاريخ ٢٤/٢/٢٠٠٣م بمقال، وليد الشيخ تحت عنوان: دير شيجل تكشف ما كنا نخاف الكشف عنه، إنها الحرب الصليبية ضد الإسلام.....

هكذا يفكر بوش ورجاله "المتدينون".....

السيطرة على بغداد ضمان لأمن الأراضي المقدسة "إسرائيل"

الإسلام أقصى أنواع الشر، ولسنا البادئين بالهجوم.

نشرت مجلة "دير دير شبيجل" الأولى في ألمانيا ، مقال في ١٧ / ٢ / ٢٠٠٣ تحت عنوان :

في مهمة إلهية ... حرب جورج بوش الصليبية :

وأكد كاتب المقال أن الرئيس بوش باجتياحه بغداد يقوم بتنفيذ تكليف إلهي ، يقوم على أفكار مسيحية دينية متطرفة ، وعلى ما يبدو فمن النادر أن تجتمع المصالح القومية المتطرفة والأصولية الدينية الأمريكية بهذه القوة ، كما هي اليوم ، على الحد الذي أصبح فيه المسيحيون المتحمسون يطالبون علناً بشن حرب صليبية ضد الإسلام .

احتلال بغداد :

بالرغم من فروق القوى المتعددة بين أمريكا والدول المتحالفة معها وأغلبها دولاً عظمى وبين العراق كدولة متخلفة من دول العالم الثالث "الأكثر تخلفاً" التي لا تملك تكنولوجيا الغرب العسكرية ، ولا أسلحة دمار شامل ، وكان من المفترض أن الحرب ستكون أشبه بفيل ضخم يطأ نملة ضعيفة ، إلا أن استبسال العراقيين في الدفاع عن الوطن أذهل الجميع ، ففغر المعتدون أفواههم ، ولم يستطيعوا السيطرة على أنفسهم ، إلا بعد ضرب بغداد بال سلاح النووي المنصب ، الذي لا يصدر عنه انفجار ضخم ، ولكن إشعاعات تقتل البشر دون أن تدمر المعدات ، فقتل مئات الألوف في لحظات وفي صمت يطلق عليه بحق " صمت الإرهاب الرهيب " .

ثم قام الاستعمار الأمريكي بحملات إبادة للقرى والمناطق التي تقاومه، ثم الواقعة بين الشيعة والسنة، حتى أعلن أن قتلى مجازر العراق خلال شهر ديسمبر ٢٠٠٦ بلغ عدد ٣٦,٠٠٠ قتيل، والبعض يرى أنه أقل من الواقع بكثير، وسوف نسوق بعض أمثلة المجازر الأمريكية في العراق ضد المدنيين العزل وما سنوضحه هو بمثابة قطرة ماء في محيط مترامي الأطراف عميق القاع .

أما بخصوص المجرمين الأمريكيين فقد تكفلت لجنة التحقيق التابعة لمجلس النواب بتبرئتهم بذريعة "التفكير الجماعي"، أي أن محلي المخابرات كلهم ساروا كالتقطيع وراء فرضية واحدة (أسلحة الدمار العرقية) دور محاولة للتشكيك فيها. ويتساءل روبرت جرفيس - أستاذ العلوم السياسية بجامعة كولومبيا ومستشار الـ (سي أي إيه): "ولكن هل هذا هو حقاً ما جرى؟ إن ظاهرة التفكير الجماعي تحدث عندما تجتمع مجموعة من الأفراد للتداول حول مسألة ما على مدار فترات طويلة من الزمن، ويرتبطون ببعضهم البعض على المستوى الشخصي. فينحو تفكيرهم إلى اتجاه واحد مدفوعين برغبة جارفة في تحقيق إجماع. ويؤدي ذلك إلى تغاضي كل منهم عن طرح ما يدور بخلفه من تساؤلات مهمة تشكك في صحة الفرضية التي أجمعوا عليها، وذلك لتجنب إزعاج الأصدقاء والزملاء، في هذه الحالة فإن الحقيقة يصدقها كل فرد ليس لأنها حقيقة، ولكن لأن الآخرين يعتبرونها كذلك، وهكذا يمكن أن تتوصل جماعة من الأذكياء إلى استنتاجات هي أبعد ما تكون عن الواقع غير أن ما حدث لم يكن تفكيراً جماعياً؛ لأن كتابة التقارير من مواقع الأحداث هي عمل فردي في المقام الأول، والمحلل يختار وظيفته؛ لأنه يجب العمل بمفرده وليس في إطار فريق.

كما أن الوظيفة نفسها تقوم على التشكيك فيما يقوله الآخرون، والاجتماعات التي تجري فيه مناقشة قضايا مثل أسلحة الدمار والإرهاب في العراق كانت قليلة وعلى فترات زمنية قصيرة لا تسمح بتحقيق الارتباط الشخصي الذي يمكن أن يؤدي إلى ظاهرة التفكير الجماعي.

وجاء بمقال حامد زيدان، تحت عنوان : الاعتراف لا يكفي^(١).

اعتراف توني بلير رئيس وزراء بريطانيا أمام مؤتمر حزب العمال منذ أيام بأن معلومات السلاح النووي وأسلحة الدمار الشامل لدى العراق لم تكن صحيحة، والتي كانت مبررا قدمه بلير إلى مجلس العموم البريطاني ليبرر به عدوانه على العراق ، هذا الاعتراف الذي كشف عن كذب وزيف مبرراته للحرب على العراق وغزوه واحتلاله ، كما أن اعتراف المخابرات الأمريكية والبريطانية بنفس الموضوع لم يمنع أمريكا وبريطانيا من الاستمرار في الحرب العدوانية ضد العراق .

واعتراف السكرتير العام للأمم المتحدة بأن الحرب ضد العراق كانت حرباً غير مبررة وعدوانية، جاء مؤخراً أكثر من سنة ونصف السنة وبعد العدوان ضد العراق وقتل الآلاف من أبنائه وتخريبه واحتلاله والسيطرة على موارده وثرواته ، كل هذه الاعترافات ، وإن جاءت بعد سنة ونصف السنة من العدوان والغزو والاحتلال، إلا أنها لا تعني عودتهم إلى الحق، فالموقف الأمريكي منذ الأيام السابقة على الغزو كان مصراً على العدوان والاحتلال.

(١) جريدة آفاق عربية ٤ / ١٠ / ٢٠٠٤ م.

فقد أعلن الرئيس العراقي صدام حسين أنه على استعداد للخروج من بغداد ولكن الرئيس الأمريكي بوش - الصغير - ونائبه تشيني قالوا: إنه سواء بقي في بغداد أو خرج، فالحرب قادمة، وغزو العراق واحتلاله. وكشف الرئيس العراقي صدام حسين حقيقة التآمر ونية العدوان والغزو والاحتلال وإنه موقف نهائي للولايات المتحدة الأمريكية غير مبرر .

حتى حكاية الادعاء الأمريكي والبريطاني بعلاقة العراق بتنظيم القاعدة التي تقود أمريكا حربها ضده، وجاءت هذه الضربة لتبرير الحرب خرجت التصريحات الأمريكية والبريطانية بأنها لم تثبت رغم ما يخرج من أجهزة الإعلام إلى العالم بأن أبا مصعب الزرقاوي يقود حرباً باسم القاعدة ضد أمريكا في العراق متجاهلة حقيقة حرب التحرير الشعبية التي يقوم بها العراقيون ضد الاحتلال الأجنبي، حتى الادعاء بعلاقة العراق بالقاعدة شككت فيه أجهزة الاستخبارات الأمريكية والبريطانية أمام لجان التحقيق في الكونجرس الأمريكي ومجلس العموم البريطاني. أي أن كل مبررات العدوان قد سقطت وإن جاءت متأخرة وأصبحت إدانة معلنة باعترافات رسمية ومعلنة من بلير وأنان وأجهزة الاستخبارات البريطانية والأمريكية الرسمية، ولكن هل يكفي الاعتراف بالخطأ الجسيم الذي وقع ضد الشعب العراقي والوطن العراقي، وما يعيشه المواطنون في العراق الآن من قتل وتخريب وعدوان على كل حقوق الأمن والسلام؟!

جاء في جريدة الأسبوع بتاريخ ١١ / ١٠ / ٢٠٠٤ في حوار للكاتبة: سناء السعيد مع البابا
شنودة الثالث قول نيافته :

اجتياح العراق ارتكز على أسباب ملفقة...العالم تسيطر عليه المصالح وليس العدالة .

ما تفعله إسرائيل ضد الفلسطينيين يؤكد هوسها باستخدام القوة .

استخدام الفيتو الأمريكي معناه سيطرة الرأي الفردي وهذا ليس عدلاً .

هناك ثلاث دول مستهدفة في المنطقة هي:مصر...والعراق، سوريا بالإضافة إلى إيران.

إذن حرب العراق هي حرب صليبية كما قال وصدق جورج بوش

أي هي استخدام لأسلحة الدمار الشامل ضد الإسلام وبلاده .

جاء بجريدة الأسبوع بتاريخ ١٩ / ٦ / ٢٠٠٦ م تحت عنوان :مجازر العراق:

أما المجزرة التي ارتكبتها جنود قوات الاحتلال في مدينة حديثة الواقعة على ضفاف نهر
الفرات، والتي وقعت أحداثها في شهر رمضان عندما انفجرت قنبلة مزروعة على جانب
الطريق في منطقة "الصباحاني" أثناء مرور دورية عسكرية أمريكية من جنود "المارينز"، فانطلق
جنود الاحتلال على الفور إلى أقرب منزلين عراقيين من منطقة الحادث ليبدووا في ارتكاب
المذبحة التي راح ضحيتها أسر كاملة ظل بعض أفرادها يئنون حتى الموت، بينما أطلق النار
على رؤوس وصدور بعضهم ليلقي حتفه في الحال كل أمام عائلته، لتنتهي عائلتان بين أربع
وعشرين ضحية بينهم سبع من النساء وثلاثة أطفال وضعوا في صف واحد وأطلق عليهم
الجنود الأمريكيون الشواذ الرصاص، ثم رقصوا فوق الجثث وهم يركلون بالأحذية،
لتنجلي بذلك كل قيم وشعارات الديمقراطية الأمريكية في أنقى صورها !!

وهي الواقعة التي كانت مجلة " تايم " الأمريكية أول من يعلنها بشكل موثق ، قائلة إنها حصلت على شريط فيديو ، يظهر مذبحه ارتكبها الجيش الأمريكي ضد مدنيين عراقيين في بلدة حديثة شمال غرب العراق ، ويظهر غرفاً مليئة ببقع الدم وجثث ١٥ مدنيا عراقياً متناثرة في منزل ومشرحة في البلدة العراقية ، ولم تكذ تهاداً حرارة تصريحات مسؤولي الإدارة الأمريكية حول مجزرة حديثة ، حتى تم الكشف عن مجزرة جديدة ، حيث قتل جنود أمريكيون ١١ عراقياً عمداً في مارس الماضي

، بينهم أربعة نساء وخمسة أطفال في بلدة " الإسحاقى " شمال بغداد ، وذلك بإطلاق الرصاص على رؤوسهم بعد أن قيدت أيديهم في إحدى غرف منزل قبل أن يتم نسفه !!
بينما كان الجيش الأمريكي قد أعلن لدى وقوع الحادث ، أن أربعة أشخاص قتلوا عندما حصل إطلاق نار لدي قيامهم بدهم منزل لاعتقال مسلح ، ولكن سرعان ما أعلن الجيش الأمريكي تبرئة جنوده من قتل هؤلاء المدنيين، وهو ما انتقدته الحكومة العراقية الموالية للاحتلال، والتي وصفت نتائج تحقيق الجيش الأمريكي بأنها غير منصفة للشعب العراقي وللأطفال الذين قتلوا، وقال المتحدث باسم الحكومة: إنها ستطلب اعتذاراً من الولايات المتحدة وتعويضاً للضحايا في عدد من الحوادث الأخرى، وهو التصريح الذي سرعان ما تم نفيه، خاصة بعد اعتراف الجيش الأمريكي بمقتل مدنيين في الغارة على الإسحاقى، ولكنه اعتبر أن جنوده تصرفوا وفق قواعد الاشتباك في مناطق القتال، مؤكداً أن المدنيين قتلوا نتيجة أضرار جانبية" (!!)،

وهو نفس ما أعلنته قوات الاحتلال مرة أخرى عندما قالت: إنها قتلت بطريق الخطأ امرأتين عراقيتين كانتا في طريقهما إلى مستشفى للولادة شمال العاصمة بغداد ، لتستهدف بذلك قوات الاحتلال المحاالة للعراق في مجازرها حتى الأطفال في بطون أمهاتهم ، إنهم بإيجاز يستهدفون العراق وشعبه ومستقبله حتى إشعار آخر .

وليعدرنى القارئ في الإيجاز ، فهناك ملفات إن فتحت يحال إغلاقها .

١ - الحرب في لبنان :

حرب لبنان هي حرب يهودية بمباركة وتعاون ومساندة وتخطيط أمريكي ، فهي تدخل في نطاق الحرب الصليبية ضد المسلمين ، وإن كانت لبنان دولة مسيحية إلا أنه لم تهدم قرية واحدة للمسيحيين ، وكان الهدم والدمار للجنوب الإسلامي دون سواه .

لبنان مستهدف صليبياً من قبل اعتداء إسرائيل :

يقول المرحوم الشيخ / محمد الغزالي ، تحت عنوان: حكومات مسيحية لشعوب مسلمة . للبنان قضية تثير السخط والضحك ، أما السخط فهو للتآمر على إخفاء الحقيقة ، فهي قصة الشعب المسلم الذي تواطأت الأقوال على أنه قلة وهو كثير ، أما الضحك فليس ضحك السرور ، ولكنه ضحك الدهشة والعجب فالمظلوم يرد عن نفسه الضربات ، وهو يصبح لست متعصباً .

إن الدستور القائم حكم أن توضع مصائرهم في يد طائفة حاكمة ، لمصلحة ٣٠٠ ألف ماروني اعتبروا الكثرة الساحقة ، بينما اعتبر نحو مليون مسلم قلة صغيرة .

وأخذت السلطة التي أقامها الاستعمار ورسم لها وجهتها تؤدي وظيفتها رويدا رويداً، فجعلت المناصب الكبرى والصغرى في أيدي المسيحيين وحدهم، حتى يندر أن يرى موظف مسلم في عمل رئيسي .

نسبة المسلمين في الوظائف العسكرية والمدنية والخارجية لا تتجاوز ١٠ ٪ وأغلقت في عهد "إميل إده" جميع المدارس الإسلامية .

وفي لبنان ٣ جامعات مسيحية تشرف حكومة لبنان على إحداها، والفاتيكان على الثانية، والأمريكان على الثالثة .

وتسد أبواب الجامعات أمام الطلبة المسلمين ، ويحال دخول الطب والهندسة لمسلم إلا ما ندر^(١) .

بداية الحملة الصهيونية المسيحية " الإسرائيلية الأمريكية " ضد لبنان .

قامت إسرائيل بحملة عسكرية ضخمة في ١٢ / ٧ / ٢٠٠٦ ، أطلق عليها اسم "الثلث الباهظ" ، والتي ساعدتها فيها أمريكا عسكرياً وسياسياً ودبلوماسياً وإعلامياً ، وكان الهدف المعلن من هذه الحرب هو إبادة " حزب الله " الذي يهدد أمن إسرائيل بضررها بالصواريخ رداً على اعتدائها المتكرر على لبنان ولكن الهدف الحقيقي كان تقليل أعداد المسلمين في لبنان وهدم قراهم وبيوتهم .

(١) كفاح دين: محمد الغزالي : ٤٠ / ٤٢ بتصرف .

جاء في جريدة الأسبوع بتاريخ ٢٤ / ٧ / ٢٠٠٦ في حوار أجرته الكاتبة سناء السعيد مع
د/ محسن بلال وزير الإعلام السوري ؛ مما جاء فيه :

العدوان الصهيوني على لبنان خطط له مسبقاً من أجل تنفيذ القرار ١٥٥٩ .

نعم العملية تم التخطيط لها لضرب القوى التقدمية والوحدوية في لبنان لاسيما، وأن
القوى التي جاءوا بها إلى الحكم كانت هزيلة لم تستطع تنفيذ المهمة، فكان أن أوكلت العملية
لإسرائيل التي مزقت لبنان إرباً ودمرته تدميراً مذهلاً.. إنها جريمة في حق الإنسانية
والقائمون بها مجرمو حرب يدمرون بلا قيد، وعليه فإننا نهيب بالأمة أن تصحو وتدافع عن
نفسها، ولا تنسى أن إسرائيل لديها دوماً مواسم للتدمير والقتل تفرضها على العرب .

خسائر لبنان الغير بشرية :

أدى ضرب موانئ بيروت وصيدا وطرابلس إلى توقف حركة التجارة البحرية من وإلى
لبنان .. ولكن الخسارة الكبرى كما يؤكد الخبراء ستكون في قطاع السياحة حيث تسبب
العدوان الصهيوني في حرمان لبنان من أربعة مليارات دولار هي جملة الإيرادات المتوقعة
لقطاع السياحة الذي يعد أحد الدعائم الأساسية للاقتصاد اللبناني، حيث كان من المتوقع
أن يصل عدد السائحين هذا العام إلى مليون وستمائة ألف سائح هذا بالإضافة إلى خسائر
للمستثمرين الخليجيين الذين أقاموا استثمارات سياحية تقدر بـ ٧, ٥ مليار دولار .

ناهيك عن خسائر البنية التحتية التي تقدر بمليارات الدولارات، فهل يستطيع الاقتصاد اللبناني المثقل بديون خارجية تقدر بنحو ٤٠ مليار دولار أن يتحمل هذه الخسائر؟ وهل ستعود لبنان مرة أخرى إلى مرحلة إعادة إعمار جديدة مثل التي حدثت بعد عام ١٩٩٦ ؟

هذا بالإضافة إلى تدمير عشرات الكباري ومئات الطرق الممهدة ، وحوالي عشرين ألف منزل وفيلا وعمارة ، إنها حرب لدمار جزء من بلد يقطنه المسلمون ، حتى ينشغل الجميع بإعمار ما تم هدمه، وبالقطع سيكون للشركات الأمريكية والأوربية واليهودية النصيب الأكبر في عقود الإعمار، والربح الوفير في أموال الإعمار ، إنها حرب لتنشيط الصناعة والتجارة والمقاولات ، فقد أصبح القاتل يزهق روح القاتل ثم يبيع لورثته الكفن ، ويبني له القبر أيضاً ، ومن ثم يستحق الشكر على خدماته !

أما الخسائر البشرية فهي - حسب اعتقادي - عشرات الآلاف فقط من الأهالي العزل، حيث لم يدخل جيش لبنان في أي معارك .

الحرب ضد السودان :

شجع الاستعمار الأمريكي والأوربي الجنوب السوداني لإقامة حرب أهلية ضد الحكومة السودانية الإسلامية ، استمرت لسنوات طويلة ، هادفة لاستنزاف طاقة وموارد الشعب السوداني ووقف عجلة التنمية الاقتصادية ، والحكم وفقاً لمقتضى الشريعة الإسلامية .

ومما لا شك فيه أن الجنوب المسيحي انتصر وفرض شروطه على الحكومة السودانية وأصبح من الناحية العملية شبه مستقل عنها ، وقد اكتشف فيه البترول مما جعل الغرب يواصل دعمه السياسي والدبلوماسي للانفصاليين المسيحيين .

جاء بجريدة الأسبوع في ١٣ / ٩ / ٢٠٠٤ م بمقال للكاتب / خالد محمد علي بعنوان :

بعد أن نجحت أمريكا في العراق وسوريا ... أمريكا تجهز لوضع السودان

تحت مظلة العقوبات:

كشفت الولايات المتحدة الأمريكية عن مخططاتها في السودان وأعلنت أمام المجتمع الدولي عن رغبتها في " احتلال " البترول السوداني أو خنقه أو حبسه في مكانه .

وأفحمت أمريكا مسألة البترول في مشروع قرارها لمجلس الأمن، دون أن يتوقع أحد أن الحظر النفطي يمكن أن يكون جزءاً من العقوبات المفترضة .

ودعت الولايات المتحدة إلى التهديد بفرض عقوبات على قطاع النفط وزيادة حجم القوة الإفريقية العاملة في دارفور إلى عدة آلاف بدلا من ٣٠٠ جندي و ٨٠ مراقب، وفرض عقوبات ضد المسؤولين في الحكومة السودانية ودعوة الأمين العام للأمم المتحدة "كوفي أنان" إلى التحقيق في إمكانية وقوع أعمال إبادة جماعية في دارفور.

وحظر الطيران السوداني في منطقة دارفور مع تسيير دوريات جوية لقوات دولية حول المنطقة .

وجاءت مسودة القرار بعد إعلان كولن باول وزير الخارجية الأمريكي أن ما يحدث في دارفور هو عملية إبادة جماعية تقوم بها الميليشيات العربية ضد القبائل الإفريقية. وزعم باول أن هذه النتيجة جاءت عقب دراسة واستطلاع وسماع شهادات موثقة، وكانت الخارجية الأمريكية قد استمعت إلى ألف لاجئ من أبناء دارفور في تشاد، وهم جزء من القبائل الإفريقية ذات الامتداد القبلي في تشاد

وخاصة قبيلة الزغاوة ويمثلون قوات التمرد واعتبرت الإدارة الأمريكية أن شهادتهم
دليل على عمليات الإبادة .
هذا وقد أثبت فيما بعد كذب هذه الادعاءات .

الاستعمار والتبشير المسيحي ودارفور

جاء في جريدة آفاق عربية بتاريخ ٥ / ٨ / ٢٠٠٤ في مقال / عبد المنعم محمود تحت عنوان

: ماذا يجري في دارفور^(١):

دارفور إقليم اشتعلت فيه حروب داخلية بمساهمة وتأجيج من قوى دولية ولكن مازالت القضية تموج بكثير من الغموض، فصعب أن تصل لحقيقة وإن وصلت لا تستطيع أن تقسم أنها الحقيقة المطلقة .. " آفاق عربية " عاشت أياماً وسط ضباب دارفور، وتنقل في السطور التالية صورة حية ومشاهدات واقعية لما يجري هناك .

ومن الأسباب الرئيسية في الصراع في دارفور :

الصراع بين الرعاة والمزارعين : لقد حدد الاحتلال البريطاني مسارات رعوية (١٨ مساراً) على حدود إقليم دارفور وهي المسارات المخصصة لسياقة قطعان الأغنام والماشية بحيث لا تعتدي هذه القطعان على المساحات المزروعة نظراً لضخامة الثروة الحيوانية في الإقليم (١٠,٠٠٠ رأس لكل مواطن)، وعندما تغيرت الظروف المناخية أصاب التصحر كثيرا من هذه المسارات، وأصبحت لا تصلح لعمليات الرعي في الوقت التي نشطت فيه بعض الزراعات الأخرى مثل الفول السوداني والكرديه وأصبحت رائجة في أسواق خارج دارفور مما اضطر الرعاة للاتجاه والنزوح إلى الوادي المزروع والذي أدى إلى احتدام صراع مرير بين الرعاة والزراع .

(١) جريدة آفاق عربية في ٥ / ٨ / ٢٠٠٤ .

دور مشبوه للمنظمات الأجنبية :

إحدى أهم التهم الموجهة إلى الحكومة السودانية هي منعها المنظمات الإغاثية من ممارسة أعمالها في إقليم دارفور، ويعترف السيد إبراهيم محمود - مدير مجمع الشهيد بالخرطوم وعضو بارز في حزب المؤتمر الوطني، ومحافظ سابق لمدينة نيالا قائلاً : إننا منعنا منظمات الإغاثة الأجنبية لسجلها الأسود ؛ فضلاً عن الجانب التبشيري الذي تمارسه على أهلنا في الإقليم أو قبله في الجنوب، فإننا قبضنا بالفعل على طائرات كثيرة ترفع شعار الأمم المتحدة ومنظمات إغاثية دولية لا تحمل مواد إغاثية، ولكنها تحمل سلاحاً للمتمردين، ولكننا بفعل الضغوط الدولية فتحنا الباب للمساعدات الإنسانية.

وفي نفس السياق يحكي محمد يوسف كبر - والي شمال دارفور ، وإبراهيم أحمد - مفوض الشئون الإنسانية في الولاية - لـ "آفاق عربية " أحداث معسكر المشتل التي تحمل أكبر دليل على هذا الدور المشبوه ، حيث إن المعسكر هو مرحلة انتقالية لحين تسكين النازحين في معسكر (أبو شوك بالفاشر) ، وقد نجحت الحكومة في تسكين جميع النازحين في هذا المعسكر في أماكن مستقرة ، ولكن كيف يقدم مكتب أوشا - القائم بأعمال الإغاثة باسم الأمم المتحدة - هذا المعسكر خاوياً عند زيارة الأمين العام للأمم المتحدة كوفي أنان له ؟ فأغروا بعض النازحين في معسكرات أخرى كي ينتقلوا إلى معسكر المشتل، ونجحوا في نقل ٣,٠٠٠ أسرة، ولكن تشاء إرادة الله هطول أمطار غزيرة على المعسكر ، تجعل النازحين يفضلون العودة مرة أخرى، لتفاجأ بعثة الأمين العام بخلو المكان من النازحين

فتصرخ مديرة مكتب أوشا في وجه الزائرين (السودانيين قتلوا ٣٠٠ أسرة في هذا المعسكر!!) لتبرير خلو المعسكر من النازحين .

تضخيم الإعلام الغربي لمشكلة دارفور والمطالبة المستمرة بالتدخل العسكري الأمريكي البريطاني بها يعودان بالأساس لمحاولات أمريكا وبريطانيا السطو على الثروات العديد الموجودة بالإقليم في مناجم ذهب وصمغ . هذا ما أكدته المشاركون في الندوة التي نظمها معهد الأهرام الإقليمي للصحافة عن " قضية دارفور ودور المنظمات الأهلية المصرية في التصدي لها " الأسبوع الماضي .

د. حمدي السيد : لا إبادة ولا اغتصاب في دارفور :

أكد الدكتور حمدي السيد - نقيب الأطباء ورئيس اللجنة الصحية بمجلس الشعب - أن البعثة المصرية للإغاثة في دارفور لم تشاهد أي آثار لسوء معاملة أو اضطهاد ولم تقف على حالات اغتصاب فردي أو جماعي ، ولم يرفع لها أي شكاوى بخصوص ما تناقلته وسائل الإعلام الغربية عن الإبادة العرقية .

الحرب ضد الصومال :

الصومال بلد إفريقي فقير، فلا خوف حقيقي من الغرب الأمريكي والأوروبي المسيحي منه كقوة يمكن أن تشكل خطراً على العالم المسيحي ، ولكن حظه العاثر السيئ ، جعله من الدول التي تنبأت التوراة بأنها ستحارب إسرائيل ، فجاء في نبوءة حزقيال النبي عن الأمم التي ستجتمع لتحارب إسرائيل : "(٥) ومن جملتهم رجال فارس وإثيوبيا وفوط " (حزقيال: ٣٨) .

ونظراً للإيمان الغربي المسيحي بهذا الفكر الدموي التوراتي ، قامت الولايات المتحدة الأمريكية بغزو الصومال منذ عدة سنوات ولكنها فشلت ، حيث لم يوجد في هذا البلد منشآت أو مبان أو مصانع يمكن ضربها ودمارها ، كما لا يوجد أي تكنولوجيا يمكن للغرب التصنت عليها أو استغلالها في حرب تعتمد أساساً على التقنية الحديثة ، ولذلك لم تفلح قوات البحرية الأمريكية في احتلال الصومال ، ومن ثم أصبح من الواجب تجنيد الغير للقيام بهذا العمل ، فقامت القوات الإثيوبية ، باحتلال الصومال تحت دعاوي استجابة مطالب الحكومة الشرعية ، لمقاومة الإسلاميين "المحاكم الشرعية" وأعلنت أمريكا أنه لا شأن لها بذلك ، ومع ذلك فالطيران الأمريكي يضرب ليلاً ونهاراً القرى الإسلامية الفقيرة ، وأيضاً معاقلة قوات المحاكم الشرعية . والهدف هو إبادة المسلمين وإحلال المسيحية بدلاً منها .

وما زال المسلسل مستمراً ، ويبقى السؤال الحائر ، الدور على من ؟ إيران أم سوريا أو

مصر ؟

أما نحن في مصر ، أما نحن في مصر ، فقد ضاعت السودان ، وتمزقت الصومال ، وأدعو الله ألا نصبح بين شقي الرحى ، إسرائيل في الشمال الشرقي والمسيحية العالمية في جنوبنا ، فنصبح ككروم "عنب" معد للعصر والتعتيق حتى يصبح خمرًا لذة للشاريين .

المبحث الثالث

المسيحية ومقاومة الإسلام في التعليم الغربي للمسلمين

اتفق العالم الغربي المسيحي سواء في أوروبا أو أمريكا اتفاقاً موثقاً ملزماً، لا خلاف فيه أو عليه، على تلقين التلاميذ والطلاب مناهج تعليمية تسيء للإسلام والعرب، فتظهر الإسلام كخرافة فكرية والعرب كمتوحشين، وهذه المناهج والتعاليم الظالمة شملت كل مراحل التعليم من الحضنة حتى الدراسات العليا، مما جعل النظرة الغربية والمسيحية إلى الإسلام تتسم بالكراهية والحقد، ومن نشأ الحقد الفكري الغربي في إبادة الإسلام والمسلمين واعتبار ذلك خدمة جليلة للحضارة الإنسانية.

وقد قام أكثر من باحث بدراسة مناهج التعليم في هذه البلاد، وتبين من الدراسة ما يلي^(١)

أولاً: الإساءة للإسلام في المناهج التعليمية :

وقد وجد كيني^(٢) أن مناقشة الشرق الأوسط في كتب التاريخ المدرسية تزخر أغلب

الأحيان بوقائع غير دقيقة وافتراسات مشكوك فيها،

(١) الدراسة تمت وصدر بها كتاب بعنوان : صورة العرب والمسلمين في المناهج الدراسية حول العالم ، وقد

قام بها مجموعة باحثين ، وصدرت ضمن كتاب المعرفة ، الدار السعودية ٢٠٠٣ م .

(٢) اسم من قام بالدراسة . (٣) المرجع السابق : ص ٢٢ .

وحالات حذف كبيرة، وكل ذلك بهدف تكريس المفاهيم الأساسية الخاطئة عن الدين الإسلامي والثقافة والحضارة الإسلامية، تعدد الزوجات، الرق دون ذكر الحدود التي وضعها القرآن لذلك، انتشار الإسلام بقوة السيف متجاهلة تماماً، التحول إلى الإسلام من خلال الإقناع، وكثيراً ما تتجاهل هذه الكتب الإسهامات في الحضارة الغربية، كما تحظى إسرائيل بمعاملة متحيزة، وتؤكد إنجازات إسرائيل في تحويل الصحراء إلى جنة خضراء^(١). كما قدم الباحث "إياد القزاز" دراسة عن صورة العرب في الكتب المدرسية في ولاية كاليفورنيا للصفوف من رياض الأطفال حتى الصف التاسع، ملخصها: "التأكيد على موضوع البداوة، والإشارة إلى عمليات الإغارة والسلب دون ذكر للأمانة وكرم الضيافة، نزعة الإسلام إلى الحرب التي طغت على تسامح الدين... تجاه المسيحيين واليهود، تأكيد المركز المتدني للمرأة مع تأكيد الأمية وتعدد الزوجات، تصوير الصراع العربي الإسرائيلي، غير متوازن ومتحيز للنظرة الإسرائيلية، وتصوير إسرائيل الدولة الديمقراطية الوحيدة في الشرق الأوسط".

تصوير المرأة بأنها ذات مركز متدن للغاية، وتمتع بحقوق ضئيلة وسلطة دنيا في اتخاذ القرار، وتطيع زوجها في كل شيء رغم أنفها، وأن المرأة المسلمة لا يجزى تشجيعها على الالتحاق بالمدارس^(٢).

(١) المرجع السابق: ص ٢٥.

(٢) المرجع السابق: ص ٢٥ ملخصاً الفكر الاستشراقي.

ويقول الباحث "خلدون الشمعة" أن في إنجلترا يتم تلقين وإقناع الطلبة :
" أن أوروبا هي مركز العالم وثقافتها متفوقة على الآخرين ، إفريقيا لا تمثل جزءاً من
التاريخ، وعلى ذلك لها الحق ؛لأن تستعمل حق القوة في فرض سيطرتها على العالم العربي
والإسلامي لتطور ثقافته، أي: إن النزعة المركزية الأوروبية تصنع الآخر ، إلا إبليس^(١) ".
وهذه الواقعة توضح لنا كيف أن الحرب ضد الإسلام لا تهدأ :

في القرن السادس عشر تجرأ بعض الأوربيين فنشر طبعة للقرآن الكريم في نصها العربي،
وقد انزعج البابا في روما كل الانزعاج من هذا ، وأمر بجمع النسخ المطبوعة كلها وحرقتها،
وأقام لذلك احتفالاً دينياً شهده شخصياً ، ليظهر للعالم المسيحي استنكاره البابوي .

ثانياً : التآمر لمنع المسلمين من تلقي التعليم الديني الإسلامي .

للأسف أغلب دول أوروبا وأمريكا التي تنادي بحرية العقيدة ، واحترام عقائد أهل
الأديان والعقائد المختلفة، فإنهم مع الإسلام بالذات يمنعون الطلبة والطالبات المسلمات من
التعليم المدرسي لدينهم ، وأحياناً يسمح بتعليم الدين الإسلامي، ولكن على يد معلم غير
مسلم ، وبالتالي فما يتلقونه ليس المنهج الديني الإسلامي بحق .

أقيمت ندوة في مقاطعة سكسونيا الجنوبية بألمانيا باسم "أوروبا والعالم الإسلامي ، وقد
حضرها شيخ الأزهر د.محمد سيد طنطاوي ، الأستاذ: رجب البنا وكان ضمن ما عرض بها
من آراء :

(٣) الغرب والإسلام : رجب البنا : ص ١٦٤ ، مكتبة الأسرة ٢٠٠٢ .

رأى د. فان آيين " منسق الندوة " الذي قال :

" ولا بد أن نشير إلى أهمية تغيير نظام التعليم ، ما الذي يتعلمه التلميذ عن دينه ودين الآخر ، وهذا يؤدي إلى حق المسلمين في ألمانيا في تعليم أبنائهم مبادئ الدين الإسلامي في المدارس ، وهم ممنوعون من ذلك .

.. وإعطاء المسلمين حق الانتخاب ، ولا أريد أن أنكر في ألمانيا شعوراً عداًئياً ضد الإسلام وضد الأجانب ^(١) " .

هذا وقد تبين ما يلي :

- ١ - أن بعض القسوس يعلمون الدين الإسلامي للأطفال في المدارس .
 - ٢ - ليس في الجامعات الألمانية أقسام لتخريج معلم الدين الإسلامي ، بل ليس في المنهج الدراسي حصة واحدة لتعليم المسلمين الدين الإسلامي .
- رأى البعض من المسلمين أن تعليم أبنائهم حصص الدين المسيحي أفضل من عدم تعليمهم أي شيء عن الأديان ^(٢) " .

(١) المرجع السابق : ص ١٦٨ .

(٢) المرجع السابق : ص ١٧٦ .

٣- " في سويسرا لا يسمح للمسلمين بإقامة مدافن خاصة بهم كى تدفن فيها موتاهم بالطريقة الإسلامية^(٣) ".
؟

سأل الأستاذ / رجب البنا السيد " توم جينكين " المسئول عن تعليم الديانات غير المسيحية في مدارس بريطانيا ، وكيف ؟ ومن الذي يضع المنهج ؟ ومن الذي يقوم بالتدريس ؟

وكان من ضمن إجابته :

"أما تعليم الدين الإسلامي في المدارس فهذا موضوع حساس ،لذلك هناك لجان محلية تجتمع يشترك فيها المختصون في كل دين لوضع مناهج تعليم الديانة مثل الإسلام والبوذية والهندوسية ، بحيث لا يعكس تعليم الدين ديانة واحدة ، بعض المدارس تخصص مكان لصلاة المسلمين ، بعض المدارس تأسست على أنها مدارس دينية مسيحية أو يهودية ، وهي تحصل على ٨٥٪ إعانة من مصروفاتها ، وقد أنشئت مدرستان إسلاميتان تقدمتا لنيل الإعانة فرفض طلبها ؟ !!!

ويمكن لمعلمين غير مسلمين تعليم الطلبة المسلمين الدين الإسلامي لعدم توافر معلمين مسلمين !! والمنهج يختلف من مكان لآخر لأنه يوضع محلياً ولا تضعه الوزارة، وليس في بريطانيا كتاب لتدريس الدين ، كل مدرسة حرة في تحديد المواد التي تستعين بها في التدريس^(٣) ."

(٣) المرجع السابق: ص ١٨١ / ١٨٣ .

الختامة

الحرب ضد الإسلام دون سواه ، حقيقة مؤكدة وثابتة ، تتخذ أشكالاً متعددة منها :
العسكرية والثقافية والإعلامية ، وهي تتناسب عكسياً مع قوة المسلمين ، فتقوى حين
ضعفهم ، وتضعف عند قوتهم ، وقد تتلاشى حال استعلائهم .

وهذه الحقيقة أوضحها القرآن الكريم فقال تعالى :

﴿ كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ
وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ * اشْرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ
* لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴾ [التوبة : ٨-١٠] .

ونحن لا نطالب أو نطمع في اعتراف الباباوات والقساوسة ومفكري الغرب بالاعتراف
بالإسلام كدين سماوي - إلا من هداه الله - واعتناقه ؛ لأن مشيئة الله ارتضت واقتضت
وجود أكثر من دين لقوله تعالى :

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ [هود : ١١٨] .

ولكن من حقنا أن نطالب - إنصافاً للحق - بعدم ظلم الإسلام ورسوله وقرآنه ومعتنقيه
، بإشاعة وترويج الأباطيل ضده : وأن يكون الحق هو غاية قوله :
﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ
يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ١٤٦] . ولكن اضطهاد الإسلام باق ومستمر لعدة أسباب .

أسباب الاضطهاد بأنواعه ضد الإسلام :

١ - الرعب الغربي من تمسك المسلمين بشريعتهم مما يوحدهم ويقويهم عسكرياً .
يعلم الغرب جيداً باستقراء التاريخ أن تمسك المسلمين بدينهم هو سبب حضارتهم وقوتهم العلمية والفكرية والعسكرية ، ولذا فهم حريصون على عدم تحقيق ذلك .
يقول "جون كلنان"^(١) "القائد الأعلى السابق لحلف الأطلنطي" في محاضرة ١٩٩١ :
"لقد عرف التاريخ أطول مواجهة بين الغرب والإسلام طالت أكثر من ألف سنة، واشتعلت منذ الحروب الصليبية إلى العصر الحديث ، وبعد أن انتصر الغرب في الحرب الباردة ، يعود الصراع أمام الغرب إلى محوره الرئيسي ، وهو المواجهة مع

الإسلام، والسؤال هو : هل يستعيد التاريخ العسكري الأوربي محوره الرئيسي الصحيح وهو المواجهة مع الإسلام بعد أن انشغل عنه منذ هزيمة الجيش التركي على أبواب فيينا عام ١٦٨٣ م ، وهل سيوجه سيف الإسلام ضد أوروبا ، مدججا هذه المرة بأسلحة حديثة لعلها " القنبلة الإسلامية النووية " التي يزداد الكلام عنها الآن !"^(٢) .

(١) الغرب والإسلام : ص ٢٩٥ ، ٢٩٦ للأستاذ / رجب البنا.

(١) هذا الخوف جعل الغرب لا يسمح للمسلمين بامتلاك أسباب القوة سواء العلمية أو الفكرية أو العسكرية وحظر على المسلمين الأسلحة النووية التي أباحها الغرب لنفسه .

كما يقول المفكر الألماني د. هينس ديترفنتر:

إن تصاعد نشاط الإسلاميين منذ نهاية الثمانينات حدث في جميع البلاد العربية ، وفي الأراضي الفلسطينية المحتلة وقطاع غزة تنشط المجموعات الإسلامية مثل حماس وحزب الله منذ عام ١٩٨٨ ، وفي مصر ظهرت أعمال إرهابية ، وفي الجزائر تنشط جبهة الإنقاذ الإسلامي منذ عام ١٩٨٩ ، أما في السودان فقد تسلم العسكر السلطة وأعلنوا أن الشريعة الإسلامية هي أساس الحكم في البلاد ؛ مما أدى إلى تصعيد الحرب الأهلية هناك ، والتي اشتعلت لسبب لا دخل للدين فيها ؛ وحقق الإخوان في الأردن نجاحاً بارزاً في انتخابات ١٩٨٩ ، وفي الجزائر حصلت جبهة الإنقاذ الإسلامي على أغلبية الأصوات في الانتخابات البلدية عام ١٩٩٠ ، وهي الانتخابات التي ألغيت بعد إعلان نتائجها ؛ ويمكن القول : إن القوى الإسلامية تمثل الآن قوة المعارضة في البلاد العربية ، في حين كانت المعارضة في الستينات تتكون من القوى القومية . وصعود القوى الإسلامية يعود إلى عوامل داخلية ، في الأراضي الفلسطينية نتيجة الاحتلال الإسرائيلي ، وفي الجزائر نتيجة تدهور الأوضاع الاقتصادية ، وفي لبنان نتيجة الاعتداء الإسرائيلي عام ١٩٨٢ وما تبعه من احتلال دائم لجنوب لبنان^(٢) .

هناك أسباب محلية لظهور هذا التيار ، ولكن هذه الأسباب المحلية لها علاقة مباشرة بالتطورات الاقتصادية العالمية ، مثل مسألة المديونية ،

(٢) المرجع السابق : ص ٢٩٨ ، ٢٩٩ .

لذلك يستغل الإسلاميون ذلك في مهاجمة الغرب والنظام العالمي الجديد الذي أعلن عنه بعد حرب الخليج، لأنه لم يأت بجديد لهذه الشعوب، وقد جاء في مجلة "الإنسان" التي تصدر في باريس أن التدخل في الشؤون الداخلية وخرق السيادة الوطنية هما من مميزات النظام العالمي الجديد! وتتهم المجلة الفرنسية النظام العالمي الجديد بالتحيز، فهو ضد تسليح العراق ولكنه مع تسليح إسرائيل، وضد احتلال الكويت ولكنه مع احتلال الضفة الغربية، وهو مع الديمقراطية ولكنه ضد الديمقراطية في الجزائر بعد فوز الإسلاميين في الانتخابات!^(٣).

٢- الخوف الغربي من الذوبان الأوروبي وسيادة الإسلام للعالم.

جاء في مجلة المصور بمقال للكاتب: عبد العليم البيض.

مساعدة ثلاثة رؤساء أمريكيين سابقين يعلن موت الغرب، حيث تراجع عدد المواليد في بلاد الغرب، وازدياد الهجرات من إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية تهدد أوروبا بالذوبان.

وهذا المساعد هو: بات أوباتريك بيوكاتين الذي يقول في كتابه.

الأرقام الخاصة بأفول الجنس الأوروبي في عام ١٩٦٠ كان العدد الرسمي للأوروبيين والأمريكيين والأستراليين والكنديين حوالي ٧٥٠ مليون نسمة، أي ربع سكان العالم في هذا الوقت. وفي الوقت الذي تضاعف فيه سكان العالم إلى ست بلايين نسمة توقف الأوروبيون عن الإنجاب والتكاثر، ويشهد السكان من أصل أوروبي في أوروبا والولايات المتحدة هبوطاً ملحوظاً.

(٣) ثم الاحتلال والحرب ضد لبنان في نهاية ٢٠٠٦ م.

ووفقاً لإحصاءات أعدها مكتب الإحصاء في الأمم المتحدة سوف ينخفض عدد هؤلاء السكان المنحدرين من أصل أوروبي من ٧٢٨ مليون نسمة الآن إلى ٦٠٠ مليون نسمة عام ٢٠٥٠، إن الوضع السكاني في ١٧ دولة أوروبية ينذر بالخطر الشديد . فبحلول عام ٢٠٥٠ سوف تفقد ألمانيا ٢٣ مليون نسمة من سكانها ، وسوف تتحول إيطاليا إلى حديقة متحفية فسوف ينخفض سكانها في نفس الفترة بمقدار ١٧ مليون نسمة ، أما روسيا فسوف تشهد اضمحلالاً سكانياً شديداً : من ١٤٧ مليون نسمة الآن إلى ١١٤ مليوناً عام ٢٠٥٠ ، ولعل ذلك كان وراء دعوة فلاديمير زيرونوسكي ، وهو من اليمين الروسي المتطرف ، إلى إتاحة تعدد الزوجات في روسيا معدل ٥ زوجات لكل رجل ! بالإضافة إلى حظر سفر الروسيات إلى الخارج ، والوضع سيء أيضاً بالنسبة للعالم المتمدين خارج أوروبا، فاليابان تشهد مأساة سكانية بسبب إحجام اليابانيات عن الزواج حتى سن ٣٠، الأمر الذي يدعو الساسة اليابانيين إلى استعطاف اليابانيات للإنجاب ويرى البعض أنه إذا استمر الوضع الحالي في اليابان فسوف تختفي هذه الدولة في غضون ١٠٠ سنة !.

إن جحافل المهاجرين من شمال أفريقيا إلى أوروبا ومن جنوب آسيا يتدفقون إلى أوروبا بعادتهم وتقاليدهم وولائهم ودينهم ؛ ليخلقوا مجتمعات طبق الأصل من المجتمعات التي هجروها . يأتون بأعداد غفيرة وعادات إنجاب خطيرة ، هذا في الوقت الذي تشهد فيه دولة أوروبية مثل البرتغال وأسبانيا واليونان وفرنسا وإيطاليا انكماشاً في عدد سكانهم مقابل انفجار سكاني في مصر وتونس والمغرب والجزائر ويتذكر بيوكاتن أنه عندما زار القاهرة عام ١٩٨٢ ، كان عدد سكان مصر ٤٦ مليون نسمة .

في غضون ربع القرن القادم سيبلغ عدد عرب إسرائيل ٢ مليون نسمة بينما سيبلغ عدد سكان الضفة وغزة ٧ ملايين نسمة، بالإضافة إلى ٧ ملايين فلسطيني أردني .. الأرقام تتحدث عن نفسها .

يتكهن بيوكاتن بحدوث توترات وصراعات بين هذه الجاليات والمجتمعات التي هاجروا إليها. وبدأت هذه الصراعات تتفاقم في المملكة المتحدة وأسبانيا والدانمارك كما بدأت الأحزاب الأوربية اليمينية تزداد قوة وشراسة . وكلها تحديات هائلة بالنسبة للجاليات الإسلامية والعربية وبالنسبة للمجتمعات والدول التي نزحوا منها^(١).

٣- الإيمان المسيحي الغربي بخلق عدو جديد لقتله واغتصاب خيراته .

بعد انتصار الرأسمالية الغربية على الاشتراكية والشيوعية الممثلة في الاتحاد السوفيتي مما أدى إلى تفكيك جمهورياته، آمن الغربيون أنه لا بد من خلق عدو جديد ضعيف يمكن قتله لا قتاله، واحتلال أراضيه وسرقه خيراته وهذا العدو هو الإسلام ، فهو الدين الوحيد القوي رغم ضعف المؤمنين به ، الذي يستطيع الانتشار علميا لتحقيق سعادة ورفاهية البشر وملء الفراغ الروحي والعقائدي والإيماني الناتج من سطوة الماديات على الروحانيات في الغرب ،

(١) هذا الخوف أدى للدعوة لتقليص أعداد المسلمين في العالم، وذلك عن طريق قتلهم في حروب غير مشروعة، كما حدث في العراق وأفغانستان ولبنان والسودان والصومال وغيرهم، والبقية آتية لا محالة، ولا ننسى ما تم في الاتحاد السوفيتي السابق من تصفيات جسدية وإبادة لأعداد هائلة من المسلمين .

(٢) الإرهاب في اليهودية والمسيحية والإسلام والسياسات المعاصرة : ص ٢٧٧ .

(٣) المرجع السابق: ص ٢٧٦ ومرجعنا: أمريكا طليعة الانحطاط لروجيه جارودي ص ٨١ ، ألا تستحي أمريكا من قتل من لا قوة له على قتال من دول العالم المتخلف الذي يستجدي - غالبه - رغيف الخبز .

خاصة بعد فشل الكنيسة في تحقيق ذلك وانفصال الناس عنها وانصرافهم عن عقائدها اللاعقلانية ، والتي تنافرت وتباعدت عن العلم الحديث .

وهذه الأسباب مجتمعة مع غيرها قد تتوازن مع سبب وحيد باق وهو الإيمان بضرورة الحفاظ على إسرائيل وحمايتها لنصرها في حرب نهاية الزمان " معركة هرمجدون " .

ضرورة خلق عدو جديد وتحديد هويته مسبقاً :

رأي " كيسنجر " وزير خارجية أمريكا السابق " اليهودي الأصل " :

يقول " الجبهة الجديدة التي على الغرب مواجهتها هي العالم العربي والإسلامي باعتبار هذا العالم عدو جديد للغرب " (١) .

السيناتور اليهودي " وليام كوهين " :

" القوة احتياج حيوي لفرض السيطرة على أقاليم ومناطق جديدة ، للحفاظ على الإمكانية المفتوحة للوصول إلى الأسواق والمواد الأولية البعيدة ، والصراعات المحتملة قد تستوجب حرباً متوسطة الكثافة مع العدو القوي في العالم الثالث " (٢) .

وبالرغم من هذه السياسات المعلنة ، لم يكتف ساسة ومفكرو الغرب والباباوات بالإساءة المتعمدة ضد الإسلام ، بل قلبوا الأوضاع وادعوا أن المسلمين هم الظالمون ، فجعلوا المقهور قاهراً ، والذبيح جزاراً .

فيدعي صموئيل هنتجتون: إن التوتر والعداء والصراعات العنيفة منتشرة بين المسلمين
" المعتدين " وغيرهم ويضرب أمثلة لذلك فيقول :

فنجدهم في البوسنة قد دخلوا في قتال دموى مع الصرب الأرثوذكس ، وفي قتال آخر مع
الكروات الكاثوليك، وفي كوسوفو عانى المسلمون الألبان من حكم الصرب وحافظوا على
حكوماتهم السرية ، وهناك توقعات عالية جدا لاندلاع العنف بين الجماعتين ، ونجد
الحكومة الألبانية المسلمة - أيضاً - في خلاف دائم مع الحكومة اليونانية الأرثوذكسية حول
الأقليات في بلد كل منهما .

وفي نفس السياق نجد أنه على مدار التاريخ يمسك الأتراك المسلمون والأرثوذكس
اليونانيون كل منهما بعنق الآخر ، فأصبحوا دولا متجاورة في حالة عداء دائم ، وفي شمال
القوقاز نجد أن الشيشان والأنجوش والمسلمين الآخرين قاتلوا لأكثر من مائتي سنة من
آخر الاستقلال عن روسيا، وهناك صراع دموى بين الروس والشيشان عام ١٩٩٤م.
أيضا هناك قتال بدأ بين الأنجوش والأرثوذكس الأستونيين ، وفي نهر الفولجا نجد
المسلمين التتار يحاربون الروس في الماضي ، وفي أوائل التسعينات استطاعوا الوصول إلى
مصالحة مع الروس بالحصول على سيادة محدودة .

وفي الشرق الأوسط نجد الصراع اليهودي في فلسطين والذي يرجع إلى إقامة وطن
 لليهود في فلسطين، وقد قامت أربعة حروب بين العرب وإسرائيل وقام الفلسطينيون
بانتفاضة ضد الحكم الإسرائيلي، وفي لبنان نجد الموارنة المسيحيين خاضوا معركة خاسرة
ضد الشيعة المسلمين والمسلمين الآخرين ،

وإذا انتقلنا إلى أثيوبيا نجد الأمهرين الأرثوذكس عانوا من الاضطهاد تاريخيا، وفي إفريقيا نجد صراعات متنوعة بين العرب المسلمين في الشمال من جانب والمسلمين السود على الجانب الآخر، والحرب الدموية كانت بين المسلمين والمسيحيين في السودان وهي مستمرة منذ عقود، وكانت نتيجتها مئات الآلاف من الضحايا .

وأيضاً في نيجيريا نجد الصراع بين قبائل " الفولاني " و " الهوسا " المسلمة في الشمال من جانب والقبائل المسيحية في الجنوب على جانب آخر ، نفس الشيء موجود في تشاد وكينيا وتنزانيا ، حيث يحدث الصراع الشديد بين المسلمين والمسيحيين ، ونجد في كل هذه المناطق العلاقات بين جماعات المسلمين وشعوب حضارات أخرى : الكاثوليك البروتستانت والأرثوذكس ، والهندوس والصينية والبوذية واليهودية ، كانت تشكل علاقات عدائية ... ومن ثم على طول محيط وحدود الإسلام نجد المسلمين لديهم شكل في العيش بسلام مع جيرانهم ^(١) .

هذا وقد تدخل الغرب المسيحي ممثلاً في أمريكا وأوروبا في كل هذه البلاد ، فقام بمساعدة غير المسلمين ضد المسلمين ، ومجازر البوسنة والهرسك ، وألبانيا ، وما تم في لبنان في الحروب الأخيرة سنة ٢٠٠٦ ، وما يتم حالياً في إفريقيا في السودان والصومال وغيرهما هو أكبر دليل على ظلم الحضارة الغربية للمسلمين ومحاولة إفنائهم ، مع الادعاء الكاذب أنهم المعتدون ، وليست العراق ببعيد وما زالت فلسطين تعاني من الاعتداءات الصهيونية المتكررة وقتل المدنيين يومياً ، وأسر الشباب يومياً ،

(١) الإسلام وحدائق الشيطان ، محمد عبد المنعم : ص ١١٧ ، ١١٩ ، مكتبة الأسرة سنة ٢٠٠٠ م .

وحاليا محاولة هدم المسجد الأقصى ، وكل من يقاوم الغرب المسيحي الأمريكي والأوربي يعتبر إرهابياً! وإذا صدر قراراً للأمم المتحدة بإدانة أي عدوان ظالم غاشم على قطر إسلامي ، اعترضت أمريكا ، فأصبح القرار هباءً منثوراً ثم يدعى الجميع ظلماً بأن محمداً لم يأت بجديد ، بل أتى بكل شر !! ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف : ٥].

رغبة الغرب في علمانية الشرق الأوسط :

نتيجة لطغيان الكنيسة الغربية، وفساد الباباوات وتناقضات الكتب المقدسة، نبذ الغربيون عقيدتهم ، وأصبحت المسيحية مختلة المضمون ، خالية الأحكام حتى عدت ديكوراً لا أساس له، وفتحت الأذرع ورحبت الصدور وآمنت القلوب بدين جديد سمي العلمانية.

يقول : د. زكي نجيب محمود :

ناقشت د. فيلسوفة - رمز لاسمها د. زكي نجيب محمود بالحروف " س ، ش - " عن

الألوهية في المسيحية فقالت :

"إن المسيحية ديانة تعدد لا ديانة توحيد ، وهي لا تعني فقط تثليث المسيحية ، بل أضافت إلى ذلك كيف يتحدث المسيحيون عن قديسهم ، فهذا قديس خاص برعاية الزرع ، وآخر بالملاحة، وهكذا كما تقول عن أثر الدين في الفكر الإنساني :

" ذكر "فرويد " في أحد مؤلفاته : أن ثلاثة أرباع القوى العقلية عند الناس قد ضاعت بسبب الدين ، ذلك أن الطفل يندفع إلى السؤال عن شيئين في طفولته وهما الله والجنس ، فيصده الدين عن المعنى في كليهما مضيئاً صريحاً ، فلا هو يبيح حرية السؤال عن الله بصراحة ، ولا هو يبيح له حرية السؤال عن العلاقة الجنسية وأعضائها ، وبهذا تنطمس الرغبة الطبيعية عند الطفل في السؤال والبحث ويتعلم منذ طفولته - بسبب التضييق الديني - أن ينخرط مع الناس في خرافاتهم .

وأضاف أحد المفكرين :

" إن الديانات تجعل من الناس مرضى في نفوسهم ، لأنها تصيبهم بالعلل العصبية ، بما تخلق فيهم من عقد نفسية بالخطيئة ، فتراهم يمتنعون عن العيش عيشاً سعيداً بما غرس فيهم الدين من تحريمات لا مبرر لها ^(١) .

إن تهميش دور الدين في الغرب وما يتبعه من الترويج لعادات وتقاليد وخطايا أخلاقية ليست من الدين في شيء ، كحرية الدعارة وحرية الجنس وحرية الشذوذ الجنسي وإباحة الإجهاض ، وغير ذلك ، أدى إلى طغيان اللذات المادية على السعادة

(١) أيام في أمريكا ص ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، والإسلام لديه الحلول لهذه الأسئلة فوحدانية الله كاملة ليس فيها أسرار أو أفكار أعلى من مستوى العقل البشري كما في المسيحية ، وأثبتها الله في القرآن في أكثر من آية ، أما الجنس فقد علمنا الإسلام أنه فطرة طبيعية ولا ينبغي مزاولتها إلا عن طريق الزواج .

الروحية ، مما يهدد حضارة الغرب المسيحي بالفناء، رغم تقدمه العلمي ، ومن هنا أراد الغرب لبلاد الشرق الإسلامي أن يعانون من أمراض الغرب المادية اللاأخلاقية ، فروجوا للعلمانية في الدول الإسلامية ، ودعوا لنبد الدين عند حياة المسلمين تحت دعاوي كاذبة شتى ، فهم يعلمون علم اليقين أن المسلمين تكمن قوتهم في دينهم ، ولذا فقد صرح الرئيس الأمريكي بوش الابن عند إعادة انتخابه " لا أريد حكومات إسلامية للدول العربية ويقول فوكويا ما :

إن التطور الأهم ينبغي أن يأتي من داخل الإسلام نفسه ، على المجتمع الإسلامي أن يقرر إذا كان يريد أن يصل إلى وضع سلمي مع الحداثة ، خاصة فيما يتعلق بالمبدأ الأساسي حول الدولة العلمانية ؟ أم لا ؟!.

وهذه الأفكار يروج لها الكثير ممن ينتسبون إلى الإسلام اسما مع تأثرهم بالفكر الغربي ، يقول: "هاشم صالح" ، المتخصص في ترجمة وتسويق المشروع الحداثي للدكتور محمد أركون .. فلقد كتب - عقب قارعة سبتمبر - داعيا على انتهاز فرصة الهجمة الغربية على الإسلام - لتبني الحداثة الغربية ، التي أحلت وتحل " الدين الطبيعي " محل " الدين الإلهي " !! فقال: "إننا يجب أن نلتحق بفولتير (١٧٣٤ - ١٧٧٨ م) وتصوره الطبيعي عن الدين والأخلاق ، فالدين الحقيقي هو الدين الطبيعي .. وإن العبرة هي بأعمال الإنسان وليس بمعتقداته ، أو حتى صلواته وعبادته ...

ولا بد من تأويل جديد لتراثنا يختلف عن تأويل الأصولية ، بل وينقصه ... تأويل يكشف عن تاريخية النصوص التأسيسية ، ويحل القراءة التاريخية محل القراءة التبجيلية لهذا التراث ..!!"

وعلى ذلك فالإساءة للإسلام وكتابه ورسوله والمؤمنين به ، إستراتيجية قائمة لا تعديل ولا تبديل لها ، ويشارك في وضع خطتها وتنفيذه الكثيرون ، من باباوات ورجال دين حتى الممثلين والراقصين ، وهي لا تهدف لإنصاف أو إظهار حق وبيان حقيقة ، ولكن محاولة طمس الدين الحق ، ووأد شريعته حقداً وبغضاً ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة : ١٠٩] .

﴿ لَتُبْلَوْنَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ [آل عمران : ١٨٦] .
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم - التوراة - الإنجيل

- ١- الإجماع الأمريكي في الخليج والحل الإسلامي: أبو إسلام أحمد عبد الله .
- ٢- الإرهاب في اليهودية والمسيحية والإسلام، والسياسات المعاصرة: زكي أبو غضة .
- ٣- أسباب النزول: الإمام النيسابوري .
- ٤- الإسلام دعوة عالمية: عباس محمود العقاد .
- ٥- الإسلام والغرب: د محمد عمارة
- ٦- الأقباط في مصر والمهجر: رجب البنا، دار المعارف
- ٧- الأقليات الدينية والحل الإسلامي: يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة
- ٨- أمريكا قمة الانحطاط: روجيه جارودي .
- ٩- أوروبا والإسلام: د. عبد الحليم محمود، مطبعة الأهرام التجارية.
- ١٠- أيام في أوروبا: زكي نجيب محمود، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الثانية .
- ١١- بروتكولات حكماء صهيون .
- ١٢- التاريخ الأسود للكنيسة .
- ١٣- تاريخ الحركة الوطنية وتطور نظام الحكم، مكتبة الأسرة .
- ١٤- تاريخ الطبري: ابن جرير الطبري .
- ١٥- تاريخ الفكر المسيحي: د. القس حنا الخضري، دار الثقافة، بيروت .
- ١٦- تاريخ الكنيسة: القس جون لوريمر، ترجمة عذرا وجار، دار الثقافة .
- ١٧- تاريخ المسيحية: القس حبيب سعيد .
- ١٨- تفسير القرآن العظيم: الإمام ابن كثير .
- ١٩- تفسير الطبري: تحقيق د. أحمد شاكر .
- ٢٠- تنصير العالم: د زينب عبد العزيز، دار الوفاء
- ٢١- الجامع لأحكام القرآن: القرطبي .
- ٢٢- الجهاد في القرآن الكريم: عطية الدسوقي عمر، مؤسسة دار الشعب، القاهرة .

- ٢٣- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح :شيخ الإسلام ابن تيمية ، مطبعة المدني بالقاهرة ، ط ١٩٦٤
- ٢٤- الحضارة الصليبية :عزيز سوريال .
- ٢٥- الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، آدم متز، ترجمة أبى ريدة.
- ٢٦- حقائق ووثائق عن الحركة التبشيرية : عبد الودود شلبي .
- ٢٧- حقيقة الغرب بين الحملة الفرنسية والأمريكية : د/ مصطفى عبد الغني ، مكتبة الأسرة .
- ٢٨- حوار هادئ مع بابا الفاتيكان : محمد سيد طنطاوي ، هدية مجلة الأزهر .
- ٢٩- خطب أمير المؤمنين ووصاياه : محمد أحمد عاشور .
- ٣٠- رجال ونساء أنزل الله فيهم قرآنا : عبد الرحمن عميرة ، مكتبة الأسرة ٢٠٠١م.
- ٣١- رد افتراءات المبشرين على آيات الله : محمد جمعة عبد الله .
- ٣٢- الرد الجميل على اليهود والنصارى :أ/ عبد المجيد صبح ، دار المنارة ، المنصورة .
- ٣٣- روح الإسلام :محمد عطية الإبراشي ، مكتبة الأسرة .
- ٣٤- السلام الحقيقي : ريتشارد نيكسون ، طلاس للدراسات الترجمة والنشر، سوريا .
- ٣٥- سماحة الإسلام : د.محمد أحمد الخوفي .
- ٣٦- سنن أبي داود .
- ٣٧- سنن ابن ماجه .
- ٣٨- سنن الترمذي .
- ٣٩- سنن النسائي .
- ٤٠- السيرة النبوية : ابن هشام الأنصاري .
- ٤١- صحيح البخاري .
- ٤٢- صحيح ابن خزيمة .
- ٤٣- صحيح مسلم .
- ٤٤- صور حضارية من عطاء الإسلام : إعداد لجنة التعريف بالإسلام ، وزارة الأوقاف مصر ٢٠٠٣م
- ٤٥- عظمة الإسلام .
- مجلة السفير
- مجلة المصور .

فهرس الكتاب

٢ المقدمة
٤ كلمة بابا الفاتيكان فى جامعة ريجنسبرج
١٥ تعقيب على كلمة البابا
١٧ خطة الكتاب
٢٨ تمهيد
٢٨ أولا : سلطان البابا وتقديسه فى المسيحية
٢٨ أ- فى الكنيسة الشرقية :
٣٠ ب - فى الكنيسة الغربية :
٣١ ثانيا : سلطات البابا وسلطانه :
٣٤ ثالثا : عصمة البابا بين التقديس العظيم والواقع المرير :
٤٢ الباب الأول ادعاء إكراه الرسول ﷺ الناس على الدخول فى الإسلام
٤٦ الفصل الأول الإكراه الدينى فى الأديان السماوية
٤٧ المبحث الأول ادعاء الإكراه الدينى فى الإسلام
٥٢ المبحث الثانى الإكراه الدينى فى اليهودية
٥٤ المبحث الثالث الإكراه الدينى فى المسيحية
٥٨ الفصل الثانى توطئة : التسامح الدينى وحرية العقيدة بين الإسلام والأديان السماوية
٦١ المبحث الأول التسامح الدينى فى الإسلام
٧٦ المبحث الثانى مظاهر التسامح الدينى فى الأديان السماوية
١٠٨ الفصل الثالث التسامح الدينى وحقوق المواطنة بين الإسلام والأديان السماوية
١١٢ المبحث الأول حقوق المواطنة فى الإسلام ^٥
١٢٥ المبحث الثانى التسامح الدينى وحرية المواطنة فى اليهودية والمسيحية
١٣٨ الباب الثانى التكافل الاجتماعى والإنسانى فى الأديان السماوية
١٤٢ الفصل الأول التواد والتراحم العائلى الأسرى بين الأديان
١٤٤ المبحث الأول الزواج والمصاهرة بين الأديان والملل
١٥٣ المبحث الثانى صلة الأرحام فى الأديان السماوية
١٥٦ المبحث الثالث احترام وتقدير أصحاب الفضل
١٦١ المبحث الرابع الوفاء بالعهد
١٦٧ المبحث الخامس الفرح والسرور للانتصار على الوثنيين

١٧٠ الفصل الثاني الآداب الاجتماعية والأخلاقية بين الإسلام والأديان
١٧٢ المبحث الأول حسن العشرة والمخالطة الاجتماعية في الأديان
١٨٤ المبحث الثاني المعاملة الكريمة في الأديان
١٩٦ المبحث الثالث شهادات منصفى الغرب بالتسامح الإسلامي
٢٠٦ الباب الثالث الجهاد والقتال في الأديان السماوية
٢٠٧ توطئة
٢١٠ الفصل الأول أسباب الجهاد في الأديان السماوية
٢١٦ المبحث الأول الدفاع عن الوطن ورد الظلم
٢٢٥ المبحث الثاني الدفاع عن الدين
٢٣٦ المبحث الثالث الجهاد لرد العدوان واثقاء الفتنة
٢٤٥ المبحث الرابع جهاد ناقضى العهود والمواثيق
٢٥٠ المبحث الخامس الجهاد ضد الفئة الباغية " الظالمة "
٢٥٦ الفصل الثاني الحرب والقتال في الأديان السماوية
٢٥٧ أولاً : الحرب والقتال في الفكر الإنساني :
٢٦١ ثانياً: الحرب وأسبابها ووحشيتها في الأديان :
٢٦٦ المبحث الأول أسس ومبادئ الحرب والقتال في الأديان السماوية
٢٦٦ أولاً :كراهية الحرب في الأديان السماوية
٢٧١ ثانياً :مدى إيمان الأديان السماوية بضرورة السلام :
٢٨١ ثالثاً امتلاك القوة وأهميتها :
٢٨٤ رابعاً : مدى الحق في الاعتداء على الغير :
٢٨٩ خامساً : الرحمة في الحرب وعدم اتخاذ القتل غاية :
٢٩٣ سادساً :قواعد التعامل مع غير المحاربين :
٣٠٢ سابعاً :أسس معاملة الأسرى:
٣٠٨ (ملحق) مجلة المصور ٢٠٠٧ /١/٥ م
٣١٤ الباب الرابع ادعاءات ظالمة ضد الإسلام
٣١٦ الفصل الأول ادعاء أن الإسلام دين العبودية والرق
٣١٩ المبحث الأول الرق في حياة الأديان والأمم قبل الإسلام
٣١٩ ١- صناعة وتجارة العبيد فكر يهودي مسيحي :
٣٢١ ٢-الرق نظام اجتماعي قائم في الأمم والحضارات:
٣٢٣ ٣- أوربا واحتراف تجارة العبيد :

٣٢٥	٤- مصادر الرق قبل الإسلام :
٣٣٠	المبحث الثاني الرق في الأديان السماوية.....
٣٣١	أولاً : معاملة العبيد والإماء في الأديان:
٣٣٨	ثانياً :عتق العبيد في الأديان السماوية :
٣٤٨	الفصل الثاني ادعاء أن الإسلام أقام الحروب لفرض الجزية على الشعوب
٣٤٩	توطئة :
٣٥١	المبحث الأول الجزية بين التاريخ والأديان السماوية.....
٣٥١	أولاً: الجزية في التاريخ :
٣٥٢	ثانياً: الجزية في تاريخ الأديان :
٣٦٧	المبحث الثاني التطبيق الفعلي للجزية بين الغرب المسيحي والشرق الإسلامي
٣٦٧	أولاً : الغرب وتطبيق الجزية قديماً وحديثاً
٣٧٤	ثانياً :المسلمون وفرض الجزية عملياً ً.....
٣٨٢	الفصل الثالث الادعاء بأن الإسلام نشر بالسيف
٣٨٥	المبحث الأول حاجة العالم إلى دين جديد لتصحيح انحرافاته
٣٩٢	المبحث الثاني انتشار الإسلام في فترة وجيزة ودون إكراه.....
٣٩٨	المبحث الثالث انتشار الحضارة والمدنية في البلاد المفتوحة.....
٣٩٨	أولاً : دور الإسلام في انتشار الحضارات:
٤٠٠	ثانياً :شهادات منصفى الغرب بسماحة الإسلام :
٤٠٤	الباب الخامس مخازي وبلايا الغرب المسيحي ضد الإنسانية والإسلام
٤٠٥	توطئة :
٤٠٨	الفصل الأول الغرب المسيحي ضد حرية الأديان
٤١٣	المبحث الأول إظهار الإسلام للشعوب الغربية في صورة مشوهة.....
٤١٣	أولاً: الساسة والكتاب يشوهون صورة الإسلام :
٤٢٠	ثانياً : الإساءة إلى القرآن الكريم :
٤٣٤	ثالثاً :الإساءة إلى رسول الله ﷺ :
٤٧٠	رابعاً : الإساءة إلى تعاليم وأحكام الشريعة الإسلامية:
٤٨٣	المبحث الثاني تدخل الغرب في العقيدة الإسلامية لمحاولة إضعافها.....
٤٨٤	أولاً : محاولة الغرب المسيحي الاستعماري إلغاء الجهاد الإسلامي :
٥٠٢	ثانياً : محاولة تقليص دور الدين في حياة المسلم :

٥١٢ الفصل الثاني الغرب المسيحي نشر دينه ومبادئه بالسيف وأسلحة الدمار الشامل
٥١٤ المبحث الأول نشر المسيحية بالسيف والقهر والتعذيب والحرق قديماً
٥١٩ المبحث الثاني نشر المسيحية بالقتل والدمار بأسلحة الدمار الشامل حديثاً
٥٣٩ المبحث الثالث المسيحية ومقاومة الإسلام في التعليم الغربي للمسلمين
٥٤٤ الخاتمة
٥٥٧ المصادر والمراجع
٥٥٩ فهرس الكتاب